(فهرسة الجزء الرابع من كتاب ألف ليلة وليلة)

صحيفه

كتاب الف ليلة وليلة

الطبعة الثانية

مقابلة وتصحيح الشيخ محمد
قطة العدوى

الجزء الرابع

طبع بمطبعة
عبد الرحمن رشدى بك
الكائنة ببولاق
سنة ١٢٧٩

الحمد لله وكفى * وسلام على عباده الذين اصطفى * وبعد فهذا أول الجزء الرابع من الكتاب المسمى بألف ليلة وليله * الذى أجرى فى أودية الاحاديث اللطيفة والحكايات الظريفة سيله * وابتدأنا هذا الجزء بالليلة الموفية لتسعين بعد السبعمائه * التى هى لحكاية سابقتها متممة وبباقيها منبئه * فقلنا * وبالله تعالى اعتصمنا

فلما كانت الليلة الموفية لتسعين بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنا لما أخذ ثوب البنت طلبته فلم تجده وطار اخواتها وتركنها وحدها فلما رآها حسن طرق وغبن عنها أصغى اليها فسمعها تقول يامن أخذ ثوبى وأعرانى أسألك أن ترده على وتستر عورتى فلا اذاقك الله حسرتى فلما سمع حسن هذا الكلام منها سلب عقله فى عشقها وازدادت محبته لها ولم يطق أن يصبر عنها فقام من مكانه وصار يجرى حتى هجم عليها وأمسكها ثم جذبها اليه ونزل بها الى أسفل القصر وادخلها مقصورته ورمى عليها عباءته وهى تبكى وتعض على يديها فأغلق عليها الباب وراح لاخته وأعلمها أنه حصلها وظفر بها ونزل بها الى مقصورته وقال لها انها الآن قاعدة تبكى وتعض على يديها فلما سمعت اخته كلامه قامت وتوجهت الى المقصورة ودخلت عليها فرأتها تبكى وهى حزينة فقبلت الارض بين يديها ثم سلمت عليها فقالت لها الصبية يابنت الملك أهكذا تفعل الناس مثلكم هذه الفعال الرديئة مع بنات الملوك وأنت تعرفين أن أبى ملك عظيم وأن جميع ملوك الجان تفزع منه وتخاف من سطوته وعنده من السحرة والحكماء

والكهان

والكهان والشياطين والمردة من لا طاقة لاحد عليه وتحت يده خلق لا يعلم عددهم الا الله وكيف يصح لكم يا بنات الملوك أن تأوين رجال الانس عندكن وتطلعنهم على احوالنا واحوالكن والافمن أين يصل هذا الرجل الينا فقالت لها اخت حسن يا بنت الملك ان هذا الانسي كامل المروءة وليس قصده أمر اقبيحا وانما هو يحبك وما خلقت النساء الا للرجال ولولا انه يحبك ما مرض لاجلك وكادت روحه أن تزهق في هواك وحكت لها جميع ما أخبرها به حسن من عشقه لها وكيف عملت البنات في طيرهن واغتسالهن وانه لم يعجبه من جميعهن غيرها لان كلهن جواريها وانها كانت تغطسهن في البحيرة وليس واحدة منهن تقدر أن تمد يدها اليها فلما سمعت كلامها يئست من الخلاص فعند ذلك قامت أخت حسن وخرجت من عندها واحضرت لها بدلة فاخرة فألبستها اياها واحضرت لها شيأ من الاكل والشرب فأكلت هي واياها وطيبت قلبها وسكنت روعها ولم تزل تلاطفها بلين ورفق وتقول لها ارحمي من نظرك نظرة فأصبح قتيلا في هواك ولم تزل تلاطفها وترضيها وتحسن لها القول والعبارة وهي تبكي الى أن طلع الفجر فطابت نفسها وأمسكت عن بكائها لما علمت انها وقعت ولم يمكن خلاصها وقالت لاخت حسن يا بنت الملك بهذا حكم الله على ناصيتي من غربتي وانقطاعي عن بلادي وأهلي واخواتي فصبر جميل على ما قضاه ربي ثم ان اخت حسن اخلت لها مقصورة في القصر لم يكن هناك أحسن منها ولم تزل عندها تسليها وتطيب خاطرها حتى رضيت وانشرح صدرها وضحكت وزال ما عندها من الكدر وضيق الصدر من فراق الاهل والاوطان وفراق أخواتها وابويها وملكها ثم ان أخت حسن خرجت اليه وقالت له قم ادخل عليها في مقصورتها وقبل يديها ورجليها فدخل وفعل ذلك ثم قبل ما بين عينيها وقال لها يا سيدة الملاح وحياة الارواح ونزهة الناظرين كوني مطمئنة القلب أنا ما اخذتك الا لاجل أن اكون عبدك الى يوم القيامة وأختي هذه جاريتك وانا يا سيدتي ما قصدي الا أن أتزوجك بسنة الله ورسوله وأسافر الى بلادي وأكون أنا وأنت في مدينة بغداد وأشتري لك الجواري والعبيد ولي والدة من خيار النساء تكون في خدمتك وليس هناك بلاد أحسن من بلادنا وكل ما فيها أحسن مما في غيرها من سائر البلاد وأهلها وناسها ناس طيبون بوجوه صباح فبينما هو يخاطبها ويؤنسها وهي لا تخاطبه بحرف واحد واذا بداق يدق باب القصر فخرج حسن ينظر من بالباب فاذا هن البنات قد حضرن من الصيد والقنص ففرح بهن وتلقاهن وحياهن فدعين له بالسلامة والعافية ودعا لهن الآخر ثم نزلن

عن خبولهن ودخلن القصر ودخلت كل واحدة منهن فى مقصورتها ونزعت
ما كان عليها من الثياب الرثة ولبست قماشا مليحا وخرجن الى الصيد والقنص
فاصطدن شيأ كثيرا من الغزلان وبقر الوحش والارانب والسباع والضباع وغير
ذلك وقدمن منه شيأ الى الذبح وتركن الباقى عندهن فى القصر وحسن واقف
بينهن مشدود الوسط يذبح لهن وهن يلعبن وينشرحن وقد فرحن بذلك فرحا شديدا
فلما فرغن من الذبح قعدن يعملن شيأ ليتغدين به فتقدم حسن الى البنت الكبيرة
وقبل رأسها وصار يقبل رأسهن واحدة بعد واحدة فقلن له لقد أكثرت التنزل
الينا يا أخانا وعجبنا من فرط تودّدك الينا وأنت رجل آدمى ونحن من الجن فدمعت
عيونه وبكى بكاء شديدا فقلن ما الخبر وما يبكيك فقد كدرت عيشنا ببكائك فى هذا
اليوم كأنك اشتقت الى والدتك والى بلادك فان كان الامر كذلك فنجهزك ونسافر
بك الى وطنك وأحبابك فقال لهن والله ما مرادى فراقكن فقلن له وحينئذ من
شوش عليك منا حتى تكدرت فخجل أن يقول ما شوش على الا عشق الصبية خيفة
أن ينكرن عليه فسكت ولم يعلمهن بشئ من حاله فقامت اخته وقالت لهن انه
اصطاد طيرة من الهواء ويريد منكن أن تعنه على تأهيلها فالتفتن اليه كلهن وقلن له
نحن كلنا بين يديك ومهما طلبته فعلناه لكن قص علينا خبرك ولا تكتم عنا شيأ
من حالك فقال لاخته قصى خبرى عليهن فانى أستحى منهن ولا أقدر أن أقابلهن
بهذا الكلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنا قال لاخته قصى عليهن قصتى فانى استحى
ولا أقدر أن اقابلهن بهذا الكلام فقالت أخته لهن يا أخواتى اننا لما سافرنا وخلينا
هذا المسكين وحده ضاق عليه القصر وخاف أن يدخل عليه أحد وأنتن تعرفن
ان عقول بنى آدم خفيفة ففتح الباب الموصل الى سطح القصر حين ضاق صدره
وصار منفردا وحده وطلع فوقه وقعد هناك واشرف على الوادى وصار يطل على
جهة الباب خوفا أن يقصد أحد القصر فبينما هو جالس يوما من الايام واذا بالعشر
طيور قد أقبلن عليه قاصدات القصر ولم يزلن سائرات حتى جلسن على البحيرة التى
فوقها المنظرة فنظر الى الطيرة التى هى أحسنهن وهى تنقرهن وما فيهن واحدة تقدر
أن تمد يدها اليها ثم جعلن مخالبهن فى اطواقهن فشققن الثياب الريش وخرجن منها
وصارت كل واحدة منهن صبية مثل البدر ليلة تمامه ثم خلعن ما عليهن وحسن

واقف

واقف ينظر اليهن ونزلن الماء وصرن يلعبن والصبية الكبيرة تغطسهن وليس منهن
واحدة تقدر ان تمد يدها اليها وهي احسنهن وجها واعدلهن قدا وانظفهن لباسا
ولم يزلن على هذه الحالة الى ان قرب العصر ثم طلعن من البحيرة ولبسن ثيابهن
ودخلن في القماش الريش والتففن فيه وطرن فاشتغل فؤاده واشتعل قلبه بالنار
من أجل الطيرة الكبيرة وندم لكونه لم يسرق قماشها الريش فمرض وأقام فوق
القصر ينتظرها فامتنع من الاكل والشرب والنوم ولم يزل كذلك حتى لاح الهلال
فبينما هو قاعد واذا بهن قد أقبلن على عادتهن فقلعن ثيابهن ونزلن البحيرة فسرق
ثوب الكبيرة فلما عرف أنها لم تقدر أن تطير الا به اخذه واخفاه خيفة أن يطلعن
عليه فيقتلنه ثم صبر حتى طرن فقام وقبضها ونزل بها من فوق القصر فقال لها
اخواتها وأين هي قالت لهن هي عنده في المخدع الفلاني فقلن صفيها لنا يا اختي
فقالت هي أحسن من القمر ليلة تمامه ووجهها أضوأ من الشمس وريقها احلى
من الشراب وقدها أرشق من القضيب ذات طرف أحور ووجه أقمر وجبين أزهر
وصدر كأنه جوهر ونهدين كأنهما رمانتان وخدين كأنهما تفاحتان وبطن
مطوي الاعكان وسرة كأنها حق عاج بالمسك ملآن وساقين كأنهما من المرمر
عمودان تأخذ القلوب بطرف كحيل ودقة خصر نحيل وردف ثقيل وكلام يشفي
العليل مليحة القوام حسنة الابتسام كأنها البدر التمام فلما سمعت البنات هذه
الاوصاف التفتن الى حسن وقلن له أرنا اياها فقام معهن وهو ولهان الى أن أتى بهن
الى المخدع الذي فيه بنت الملك وفتحه ودخل وهن خلفه فلما رأينها وعاين جمالها
قبلن الارض بين يديها وتعجبن من حسن صورتها وظرف معانيها وسلمن عليها وقلن
لها والله يا بنت الملك الاعظم ان هذا شيء عظيم ولو سمعت بوصف هذا الانسي عند
النساء لكنت تتعجبين منه طول دهرك وهو متعلق بك نهاية التعلق الا أنه يا بنت
الملك لم يطلب فاحشة وما طلبك الا في الحلال ولو علمنا ان البنات تستغني عن الرجال
لكنا منعناه عن مطلوبه مع أنه لم يرسل اليك رسولا بل أتى اليك بنفسه واخبرنا أنه
احرق الثوب الريش والا كنا أخذناه منه ثم ان واحدة من البنات اتفقت هي
واياها وتوكلت في العقد وعقدت عقدها على حسن وصافحها ووضع يده في يدها
وزوجته اياها باذنها وعملن في فرحها ما يصلح لبنات الملوك وأدخلنه عليها فقام حسن
وفتح الباب وكشف الحجاب وفض ختمها وتزايدت محبته فيها وتعاظم وجده شغفا بها
وحيث حصل مطلوبه هنى نفسه وأنشد هذه الابيات

قوامك فتان وطرفك احور * ووجهك من ماء الملاحة يقطر

ثم ثورت فى عينى أجمل تصور * فنصفك ياقوت وثلثك جوهر
وخمسك من مسك وسدسك عنبر * وانت شبيه الدر بل أنت ازهر
وماولدت حواء مثلك واحدا * ولا فى جنان الخلد مثلك آخر
فان شئت تعذيبى فمن سنن الهوى * وان شئت أن تعفى فأنت مخير
فيازينة الدنيا ويا غاية المنى * فمن ذا الذى عن حسن وجهك يصبر

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان حسنا لما دخل على بنت الملك وازال بكارتها التذ بها لذة عظيمة وزادت محبته لها ووجده بها فانشد فيها الابيات المذكورة وكانت البنات واقفات على الباب فلما سمعن الشعر قلن لها يا بنت الملك اسمعت قول هذا الانسى كيف تلومينا وقد انشد الشعر فى هواك فلما سمعت ذلك انبسطت وانشرحت وفرحت ثم ان حسنا أقام معها مدة أربعين يوما فى حظ وسرور ولذة وحبور والبنات تجدد له كل يوم فرحا ونعمة وهدايا وتحفا وهو بينهن فى سرور وانشراح وطاب لبنت الملك القعود بينهن ونسيت اهلها ثم بعد الاربعين يوما كان حسن نائما فرأى والدته حزينة عليه وقد رقت عظامها وانتحل جسمها واصفر لونها وتغير حالها وكان هو فى حالة حسنة فلما رأته على هذه الحالة قالت له يا ولدى ياحسن كيف تعيش فى الدنيا منعما وتنسانى فانظر لحالى بعدك وأنا ما أنساك لا لسانى يترك ذكرك حتى أموت وقد عملت لك قبرا عندى فى الدار حتى لا أنساك أبدا أ ترى أعيش ياولدى وأنظرك عندى ويعود شملنا مجتمعا كما كان فانتبه حسن من نومه وهو يبكى وينوح ودموعه تجرى على خديه مثل المطر وصار حزينا كئيبا لا ترتفع دموعه ولم يجئه نوم ولم يقر له قرار ولم يبق عنده اصطبار فلما أصبح دخلت عليه البنات وصبحن عليه وانشرحن معه على عادتهن فلم يلتفت اليهن فسألن زوجته عن حاله فقالت لهن ما ادرى فقلن لها اسأليه عن حاله فتقدمت اليه وقالت له ما الخبر يا سيدى فتنهد وتضجر وأخبرها بما رآه فى منامه ثم أنشد هذين البيتين

قد بقينا موسوسين حيارى * نطلب القرب ما اليه سبيل
فدواهى الهوى تزيد علينا * ومقام الهوى علينا ثقيل

فأخبرتهن زوجته بما قال لها فلما سمعت البنات الشعر رققن لحاله وقلن له تفضل

بسم

بسم الله ما نقدر أن نمنعك من زيارتها بل نساعدك على زيارتها بكل ما نقدر عليه ولكن ينبغى أن تزورنا ولا تنقطع عنا ولو فى كل سنة مرة واحدة فقال لهن سمعا وطاعة فقامت البنات من وقتهن وعملن له الزاد وجهزن له العروسة بالحلى والحلل وكل شئ غال يعجز عنه الوصف وهيأن له تحفا تعجز عن حصرها الاقلام ثم انهن ضربن الطبل فجاءت النجائب اليهن من كل مكان فاخترن منها ما يحمل جميع ما جهزنه واركبن الجارية وحسنا وحملن اليهما خمسة وعشرين تختا من الذهب وخمسين من الفضة ثم سرن معهما ثلاثة أيام فقطعن فيها مسافة ثلاثة أشهر ثم انهن ودعنهما وأردن الرجوع عنهما فاعتنقته أخته الصغيرة وبكت حتى غشى عليها فلما أفاقت أنشدت هذين البيتين

لا كان يوم الفراق أصلا * لم يبق فى المقلتين نوما
شتت منا ومنك شملا * وهد منا قوى وجسما

فلما فرغت من شعرها ودعته وأكدت عليه انه اذا وصل الى بلده واجتمع بامه واطمأن قلبه لا يقطعها من الزيارة فى كل ستة اشهر مرة وقالت له اذا أهمك أمر وخفت مكروها فدق طبل المجوسى فتحضر لك النجائب واركب وارجع الينا ولا تتخلف عنا فحلف لها على ذلك ثم اقسم عليهن أن يرجعن فرجعن بعد أن ودعنه وحزن على فراقه واكثرهن حزنا أخته الصغيرة فانها لم يستقر لها قرار ولم يطاوعها اصطبار وصارت تبكى ليلا ونهارا هذا ما كان منهن وأما ما كان من أمر حسن فانه سار طول الليل والنهار يقطع مع زوجته البرارى والقفار والاودية والاوعار فى الهواجر والاسحار وكتب الله لهما السلامة فسلما ووصلا الى مدينة البصرة ولم يزالا سائرين حتى اناخا على باب داره نجائبهما ثم صرف النجائب وتقدم الى الباب ليفتحه فسمع والدته وهى تبكى بصوت رقيق من كبد ذاقت عذاب الحريق وهى تنشد هذه الابيات

وكيف يذوق النوم من عدم الكرى * ويسهر ليلا والانام رقود
وقد كان ذا مال وأهل وعزة * فأضحى غريب الدار وهو وحيد
له جمرة بين الضلوع وأنة * وشوق شديد ما عليه مزيد
تولى عليه الوجد والوجد حاكم * ينوح بما لاقاه وهو جليد
وحالته فى الحب تخبر أنه * حزين كئيب والدموع شهود

فبكى حسن لما سمع والدته تبكى وتندب ثم طرق الباب طرقة مزعجة فقالت امه من بالباب فقال لها افتحى ففتحت الباب ونظرت اليه فلما عرفته خرت مغشيا عليها

فمازال يلاطفها الى أن افاقت فعانقها وعانقته وقبلته ثم نقل حوايجه ومتاعه
الى داخل الدار والجارية تنظر الى حسن وأمه ثم ان أم حسن لما اطمأن قلبها وجمع
الله شملها بولدها أنشدت هذه الابيات

رق الزمان لحالتى * ورثى لطول تحرقى
وأنالنى ما أشتهى * وازال مما اتقى
فلأصفحن عما جنا * ه من الذنوب السبق
حتى جنايته بما * فعل المشيب بمفرقى

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن والدة حسن قعدت هى واياه يتحدثان وصارت
تقول له كيف كان حالك ياولدى مع الاعجمى فقال لها يا أمى ما كان اعجميا بل كان
مجوسيا يعبد النار دون الملك الجبار ثم انه أخبرها بما فعل به من انه سافر به وحطه فى
جلد الجمل وخيطه عليه وحملته الطيور وحطته فوق الجبل وأخبرها بما رآه فوق
الجبل من الخلائق الميتين الذين كان يحتال عليهم المجوسى ويتركهم فوق الجبل بعد
ان يقضوا حاجته وكيف رمى روحه فى البحر من فوق الجبل وسلمه الله تعالى وأوصله
الى قصر البنات ومؤاخاة البنت له وقعوده عند البنات وكيف اوصل الله المجوسى
الى المكان الذى هو فيه وأخبرها بعشق الصبية وكيف اصطادها وبقصتها كلها الى أن
جمع الله شملهما ببعضهما فلما سمعت امه حكايته تعجبت وحمدت الله تعالى على عافيته
وسلامته ثم قامت الى تلك الحول فنظرتها وسألته عنها فأخبرها بما فيها ففرحت
فرحا عظيما ثم تقدمت الى الجارية تحدثها وتؤانسها فلما وقعت عينها عليها اندهش
عقلها من ملاحتها وفرحت وتعجبت من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها ثم قالت
له ياولدى الحمد لله على السلامة وعلى رجوعك سالما ثم ان أمه قعدت جنب الصبية
وآنستها وطيبت خاطرها ثم نزلت فى بكرة النهار الى السوق فاشترت عشر بدلات
من أفخر ما فى المدينة من الثياب واحضرت لها الفرش العظيم وألبست الصبية
وجملتها بكل شئ مليح ثم أقبلت على ولدها وقالت له ياولدى نحن بهذا المال لم نقدر
أن نعيش فى هذه المدينة وأنت تعرف اننا ناس فقراء والناس يتهموننا بعمل الكيمياء
فقم بنا نسافر الى مدينة بغداد دار السلام لنقيم فى حرم الخليفة وتقعد أنت فى دكان
فتبيع وتشترى وتتقى الله عز وجل فيفتح عليك بهذا المال فلما سمع حسن كلامها

استصوبه وقام من وقته وخرج من عندها وباع البيت وأحضر النجائب وحمل
عليها جميع أمواله وأمتعته وأمه وزوجته وسار ولم يزل سائرا الى أن وصل الى
الدجلة فاكترى مركبا لبغداد ونقل فيها جميع ماله وحوايجه ووالدته وزوجته وكل
ما كان عنده ثم ركب المركب وسارت بهم المركب في ريح طيبة مدة عشرة أيام حتى
أشرفوا على بغداد فلما أشرفوا عليها فرحوا ودخلت بهم المركب المدينة فطلع
من وقته وساعته الى المدينة واكترى مخزنا في بعض الخانات ثم نقل حوايجه من
المركب اليه وطلع وأقام ليلة في الخان فلما أصبح غير ما عليه من الثياب فلما
رآه الدلال سأله عن حاجته وعما يريد فقال أريد دارا تكون مليحة واسعة
فعرض عليه الدور التي عنده فأعجبته دار كانت لبعض الوزراء فاشتراها منه بمائة
ألف دينار من الذهب واعطاه الثمن ثم عاد الى الخان الذي نزل فيه ونقل جميع ماله
وحوايجه الى الدار ثم خرج الى السوق وأخذ ما تحتاج اليه الدار من آنية وفرش
وغير ذلك واشترى خدما ومن جملتها عبد صغير للدار وأقام مطمئنا مع زوجته في ألذ
عيش وسرور مدة ثلاث سنين وقد رزق منها بغلامين سمى أحدهما ناصرا والآخر
منصورا وبعد هذه المدة تذكر أخواته البنات وتذكر احسانهن اليه وكيف ساعدنه
على مقصوده فاشتاق اليهن وخرج الى أسواق المدينة فاشترى منها شيأ من حلي وقماش
نفيس ونقل ما رأين مثله قط ولا يعرفنه فسألته امه عن سبب اشتراء تلك التحف
فقال لها اني عزمت على أن أسافر الى اخواتي اللاتي فعلن معي كل جميل ورزقي الذي
أنا فيه من خيرهن واحسانهن الي فاني أريد أن أسافر اليهن وأنظرهن وأعود قريبا
ان شاء الله تعالى فقالت له يا ولدي لا تغب علي فقال لها اعلمي يا أمي كيف تكونين مع
زوجتي وهذا ثوبها الريش في صندوق مدفون في الارض فاحرصي عليه لئلا تقع فيه
فتأخذه وتطير هي واولادها ويروحون وأبقى لا أقع لهم على خبر فأموت كمدا من
أجلهم واعلمي يا أمي اني أحذرك من ان تذكري ذلك لها واعلمي انها بنت ملك الجان
وما في ملوك الجان أكبر من أبيها ولا أكثر منه جنودا ولا مالا واعلمي أنها سيدة
قومها وأعز ما عند أبيها فهي عزيزة النفس جدا فاخدميها أنت بنفسك ولا تمكنيها
من أن تخرج من الباب أو تطل من الطاقة أو من حائط فاني أخاف عليها من الهواء
اذا هب واذا جرى عليها أمر من أمور الدنيا فأنا أقتل روحي من أجلها فقالت أمه
أعوذ بالله من مخالفتك يا ولدي هل أنا مجنونة حتى توصيني بهذه الوصية وأخالفك
فيها سافر يا ولدي وطب نفسا وسوف تحضر في خير وتنظرها ان شاء الله تعالى وتخبرك
بما جرى لها مني ولكن يا ولدي لا تقعد غير مسافة الطريق وأدرك شهرزاد الصباح

فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنا لما أراد السفر الى البنات وصى أمه على زوجته حكم ماذكرنا وكانت زوجته بالامر المقدر تسمع كلامه لامه وهما لا يعرفان ذلك ثم ان حسنا قام وخرج الى خارج المدينة ودق الطبل فحضرت له النجائب فحمل عشرين من تحف العراق وودع والدته وزوجته وأولاده وكان عمر واحد من ولديه سنة والآخر سنتين ثم انه رجع الى والدته واوصاها ثانيا ثم انه ركب وسافر الى أخواته ولم يزل مسافرا ليلا ونهارا فى أودية وجبال وسهل واوعار مدة عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر وصل الى القصر ودخل على أخواته ومعه الذى أحضره اليهن فلما رأينه فرحن به وهنينه بالسلامة وأما أخته فانها زينت القصر ظاهره وباطنه ثم انهن أخذن الهدية وأنزلنه فى مقصورة مثل العادة وسألنه عن والدته وعن زوجته فاخبرهن أنها ولدت منه ولدين ثم ان أخته الصغيرة لما رأته طيبا بخير فرحت فرحا شديدا وأنشدت هذا البيت

واسأل الريح عنكم كلما خطرت * وغيركم فى فؤادى قط ما خطرا

ثم انه أقام عندهن فى الضيافة والكرامة مدة ثلاثة أشهر وهو فى فرح وسرور وغبطة وحبور وصيد وقنص هذا ما كان من حديثه وأما ما كان من حديث امه وزوجته فانه لما سافر حسن أقامت زوجته يوما وثانيا مع أمه وقالت لها فى اليوم الثالث سبحان الله هل أقعد معه ثلاث سنين ما أدخل الحمام وبكت فرقت أمه لحالها وقالت لها يابنتى نحن هنا غرباء وزوجك ما هو فى البلد فلو كان حاضرا كان يقوم بخدمتك أما أنا فلا أعرف أحدا ولكن يابنتى أسخن لك الماء وأغسل رأسك فى حمام البيت فقالت لها ياسيدتى لو قلت هذا القول لبعض الجوارى كانت طلبت البيع فى السوق وما كانت تقعد عندكم ولكن ياسيدتى ان الرجال معذورون فان عندهم غيرة وعقولهم تقول لهم ان المرأة اذا خرجت من بيتها ربما تعمل فاحشة والنساء ياسيدتى ما كلهن سواء وأنت تعرفين أن المرأة اذا كان لها غرض فى شئ ما يغلبها أحد ولا يقدر أن يحرص عليها ولا يصونها ولا يمنعها من الحمام ولا غيره ولا من أن تعمل كل ما تختاره ثم انها بكت ودعت على نفسها وصارت تعدد على نفسها وغربتها فرقت لحالها أم زوجها وعلمت أن كل ما قالته لا بد منه فقامت وهيأت حوايج الحمام التى يحتاجان اليها وأخذتها وراحت الى الحمام فلما دخلتا الحمام قلعتا ثيابهما

فصار

فصار النساء جميعا ينظرن اليها ويسبحن الله عز وجل ويتاملن فيما خلق من الصورة البهية وصار كل من جاز من النساء على الحمام يدخل ويتفرج عليها وشاع فى البلاد ذكرها وازدحم النساء عليها وصار الحمام لا ينشق من كثرة النساء اللاتى فيه فاتفق بسبب ذلك الامر العجيب انه حضر الى الحمام فى ذلك اليوم جارية من جوارى أمير المؤمنين هرون الرشيد يقال لها تحفة العوادة فرأت النساء فى زحمة والحمام لا ينشق من كثرة النساء والبنات فسألت عن الخبر فأخبرنها بالصبية فجاءت عندها ونظرت اليها وتأملت فيها فتحير عقلها من حسنها وجمالها وسبحت الله جل جلاله على ما خلق من الصور الملاح ولم تدخل ولم تغتسل وانما صارت قاعدة وباهتة فى الصبية الى أن فرغت الصبية من الغسل وخرجت لبست ثيابها فزادت حسنا على حسنها فلما خرجت من الحرارة قعدت على البساط والمساند وصارت النساء ناظرة اليها فالتفتت اليهن وخرجت فقامت تحفة العوادة جارية الخليفة وخرجت معها حتى عرفت بيتها وودعتها ورجعت الى قصر الخليفة ومازالت سائرة حتى وصلت بين أيادى السيدة زبيدة وقبلت الارض بين يديها فقالت السيدة زبيدة يا تحفة ما سبب ابطائك فى الحمام فقالت يا سيدتى رأيت أعجوبة ما رأيت مثلها فى الرجال ولا فى النساء وهى التى شغلتنى وأدهشت عقلى وحيرتنى حتى انى ما غسلت رأسى فقالت وما هى يا تحفة قالت يا سيدتى رأيت جارية فى الحمام معها ولدان صغيران كأنهما قمران ما رأى أحد مثلها لا قبلها ولا بعدها وليس مثل صورتها فى الدنيا بأسرها وحق نعمتك يا سيدتى ان عرفت بها أمير المؤمنين قتل زوجها وأخذها منه لانه لا يوجد مثلها واحدة من النساء وقد سألت عن زوجها فقالوا ان زوجها رجل تاجر اسمه حسن البصرى وتبعتها من خروجها من الحمام الى أن دخلت بيتها فرأيته بيت الوزير الذى له بابان باب من جهة البحر وباب من جهة البر وأنا أخاف يا سيدتى أن يسمع بها أمير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتزوج بها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن جارية أمير المؤمنين لما رأت زوجة حسن البصرى ووصفت حسنها للسيدة زبيدة وقالت يا سيدتى انى اخاف أن يسمع بها أمير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتزوج بها فقالت السيدة زبيدة ويلك يا تحفة هل بلغت هذه الجارية من الحسن والجمال أن أمير المؤمنين يبيع دينه بدنياه ويخالف

الشرع لاجلها والله لابد لى من النظر الى هذه الصبية فان لم تكن كما ذكرت أمرت
بضرب عنقك يا فاجرة ان فى سراية أمير المؤمنين ثلثمائة وستين جارية بعدد أيام
السنة ما فيهن واحدة بالصفات التى تذكرينها فقالت يا سيدتى لا والله ولا فى بغداد
بأسرها مثلها بل ولا فى العجم ولا فى العرب ولا خلق الله عز وجل مثلها فعند ذلك
دعت السيدة زبيدة بمسرور فحضر وقبل الارض بين يديها فقالت له يا مسرور اذهب
الى دار الوزير التى بالبابين باب على البحر وباب على البر وائت بالصبية التى هناك هى
وأولادها والعجوز التى عندها بسرعة ولا تبطئ فقال مسرور السمع والطاعة
ثم خرج من بين يديها وسار حتى وصل الى باب الدار فطرق الباب فخرجت له العجوز
أم حسن وقالت من بالباب فقال لها مسرور خادم أمير المؤمنين ففتحت الباب
ودخل فسلم عليها وسلمت عليه وسألته عن حاجته فقال لها ان السيدة زبيدة بنت
القاسم زوجة امير المؤمنين هرون الرشيد السادس من بنى العباس عم النبى صلى
الله عليه وسلم تدعوك اليها أنت وزوجة ابنك وأولادها فان النساء أخبرنها عنها وعن
حسنها فقالت أم حسن يا مسرور نحن ناس غرباء وزوج البنت ولدى وما هو
فى البلد ولم يأمرنى بالخروج أنا ولا هى لاحد من خلق الله تعالى وأنا أخاف
أن يجرى امر ويحضر ولدى فيقتل روحه فمن احسانك يا مسرور أن لا تكلفنا
ما لا نطيق فقال مسرور يا سيدتى لو علمت أن فى هذا خوفا عليكم ما كلفتكم الرواح
وانما مراد السيدة زبيدة أن تنظرها وترجع فلا تخالفى تندمى وكما آخذ كما أرد كما
الى هنا سالمتين ان شاء الله تعالى فما قدرت أم حسن أن تخالفه فدخلت وهيأت
الصبية وأخرجتها هى وأولادها وساروا خلف مسرور وهو قدامهم الى قصر الخليفة
فطلع بهم حتى أوقفهم قدام السيدة زبيدة فقبلوا الارض بين يديها ودعوا لها
والصبية مستورة الوجه فقالت لها السيدة زبيدة أما تكشفين عن وجهك لانظره
فقبلت الصبية الارض بين يديها وأسفرت عن وجه يخجل البدر فى أفق السماء
فلما نظرتها السيدة زبيدة شخصت اليها وسرحت فيها البصر وأضاء القصر من
نورها وضوء وجهها واندهشت زبيدة من حسنها وكذلك كل من فى القصر وصار
كل من رآها مجنونا لا يقدر أن يكلم أحدا ثم ان السيدة زبيدة قامت وأوقفت الصبية
وضمتها الى صدرها وأجلستها معها على السرير وأمرت أن يزينوا القصر ثم أمرت
بأن يحضروا لها بدلة من أفخر الملبوس وعقدا من أنفس الجواهر وألبست الصبية
اياهما وقالت لها يا سيدة الملاح انك أعجبتنى وملأت عينى أى شئ عندك من الذخائر
فقالت الصبية يا سيدتى لى ثوب ريش لو لبسته بين يديك لرأيت من أحسن الصنائع

ما تتعجبين منه ويتحدث بحسنه كل من رآه جيلا بعد جيل فقالت وأين ثوبك
هذا قالت هو عند أم زوجى فاطلبيه لى منها فقالت السيدة زبيدة يا أمى بحياتى
عندك أن تنزلى وتأتى لها بثوبها الريش حتى تفرجنا على الذى تعمله وخذيه ثانيا
فقالت العجوز يا سيدتى هذه كذابة هل رأينا أحدا من النساء له ثوب من الريش
فهذا لا يكون إلا للطيور فقالت الصبية للسيدة زبيدة وحياتك يا سيدتى لى عندها
ثوب ريش وهو فى صندوق مدفون فى الخزانة التى فى الدار فقلعت السيدة زبيدة
من عنقها عقد جوهر يساوى خزائن كسرى وقيصر وقالت لها يا أمى خذى هذا
العقد وناولتها اياه وقالت لها بحياتى أن تنزلى وتأتى بذلك الثوب لنتفرج عليه
وخذيه بعد ذلك فحلفت لها انها ما رأت هذا الثوب ولا تعرف له طريقا فصرخت
السيدة زبيدة على العجوز وأخذت منها المفتاح ونادت مسرورا فحضر فقالت له
خذ هذا المفتاح واذهب الى الدار وافتحها وادخل الخزانة التى بابها كذا وكذا
فان فى وسطها صندوقا فأطلعه واكسره وهات الثوب الريش الذى فيه وأحضره
بين يدى "وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السيدة زبيدة لما أخذت المفتاح من أم حسن
وأعطته لمسرور قالت له خذ هذا المفتاح وافتح الخزانة الفلانية وأطلع منها
الصندوق واكسره وأطلع منه الثوب الريش الذى فيه وأحضره بين يدى " فقال
سمعا وطاعة ثم انه تناول المفتاح من يدى السيدة زبيدة وسار فقامت العجوز
أم حسن وهى باكية العين ندمانة على مطاوعة الجارية ورواحها الحمام معها ولم
تكن الصبية طلبت الحمام الا مكيدة ثم ان العجوز دخلت هى ومسرور وفتحت باب
الخزانة فدخل وأخرج الصندوق وأخرج منه القميص الريش ولفه معه فى فوطة
وأتى به الى السيدة زبيدة فأخذته وقلبته وتعجبت من حسن صناعته ثم ناولته لها
وقالت لها هل هذا ثوبك الريش قالت نعم يا سيدتى ومدت الصبية يدها اليه وأخذته
منها وهى فرحى ثم ان الصبية تفقدته فرأته صحيحا كما كان عليها ولم يضع منه ريشة
ففرحت به وقامت من جنب السيدة زبيدة وأخذت القميص وفتحته وأخذت
أولادها فى حضنها واندرجت فيه وصارت طيرة بقدرة الله عز وجل فتعجبت السيدة
زبيدة من ذلك وكذلك كل من حضر وصار الجميع يتعجبون من فعلها ثم ان الصبية
تمايلت وتمشت ورقصت ولعبت وقد شخص لها الحاضرون وتعجبوا من فعلها

ثم قالت لهم بلسان فصيح يا سادتى هل هذا مليح فقال لها الحاضرون نعم يا سيدة الملاح كل ما فعلته مليح ثم قالت لهم وهذا الذى أعمله أحسن منه يا سادتى وفتحت أجنحتها وطارت بأولادها وصارت فوق القبة ووقفت على سطح القاعة فنظروا اليها بالاحداق وقالوا لها والله ان هذه صنعة غريبة مليحة ما رأيناها قط ثم ان الصبية لما أرادت أن تطير الى بلادها تذكرت حسنا وقالت اسمعوا يا سادانى وأنشدت هذه الابيات

يا من خلا عن ذى الديار وسارا * نحو الحبائب مسرعا فرارا
أتظن أنى فى نعيم بينكم * والعيش منكم لم يكن اكدارا
لما أسرت وصرت فى شرك الهوى * جعل الهوى سجنى وشط مزارا
لما اختفى ثوبى تيقن أننى * لم أدع فيه الواحد القهارا
قد صار يوصى أمه بحفاظه * فى مخدع وعدا على وجارا
فسمعت ما قالوه ثم حفظته * ورجوت خيرا زائدا مدرارا
فرواحى الحمام كان وسيلة * حتى غدت فى العقول حيارى
وتعجبت عرس الرشيد لبهجتى * اذ شاهدتنى يمنة ويسارا
ناديت يا امرأة الخليفة ان لى * ثوبا من الريش العلى فخارا
لو كان فوقى تنظرين عجائبا * تمحو العنا وتبدد الاكدار
فاستفصلت عرس الخليفة أين ذا * فأجبت فى دار الذى قد دارى
فانقض مسرور وأحضره لها * واذا به قد أشرق الانوارا
فأخذته من كفه وفتحته * ورأيت منه الجيب والازرارا
فدخلت فيه ثم أولادى معى * وفردت أجنحتى وطرت فرارا
يا أم زوجى اخبريه اذا أتى * ان حب وصلى فليفارق دارا

فلما فرغت من شعرها قالت لها السيدة زبيدة اما تنزلين عندنا حتى نتملى بحسنك يا سيدة الملاح سبحان من أعطاك الفصاحة والصباحة قالت هيهات أن يرجع ما فات ثم قالت لام حسن الحزين المسكين والله يا سيدتى يا أم حسن انك توحشينى فاذا جاء ولدك وطالت عليه أيام الفراق واشتهى القرب والتلاق وهزته أرياح المحبة والاشواق فليجئنى الى جزائر واق ثم طارت هى وأولادها وطلبت بلادها فلما رأت أم حسن ذلك بكت ولطمت وجهها حتى غشى عليها فلما أفاقت قالت لها السيدة زبيدة يا سيدتى الحجة ما كنت أعرف أن هذا يجرى ولو كنت أخبرتنى بها ما كنت أتعرض لك وما عرفت أنها من الجن الطيارة الا فى هذا الوقت

ولو

ولو عرفت أنها على هذه الصفة ما كنت مكنتها من لبس الثوب ولا كنت أخليها تاخذ أولادها ولكن ياسيدتى اجعليني فى حل فقالت العجوز وما وجدت فى يدها حيلة أنت فى حل ثم خرجت من قصر الخلافة ولم تزل سائرة حتى دخلت بيتها وصارت تلطم على وجهها حتى غشى عليها فلما أفاقت من غشيتها استوحشت الى الصبية والى أولادها والى رؤية ولدها فأنشدت هذه الابيات

يوم الفراق بعادكم أبكانى * أسفا لبعدكم عن الاوطان
ناديت من ألم الفراق بحرقة * والدمع قرح بالبكا أجفانى
هذا الفراق فهل لنا من عودة * فلقد أزال فراقكم كتمانى
ياليتهم عادوا الى حسن الوفا * فلعل ان عادوا يعود زمانى

ثم قامت وحفرت فى البيت ثلاثة قبور وأقبلت عليها بالبكاء آناء الليل وأطراف النهار وحين طالت غيبة ولدها وزادبها القلق والشوق والحزن أنشدت هذه الابيات

خيالك بين طابقة الجفون * وذكرك فى الخوافق والسكون
وحبك قد جرى فى العظم منى * كجرى الماء فى ثمر الغصون
ويوم لا أراك يضيق صدرى * وتعذرنى العواذل فى شجونى
أيامن قد تملكنى هواه * وزاد على محبته جنونى
خف الرحمن فى وكن رحيما * هواك أذاقنى ريب المنون

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أم حسن صارت تبكى آناء الليل وأطراف النهار لفراق ولدها وزوجته وأولاده هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر ولدها حسن فانه لما وصل الى البنات حلفن عليه أن يقيم عندهن ثلاثة أشهر ثم بعد ذلك جهزن له المال وهيأن له عشرة أحمال خمسة من الذهب وخمسة من الفضة وهيأن له من الزاد حملا واحدا وسفرنه وخرجن معه فحلف عليهن أن يرجعن فأقبلن على عناقه من أجل التوديع فتقدمت اليه البنت الصغيرة وعانقته وبكت حتى غشى عليها وأنشدت هذين البيتين

متى تنطفى نار الفراق بقربكم * ويقضى بكم اربى ونبقى كما كنا
لقد راعنى يوم الفراق وضرنى * وقد زادنى التوديع ياسادتى وهنا

ثم تقدمت البنت الثانية وعانقته وأنشدت هذين البيتين

وداعك مثل وداع الحياة * وفقدك يشبه فقد النديم
وبعدك نار كوت مهجتى * وقربك فيه جنان النعيم

ثم تقدمت البنت الثالثة وعانقته وأنشدت هذين البيتين

ما تركنا الوداع يوم افترقنا * عن ملال ولا لوجه قبيح
أنت روحى على الحقيقة قطعا * كيف أختار أن أودع روحى

ثم تقدمت البنت الرابعة وعانقته وأنشدت هذين البيتين

لم يبكنى الا حديث فراقه * لما أسرّ به الىّ مودّعى
هو ذلك الدرّ الذى أودعته * فى مسمعى أجريته من مدمعى

ثم تقدمت البنت الخامسة وعانقته وأنشدت هذين البيتين

لا ترحلنّ فمالى عنكم جلد * حتى أطيف به توديع مرتحل
ولا من الصبر ما ألقى الفراق به * ولا من الدمع ما أذرى على طلل

ثم تقدمت البنت السادسة وعانقته وأنشدت هذين البيتين

قد قلت مذ سار السباق بهم * والشوق ينهب مهجتى نهبا
لو كان لى ملك أصول به * لأخذت كل سفينة غصبا

ثم تقدمت البنت السابعة وعانقته وأنشدت هذين البيتين

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهولنك البعاد
وانتظر العود عن قريب * فانّ قلب الوداع عادوا

ثم انّ حسنا ودعهنّ وبكى الى أن غشى عليه بسبب فراقه وأنشد هذه الابيات

ولقد جرت يوم الفراق سوافحى * دررا نظمت عقودها من أدمعى
وحدا بهم حادى الركاب فلم أجد * جلدا ولا صبرا ولا قلبى معى
ودعتهم ثم انثنيت بحسرة * وتركت أنس معاهدى والاربع
فرجعت لا أدرى الطريق ولم تطب * نفسى سوى أنى أراك مرجعى
يا صاحبى أنصت لاخبار الهوى * حاشى لقلبك أن أقول ولا يعى
يا نفس مذ فارقتهن ففارقى * طيب الحياة وفى البقا لا تطمعى

ثم انه جدّ فى المسير ليلا ونهارا حتى وصل الى بغداد دار السلام وحرم الخلافة العباسية ولم يدر بالذى جرى بعد سفره فدخل الدار على والدته يسلم عليها فرآها قد انتحل جسمها ورق عظمها من كثرة النوح والسهر والبكاء والعويل حتى صارت مثل الخلال ولم تقدر أن تردّ الكلام فصرف النجائب وتقدم عليها فلما رآها على تلك الحالة قام فى الدار وفتش على زوجته وعلى أولاده فلم يجد لها أثرا ثم انه نظر

فى الخزانة

فى الخزانة فوجدها مفتوحة والصندوق مفتوحا ولم يجد فيه الثوب فعند ذلك عرف انها تمكنت من الثوب الريش وأخذته وطارت وأخذت أولادها معها فرجع الى أمه فرآها قد أفاقت من غشيتها فسألها عن زوجته وعن أولاده فبكت وقالت يا ولدى عظم الله أجرك فيهم وهذه قبورهم الثلاثة فلما سمع كلام أمه صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه واستمر كذلك من أول النهار الى الظهر فازدادت أمه غما على غمها وقد يئست من حياته فلما أفاق بكى ولطم على وجهه وشق ثيابه وصار دائرا فى الدار متحيرا ثم انه أنشد هذين البيتين

شكى ألم الفراق الناس قبلى * وروع بالنوى حى وميت
وأما مثل ما ضمت ضلوعى * فانى لا سمعت ولا رأيت

فلما فرغ من شعره أخذ سيفه وسله وجاء الى أمه وقال لها ان لم تعلمينى بحقيقة الحال ضربت عنقك وقتلت روحى فقالت له يا ولدى لا تفعل ذلك وأنا أخبرك ثم قالت له أغمد سيفك واقعد حتى أحدثك بالذى جرى فلما أغمد سيفه وجلس الى جانبها أعادت عليه القصة من أولها الى آخرها وقالت له يا ولدى لولا أنى رأيتها بكت على طلب الحمام وخفت منك أن تجيء وتشكو اليك فتغضب على ما كنت ذهبت بها اليه ولولا أن السيدة زبيدة غضبت على وأخذت منى المفتاح قهرا ما كنت أخرجت الثوب ولو كنت أموت ويا ولدى أنت تعرف أن يد الخلافة لا تطاولها يد فلما أحضروا لها الثوب أخذته وقلبته وكانت تظن أنه فقد منه شيء فوجدته لم يصبه شيء ففرحت وأخذت أولادها وشدتهم فى وسطها ولبست الثوب الريش بعد ما قلعت لها الست زبيدة كل ما عليها اكراما لها ولجمالها فلما لبست الثوب الريش انتفضت وصارت طيرة ومشت فى القصر وهم ينظرون اليها ويتعجبون من حسنها وجمالها ثم طارت وصارت فوق القصر وبعد ذلك نظرت الى وقالت لى اذا جاء ولدك وطالت عليه ليالى الفراق واشتهى القرب منى والتلاق وهزته رياح المحبة والاشواق فليفارق وطنه ويذهب الى جزائر واق هذا ما كان من حديثها فى غيبتك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنا لما سمع كلام أمه حين حكت له جميع ما فعلت زوجته وقت ما طارت صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه ولم يزل كذلك الى آخر النهار فلما أفاق لطم على وجهه وصار يتقلب على الارض مثل الحية فقعدت أمه تبكى عند رأسه الى نصف الليل فلما أفاق من غشيته بكى بكاء عظيما وأنشد

هذه الابيات

قفوا وانظروا حال الذى تهجرونه * لعلكم بعد الجفا ترحمونه
فان تنظروه تنكروه لسقمه * كأنكم والله لاتعرفونه
وما هو الاميت فى هواكم * يعد من الاموات الا أنينه
ولا تحسبوا أن التفرق هين * يعز على المشتاق والموت دونه

فلما فرغ من شعره قام وجعل يدور فى البيت وينوح ويبكى وينتحب مدة خمسة أيام لم يذق فيها طعاما ولا شرابا فقامت اليه أمه وحلفته وأقسمت عليه أن يسكت من البكاء وهو لا يقبل كلامها ولا زال يبكى وينتحب وأمه تسليه وهو لا يسمع منها شيأ ثم أنشد هذه الابيات

أهكذا يجازى ودكل قرين * أم هذه شيم الظباء العين
أما يوت النحل بين شفاههم * منضوضة أو حانة الزرجون
قصوا على حديث من قتل الهوى * ان التأسى روح كل حزين
ووراء ذيالك المصلى مورد * حصباؤه من لؤلؤ مكنون
لو كنت زرقاء اليمامة مارأت * من بارق حيا على جيرون
ترمى بعينيك الفجاج مقلبا * ذات الشمال بها وذات يمين

ومازال حسن على هذه الحالة يبكى الى الصباح ثم انه غفت عيناه فرأى زوجته حزينة وهى تبكى فقام من نومه وهو صارخ وأنشد هذين البيتين

خيالك عندى ليس يبرح ساعة * جعلت له فى القلب أشرف موضع
ولولا رجاء الوصل ماعشت لحظة * ولولا خيال الطيف لم أتهجع

فلما اصبح الصباح زاد نحيبه وبكاؤه ولم يزل باكى العين حزين القلب ساهر الليل قليل الاكل واستمر على هذه الحالة مدة شهر كامل فلما مضى ذلك الشهر خطر بباله أنه يسافر الى اخواته لاجل أن يساعدنه على قصده من حصولها فأحضر النجائب ثم حمل خمسين هجينة من تحف العراق وركب واحدة منها ثم أوصى والدته على البيت وأودع جميع حوايجه الاقليلا لابقاه فى الدار ثم سار متوجها الى اخواته لعله أن يجد عندهن مساعدة على اجتماع زوجته ولم يزل سائرا حتى وصل الى قصر البنات فى جبل السحاب فلما دخل عليهن قدم اليهن الهدايا ففرحن بها وهنينه بالسلامة وقلن له يا أخانا ماسبب مجيئك بسرعة وما لك غير شهرين فبكى وانشد هذه الابيات

أرى النفس فى فكر لفقد حبيبها * فلا تنتهى بالحياة وطيبها

سقامى

سقامى داء ليس يعرف طبه * وهل يبرئ الاسقام غير طبيبها
فيا مانعى طيب المنام تركتنى * أسائل عنك الريح عند هبوبها
قريبة عهد من حبيبى وقد حوى * محاسن تدعو مقلتى لصبيبها
فيا أيها الشخص الملم بأرضه * عسى نفحة تحيا القلوب بطيبها

فلما فرغ من شعره صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه وقعدت البنات حوله يبكين عليه حتى أفاق من غشيته فلما أفاق أنشد هذين البيتين

عسى ولعل الدهر يلوى عنانه * ويأتى بحبى والزمان غيور
ويسعدنى دهرى فتقضى حوائجى * وتحصل من بعد الامور أمور

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشى عليه فلما افاق انشد هذين البيتين

بالله يا منتهى سقمى وأمراضى * هل أنت راض فانى بالهوى راضى
اتهجرين بلا ذنب ولا سبب * فواصلى وارحمى من هجرك الماضى

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشى عليه فلما افاق انشد هذه الابيات

هجر المنام وواصل التسهيد * والعين بالدمع المصون تجود
تبكى بدمع كالعقيق صبابة * يربو على طول المدى ويزيد
أهدى الى الشوق يا أهل الهوى * نارا لها بين الضلوع وقود
واذا ذكرتك لم تدض لى دمعة * الا وفيها بارق ورعود

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشى عليه فلما أفاق من غشيته أنشد هذه الابيات

أفى العشق والتبريح دنتم كما دنا * وهل ودنا منكم كما ودكم منا
ألا قاتل الله الهوى ما أمره * فيا ليت شعرى ما يريد الهوى منا
وجوهكم الحسنا وان شطت النوى * تمثل فى أبصارنا أينما كنا
فقلبى مشغول بتذكاركم * ويطربنى صوت الحمام اذا غنى
ألا يا حماما بات يدعو أليفه * لقد زدتنى شوقا وأصحبتنى حزنا
تركت جفونى لا تمل من البكا * على سادة غابوا برؤيتهم عنا
أحن اليهم كل وقت وساعة * وأشتاق فى الليل البهيم اذا جنا

فلما سمعت كلامه أخته خرجت اليه فرأته راقدا مغشيا عليه فصرخت ولطمت وجهها فسمعها اخواتها فخرجن اليها فرأين حسنا راقدا مغشيا عليه فاحتطن به وبكين عليه ولم يخف عليهن حين رأينه ما حل به من الوجد والهيام والشوق والغرام فسألنه عن حاله فبكى وأخبرهن بما جرى له فى غيابه حيث طارت زوجته وأخذت أولادها معها فحزن عليه وسألنه عن الذى قالت عند ما راحت قال

يا أخواتى انها قالت لوالدى قولى لولدك اذا جاء وطالت عليه ليالى الفراق واشتهى القرب منى والتلاق وهزته أرياح المحبة والاشواق فليجئنى فى جزائر واق فلما سمعن كلامه تغامزن وتذاكرن وصارت كل واحدة تنظر الى أختها وهن ينظرهن ثم أطرقن برؤسهن الى الارض ساعة وبعد ذلك رفعنها وقلن لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قلن له امدد يدك الى السماء فان وصلت الى السماء تصل الى زوجتك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن البنات لما قلن لحسن امدد يدك الى السماء فان وصلت اليها تصل الى زوجتك وأولادك جرت دموعه على خديه مثل المطر حتى بلت ثيابه وأنشد هذه الابيات

قد هيجتنى الخدود الحمر والحدق * وفارق الصبر لما أقبل الارق
بيض نواعم أضنت بالجفا جسدى * لم يبق منه لابصار الورى رمق
حور تميس كغزلان النقا سفرت * عن بهجة لو رآها الاولياء عاقوا
يمشين مثل نسيم الروض فى سحر * بعشقهن عرانى الهم والقلق
علقت منهن آمالى بغانية * قلبى لها بلظى النيران يحترق
خوداء ناعمة الاطراف مائسة * فى وجهها الصبح بل فى شعرها الغسق
قد هيجتنى وكم فى الحب من بطل * قد هيجته جفون البيض والحدق

فلما فرغ من شعره بكى وبكت البنات لبكائه وأخذتهن الشفقة والغيرة عليه وصرن يلطفن به ويصبرنه ويدعين له بجمع الشمل فاقبلت عليه أخته وقالت له يا أخى طب نفسا وقر عينا واصبر تبلغ مرادك فمن صبر ونأنى نال ما تمنى والصبر مفاتيح الفرج فقد قال الشاعر

دع المقادير تجرى فى أعنتها * ولا تبيتن الا خالى البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها * يغير الله من حال الى حال

ثم قالت له قو قلبك واشدد عزمك فان ابن عشرة لا يموت وهو فى تسعة والبكاء والغم والحزن تمرض وتسقم واقعد عندنا حتى تستريح وأنا أتحيل لك فى الوصول الى زوجتك وأولادك ان شاء الله تعالى فبكى بكاء شديدا وأنشد هذين البيتين

لئن عوفيت من مرض بجسمى * فما عوفيت من مرض بقلبى

وليس دواء أمراض التصابى * سوى وصل الحبيب مع المحب
ثم جلس الى جانب أخته وصارت تحدثه وتسليه وتسأله عن الذى كان سببا
فى رواحها فأخبرها عن سبب ذلك فقالت له والله يا أخى انى أردت أن أقول لك
أحرق الثوب الريش فأنسانى الشيطان ذلك وصارت تحدثه وتلاطفه فلما طال
عليه الامر وزاد به القلق أنشد هذه الابيات

تمكن من قلبى حبيب ألفته * وليس لما قد قدر الله مدفع
من العرب قد حاز الملاحة كلها * غزال ولكن فى فؤادى يرتع
اذا عز صبرى فى هواه وحيلتى * بكيت على أن البكا ليس ينفع
مليح له سبع وسبع كأنه * هلال له خمس وخمس وأربع

فلما نظرت أخته الى ما هو فيه من الوجد والهيام وتباريح الهوى والغرام قامت
الى أخواتها وهى باكية العين حزينة القلب وبكت بين أيديهن ورمت نفسها عليهن
وقبلت أقدامهن وسألتهن مساعدة أخيها على قضاء حاجته واجتماعه بأولاده
وزوجته وعاهدتهن على أن يدبرن أمرا يوصله الى جزائر واق واق وما زالت تبكى بين
يدى أخواتها حتى أبكتهن وقلن لها طيبى قلبك فاننا مجتهدات فى اجتماعه بأهله ان
شاء الله ثم انه أقام عندهن سنة كاملة وعينه لم تمسك عن الدموع وكان لاخواتها
عم أخو والدهن شقيقه وكان اسمه عبد القدوس وكان يحب البنت الكبيرة محبة
كثيرة وكان فى كل سنة يزورها مرة واحدة ويقضى حوايجها وكانت البنات قد
حدثنه بحديث حسن وما وقع له مع المجوسى وكيف قدر على قتله ففرح عمهن بذلك
ودفع للبنت الكبيرة صرة فيها بخور وقال لها يا بنت أخى اذا أهمك أمر أو نالك مكروه
أو عرضت لك حاجة فألقى هذا البخور فى النار واذكرينى فانى أحضر لك بسرعة
وأقضى حاجتك وكان هذا الكلام فى أول يوم من السنة فقالت تلك البنت لبعض
اخواتها ان السنة قد مضت بتمامها وعمى لم يحضر قومى اقدحى الزناد وائتينى
بعلبة البخور فقامت البنت وهى فرحانة وأحضرت علبة البخور وفتحتها وأخذت
منها شيأ يسيرا وناولته لاختها فأخذته ورمته فى النار وذكرت عمها فما فرغ البخور
الا وغبرة قد ظهرت من صدر الوادى ثم بعد ساعة انكشف الغبار فبان من تحته
شيخ راكب على فيل وهو يصيح من تحته فلما نظرته البنات صار يشير اليهن بيديه
ورجليه ثم بعد ساعة وصل اليهن فنزل عن الفيل ودخل عليهن فعانقنه وقبلن يديه
وسلمن عليه ثم انه جلس وصارت البنات يحدثنه ويسألنه عن غيابه فقال انى
كنت فى هذا الوقت جالسا أنا وزوجة عمكن فشممت البخور فحضرت اليكن

على هذا النخيل فما تريدين يا بنت أخي فقالت يا عم انا اشتقنا اليك وقد مضت السنة وما عادتك أن تغيب عنا أكثر من سنة فقال لهن انى كنت مشغولا وكنت عزمت على أن أحضر اليكن غدا فشكرنه ودعين له وقعدن يتحدثن معه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن البنات لما قعدن يتحدثن مع عمهن قالت له البنت الكبيرة يا عمى اننا كنا حدثناك بحديث حسن البصرى الذى جاء به بهرام المجوسى وكيف قتله وحدثناك بالصبية بنت الملك الاكبر التى أخذها وما قاسى من الامور الصعاب والاهوال وكيف اصطاد بنت الملك وتزوج بها وكيف سافر بها الى بلاده قال نعم فما حدث له بعد هذا قالت له انها غدرت به وقد رزق منها بولدين فأخذتهما وسافرت بهما الى بلادها وهو غائب وقالت لامه اذا حضر ولدك وطالت عليه ليالى الفراق وأراد منى القرب والتلاق وهزته أرياح المحبة والاشتياق فليجئنى الى جزائر واق فحرك رأسه وعض على اصبعه ثم أطرق رأسه الى الارض وصار ينكت فى الارض باصبعه ثم التفت يمينا وشمالا وحرك رأسه وحسن ينظره وهو متوار عنه فقالت البنات لعمهن رد علينا الجواب فقد تفتتت منا الاكباد فهز رأسه اليهن وقال لهن يا بناتى لقد أتعب هذا الرجل نفسه ورمى روحه فى هول عظيم وخطر جسيم فانه لا يقدر أن يقبل على جزائر واق فعند ذلك نادت البنات حسنا فخرج اليهن وتقدم الى الشيخ عبد القدوس وقبل يده وسلم عليه ففرح به وأجلسه بجانبه فقالت البنات لعمهن يا عم بين لاخينا حقيقة ماقلته فقال له يا ولدى اترك عنك هذا العذاب الشديد فانك لا تقدر أن تصل الى جزائر واق ولو كان معك الجن الطيارة والنجوم السيارة لان بينك وبين الجزائر سبعة أودية وسبعة بحار وسبعة جبال عظام وكيف تقدر أن تصل الى هذا المكان ومن يوصلك اليه بالله عليك أن ترجع من قريب ولا تتعب سرك فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس بكى حتى غشى عليه وقعدت البنات حوله يبكين لبكائه وأما البنت الصغيرة فانها شقت ثيابها ولطمت على وجهها حتى غشى عليها فلما رآهم الشيخ عبد القدوس على هذه الحالة من الهم والوجد والحزن رق لهم وأخذته الرأفة عليهم فقال اسكتوا ثم قال لحسن طيب قلبك وأبشر بقضاء حاجتك ان شاء الله تعالى ثم قال له يا ولدى قم وشد حيلك واتبعنى فقام حسن على حيله

بعد أن ودع البنات وتبعه وقد فرح بقضاء حاجته ثم ان الشيخ عبد القدوس
استدعى الفيل فحضر فركبه وأردف حسنا خلفه وسار به مدة ثلاثة أيام بلياليها
مثل البرق الخاطف حتى وصل الى جبل عظيم أزرق وحجارته كلها زرق
وفى ذلك الجبل مغارة وعليها باب من الحديد الصينى فأخذ الشيخ بيد حسن
وأنزله ثم نزل الشيخ وأطلق الفيل ثم تقدم الى باب المغارة وطرقه فانفتح الباب
وخرج اليه عبد أسود أجرود كأنه عفريت وبيده اليمنى سيف والاخرى ترس
من بولاد فلما نظر الشيخ عبد القدوس رمى السيف والترس من يده وتقدم الى الشيخ
عبد القدوس وقبل يده ثم أخذ الشيخ بيد حسن ودخل هو واياه وقفل العبد
الباب خلفهما فرأى حسن المغارة كبيرة واسعة جدا ولها دهليز معقود
ولم يزالوا سائرين مقدار ميل ثم انتهى بهم السير الى فلاة عظيمة وتوجهوا الى
ركن فيه بابان عظيمان مسبوكان من النحاس الاصفر ففتح الشيخ عبد القدوس
بابا منهما ودخل ورده وقال لحسن اقعد على هذا الباب واحذر أن تفتحه
وتدخل حتى أدخل وأرجع اليك عاجلا فلما دخل الشيخ غاب مدة ساعة
فلكية ثم خرج ومعه حصان مسرج ملجم ان سار طار وان طار لم يلحقه غبار
فقدمه الشيخ لحسن وقال اركب ثم ان الشيخ فتح الباب الثانى فبان منه
برية واسعة فركب حسن الحصان وخرج الاثنان من الباب وصارا فى تلك البرية
فقال الشيخ لحسن ياولدى خذ هذا الكتاب وسر على هذا الحصان الى
الموضع الذى يوصلك اليه فاذا نظرته وقف على باب مغارة مثل هذه فانزل عن
ظهره واجعل عنانه فى قربوس السرج وأطلقه فانه يدخل المغارة فلا تدخل معه
وقف على باب المغارة مدة خمسة أيام ولا تضجر فانه فى اليوم السادس يخرج اليك
شيخ أسود عليه لباس أسود وذقنه بيضاء طويلة نازلة الى سرته فاذا رأيته فقبل يديه
وامسك ذيله واجعله على رأسك وابك بين يديه حتى يرحمك فانه يسألك عن حاجتك
فاذا قال لك ما حاجتك فادفع اليه هذا الكتاب فانه يأخذه منك ولا يكلمك
ويدخل ويخليك فقف مكانك خمسة أيام أخر ولا تضجر وفى اليوم السادس انتظره
فانه يخرج اليك فان خرج اليك بنفسه فاعلم ان حاجتك تقضى وان خرج اليك أحد
من غلمانه فاعلم ان الذى خرج اليك يريد قتلك والسلام واعلم ياولدى ان كل من خاطر
بنفسه أهلك نفسه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الاولى بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشيخ عبد القدوس لما أعطى حسنا الكتاب أعلمه بما يحصل له وقال له ان كل من خاطر بنفسه أهلك نفسه فان كنت تخاف على نفسك فلا تلق بها الى الهلاك وان كنت لا تخاف فدونك وما تريد فقد بينت لك الامور وان شئت الرواح لصواحبك فهذا الفيل حاضر فانه يسير بك الى بنات أخى وهن يوصلنك الى بلادك ويرددنك الى وطنك ويرزقك الله خيرا من هذه البنت التى تعلقت بها فقال حسن للشيخ وكيف تطيب لى الحياة من غير أن أبلغ مرادى والله انى لا أرجع أبدا حتى أبلغ حبيبتى أو تدركنى منيتى ثم بكى وأنشد هذه الابيات

على فقد حبى مع تزايد صبوتى * وقفت أنادى بانكسارى وذلتى
وقبلت ترب الربع شوقا لاجله * ولم يجدنى الا تزايد حسرتى
رعى الله من بانوا وفى القلب ذكرهم * فواصلت آلامى وفارقت لذتى
يقولون لى صبرا وقد رحلوا به * وقد أضرموا يوم الترحل زفرتى
وما راعنى الا الوداع وقوله * اذا غبت فاذكرنى ولا تنس صحبتى
لمن ألتجى من ارتجى بعد فقدهم * وكانوا رجائى فى رخائى وشدتى
فوا حسرتى لما رجعت مودعا * وسرت عداى المبغضون برجعتى
فوا أسفاه هذا الذى كنت حاذرا * ويالوعتى زيدى لهيبا بمهجتى
فان غاب أحبابى فلا عيش بعدهم * وان رجعوا يا فرحتى ومسرتى
فوالله لم ينفض دمعى من البكا * على فقدهم بل عبرة بعد عبرة

فلما سمع الشيخ عبد القدوس انشاده وكلامه علم أنه لا يرجع عن مراده وأن الكلام لا يؤثر فيه وتيقن انه لا بد أن يخاطر بنفسه ولو تلفت مهجته فقال اعلم ياولدى ان جزائر واق سبع جزائر فيها عسكر عظيم وذلك العسكر كله بنات أبكار وسكان الجزائر الجوانية شياطين ومردة وسحرة وأرهاط مختلفة وكل من دخل أرضهم لا يرجع وما وصل اليهم أحد قط ورجع فبالله عليك أن ترجع الى أهلك من قريب واعلم أن البنت التى قصدتها بنت ملك هذه الجزائر كلها وكيف تقدر أن تصل اليها فاسمع منى ياولدى ولعل الله يعوضك خيرا منها فقال حسن والله ياسيدى لو قطعت فى هواها اربا اربا ما ازددت الا حبا وطربا ولا بد من رؤية زوجتى وأولادى والدخول فى جزائر واق وان شاء الله تعالى ما أرجع الا بها وبأولادى فقال له الشيخ عبد القدوس حينئذ لا بد لك من السفر فقال نعم وانما أريد منك الدعاء بالاسعاف والاعانة لعل الله يجمع شملى بزوجتى وأولادى عن قريب ثم بكى من عظم

شوقه وأنشد هذه الابيات

أنتم مرادي وأنتم أحسن البشر * أحلكم في محل السمع والبصر
ملكتم القلب مني وهو منزلكم * وبعدكم سادتي أصبحت في كدر
فلا تظنوا انتقالي عن محبتكم * فحبكم صير المسكين في حذر
غبتم فغاب سروري بعد غيبتكم * وأصبح الصفو عندي غاية الكدر
تركتموني أراعي النجم من ألم * أبكي بدمع يحاكي هاطل المطر
ياليل طلت على من بات في قلق * من شدة الوجد يرعى طلعة القمر
ان جزت ياريح حيا فيه قد نزلوا * بلغ سلامي لهم فالعمر في قصر
وقل لهم بعض مالاقيت من ألم * ان الاحبة لايدرون عن خبري

فلما فرغ حسن من شعره بكى بكاء شديدا حتى غشي عليه فلما أفاق قال له الشيخ عبد القدوس ياولدي ان لك والدة فلا تذقها فقدك فقال حسن للشيخ والله ياسيدي ما بقيت أرجع الا بزوجتي أو تدركني منيتي ثم بكى وناح وأنشد هذه الابيات

وحق الهوى ماغير البعد عهدكم * وما أنا ممن للعهود يخون
وعندي من الاشواق مالو شرحته * الى الناس قالوا قد عراه جنون
فوجد وحزن وانتحاب ولوعة * ومن حاله هذا فكيف يكون

فلما فرغ من شعره علم الشيخ انه لايرجع عما هو فيه ولو ذهبت روحه فناوله الكتاب ودعا له وأوصاه بالذي يفعله وقال له اني قد أكدت لك في الكتاب على أبي الرويش ابن بلقيس بنت معين فهو شيخي ومعلمي وجميع الانس والجن يخضعون له ويخافون منه ثم قال له توجه على بركة الله تعالى فتوجه وأرخى عنان الحصان فطار به أسرع من البرق ولم يزل حسن مسرعا بالحصان مدة عشرة أيام حتى نظر أمامه شبحا عظيما أسود من الليل قد سد ما بين المشرق والمغرب فلما قرب حسن منه صهل الحصان تحته فاجتمعت خيول كثيرة مثل المطر لا يحصى لها عدد ولا يعرف لها مدد وصارت تتمسح في الحصان فخاف حسن وفزع ولم يزل حسن سائرا والخيول حوله الى ان وصل الى المغارة التي وصفها له الشيخ عبد القدوس فوقف الحصان على بابها فنزل حسن من فوقه ووضع عنانه في سرجه فدخل الحصان المغارة ووقف حسن على الباب كما أمره الشيخ عبد القدوس وصار متفكرا في عاقبة أمره كيف تكون حيران ولهان لايعلم الذي يجري له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنا المانزل من فوق ظهر الحصان وقف على باب المغارة متفكرا فى عاقبة أمره كيف تكون لا يعلم الذى يجرى له ولم يزل واقفا على باب المغارة خمسة أيام بلياليها وهو سهران حزنان حيران متفكر حيث فارق الاهل والاوطان والاصحاب والخلان باكى العين حزين القلب ثم انه تذكر والدته وتفكر فيما يجرى له وفى فراق زوجته وأولاده وفيما قاساه فأنشد هذه الابيات

لديكم دواء القلب والقلب ذاهب * ومن سفح أجفانى دموع سواكب
فراق وحزن واشتياق وغربة * وبعد عن الاوطان والشوق غالب
وما أنا الا عاشق ذو صبابة * بعد الذى يهوى دهته المصائب
فان كان عشقى قد رمانى بنكبة * فأى كريم لم تصبه النوائب

فلم يفرغ حسن من شعره الا والشيخ أبو الرويش قد خرج له وهو أسود وعليه لباس أسود فلما نظره حسن عرفه بالصفات التى أخبره بها الشيخ عبد القدوس فرمى نفسه عليه ومرغ خديه على قدميه وأمسك رجله وحطها على رأسه وبكى قدامه فقال له الشيخ أبو الرويش ما حاجتك يا ولدى فمد يده بالكتاب وناوله للشيخ أبى الرويش فأخذه منه ودخل المغارة ولم يرد عليه جوابا فقعد حسن فى موضعه على الباب مثل ما قال له الشيخ عبد القدوس وهو يبكى ومازال قاعدا مكانه مدة خمسة أيام وقد ازداد به القلق واشتد به الخوف ولازمه الارق فصار يبكى ويتضجر من ألم البعاد وكثرة السهاد ثم أنشد هذه الابيات

سبحان جبار السما * ان المحب لفى عنا
من لم يذق طعم الهوى * لم يدر ما جهد البلا
لو كنت أحبس عبرتى * لوجدت أنهار الدما
كم من صديق قد قسا * قلبا وأولع بالشقا
فاذا تعطف لامنى * فأقول ما بى من بكا
لكن ذهبت لأرتدى * فأصابنى عين الردى
بكت الوحوش لوحشتى * وكذا لسكان الهوا

ولم يزل حسن يبكى الى أن لاح الفجر واذا بالشيخ أبو الرويش قد خرج اليه وهو لابس لباسا أبيض وأومأ اليه بيده أن يدخل فدخل حسن فأخذه الشيخ من يده ودخل

ودخل به المغارة ففرح وأيقن ان حاجته قد قضيت ولم يزل الشيخ سائرا وحسن معه مقدار نصف نهار ثم وصلا الى باب مقنطر عليه باب من الفولاذ ففتح الباب ودخل هو وحسن فى دهليز معقود بحجارة من الجزع المنقوش بالذهب ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى قاعة كبيرة مرخمة واسعة وفى وسطها بستان فيه من سائر الاشجار والازهار والاثمار والاطيار على الاشجار تناغى وتسبح الله الملك القهار وفى القاعة أربع لواوين يقابل بعضها بعضا وفى كل ليوان مجلس فيه فسقية وعلى كل ركن من أركان كل فسقية صورة سبع من الذهب وفى كل مجلس كرسى وعليه شخص جالس وبين يديه كتب كثيرة جدا وبين أيديهم مجامر من ذهب فيها نار وبخور وكل شيخ منهم بين يديه طلبة يقرؤن عليه الكتب فلما دخلا عليهم قاموا اليهما وعظموهما فأقبل عليهم وأشار لهم أن يصرفوا الحاضرين فصرفوهم وقام الاربعة مشايخ وجلسوا بين يدى الشيخ أبى الرويش وسألوه عن حال حسن فعند ذلك أشار الشيخ أبو الرويش الى حسن وقال له حدث الجماعة بحديثك وبجميع ماجرى لك من أول الامر الى آخره فعند ذلك بكى حسن بكاء شديدا وحدثهم بحديثه فلما فرغ حسن من حديثه صاحت المشايخ كلهم وقالوا هل هذا هو الذى أطلعه المجوسى الى جبل السحاب بالنسور وهو فى جلد الجمل فقال لهم حسن نعم فأقبلوا على الشيخ أبى الرويش وقالوا له ياشيخنا ان بهرام تحيل فى طلوعه على الجبل وكيف نزل وما الذى رآه فوق الجبل من العجائب فقال الشيخ أبو الرويش ياحسن حدثهم كيف نزلت وأخبرهم بالذى رأيته من العجائب فأعاد لهم ماجرى له من أوله الى آخره وكيف ظفر به وقتله وكيف غدرت به زوجته وأخذت أولاده وطارت وبجميع ماقاساه من الاهوال والشدائد فتعجب الحاضرون مما جرى له ثم أقبلوا على الشيخ أبى الرويش وقالوا له ياشيخ الشيوخ والله ان هذا الشاب مسكين فعساك أن تساعده على خلاص زوجته وأولاده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنا لما حكى للمشايخ قصته قالوا للشيخ أبى الرويش هذا الشاب مسكين فعساك أن تساعده على خلاص زوجته وأولاده فقال لهم الشيخ أبو الرويش يااخوانى ان هذا أمر عظيم خطر ومارأيت أحدا يكره الحياة غير هذا الشاب وأنتم تعرفون أن جزائر واق صعبة الوصول ماوصل

اليها أحد الا خاطر بنفسه وتعرفون قوتهم وأعوانهم وأنا حالف انى ما أدوس لهم أرضا ولا أتعرض لهم فى شئ وكيف يصل هذا الى بنت الملك الاكبر ومن يقدر أن يوصله اليها أو يساعده على هذا الامر فقالوا يا شيخ الشيوخ ان هذا الرجل أتلفه الغرام وقد خاطر بنفسه وحضر اليك بكتاب أخيك الشيخ عبد القدوس فحينئذ يجب عليك مساعدته فقام حسن وقبل قدم أبى الرويش ورفع ذيله ووضعه على رأسه وبكى وقال له سألتك بالله أن تجمع بينى وبين أولادى وزوجتى ولو كان فى ذلك ذهاب روحى ومهجتى فبكى الحاضرون لبكائه وقالوا للشيخ أبى الرويش اغتنم أجر هذا المسكين وافعل معه جميلا لاجل أخيك الشيخ عبد القدوس فقال ان هذا الشاب مسكين ما يعرف الذى هو قادم عليه ولكن نساعده على قدر الطاقة ففرح حسن لما سمع كلامه وقبل يديه وقبل أيادى الحاضرين واحدا بعد واحد وسألهم المساعدة فعند ذلك أخذ أبو الرويش ورقة ودواة وكتب كتابا وختمه وأعطاه لحسن ودفع له خريطة من الادم فيها بخور وآلات نار من زناد وغيره وقال له احتفظ على هذه الخريطة ومتى وقعت فى شدة فبخر بقليل منه واذكرنى فانى أحضر عندك وأخلصك منها ثم أمر بعض الحاضرين أن يحضر له عفريتا من الجن الطيارة فى ذلك الوقت فحضر فقال له الشيخ ما اسمك قال عبدك دهنش بن فقطش فقال له ابو الرويش ادن منى فدنا منه فوضع الشيخ ابو الرويش فاه على أذن العفريت وقال له كلاما فحرك العفريت رأسه ثم قال الشيخ لحسن يا ولدى قم اركب على كتف هذا العفريت دهنش الطيار فاذا رفعك الى السماء وسمعت تسبيح الملائكة فى الجو فلا تسبح فتهلك أنت وهو فقال حسن لا اتكلم أبدا ثم قال له الشيخ يا حسن اذا سار بك فانه يضعك ثانى يوم فى وقت السحر على أرض بيضاء نقية مثل الكافور فاذا وضعك هناك فامش عشرة ايام وحدك حتى تصل الى باب المدينة فاذا وصلت اليها فادخل واسأل على ملكها فاذا اجتمعت به فسلم عليه وقبل يده وأعطه هذا الكتاب ومهما أشار به اليك فافهمه فقال حسن سمعا وطاعة وقام مع العفريت وقام المشايخ ودعوا له ووصوا العفريت عليه فلما حمله العفريت على عاتقه ارتفع به الى عنان السماء ومشى به يوما وليلة حتى سمع تسبيح الملائكة فى السماء فلما كان الصبح وضعه فى أرض بيضاء مثل الكافور وتركه وانصرف فلما أدرك حسن أنه على الارض ولم يكن عنده أحد سار فى الليل والنهار مدة عشرة ايام الى أن وصل الى باب المدينة فدخلها وسأل عن الملك فدلوه عليه وقالوا ان اسمه الملك حسون ملك ارض الكافور وعنده من العساكر والجنود ما يملأ الارض فى طولها والعرض

فاستأذن

فاستأذن حسن فاذن له فلما دخل عليه وجده ملكا عظيما فقبل الارض بين يديه فقال له الملك ما حاجتك فقبل حسن الكتاب وناوله اياه فأخذه وقرأه ثم حول رأسه ساعة ثم قال لبعض خواصه خذ هذا الشاب وانزله فى دار الضيافة فأخذه وسار حتى أنزله هنالك فأقام بها مدة ثلاثة ايام فى اكل وشرب وليس عنده الا الخادم الذى معه فصار ذلك الخادم يحدثه ويؤانسه ويسأله عن خبره وكيف وصل الى هذه الديار فأخبره بجميع ما حصل له وكل ما هو فيه وفى اليوم الرابع أخذه الغلام وأحضره بين يدى الملك فقال له يا حسن أنت قد حضرت عندى تريد ان تدخل جزائر واق كما ذكر لنا شيخ الشيوخ يا ولدى أنا أرسلك فى هذه الايام الا أن فى طريقك مهالك كثيرة وبرارى معطشة كثيرة المخاوف ولكن اصبر ولا يكون الا خيرا فلا بد أن أتحيل وأوصلك الى ما تريد ان شاء الله تعالى واعلم يا ولدى ان هنا عسكرا من الديلم يريدون الدخول فى جزائر واق مهيئين بالسلاح والخيل والعدد وما قدروا على الدخول ولكن يا ولدى لاجل شيخ الشيوخ أبى الرويش ابن بلقيس بنت معين ما اقدر أن أردك اليه الا مقضى الحاجة وعن قريب تأتى الينا مراكب من جزائر واق وما بقى لها الا القليل فاذا حضرت واحدة منها أنزلتك فيها وأوصى البحرية عليك ليحفظوك ويرسلوك الى جزائر واق وكل من سألك عن حالك وخبرك فقل له أنا صهر الملك حسون صاحب ارض الكافور واذا رست المركب على جزائر واق وقال لك الريس اطلع البر فاطلع ترى دككا كثيرة فى جميع جهات البر فاختر لك دكة واقعد تحتها ولا تتحرك فاذا جن الليل ورأيت عسكر النساء قد أحاط بالبضائع فمد يدك وأمسك صاحبة هذه الدكة التى أنت تحتها واستجر بها واعلم يا ولدى انها اذا أجارتك قضيت حاجتك فتصل الى زوجتك وأولادك وان لم تجرك فاحزن على نفسك وايأس من الحياة وتيقن هلاك نفسك واعلم يا ولدى انك مخاطر بنفسك ولا أقدر لك على شئ غير هذا والسلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنا لما قال له الملك حسون هذا الكلام وأوصاه بالذى ذكرناه وقال له أنا لا أقدر لك على شئ غير هذا قال له بعد ذلك واعلم انه لولا أنها حصلت لك عناية من رب السماء ما وصلت الى هنا فلما سمع حسن كلام الملك حسون بكى حتى غشى عليه فلما أفاق انشد هذين البيتين

لابدلى من مدة محتومة * فاذا انقضت أيامها مت
لو صار عنى الاسد فى غاباتها * لقهرتها مادام لى وقت

فلما فرغ حسن من شعره قبل الارض بين يدى الملك وقال له أيها الملك العظيم وكم بقى من الايام حتى تأتى المراكب قال مدة شهر ويمكثون هنا البيع مافيها مدة شهرين ثم يرجعون الى بلادهم فلا تترجى سفرك فيها الا بعد ستة أشهر كاملة ثم ان الملك أمر حسنا أن يذهب الى دار الضيافة وامر أن يحمل له كل مايحتاج اليه من مأكول ومشروب وملبوس من الذى يناسب الملوك فأقام فى دار الضيافة شهرا وبعد الشهر حضرت المراكب فخرج الملك والتجار وأخذ حسنا معه الى المراكب فرأى مركبا فيها خلق كثير مثل الحصى مايعلم عددهم الا الذى خلقهم وتلك المركب فى وسط البحر ولها زوارق صغار تنقل مافيها من البضائع الى البر فأقام حسن عندهم حتى نزع أهلها البضائع منها الى البر وباعوا واشتروا ومابقى للسفر الا ثلاثة أيام فأحضر الملك حسنا بين يديه وجهز له مايحتاج اليه وأنعم عليه انعاما عظيما ثم بعد ذلك استدعى ريس تلك المركب وقال له خذ هذا الشاب معك فى المركب ولا تعلم به أحدا وأوصله الى جزائر واق واتركه هناك ولا تأت به فقال الريس سمعا وطاعة ثم ان الملك أوصى حسنا وقال له لا تعلم أحدا من الذين معك فى المركب بشئ من حالك ولا تطلع أحدا على قصتك فتهلك قال سمعا وطاعة ثم ودعه بعد ان دعا له بطول البقاء والدوام والنصر على جميع الحساد والاعداء وشكره الملك على ذلك ودعا له بالسلامة وقضاء حاجته ثم سلمه للريس فأخذه وحطه فى صندوق وأنزله فى قارب ولم يطلعه فى المركب الا والناس مشغولون فى نقل البضائع وبعد ذلك سافرت المراكب ولم تزل مسافرة مدة عشرة أيام فلما كان اليوم الحادى عشر وصلوا الى البر فطلعه الريس من المركب فلما طلع من المركب الى البر رأى فيه دككا لا يعلم عددها الا الله فمشى حتى وصل الى دكة ليس لها نظير واختفى تحتها فلما أقبل الليل جاء خلق كثير من النساء مثل الجراد المنتشر وهن ماشيات على أقدامهن وسيوفهن مشهورة فى أيديهن ولكنهن غائصات فى الزرد فلما رأت النساء البضائع اشتغلن بها ثم بعد ذلك جلسن لاجل الاستراحة فجلست واحدة منهن على الدكة التى تحتها حسن فأخذ حسن طرف ذيلها وحطه فوق رأسه ورمى نفسه عليها وصار يقبل يديها وقدميها وهو يبكى فقالت له ياهذا قم واقفا قبل أن يراك أحد فيقتلك فعند ذلك خرج حسن من تحت الدكة ونهض قائما على قدميه وقبل يديها وقال لها ياسيدتى أنا فى جيرتك ثم بكى وقال لها ارحمى من فارق

أهله وزوجته وأولاده وبادر الى الاجتماع بهم وخاطر بروحه ومهجته فارحميني
وأيقني انك تؤجرين على ذلك بالجنة وان لم تقبليني فاسألك بالله العظيم الستار
أن تستري على فصارت التجار شاخصة له وهو يكلمها فلما سمعت كلامه ونظرت
تضرعه رحمته ورق قلبها اليه وعلمت أنه ما خاطر بنفسه وجاء الى هذا المكان الا لامر
عظيم فعند ذلك قالت لحسن ياولدي طب نفسا وقر عينا وطب قلبك وخاطرك
وارجع الى مكانك واختف تحت الدكة كما كنت أولا الى الليلة الآتية يفعل
الله ما يريده ثم ودعته ودخل حسن تحت الدكة كما كان ثم ان العساكر بتن يوقدن
الشموع الممزوجة بالعود الند والعنبر الخام الى الصباح فلما طلع النهار رجعت
المراكب الى البر واشتغل التجار بنقل البضائع والامتعة الى ان أقبل الليل وحسن
مختف تحت الدكة باكي العين حزين القلب ولم يعلم بالذي قدر له في الغيب فبينما هو
كذلك اذ أقبلت عليه المرأة التاجرة التي كان استجار بها وناولته زردية وسيفا
وحياصة مذهبة ورمحا ثم انصرفت عنه خوفا من العسكر فلما رأى ذلك علم أن
التاجرة ما أحضرت له هذه العدة الا ليلبسها فقام حسن ولبس الزردية وشد الحياصة
على وسطه وتقلد بالسيف تحت ابطه وأخذ الرمح بيده وجلس على تلك الدكة ولسانه
لم يغفل عن ذكر الله تعالى بل يطلب منه الستر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنا لما أخذ السلاح الذي أعطته اياه الصبية
التاجرة التي استجار بها وقالت له اجلس تحت الدكة ولا تخل أحدا يفهم حالك
تقلد به ثم جلس فوق الدكة ولسانه لم يغفل عن ذكر الله وصار يطلب من الله الستر
فبينما هو جالس اذ أقبلت المشاعل والفوانيس والشموع وأقبلت عساكر النساء
فقام حسن واختلط بالعسكر وصار كواحدة منهن فلما قرب طلوع الفجر توجهت
العساكر وحسن معهن حتى وصل الى خيامهن دخلت كل واحدة خيمتها فدخل
حسن خيمة واحدة منهن واذا هي خيمة صاحبته التي كان استجار بها فلما دخلت
خيمتها ألقت سلاحها وقلعت الزردية والنقاب وألقى حسن سلاحه فنظر الى
صاحبته فوجدها زرقاء العينين كبيرة الانف وهي داهية من الدواهي أقبح
ما يكون في الخلق بوجه أجدر وحاجب أمعط وأسنان مكسرة وخدود مجعدة وشعر
شائب وفم بالريالة سائل وهي كما قال في مثلها الشاعر

لها فى زوايا الوجه تسع مصائب * فواحدة منهن تبدى جهنما
بوجه بشيع ثم ذات قبيحة * كصورة خنزير تراه مرمرما

وهى بذات معطاء كحية رقطاء فلما نظرت العجوز الى حسن تعجبت وقالت كيف وصل هذا الى هذه الديار وفى أى المراكب حضر وكيف سلم وصارت تسأله عن حاله وتتعجب من وصوله فعند ذلك وقع حسن على أقدامها ومرغ وجهه على رجليها وبكى حتى غشى عليه فلما افاق انشد هذه الابيات

متى الايام تسمح بالتلاق * وتجمع شملنا بعد الفراق
وأحظى بالذى أرضاه منهم * عتابا ينقضى والود باقى
لوان النيل يجرى مثل دمعى * لما خلى على الدنيا شراقى
وفاض على الحجاز وأرض مصر * كذاك الشام مع أرض العراق
وذاك لاجل صدك يا حبيبى * ترفق بى وواعد بالتلاقى

فلما فرغ من شعره أخذ ذيل العجوز ووضعه فوق رأسه وصار يبكى و يستجير بها فلما رأت العجوز احتراقه ولوعته وتوجعه وكربته حن قلبها اليه وأجارته وقالت له لا تخف أبدا ثم سألته عن حاله فحكى لها جميع ما جرى له من المبتدا الى المنتهى فتعجبت العجوز من حكايته وقالت له طيب قلبك وطيب خاطرك ما بقى عليك خوف وقد وصلت الى مطلوبك وقضاء حاجتك ان شاء الله تعالى ففرح حسن بذلك فرحا شديدا ثم ان العجوز أرسلت الى قواد العسكر أن يحضروا وكان ذلك فى آخر يوم من الشهر فلما حضروا بين يديها قالت لهم اخرجوا ونادوا فى جميع العسكر أن يخرجوا فى غد بكرة النهار ولا يتخلف أحد منهم فان تخلف أحد راحت روحه فقالوا لها سمعا وطاعة ثم خرجوا ونادوا فى جميع العسكر بالرحيل فى غد بكرة النهار ثم عادوا وأخبروها بذلك فعلم حسن أنها هى رئيسة العسكر وصاحبة الرأى فيه وهى المقدمة عليه ثم ان حسنا لم يقلع السلاح من فوق بدنه فى ذلك النهار وكان اسم تلك العجوز التى هو عندها شواهى وتكنى بام الدواهى فما فرغت العجوز من أمرها ونهيها الا وقد طلع الفجر فخرج العسكر جميعه من أماكنه ولم تخرج العجوز معهم فلما سار العسكر وخلت منه الاماكن قالت شواهى لحسن ادن منى يا ولدى فدنا منها ووقف بين يديها فأقبلت عليه وقالت له ما السبب فى مخاطرتك بنفسك ودخولك الى هذه البلاد وكيف رضيت نفسك بالهلاك فأخبرنى بالصحيح عن جميع شأنك ولا تخف عنى منه شيأ ولا تخف فانك قد صرت فى عهدى وقد أجرتك ورحمتك ورثيت لحالك فان أخبرتنى بالصدق أعنتك على قضاء حاجتك ولو كان

فيها

فيها رواح الارواح وهلاك الاشباح وحيث وصلت الى ما بقى عليك بأس ولا أخلى
أحدا يصل اليك بسوء أبدا من كل ما فى جزائر واق فحكى لها قصته من أولها الى
آخرها وعرفها بشأن زوجته وبالطيور وكيف اصطادها من بين العشرة وكيف
تزوج بها ثم أقام معها حتى رزق منها بولدين وكيف أخذت أولادها وطارت
حين عرفت طريق الثوب الريش ولم يخف من حديثه شيأ من أوله الى يومه الذى
هو فيه فلما سمعت العجوز كلامه حركت رأسها وقالت له سبحان الله الذى سلمك
وأوصلك الى هنا وأوقعك عندى ولو كنت وقعت عند غيرى كانت روحك راحت
ولم تقض لك حاجة ولكن صدق نيتك ومحبتك وفرط شوقك الى زوجتك وأولادك
هو الذى أوصلك الى حصول بغيتك ولولا أنك لها محب وبها ولهان ما كنت خاطرت
بنفسك هذه المخاطرة والحمد لله على السلامة وحينئذ يجب علينا أن نقضى لك
حاجتك ونساعدك على مطلوبك حتى تنال بغيتك عن قريب ان شاء الله تعالى
ولكن اعلم يا ولدى ان زوجتك فى الجزيرة السابعة من جزائر واق ومسافة
ما بيننا وبينها سبعة أشهر ليلا ونهارا فاننا نسير من هنا حتى نصل الى أرض يقال
لها أرض الطيور ومن شدة صياح الطيور وخفقان أجنحتها لا يسمع بعضنا كلام
بعض وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان العجوز قالت لحسن ان زوجتك فى الجزيرة
السابعة وهى الجزيرة الكبيرة من جزائر واق ومسافة ما بيننا وبينها سبعة أشهر
فاننا نسير من هنا الى أرض الطيور ومن شدة صياحها وخفقان اجنحتها لا يسمع
بعضنا كلام بعض ثم نسير فى تلك الارض مدة احد عشر يوما ليلا ونهارا ثم بعد ذلك
نخرج منها الى أرض يقال لها أرض الوحوش فمن شدة صياح السباع والضباع
والوحوش وعوى الذئاب وزئير الاسود لا نسمع شيأ فنسير فى تلك الارض مدة
عشرين يوما ثم نخرج منها الى أرض يقال لها أرض الجن فمن شدة صياح الجان
وصعود النيران وتطاير الشرار والدخان من أفواههم وتصاعد زفراتهم وتمردهم
يسدون الطريق قدامنا وتصم آذاننا وتغشى ابصارنا حتى لا نسمع ولا نرى ولا
يمكن أن يلتفت منا أحد الى خلفه فيهلك ويضع الفارس فى ذلك المكان رأسه على
قربوس سرجه ولا يرفعها مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك يقابلنا جبل عظيم ونهر جار
متصلان بجزائر واق واعلم يا ولدى ان جميع هذا العسكر بنات أبكار والحاكم علينا

من الملوك امرأة من جزائر واق السبع ومسيرة تلك السبع جزائر سنة كاملة للراكب المجد فى السير وعلى شاطئ هذا النهر جبل آخر يسمى جبل واق وهذا الاسم علم على شجرة أغصانها تشبه رؤس بنى آدم فاذا طلعت الشمس عليها تصيح تلك الرؤس جميعا وتقول فى صياحها واق واق سبحان الملك الخلاق فاذا سمعنا صياحها نعلم ان الشمس قد طلعت وكذلك اذا غربت الشمس تصيح تلك الرؤس وتقول فى صياحها أيضا واق واق سبحان الملك الخلاق فنعلم ان الشمس قد غربت ولا يقدر أحد من الرجال ان يقيم عندنا ولا يصل الينا ولا يطأ أرضنا و بيننا وبين الملكة التى تحكم على هذه الارض مسافة شهر من هذا البر وجميع الرعية التى فى ذلك البر تحت يد تلك الملكة وتحت يدها أيضا قبائل الجان المردة والشياطين وتحت يدها من السحرة ما لا يعلم عددهم الا الذى خلقهم فان كنت تخاف أرسلت معك من يوصلك الى الساحل وأجىء بالذى يحملك معه فى مركب و يوصلك الى بلادك وان كان يطيب على قلبك الاقامة معنا فلا أمنعك وأنت عندى فى عينى حتى تقضى حاجتك ان شاء الله تعالى فقال حسن يا سيدتى ما بقيت أفارقك حتى أجتمع بزوجتى أو تذهب روحى فقالت له هذا أمر يسير فطيب قلبك وسوف تصل الى مطلوبك ان شاء الله تعالى ولا بد ان أطلع الملكة عليك حتى تكون مساعدة لك على بلوغ قصدك فدعا لها حسن وقبل يديها ورأسها وشكرها على فعلها وفرط مروءتها وسار معها وهو متفكر فى عاقبة أمره وأهوال غربته فصار يبكى و ينتحب وجعل ينشد هذه الابيات

من مكان الحبيب هب نسيم * فترانى من فرط وجدى أهيم
ان ليل الوصال صبح مضىء * ونهار الفراق ليل بهيم
ووداع الحبيب صعب شديد * وفراق الانيس خطب جسيم
لست أشكو جفاه الا اليه * لم يكن فى الورى صديق حميم
وسلوى عنكم محال فانى * ليس يسلى قلبى عذول ذميم
يا وحيد الجمال عشق وحيد * يا عديم المثال قلبى عديم
كل من يدعى المحبة فيكم * ويهاب الملام فهو ملوم

ثم ان العجوز أمرت بدق طبل الرحيل وسار العسكر وسار حسن صحبة العجوز وهو من الغرق فى بحر الافكار يتضجر و ينشد الاشعار والعجوز تصبره وتسليه وهو لا يفيق ولا يعى ما اليه تلقيه ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى أول جزيرة من الجزائر السبع وهى جزيرة الطيور فلما دخلوها ظن حسن ان الدنيا قد انقلبت من شدة

الصياح

المصباح وأوجعته رأسه وطاش عقله وعمى بصره وانسدّت أذناه وخاف خوفا شديدا وأيقن بالموت وقال فى نفسه اذا كانت هذه أرض الطيور فكيف تكون أرض الوحوش فلما رأته العجوز المسماة بشواهى على هذه الحالة ضحكت عليه وقالت له ياولدى اذا كان هذا حالك من أول جزيرة فكيف بك اذا وصلت الى بقية الجزائر فسأل الله وتضرّع اليه وطلب منه ان يعينه على ما بلاه به وان يبلغه مناه ولم يزالوا سائرين حتى قطعوا أرض الطيور وخرجوا منها ودخلوا فى أرض الجان فلما رآها حسن خاف وندم على دخوله فيها معهم ثم استعان بالله تعالى وسار معهم فعند ذلك خلصوا من أرض الجان ووصلوا الى النهر فنزلوا تحت جبل عظيم شاهق ونصبوا خيامهم على شاطئ النهر ووضعت العجوز لحسن دكة من المرمر مرصعة بالدرّ والجوهر وسبائك الذهب الاحمر على جنب النهر فجلس عليها وتقدمت العساكر فعرضتهم عليه ثم بعد ذلك نصبوا خيامهم حوله واستراحوا ساعة ثم أكلوا وشربوا وناموا مطمئنين لانهم وصلوا الى بلادهم وكان حسن واضعا على وجهه لثاما بحيث لم يظهر منه غير عينيه واذا بجماعة من البنات مشين الى قرب النهر ثم قلعن ثيابهنّ ونزلن فى النهر فصار حسن ينظر اليهنّ وهنّ يغتسلن فصرن يلعبن وينشرحن ولا يعلمن انه ناظر اليهنّ لانهنّ ظننّ انه من بنات الملوك فاشتدّ على حسن وتره حيث كان ينظر اليهنّ وهنّ مجردات من ثيابهنّ وقد رأى ما بين افخاذهنّ انواعا مختلفة ما بين ناعم مقبب وسمين مربرب وغليظ المشافر وكامل وبسيط ووافر ووجوههنّ كالاقمار وشعورهنّ كليل على نهار لانهنّ من بنات الملوك ثم ان العجوز نصبت له سريرا وأجلسته فوقه فلما خلصن طلعن من النهر وهنّ متجردات كالقمر ليلة البدر وقد اجتمع جميع العسكر قدام حسن لان العجوز امرت أن ينادى فى جميع العسكر أن يجتمعن قدام خيمته ويتجردن من ثيابهنّ وينزلن فى النهر ويغتسلن فيه لعل زوجته أن تكون فيهنّ فيعرفها وصارت العجوز تسأله عنهنّ طائفة بعد طائفة فيقول ماهى فى هؤلاء ياسيدتى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان العجوز كانت تسأل حسنا عن البنات طائفة بعد طائفة لعله يعرف زوجته من بينهنّ وكلما سألته عن طائفة يقول ماهى فى هؤلاء ياسيدتى ثم بعد ذلك تقدمت جارية فى آخر الناس وفى خدمتها ثلاثون خادمة كلهنّ

نهد أبكار فنزعن ثيابهنّ ونزلن معها فى النهر فصارت تتدالل عليهنّ وترميهنّ فى البحر وتغطسهنّ ولم تزل معهنّ على هذا الحال ساعة زمانية ثم طلعن من النهر وقعدن فقدّمن اليها مناشف من حرير مزركشة بالذهب فأخذتها وتنشفت بها ثم قدّموا اليها ثيابا وحللا وحليا من عمل الجن فأخذتها ولبستها وقامت تخطر بين العسكر هى وجواريها فلما رآها حسن طار قلبه وقال هذه أشبه الناس بالطيرة التى رأيتها فى البحيرة فى قصر أخواتى البنات وكانت تتدالل على أتباعها مثلها فقالت العجوز يا حسن هل هذه زوجتك فقال لا وحياتك يا سيدتى ما هذه زوجتى ولا عمرى رأيتها وما فى جميع البنات التى رأيتهن فى هذه الجزيرة مثل زوجتى ولا مثل قدها واعتدالها وحسنها وجمالها فقالت العجوز صفها لى وعرفنى بجميع اوصافها حتى تكون فى ذهنى فانى اعرف كل بنت فى جزائر واق لانى نقيبة عسكر البنات والحاكمة عليهنّ وان وصفتها لى عرفتها وتحيلت لك فى أخذها فقال لها حسن ان زوجتى صاحبة وجه مليح وقد رجيح أسيلة الخد قائمة النهد دعجاء العينين ضخمة الساقين بيضاء الاسنان حلوة اللسان ظريفة الشمائل كأنها غصن مائل بديعة الصفة حمراء الشفة بعينون كحال وشفايف رقاق على خدها الايمن شامة وعلى بطنها من تحت سرتها علامة وجهها منير كقمر مستدير وخصرها نحيل وردفها ثقيل وريقها يشفى العليل كأنه الكوثر أو السلسبيل فقالت العجوز زدنى فى اوصافها يا انا زادك الله فيها افتتانا فقال لها حسن انّ زوجتى ذات وجه جميل وخد أسيل وعنق طويل وطرف كحيل وخدود كالشقيق وفم كخاتم عقيق وثغر لامع البريق يغنى عن الكاس والابريق قد ركبت فى هيكل اللطافة وبين فخذيها تخت الخلافة ما مثل حرمه بين المشاعر كما قال فى حقه الشاعر

اسم الذى حيرنى * حروفه مشتهره
أربعة فى خمسة * وستة فى عشره

ثم بكى حسن وغنى بهذا الموال

وجدى بكم وجد هندى ضيع القصعه * او وجد ساعى وفى رجله اليمين قصعه
أو وجد ضى عليل بجروح متسعه * أو وجد من حرر السبعه على العشرين
ولعنة الله على من يتبع التسعه

فأطرقت العجوز برأسها الى الارض ساعة من الزمان ثم رفعت رأسها الى حسن وقالت سبحان الله العظيم الشان انى بليت بك يا حسن فياليتنى ما كنت عرفتك

لان

لان المرأة التى وصفتها الى هى زوجتك بعينها فانى قد عرفتها بصفاتها وهى بنت الملك الاكبر الكبيرة التى تحكم على جزائر واق بأسرها فافتح عينك وتدبر أمرك وان كنت نائما فانتبه فانه لا يمكنك الوصول اليها أبدا وان وصلت اليها لا تقدر على تحصيلها لان بينك وبينها مثل ما بين السماء والارض فارجع يا ولدى من قريب ولا ترم نفسك فى الهلاك وترمى معك فانى أظن انه ليس لك فيها نصيب وارجع من حيث أتيت لئلا تروح أرواحنا وخافت على نفسها وعليه فلما سمع حسن كلام العجوز بكى بكاء شديدا حتى غشى عليه فازالت العجوز ترش على وجهه الماء حتى أفاق من غشيته وصار يبكى حتى بل ثيابه بالدموع من عظم ما لحقه من الهم والغم من كلام العجوز وقد يئس من الحياة ثم قال للعجوز يا سيدتى وكيف أرجع بعد أن وصلت الى هنا وما كنت أظن فى نفسى انك تعجزين عن تحصيل غرضى خصوصا وأنت نقيبة عسكر البنات والحاكمة عليهن فقالت بالله عليك يا ولدى أن تختار لك بنتا من هؤلاء البنات وأنا اعطيك اياها عوضا عن زوجتك لئلا تقع فى يد الملوك فلا يبقى لى فى خلاصك حيلة فبالله عليك أن تسمع منى وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير تلك البنت وترجع الى بلادك من قريب سالما ولا تجرعنى غصتك والله لقد رميت نفسك فى بلاء عظيم وخطر جسيم لا يقدر أحد أن يخلصك منه فعند ذلك أطرق حسن رأسه وبكى بكاء شديدا وأنشد هذه الابيات

فقلت لعذلى لا تعذلونى * لغير الدمع ما خلقت جفونى
مدامع مقلتى طفحت ففاضت * على خدى وأحبابى جفونى
دعونى فى الهوى قد رق جسمى * لانى فى الهوى أهوى جنونى
ويا أحباب قد زاد اشتياقى * اليكم ما لكم لا ترحمونى
جفوتم بعد ميثاقى وعهدى * وخنتم صحبتى وتركتمونى
ويوم البين لما قد رحلتم * سقيت من الصدود شراب هون
فيا قلبى عليهم ذب غراما * وجودى بالمدامع يا عيونى

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز لما قالت لحسن بالله عليك يا ولدى ان تسمع منى كلامى وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير زوجتك وترجع الى بلادك من قريب سالما فأطرق رأسه وبكى بكاء شديدا وانشد الابيات المذكورة فلما فرغ من

شعره بكى حتى غشى عليه فما زالت العجوز ترش الماء على وجهه حتى أفاق من غشيته ثم أقبلت عليه وقالت ياسيدي ارجع الى بلادك فاني متى سافرت بك الى المدينة راحت روحك وروحي لان الملكة اذا علمت بذلك تلومني على دخولي بك الى بلادها وجزائرها التي لم يصلها أحد من بني آدم وتقتلني حيث حملتك معي وأطلعتك على هذه الابكار التي رأيتهن في البحر مع انه لم يمسهن فحل ولم يقربهن بعل فخاف حسن انه ما نظر اليهن نظر سوء قط فقالت له ياولدي ارجع الى بلادك وأنا أعطيك من المال والذخائر والتحف ما تستغني به عن جميع النساء فاسمع كلامي وارجع من قريب ولا تخاطر بنفسك فقد نصحتك فلما سمع حسن كلامها بكى ومرغ خديه على أقدامها وقال ياسيدتي ومولاتي وقرة عيني كيف أرجع بعد ما وصلت الى هذا المكان ولا أنظر من أريد وقد قربت من دار الحبيب وترجيت اللقاء عن قريب ولعله أن يكون لي في الاجتماع نصيب ثم أنشد هذه الابيات

يا ملوك الجمال رفقا بأسرى * بجفون تملكت ملك كسرى
قد غلبتم روائح المسك طيبا * وبهرتم محاسن الورد زهرا
ونسيم النعيم حيث حللتم * فالصبا من هناك تعبق نشرا
عاذلي كف عن ملامي ونصحي * انما جئت بالنصيحة نكرا
ما على صبوتي من العذل واللو * م اذا لم تحط بذلك خبرا
أسرتني العيون وهي مراض * ورمتني في الحب عنفا وقهرا
أنثر الدمع حين أنظم شعري * هاك مني الحديث نظما ونثرا
حمرة الخد قد أذابت فؤادي * فتلظت مني الجوارح جمرا
خبراني متى تركت حديثي * فبأي الحديث أشرح صدرا
طول عمري أهوى الحسان ولكن * يحدث الله بعد ذلك أمرا

فلما فرغ حسن من شعره رقت له العجوز ورحمته وأقبلت عليه وطيبت خاطره وقالت له طب نفسا وقر عينا وأخل فكرك من الهم والله لاخاطرن معك بروحي حتى تبلغ مقصودك أو تدركني منيتي فطاب قلب حسن وانشرح صدره وجلس يتحدث مع العجوز الى آخر النهار فلما أقبل الليل تفرقت البنات كلهن فمنهن من دخلت قصرها في البلد ومنهن من باتت في الخيام ثم ان العجوز أخذت حسنا معها ودخلت به البلد فأخلت له مكانا وحده لئلا يطلع عليه أحد فيعلم الملكة به فتقتله وتقتل من أتى به ثم صارت تخدمه بنفسها وتخوفه من سطوة الملك الاكبر أبي زوجته وهو يبكي بين يديها ويقول ياسيدتي قد اخترت الموت لنفسي وكرهت الدنيا ان لم اجتمع

بزوجتي

بزوجتي وأولادي فانا أخاطر بروحي اما ان أبلغ مرادي واما ان أموت فصارت
العجوز تتفكر في كيفية وصوله واجتماعه بزوجته وكيف تكون الحيلة في أمر هذا
المسكين الذي رمى روحه في الهلاك ولم ينزجر عن قصده بخوف ولا غيره وقد سلا
نفسه وصاحب المثل يقول العاشق لا يسمع كلام خلي وكانت تلك البنت ملكة
الجزيرة التي هم نازلون فيها وكان اسمها نور الهدى وكان لهذه الملكة سبع أخوات
بنات أبكار مقيمات عند أبيهن الملك الاكبر الذي هو حاكم على السبع جزائر
وأقطار واق وكان تخت ذلك الملك في المدينة التي هي أكبر مدن ذلك البر وكانت
بنته الكبيرة وهي نور الهدى هي الحاكمة على تلك المدينة التي فيها حسن وعلى
سائر أقطارها ثم ان العجوز لما رأت حسنا محترقا على الاجتماع بزوجته وأولاده
قامت وتوجهت الى قصر الملكة نور الهدى فدخلت عليها وقبلت الارض بين يديها
وكان للعجوز فضل عليها لانها ربت بنات الملك جميعهن ولها على الجميع سلطنة وهي
مكرمة عندهم عزيزة عند الملك فلما دخلت العجوز على الملكة نور الهدى قامت
لها وعانقتها وأجلستها جنبها وسألتها عن سفرتها فقالت لها والله يا سيدتي انها
كانت سفرة مباركة وقد استصحبت لك معي هدية أحضرها بين يديك ثم قالت لها يا بنتي
يا ملكة العصر والزمان اني أتيت معي بشيء عجيب واريد أن أطلعك عليه لاجل أن
تساعديني على قضاء حاجته فقالت لها وما هو فاخبرتها بحكاية حسن من أولها الى
آخرها وهي ترتعد كالقصبة في يوم الريح العاصف حتى وقعت بين يدي بنت الملك
وقالت لها يا سيدتي قد استجار بي شخص على الساحل كان مختفيا تحت الدكة فأجرته
وأتيت به معي بين عسكر البنات وهو حامل السلاح بحيث لا يعرفه أحد وأدخلته
البلد ثم قالت لها وقد خوفته من سطوتك وعرفته بأسك وقوتك وكلما أخوفه يبكي
وينشد الاشعار ويقول لي لابد من رؤيتي زوجتي وأولادي أو أموت ولا ارجع الى
بلادي من غيرهم وقد خاطر بنفسه وجاء الى جزائر واق ولم أر عمري آدميا أقوى
قلبا منه ولا أشد باسا الا أن الهوى قد تمكن منه غاية التمكن وأدرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما حكت للملكة نور الهدى حكاية حسن
قالت لها ما رأيت أقوى قلبا منه الا أن الهوى قد تمكن منه غاية التمكن فلما
سمعت الملكة كلامها وفهمت قصة حسن غضبت غضبا شديدا وأطرقت برأسها

الى الارض ساعة ثم رفعت رأسها ونظرت الى العجوز وقالت لها يا عجوز النحس هل
بلغ من خبثك انك تحملين الذكور وتأتين بهم معك الى جزائر واق وتدخلين بهم
على ولم تخافى من سطوتى وحق رأس الملك لولا مالك على من التربية اقتلتك أنت
واياه فى هذه الساعة أقبح قتلة حتى يعتبر المسافرون بك يا ملعونة لئلا يفعل أحد
مثل مافعلت من هذه الفعلة العظيمة التى لم يقدر أحد عليها ولكن اخرجى
وأحضريه فى هذه الساعة حتى أنظره فخرجت العجوز من بين يديها وهى مدهوشة
لا تدرى أين تذهب وتقول كل هذه المصيبة ساقها الله لى من هذه الملكة على يد
حسن ومضت الى أن دخلت على حسن فقالت له قم كلم الملكة يا من آخر عمره قد دنا
فقام معها ولسانه لا يفتر عن ذكر الله تعالى ويقول اللهم الطف بى فى قضائك
وخلصنى من بلائك فسارت به حتى أوقفته بين يدى الملكة نور الهدى وأوصته
العجوز فى الطريق بما يتكلم به معها فلما تمثل بين يدى نور الهدى رآها ضاربة لثاما
فقبل الارض بين يديها وسلم عليها وأنشد هذين البيتين

أدام الله عزك فى سرور * وخولك الاله بما حباك
وزادك ربنا عزا ومجدا * وأيدك القدير على عداك

فلما فرغ من شعره أشارت الملكة الى العجوز أن تخاطبه قدامها لتسمع مجاوبته
فقالت العجوز ان الملكة ترد عليك السلام وتقول لك ما اسمك ومن أى البلاد
أنت وما اسم زوجتك وأولادك الذين جئت من أجلهم وما اسم بلادك فقال لها
وقد ثبت جنانه وساعدته المقادير يا ملكة العصر والاوان ووحيدة الدهر والزمان
أما أنا فاسمى حسن الكثير الحزن وبلادى البصرة وأما زوجتى فما أعرف لها اسما
وأما اسم أولادى فواحد اسمه ناصر والآخر اسمه منصور فلما سمعت الملكة كلامه
وحديثه قالت فمن أين أخذت أولادها فقال لها يا ملكة من مدينة بغداد من قصر
الخلافة فقالت له وهل قالت لكم شيأ عند ما طارت قال انها قالت لوالدتى اذا
جاء ولدك وطالت عليه أيام الفراق واشتهى القرب والتلاق وهزته رياح الاشتياق
فليجئنى فى جزائر واق فحركت الملكة نور الهدى رأسها ثم قالت له انها لو كانت
ما تريدك ما قالت لامك هذا الكلام ولولا انها تريدك وتشتهى قربك ما كانت
أعلمتك بمكانها ولا طلبتك الى بلادها فقال حسن يا سيدة الملوك والحاكمة على كل
ملك وصعلوك الذى جرى أخبرتك به ولا أخفيت منه شيأ وأنا أستجير بالله وبك
أن لا تظلمينى فارحمينى واربحى أجرى وثوابى وساعدينى على الاجتماع بزوجتى
وأولادى وردى لهفتى وقرة عينى بأولادى وأسعفينى برؤيتهم ثم بكى وحن واشتكى
وانشد

وأنشد هذين البيتين

لاشكرنك ماناحت مطوقة * جهدى وان كنت لااقضى الذى وجبا
فماتقلبت فى نعماء سابغة * الا وجدتك فيها الاصل والسببا

فأطرقت الملكة نور الهدى رأسها الى الارض وحركتها زمانا طويلا ثم رفعتها وقالت له قد رحمتك ورثيت لك وقد عزمت على ان اعرض عليك كل بنت فى المدينة وفى بلاد جزيرتى فان عرفت زوجتك سلمتها اليك وان لم تعرفها قتلتك وصلبتك على باب دار العجوز فقال لها حسن قبلت ذلك منك ياملكة الزمان ثم انشد هذه الابيات

أقمتم غرامى فى الهوى وقعدتم * وأسهرتمو جفنى القريح ونمتم
وعاهدتمونى أنكم لن تماطلوا * فلما أخذتم بالقياد غدرتم
عشقتكم طفلا ولم أدر ما الهوى * فلا تقتلونى اننى متظلم
أماتتقون الله فى قتل عاشق * يبيت يراعى النجم والناس نوم
فبالله ياقومى اذا مت فاكتبوا * على لوح قبرى ان هذا متيم
لعل فتى مثلى أضربه الهوى * اذا ما رأى قبرى على يسلم

فلما فرغ من شعره قال رضيت بالشرط الذى شرطته ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فعند ذلك امرت الملكة نور الهدى ان لا تبقى بنت فى المدينة حتى تطلع القصر وتمر أمامه ثم ان الملكة امرت العجوز شواهى ان تنزل بنفسها الى المدينة وتحضر كل بنت كانت فى المدينة الى الملكة فى قصرها وصارت الملكة تدخل البنات على حسن مائة بعد مائة حتى لم يبق فى المدينة بنت الا وقد عرضتها على حسن فلم ير زوجته فيهن فسألته الملكة وقالت له هل رأيتها فى هؤلاء فقال لها وحياتك ياملكة ماهى فيهن فاشتد غضب الملكة عليه وقالت للعجوز ادخلى وأخرجى كل من كان فى القصر واعرضيه عليه فلما عرضت عليه كل من فى القصر لم ير زوجته فيهن وقال للملكة وحياة رأسك ياملكة ماهى فيهن فغضبت وصرخت على من حولها وقالت خذوه واسحبوه على وجهه فوق الارض واضربوا عنقه لئلا يخاطر بنفسه أحد بعده ويطلع على حالنا ويجوز علينا فى بلادنا ويطأ أرضنا وجزائرنا فسحبوه على وجهه وطرحوا اذياله فوقه وغموا عينيه ووقفوا بالسيوف على رأسه ينتظرون الاذن فعند ذلك تقدمت شواهى الى الملكة وقبلت الارض بين يديها وأمسكت ذيلها ورفعته فوق رأسها وقالت لها ياملكة بحق التربية لاتعجلى عليه خصوصا وأنت تعرفين ان هذا المسكين غريب قد خاطر بنفسه وقاسى امورا ما قاساها أحد قبله ونجاه الله عز وجل من الموت لطول عمره وقد سمع بعدلك فدخل بلادك وحماك فان قتلته

تنتشر الاخبار عنك مع المسافرين بانك تبغضين الاعراب وتقتلينهم وهو على كل
حال تحت قهرك ومقتول سيفك ان لم تظهر زوجته فى بلادك واى وقت تشتهين
حضوره فانا قادرة على رده اليك وايضا فانا ما أجرته الا طمعا فى كرمك بسبب مالى
عليك من التربية حتى ضمنت له انك توصلينه الى بغيته لعلمى بعدلك وشفقتك ولولا
انى اعلم منك هذا ما كنت ادخلته بلادك وقلت فى نفسى ان الملكة تتفرج عليه وعلى
ما يقوله من الاشعار والكلام المليح الفصيح الذى يشبه الدر المنظوم وهذا قد دخل
بلادنا وأكل زادنا فوجب اكرامه علينا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى لما أمرت غلمانها بأخذ حسن
وضرب عنقه صارت العجوز تستعطف بخاطرها وتقول لها انه دخل بلادنا واكل
زادنا فوجب اكرامه علينا خصوصا وقد وعدته بالاجتماع بك وأنت تعرفين أن
الفراق صعب وتعرفين أن الفراق قتال خصوصا فراق الاولاد ومابقى علينا من
النساء واحدة الا أنت فأريه وجهك فتبسمت الملكة وقالت من أين له أن يكون زوجى
وخلف منى اولادا حتى اريه وجهى ثم أمرت بحضوره فادخلوه عليها واوقفوه بين
يديها وكشفت وجهها فلما رآه حسن صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه فلم تزل
العجوز تلاطفه حتى أفاق فلما أفاق من غشيته أنشد هذه الابيات

يا نسيما هب من ارض العراق * فى زوايا ارض من قد قال واق
بلغ الاحباب عنى أننى * مت من طعم الهوى مر المذاق
يا اهيل الحب منوا واعطفوا * ذاب قلبى من تباريح الفراق

فلما فرغ من شعره قام ونظر الملكة وصاح صيحة عظيمة كاد منها القصر أن يسقط على
من فيه ثم وقع مغشيا عليه فمازالت العجوز تلاطفه حتى أفاق وسألته عن حاله فقال
ان هذه الملكة اما زوجتى واما اشبه الناس بزوجتى وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان العجوز لما سالته عن حاله قال لها ان هذه الملكة
اما زوجتى واما اشبه الناس بزوجتى فقالت الملكة للعجوز ويلك يادادية ان هذا
الغريب

الغريب مجنون او مختبل لانه ينظر فى وجهى ويضحك على فقالت لها العجوز يا ملكة
ان هذا معذور فلا تؤاخذيه فانه يقال فى المثل مريض الهوى ماله دواء وهو
والمجنون سواء ثم ان حسنا بكى بكاء شديدا وأنشد هذين البيتين

أرى آثارهم فأذوب شوقا * وأسكب فى مواطنهم دموعى
وأسأل من بفرقتهم بلانى * يمن على منهم بالرجوع

ثم ان حسنا قال للملكة والله ما أنت زوجتى ولكنك أشبه الناس بها فضحكت الملكة
نور الهدى حتى استلقت على قفاها ومالت على جنبها ثم قالت يا حبيبى تمهل على
روحك وميزنى وجاوبنى عن الذى أسألك عنه ودع عنك الجنون والحيرة والذهول
فانه قد قرب لك الفرج فقال حسن يا سيدة الملوك وملجأ كل غنى انى حين نظرتك
جننت لانك اما زوجتى واما أشبه الناس بزوجتى فاسألينى الآن عما تريدين فقالت
أى شئ فى زوجتك يشبهنى فقال يا سيدتى جميع ما فيك من الحسن والجمال والظرف
والدلال كاعتدال قوامك وعذوبة كلامك وحمرة خدودك وبروز نهودك وغير ذلك
مما يشبهها ثم ان الملكة التفتت الى شواهى أم الدواهى وقالت لها يا أمى أرجعيه الى
موضعه الذى كان فيه عندك واخدميه أنت بنفسك حتى أتفحص عن أمره فان
كان هذا الرجل صاحب مروءة بحيث يحفظ الصحبة والود وجب علينا مساعدته
على قضاء حاجته خصوصا وقد نزل أرضنا وأكل طعامنا مع ما تحمله من مشقات
الاسفار ومكابدة اهوال الاخطار ولكن اذا وصلته الى بيتك فأوصى عليه اتباعك
وارجعى الى بسرعة وان شاء الله تعالى لا يكون الا خير فعند ذلك خرجت العجوز
واخذت حسنا ومضت به الى منزلها وأمرت جواريها وخدمها وحشمها بخدمته
وأمرتهم أن يحضروا له جميع ما يحتاج اليه وأن لا يقصروا فى حقه ثم عادت الى
الملكة بسرعة فامرتها أن تحمل سلاحها وتأخذ معها ألف فارس من الشجعان
فامتثلت العجوز شواهى امرها ولبست دروعها وأحضرت الالف فارس ولما
وقفت بين يديها واخبرتها باحضار الالف فارس أمرتها ان تسير الى مدينة الملك
الاكبر أبيها وتنزل عند بنته منار السنا اختها وتقول لها ألبسى ولديك الدرعين
اللذين عملتهما لهما وارسليهما الى خالتهما فانها مشتاقة اليهما وقالت لها اوصيك
يا امى بكتمان أمر حسن فاذا اخذتيهما منها فقولى لها ان اختك تستدعيك الى زيارتها
فاذا اعطتك ولديها وخرجت بهما قاصدة الزيارة فاحضرى بهما سريعا وخليها
تحضر على مهلها وتعالى من طريق غير الطريق التى تجىء منها ويكون سفرك ليلا
ونهارا واحذرى أن يطلع على هذا الامر احد أبدا ثم انى أحلف بجميع الاقسام

ان طلعت اختى زوجته وظهران ولديها اولاده لا امنعه من اخذها ولا من سفرها معه باولادها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملكة قالت انى احلف بالله واقسم بجميع الاقسام انها ان طلعت زوجته لا أمنعه من اخذها بل اساعده على اخذها وعلى سفرها معه الى بلاده فوثقت العجوز بكلامها ولم تعلم بما اضمرته فى نفسها وقد اضمرت العاهرة فى نفسها انها ان لم تكن زوجته ولا اولادها يشبهونه تقتله ثم ان الملكة قالت للعجوز يا امى ان صدق حذرى تكون زوجته اختى منار السنا والله اعلم فان هذه الصفات صفاتها وجميع الاوصاف التى ذكرها من الجمال البارع والحسن الباهر لا يوجد فى احد غير اخواتى خصوصا الصغيرة ثم ان العجوز قبلت يدها ورجعت الى حسن واعلمته بما قالته الملكة فطار عقله من الفرح وقام الى العجوز وقبل رأسها فقالت له يا ولدى لا تقبل رأسى وقبلنى فى فمى واجعل هذه القبلة حلاوة السلامة وطب نفسا وقر عينا ولا يكن صدرك الا منشرحا ولا تستكره تقبيلى فى فمى فانى انا السبب فى اجتماعك بها فطيب قلبك وخاطرك ولا تكن الا منشرح الصدر قرير العين مطمئن النفس ثم ودعته وانصرفت فأنشد حسن هذين البيتين

لى فى محبتكم شهود أربع * وشهود كل قضية اثنان
خفقان قلبى واضطراب جوارحى * ونحول جسمى وانعقاد لسانى

ثم انشد ايضا هذين البيتين

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى يوذنا بذهاب
لم يقضيا المعشار من حقيهما * شرخ الشباب وفرقة الاحباب

ثم ان العجوز حملت سلاحها واخذت معها ألف فارس حاملين السلاح وتوجهت الى تلك الجزيرة التى فيها اخت الملكة وسارت الى أن وصلت الى أخت الملكة وكان بين مدينة نور الهدى وبين مدينة اختها ثلاثة ايام فلما وصلت شواهى الى المدينة وطلعت الى اخت الملكة منار السنا سلمت عليها وبلغتها السلام من اختها نور الهدى وأخبرتها باشتياقها اليها والى اولادها وعرفتها ان الملكة نور الهدى تعتب عليها بسبب عدم زيارتها اياها فقالت لها الملكة منار السنا ان الحق على لاختى وانا مقصرة بعدم زيارتى لها ولكن ازورها الآن ثم امرت بتبريز خيامها الى خارج المدينة واخذت لاختها معها ما يصلح لها من الهدية والتحف ثم ان الملك أباها نظر

من

من طيقان القصر فرأى الخيام منصوبة فسأل عن ذلك فقالوا له ان الملكة منار السنا نصبت خيامها بتلك الطريق لانها تريد زيارة أختها نور الهدى فلما سمع الملك بذلك جهز لها عسكرا يوصلها الى أختها وأخرج من خزائنه من الاموال ومن المأكل والمشرب ومن التحف والجواهر ما يعجز عنه الوصف وكانت بنات الملك السبعة أشقاء من أب واحد وأم واحدة الا الصغيرة وكان اسم الكبيرة نور الهدى والثانية نجم الصباح والثالثة شمس الضحى والرابعة شجرة الدر والخامسة قوت القلوب والسادسة شرف البنات والسابعة منار السنا وهى الصغيرة فيهن وهى زوجة حسن وكانت أختهن من أبيهن فقط ثم ان العجوز قدمت وقبلت الارض بين يدى منار السنا فقالت لها منار السنا هل لك حاجة يا أمى فقالت لها ان الملكة نور الهدى أختك تأمرك أن تغيرى على ولديك وتلبسيهما الدرعين اللذين فصلتيهما لهما وأن ترسليهما معى اليها فآخذهما واسبق بهما وأكون المبشرة بقدومك عليها فلما سمعت منار السنا كلام العجوز أطرقت رأسها الى الارض وقد تغير لونها ولم تزل مطرقة زمانا طويلا ثم حركت رأسها ورفعتها الى العجوز وقالت لها يا أمى قد ارتجف فؤادى وخفق قلبى عندما ذكرت أولادى فانهم من حين ولادتهم لم ينظر أحد وجوههم من الجن والبشر لا أنثى ولا ذكر وأنا أغار عليهم من النسيم اذا سرى فقالت العجوز أى شئ هذا الكلام يا سيدتى أتخافين عليهم من أختك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان العجوز لما قالت للسيدة منار السنا أى شئ هذا الكلام يا سيدتى أتخافين عليهم من اختك سلامة عقلك وان خالفت الملكة فى هذا الامر لا يمكنك مخالفة فانها تعتب عليك ولكن يا سيدتى أولادك صغار وأنت معذورة فى الخوف عليهم والمحبة مولع بسوء الظن ولكن يا بنتى أنت تعلمين شفقتى ومحبتى لك ولاولادك وقد ربيتكم قبلهم وأنا أتسلمهم وآخذهم وأفرش لهم خدى وأفتح قلبى وأجعلهم فى داخله ولا أحتاج الى الوصية عليهم فى هذا الامر فطيبى نفسا وقرى عينا وارسليهم اليها وأكثر ما أسبقك به يوم واحد أو يومان ولم تزل تلح عليها حتى لان جانبها وخافت من غيظ أختها ولم تدر ما هو مخبوء لها فى الغيب فسمحت بارسالهم مع العجوز ثم انها دعت بهم وأدخلتهم الحمام وهيأتهم وغيرت عليهم وألبستهم الدرعين وسلمتهم للعجوز فسارت بهم مثل الطير على غير الطريق التى تسير

فيما اتهم مثل ما أوصتها الملكة نور الهدى ولم تزل تجد فى السير وهى خائفة عليهم
الى أن وصلت بهم الى مدينة الملكة نور الهدى فعدت بهم البحر ودخلت المدينة
وتوجهت بهم الى الملكة نور الهدى خالتهم فلما رأتهم الملكة فرحت بهم وعانقتهم
وضمتهم الى صدرها وأجلست واحدا على فخذها الايمن والثانى على فخذها الايسر
ثم التفتت الى العجوز وقالت لها أحضرى الآن حسنا فأنا قد أعطيته زمامى
وأجرته من حسامى وقد تحصن بدارى ونزل فى جوارى بعد أن قاسى الاهوال
والشدائد وتعدى أسباب الموت التى همها متزايد مع أنه الى الآن لم يسلم
من شرب كاسه وقطع أنفاسه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى لما أمرت العجوز باحضار حسن
قالت لها انه قاسى الاهوال والشدائد وتعدى اسباب الموت التى همها متزائد
مع انه الى الآن لم يسلم من شرب كاسه وقطع أنفاسه فقالت لها العجوز
اذا احضرته بين يديك هل تجمعين بينه وبينهم وان لم يظهر انهم أولاده تعفى عنه وترديه
الى بلاده فلما سمعت الملكة كلامها غضبت غضبا شديدا وقالت ويلك يا عجوز النحس
الى متى هذه المخادعة فى شأن هذا الرجل الغريب الذى تجاسر علينا وكشف
سترنا واطلع على أحوالنا هل يظن انه يجىء أرضنا وينظر وجوهنا ويوسخ أعراضنا
ويرجع الى بلاده سالما فيفضح أحوالنا فى بلاده وبين أهله وتبلغ أخبارنا سائر
الملوك فى أقطار الارض وتسافر التجار أخبارنا فى جميع الجهات ويقولون انسى
دخل جزائر واق وعدى بلاد السحرة والكهنة وتخطى أرض الجان وأرض
الوحوش والطيور ورجع سالما فهذا لا يكون أبدا وأنا أقسم بخالق السماء
وبانيها وساطح الارض وداحيها وخالق الخلق ومحصيها ان لم يكونوا أولاده لاقتلنه
وأنا الذى اضرب عنقه بيدى ثم انها صرخت على العجوز فوقعت من الخوف
واغرت عليها الحاجب وعشرين مملوكا وقالت لهم امضوا مع هذه العجوز واتونى
بالصبى الذى عندها فى بيتها بسرعة فخرجت العجوز مع الحاجب والمماليك
وقد اصفر لونها وارتعدت فرائصها ثم سارت الى منزلها ودخلت على حسن فلما
دخلت عليه قام اليها وقبل يديها وسلم عليها فلم تسلم عليه وقالت له قم كلم الملكة أما قلت
لك ارجع الى بلادك ونهيتك عن هذا كله فما سمعت قولى وقلت لك أعطيك شيئا

لا يقدر عليه أحد وارجع الى بلادك من قريب فما أطعتني ولا سمعت مني بل خالفتني واخترت الهلاك لى ولك فدونك وما اخترت فان الموت قريب قم كلم هذه الفاجرة العاهرة الظالمة الغاشمة فقام حسن وهو مكسور الخاطر حزين القلب خائف ويقول يا سلام سلم اللهم الطف بي فيما قدرته على من بلائك واسترنى يا ارحم الراحمين وقد يئس من الحياة وتوجه مع العشرين مملوكا والحاجب والعجوز فدخلوا على الملكة بحسن فوجد ولديه ناصرا ومنصورا جالسين فى حجرها وهى تلاعبهما وتؤانسهما فلما وقع نظره عليهما عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع على الارض مغشيا عليه من شدة الفرح بولديه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن حسنا لما وقع نظره على ولديه عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع على الارض مغشيا عليه فلما أفاق عرف ولديه وعرفاه فحركتهما المحبة الغريزية فتخلصا من حجر الملكة ووقفا عند حسن وانطقهما الله عز وجل بقولهما يا ابانا فبكت العجوز والحاضرون رحمة لهما وشفقة عليهما وقالوا الحمد لله الذى جمع شملكما بأبيكما فلما أفاق حسن من غشيته عانق اولاده ثم بكى حتى غشى عليه فلما افاق من غشيته أنشد هذه الابيات

وحقكم ان قلبى لم يطق جلدا * على الفراق ولو كان الوصال ردى
يقول لى طيفكم ان اللقاء غدا * وهل اعيش على رغم العداة غدا
وحقكم سادتى من يوم فرقتكم * مالذ لى طيب عيش بعدكم أبدا
وان قضى الله نحبي فى محبتكم * أموت فى حبكم من أعظم الشهدا
وظبية فى زوايا القلب مرتعها * وشخصها كالكرى عن مقلتى شردا
ان أنكرت فى مجال الشرع سفك دمى * فانه فوق خديها لقد شهدا

فلما تحققت الملكة أن الصغار اولاد حسن وان اختها السيدة منار السنا زوجته التى جاء فى طلبها غضبت عليها غضبا شديدا ما عليه من مزيد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى لما تحققت ان الصغار اولاد

حسن وان اختها منار السنا زوجته التي جاء في طلبها غضبت عليها غضبا شديدا ماعليه من مزيد وصرخت في وجه حسن فغشي عليه فلما افاق من غشيته انشد هذه الابيات

بعدتم وأنتم أقرب الناس في الحشى * وغبتم وأنتم في الفؤاد حضور
فوالله ما مال الفؤاد لغيركم * واني على جور الزمان صبور
تمر الليالي في هواكم وتنقضي * وفي القلب مني زفرة وسعير
وكنت فتى لا ارتضي البعد ساعة * فكيف وقد مرت علي شهور
أغار اذا هبت عليك نسيمة * واني على الغيد الملاح غيور

فلما فرغ حسن من شعره خر مغشيا عليه فلما أفاق رآهم قد اخرجوه مسحوبا على وجهه فقام يمشي ويتعثر في اذياله وهو لم يصدق بالنجاة مما قاساه منها فعز ذلك على العجوز شواهي ولم تقدر أن تخاطب الملكة في شأنه من قوة غضبها فلما خرج حسن من القصر صار متحيرا لا يعرف أين يروح ولا أين يجيء ولا أين يذهب وضاقت عليه الارض بما رحبت ولم يجد من يحدثه ويؤانسه ولا من يسليه ولا من يستشيره ولا من يقصده ويلجأ اليه فايقن بالهلاك لانه لا يقدر على السفر ولا يعرف من يسافر معه ولا يعرف الطريق ولم يقدر أن يجوز على وادي الجان وارض الوحوش وجزائر الطيور فيئس من الحياة ثم بكى على نفسه حتى غشي عليه فلما أفاق تفكر اولاده وزوجته وقدومها على اختها وتفكر فيما يجري لها مع الملكة اختها ثم ندم على حضوره في هذه الديار وعلى كونه لم يسمع كلام أحد فانشد هذه الابيات

دعوا مقلتي تبكي على فقد من أهوى * فقد عز سلواني وزادت بي البلوى
وكأس صروف البين صرفا شربتها * فمن ذا على فقد الاحبة قد يقوى
بسطتم بساط العتب بيني وبينكم * الا يا بساط العتب عنا متى تطوى
سهرت وغمتم اذ زعمتم بأنني * سلوت هواكم اذ سلوت عن السلوى
ألا ان قلبي مولع بوصالكم * وأنتم أطبائي حفظتم من الادوا
ألم تنظروا ما حل بي من صدودكم * ذللت لمن يسوى ومن لم يكن يسوى
كتمت هواكم والغرام يذيعه * وقلبي بنيران الهوى أبدا يكوى
فرقوا لحالي وارحموني لانني * أقمت على الميثاق في السر والنجوى
فيا هل ترى الايام تجمعني بكم * فأنتم مني قلبي وروحي لكم تهوى
فؤادي جريح بالفراق فليتكم * تفيدوننا عن حيكم خبرا يروى

ثم انه لما فرغ من شعره لم يزل ذاهبا الى أن خرج الى ظاهر المدينة فوجد النهر فسار

على

على جانبه وهو لا يعلم أين يتوجه هذا ما كان من أمر حسن وأمّا ما كان من زوجته
منار السنا فانها ارادت الرحيل فى اليوم الثانى بعد اليوم الذى رحلت فيه العجوز
فبينما هى عازمة على الرحيل اذ دخل عليها حاجب الملك أبيها وقبل الارض بين يديها
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان منار السنا بينما هى عازمة على الرحيل اذ دخل
عليها حاجب الملك أبيها وقبل الارض بين يديها وقال لها يا ملكة ان اباك الملك الاكبر
يسلم عليك ويدعوك اليه فنهضت متوجهة مع الحاجب الى أبيها تنظر حاجته فلما
رآها أبوها اجلسها الى جانبه فوق السرير وقال لها يا بنتى اعلمى انى رأيت فى هذه
الليلة رؤيا وانا خائف عليك منها وخائف أن يصل لك من سفرك هذا هم طويل فقالت
له لاى شىء يا ابى وأى شىء رأيت فى المنام قال رأيت كانى دخلت كنزا فرأيت
فيه أموالا عظيمة وجواهر ويواقيت كثيرة وكانه لم يعجبنى من ذلك الكنز جميعه
ولا من تلك الجواهر جميعها الا سبع حبات وهى أحسن ما فيه فاخترت من السبع
جواهر واحدة وهى أصغرها وأحسنها واعظمها نورا وكانى أخذتها فى كفى لما
اعجبنى حسنها وخرجت بها من الكنز فلما خرجت من بابه فتحت يدى وانا فرحان
وقلبت الجوهرة واذا بطائر غريب قد أقبل من بلاد بعيدة ليس من طيور بلادنا قد
انقض علىّ من السماء وخطف الجوهرة من يدى ورجع بها الى المكان الذى أتيت
بها منه فلحقنى الهمّ والحزن والضيق وفزعت فزعا عظيما ايقظنى من المنام فانتبهت
وانا حزين متأسف على تلك الجوهرة فلما انتبهت من النوم دعوت بالمعبرين
والمفسرين وقصصت عليهم منامى فقالوا لى ان لك سبع بنات تفقد الصغيرة منهن
وتؤخذ منك قهرا بغير رضاك وأنت يا بنت أصغر بناتى واعزهن عندى واكرمهن
علىّ وها أنت مسافرة الى اختك ولا أعلم ما يجرى عليك منها فلا تروحى وارجعى الى
قصرك فلما سمعت منار السنا كلام أبيها خفق قلبها وخافت على اولادها وأطرقت
برأسها الى الارض ساعة ثم رفعتها الى أبيها وقالت له أيها الملك ان الملكة نور
الهدى قد هيأت لى ضيافة وهى فى انتظار قدومى عليها ساعة بعد ساعة ولها أربع
سنين ما رأتنى وان قعدت عن زيارتها تغضب علىّ ومعظم قعودى عندها شهر زمان
وأحضر عندك ومن هذا الذى يطرق بلادنا ويصل الى جزائر واق ومن يقدر أن
يصل الى الارض البيضا والجبل الاسود ويصل الى جزيرة الكافور وقلعة الطيور

وكيف يقطع وادى الطيور ثم وادى الوحوش ثم وادى الجان ثم يدخل جزائرنا
ولو دخل اليها غريب لغرق فى بحار الهلكات فطب نفسا وقر عينا من شأن سفرى
فانه لاقدرة لاحد على أن يدوس ارضنا ولم تزل تستعطفه حتى أنعم عليها بالاذن
فى المسير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد انها لم تزل تستعطفه حتى أنعم عليها بالاذن فى المسير
ثم انه أمر ألف فارس أن يسافروا معها اليوصلوها الى النهر ثم يقيموا مكانهم حتى تصل
الى مدينة أختها فتدخل قصر أختها وأمرهم أن يقيموا عندها حتى يأخذوها
ويحضروا بها الى أبيها وأوصاها أبوها أن تقعد عند أختها يومين ثم تعود بسرعة
فقالت سمعا وطاعة ثم انها نهضت وخرجت وخرج معها أبوها وودعها وقد أثر كلام
أبيها فى قلبها فخافت على اولادها ولا ينفع التحصن بالحذر من هجوم القدر فجدت
فى السير ثلاثة أيام بلياليها حتى وصلت الى النهر وضربت خيامها على ساحله ثم عدت
النهر ومعها بعض غلمانها وحاشيتها ووزرائها ولما وصلت الى مدينة الملكة نور
الهدى طلعت القصر ودخلت عليها فرأت اولادها يبكون عندها ويصيحون يابابانا
فجرت الدموع من عيونها وبكت ثم ضمت اولادها الى صدرها وقالت لهم هل رأيتم
أباكم فلا كانت الساعة التى فارقته فيها ولو عرفت أنه فى دار الدنيا لكنت وصلتكم
اليه ثم ناحت على نفسها وعلى زوجها وعلى بكاء اولادها وأنشدت هذه الابيات

أأحبابنا انى على البعد والجفا * أحن اليكم حيث كنتم واعطف
وطرفى الى أوطانكم متلفت * وقلبى على أيامكم متلهف
وكم من ليلة بتنا على غير ريبة * محبين يهنينا الوفا والتلطف

فلما رأتها اختها قد ضمت اولادها وقالت انا التى فعلت بنفسى وباولادى هكذا
واخربت بيتى فلم تسلم عليها اختها نور الهدى بل قالت لها يا عاهرة من أين لك هذه
الاولاد هل تزوجت بغير علم أبيك أوزنيت فان كنت زنيت وجب تنكيلك وان كنت
تزوجت من غير علمنا فلاى شئ فارقت زوجك واخذت اولادك وفرقت بينهم
وبين أبيهم وجئت بلادنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى قالت لاختها منار السنا وان كنت

تزوجت

تزوجت من غير علمنا فلاى شئ فارقت زوجك واخذت اولادك وفرقت بينهم وبين أبيهم وجئت بلادنا وقد اخفيت اولادك عنا اتظنين اننا لاندرى بذلك والله تعالى علام الغيوب قد أظهر لنا أمرك وكشف حالك وبين عوراتك ثم بعد ذلك أمرت اعوانها أن يمسكوها فقبضوا عليها فكتفتها وقيدتها بالقيود الحديد وضربتها ضربا وجيعا حتى شرحت جسدها وصلبتها من شعرها ووضعتها فى سجن وكتبت كتابا الى الملك الاكبر أبيها تخبره بخبرها وتقول له انه قد ظهر فى بلادنا رجل من الانس واختى منار السنا تدعى انها تزوجته فى الحلال وجاءت منه بولدين وقد اخفتهما عنا وعنك ولم تظهر على نفسها شيأ الى أن اتانا ذلك الرجل الذى من الانس وهو يسمى حسنا وأخبرنا أنه تزوج بها وقعدت عنده مدة طويلة من الزمان ثم اخذت أولادها وراحت من غير علمه واخبرت والدته عند رواحها وقالت لها قولى لولدك اذا حصل له اشتياق ان يجيئنى الى جزائر واق فقبضنا على الرجل عندنا وارسلت اليها العجوز شواهى تحضرها عندى هى واولادها فجهزت نفسها وحضرت وقد كنت أمرت العجوز أن تحضر لى اولادها أولا فتسبق بهم الىّ قبل حضورها فجاءت العجوز بالاولاد قبل حضورها فارسلت الى الرجل الذى ادعى انها زوجته فلما دخل علىّ ورأى الاولاد عرفهم فتحققت أن الاولاد اولاده وأنها زوجته وعلمت ان كلام الرجل صحيح ولم يكن عنده عيب ورأيت ان القبح والعيب عند أختى نخفت من هتك عرضنا عند أهل جزائرنا فلما دخلت علىّ هذه الفاجرة الخائنة غضبت عليها وضربتها ضربا وجيعا وصلبتها من شعرها وقد اعلمتك بخبرها والامر أمرك فالذى تأمرنا به نفعله وأنت تعلم ان هذا الامر فيه هتيكة لنا وعيب فى حقنا وحقك وربما تسمع أهل الجزائر بذلك فنصير بينهم مثلة فينبغى ان ترد لنا جوابا سريعا ثم اعطت المكتوب للرسول وسار به الى الملك فلما قرأه الملك الاكبر اغتاظ غيظا شديدا على ابنته منار السنا وكتب الى ابنته نور الهدى مكتوبا يقول لها فيه انا قد فوضت امرها اليك وحكمتك فى دمها فان كان الامر كما ذكرت فاقتلها ولا تشاورينى فى أمرها فلما وصل اليها كتاب أبيها وقرأته ارسلت الى منار السنا وأحضرتها بين يديها وهى غريقة فى دمها مكتفة بشعرها مقيدة بقيد ثقيل من حديد وعليها اللباس الشعر ثم أوقفوها بين يدى الملكة فوقفت حقيرة ذليلة فلما رأت نفسها فى هذه المذلة العظيمة والهوان الشديد تفكرت ما كانت فيه من العز وبكت بكاء شديدا وأنشدت هذين البيتين

يارب ان العدا يسعون فى تلفى * ويزعمون بانى لست بالناجى

وقدرجونك فى ابطال ماصنعوا * يارب أنت ملاذ الخائف الراجى

ثم بكت بكاء شديدا حتى وقعت مغشيا عليها فلما افاقت أنشدت هذين البيتين

ألف الحوادث مهجتى وألفتها * بعد التنافر والكريم ألوف

ليس الهموم على صنفا واحدا * عندى بحمد الله منه ألوف

ثم أنشدت أيضا هذين البيتين

ولرب نازلة يضيق لها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكنت اظنها لا تفرج

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى لما أمرت باحضار أختها الملكة منار السنا أوقفوها بين يديها وهى مكتفة فأنشدت الاشعار السابقة ثم ان أختها احضرت لها سلما من خشب ومدتها عليه وأمرت الخدام أن يربطوها على ظهرها فوق السلم ومدت سواعدها وربطتها فى الحبال ثم كشفت رأسها ولفت شعرها على السلم الخشب وقد انتزعت الشفقة عليها من قلبها فلما رأت منار السنا نفسها فى هذه الحالة من الذل والهوان صاحت وبكت فلم يغثها أحد فقالت لها يا أختى كيف قسا قلبك على فما ترحمينى ولا ترحمى هذه الاطفال الصغار فلما سمعت هذا الكلام ازدادت قسوتها وشتمتها وقالت لها يا عاشقة يا عاهرة لا رحم الله من يرحمك كيف أشفق عليك يا خائنة فقالت لها منار السنا وهى مشبوحة احتسبت عليك رب السماء فيما تسميننى به وانا بريئة منه والله ما زنيت وانما تزوجته فى الحلال وربى يعلم هل قولى صحيح أم لا وقلبى قد غضب عليك من شدة قسوة قلبك على فكيف ترميننى بالزنا من غير علم ولكن ربى يخلصنى منك وان كان الذى قذفتنى به من الزنا حقا فسيعاقبنى الله عليه فتفكرت أختها فى نفسها حين سمعت كلامها وقالت لها كيف تخاطبيننى بهذا الكلام ثم قامت لها وضربتها حتى غشى عليها فرشوا على وجهها الماء حتى افاقت وقد تغيرت محاسنها من شدة الضرب ومن قوة الرباط ومن فرط ما حصل لها من الاهانة ثم أنشدت هذين البيتين

واذا جنيت جناية * وأتيت شيأ منكرا

انا تائب عما مضى * وأتيتكم مستغفر

فلما سمعت شعرها نور الهدى غضبت غضبا شديدا وقالت لها اتتكلمين يا عاهرة قدامى

بالشعر

بالشعر وتستعذرين من الذى فعلته من الكبائر وكان مرادى أن ترجعى لزوجك حتى
اشاهد فجورك وقوة عينك لانك تفتخرين بالذى وقع منك من الفجور والفحش
والكبائر ثم انها أمرت الغلمان أن يحضروا لها الجريد فاحضروه فقامت وشمرت
عن ساعديها ونزلت عليها بالضرب من رأسها الى قدميها ثم دعت بسوط مضفور
لو ضرب به الفيل لهرول مسرعا فنزلت بذلك السوط على ظهرها وبطنها وجميع
اعضائها حتى غشى عليها فلما رأت العجوز شواهى ذلك من الملكة خرجت هاربة
من بين يديها وهى تبكى وتدعو عليها فصاحت على الخدم وقالت لهم ائتونى بها
فتجاروا عليها ومسكوها واحضروها بين يديها فأمرت برميها على الارض وقالت
للجوارى اسحبوها على وجهها وأخرجوها فسحبوها واخرجوها من بين يديها هذا
ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من أمر حسن فانه قام متجلدا ومشى فى شاطئ
النهر واستقبل البرية وهو حيران مهموم وقد يئس من الحياة وصار مدهوشا
لا يعرف الليل من النهار لشدة ما اصابه ومازال يمشى الى أن قرب من شجرة فوجد
عليها ورقة معلقة فتناولها حسن بيده ونظرها فاذا مكتوب فيها هذه الابيات

دبرت امرك عندما * كنت الجنين ببطن امك
وعليك قد حننتها * حتى لقد جادت بضمك
انا الكافوك الذى * يأتى بهمك أو بغمك
فاضرع الينا ناهضا * نأخذ بكفك فى مهمك

فلما فرغ من قراءة الورقة ايقن بالنجاة من الشدة وظفره بجمع الشمل ثم مشى خطوتين
فوجد نفسه وحيدا فى موضع قفر ذى خطر لا يجد فيه أحدا يستأنس به فطار قلبه
من الوحدة والخوف وارتعدت فرائصه من هذا المكان المخوف وأنشد
هذه الابيات

نسيم الصبا ان جزت ارض احبتى * فبلغهم عنى جزيل سلامى
وقل لهم انى رهين صبابة * وان غرامى فوق كل غرام
عسى عطفة منهم يهب نسيمها * فيحيوا بها اصبار ميم عظام

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنا لما قرأ الورقة أيقن بالنجاة من الشدة
وتحقق الظفر بجمع الشمل ثم قام ومشى خطوتين فوجد نفسه وحيدا فى موضع

ذى خطر ولم يكن عنده أحد يؤانسه فبكى بكاء شديدا وأنشد الاشعار التى ذكرناها
ثم مشى على جانب النهر خطوتين فوجد ولدين صغيرين من اولاد السحرة والكهان
وبين أيديهما قضيب من النحاس منقوش بالطلاسم وبجانب القضيب طاقية من
الادم بثلاثة تروك منقوش عليها بالبولاد أسماء وخواتم والقضيب والطاقية
مرميان على الارض والولدان يختصمان ويتضاربان عليهما حتى سال الدم بينهما
وهذا يقول ما يأخذ القضيب الا أنا والاخر يقول ما يأخذ القضيب الا أنا
فدخل حسن بينهما وخلصهما من بعضهما وقال لهما ما سبب هذه المخاصمة فقالا له
يا عم احكم بيننا فان الله تعالى ساقك الينا لتقضى بيننا بالحق فقال قصا على
حكايتكما وأنا احكم بينكما فقالا له نحن الاثنان اخوان شقيقان وكان أبونا من
السحرة الكبار وكان مقيما فى مغارة فى هذا الجبل ثم مات وخلف لنا هذه الطاقية
وهذا القضيب وأخى يقول ما يأخذ القضيب الا أنا وأنا اقول ما يأخذه الا أنا
فاحكم بيننا وخلصنا من بعضنا فلما سمع حسن كلامهما قال لهما ما الفرق بين
القضيب والطاقية وما مقدارهما فان القضيب بحسب الظاهر يساوى ستة جدد
والطاقية تساوى ثلاثة جدد فقالا له أنت ما تعرف فضلهما فقال لهما أى شئ
فضلهما فقالا له فى كل منهما سر عجيب وهو أن القضيب يساوى خراج جزائر
واق باقطارها والطاقية كذلك فقال له حسن يا ولدى بالله اكشف لى عن سرهما
فقال له يا عم ان سرهما عظيم لان أبانا عاش مائة وخمسة وثلاثين سنة يعالج
تدبيرهما حتى أحكمهما غاية الاحكام وركب فيهما السر المكنون واستخدمهما
الاستخدامات الغريبة ونقشهما على مثل الفلك الدائر وحل بهما جميع الطلسمات
وعندما فرغ من تدبيرهما ادركه الموت الذى لا بد لكل أحد منه فأما الطاقية فان
سرها أن كل من وضعها على رأسه اختفى عن أعين الناس جميعا فلا ينظره أحد
ما دامت على رأسه وأما القضيب فان سره ان كل من ملكه يحكم على سبع طوائف
من الجن والجميع يخدمون ذلك القضيب فكلهم تحت أمره وحكمه وكل من ملكه
وصار فى يده اذا ضرب به الارض خضعت له ملوكها وتكون جميع الجن فى خدمته
فلما سمع حسن هذا الكلام اطرق برأسه الى الارض ساعة ثم قال فى نفسه والله
انى لمنصور بهذا القضيب وبهذه الطاقية ان شاء الله تعالى فانا احق بهما منهما ففى
هذه الساعة أتحيل على اخذهما منهما لاستعين بهما على خلاصى وخلاص زوجتى
واولادى من هذه الملكة الظالمة ونسافر من هذا المكان المظلم الذى ما لاحد
من الانس خلاص منه ولا مفر ولعل الله ما ساقنى لهذين الغلامين الا لاستخلص

منهما

منهما القضيب والطاقية ثم رفع رأسه الى الغلامين وقال لهما ان شئتما فصل
القضية فانا امتحنكما فمن غلب رفيقه يأخذ القضيب ومن عجز يأخذ الطاقية فان
امتحنتكما وميزت بينكما عرفت ما يستحقه كل منكما فقالا له يا عم وكلناك
فى امتحاننا والحكم بيننا بما تختار فقال لهما حسن هل تسمعان منى وترجعان الى
قولى فقالا له نعم فقال لهما حسن انا آخذ حجرا وارميه فمن سبق منكم اليه واخذه
قبل رفيقه يأخذ القضيب ومن تأخر ولم يلحقه يأخذ الطاقية فقالا قبلنا منك هذا
الكلام ورضينا به ثم ان حسنا اخذ حجرا ورماه بعزمه فغاب عن العيون فتسارع
الغلامان تحته فلما بعدا أخذ حسن الطاقية ولبسها واخذ القضيب فى يده وانتقل
من موضعه لينظر صحة قولهما فى شأن سر أبيهما فسبق الولد الصغير الى الحجر واخذه
ورجع به الى المكان الذى فيه حسن فلم يرله اثرا فصاح على أخيه وقال له أين الرجل
الحاكم بيننا فقال لا اراه ولم اعرف هل طلع الى السماء العليا أو نزل الى الارض
السفلى ثم انهما فتشا عليه فلم ينظراه وحسن واقف فى مكانه فشتما بعضهما وقالا قد
راح القضيب والطاقية لا لى ولا لك وكان أبونا قال لنا هذا الكلام بعينه ولكنا نسينا
ما اخبرنا به ثم انهما رجعا على اعقابهما ودخل حسن المدينة وهو لابس الطاقية
وفى يده القضيب ولم يره أحد من الناس ثم دخل القصر وطلع الى الموضع الذى فيه
شواهى ذات الدواهى فدخل عليها وهو لابس الطاقية فلم تره ومشى حتى تقرب من
رف كان فوق رأسها وعليه زجاج وصينى فحركه بيده فوقع الذى فوقه على الارض
وصاحت شواهى ذات الدواهى ولطمت على وجهها ثم قامت وارجعت الذى وقع
الى مكانه وقالت فى نفسها والله ما اظن الا أن الملكة نور الهدى أرسلت الى
شيطانا فعمل معى هذه العملة فانا اسأل الله تعالى أن يخلصنى منها ويسلمنى من غضبها
فيا رب اذا كان هذا فعلها القبيح من الضرب والصلب مع اختها وهى عزيزة عند أبيها
فكيف يكون فعلها مع الغريب مثلى اذا غضبت عليه وأدرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان العجوز ذات الدواهى لما قالت اذا كانت الملكة نور
الهدى تفعل هذه الفعال مع أختها فكيف يكون حال الغريب معها اذا غضبت عليه
ثم قالت اقسمت عليك أيها الشيطان بالحنان المنان العظيم الشان القوى السلطان
خالق الانس والجان وبالنقش الذى على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن

تكلمنى وتجيبنى فاجابها حسن وقال لها ما أنا شيطان أنا حسن الولهان الهائم
الحيران ثم قلع الطاقية من فوق رأسه فظهر للعجوز وعرفته فاخذته واختلت به
وقالت له أى شئ حصل لك فى عقلك حتى عبرت الى هنا روح اختف فان هذه الفاجرة
صنعت بزوجتك ماصنعت من العذاب وهى أختها فكيف اذا وقعت بك ثم حكت له
جميع ماوقع لزوجته وماهى فيه من الضيق والعقوبة والعذاب وكذلك حكت له
ماوقع لها من العذاب ثم قالت ان الملكة ندمت حيث اطلقتك وقد ارسلت اليك
من يحضرك لها وتعطيه من الذهب قنطارا وتجعله فى رتبتى عندها وحلفت ان
رجعوك تقتلك وتقتل زوجتك واولادك ثم ان العجوز بكت وأظهرت لحسن مافعلته
الملكة بها فبكى حسن وقال ياسيدتى كيف الخلاص من هذه الديار ومن هذه الملكة
الظالمة وما الحيلة التى توصلنى الى أن اخلص زوجتى واولادى ثم ارجع بهم الى
بلادى فقالت له العجوز ويلك انج بنفسك فقال لا بد لى من خلاصها وخلاص
اولادى منها قهرا عنها فقالت له العجوز وكيف تخلصهم قهرا عنها روح واختف
ياولدى حتى يأذن الله تعالى ثم ان حسنا اراها القضيب النحاس والطاقية فلما
رأتهما العجوز فرحت بهما فرحا شديدا وقالت له سبحان من يحيى العظام وهى رميم
والله ياولدى ما كنت أنت وزوجتك الا من الهالكين والآن ياولدى قد نجوت
أنت وزوجتك واولادك لانى اعرف القضيب واعرف صاحبه فانه كان شيخى
الذى علمنى السحر وكان ساحرا عظيما مكث مائة وخمسة وثلاثين سنة حتى اتقن هذا
القضيب وهذه الطاقية فلما انتهى اتقانهما ادركه الموت الذى لابد منه وسمعته
يقول لولديه ياولدى هذان ماهما من نصيبكما وانما يأتى شخص غريب الديار
يأخذهما منكما قهرا ولا تعرفان كيف يأخذهما فقالا يا ابانا عرفنا كيف يصل الى
اخذهما فقال لا اعرف ذلك فكيف وصلت ياولدى لاخذهما فحكى لها كيف
اخذهما من الولدين فلما حكى لها فرحت بذلك وقالت له ياولدى كما ملكت زوجتك
واولادك اسمع منى ما اقول لك عليه انا مابقى لى عند هذه الفاجرة اقامة بعد ما
تجاسرت على ونكلتنى وانا راحلة عنها الى مغارة السحرة لاقيم عندهم واعيش
معهم الى أن اموت وأنت ياولدى البس الطاقية وخذ القضيب فى يدك وادخل على
زوجتك واولادك فى المكان الذى هم فيه واضرب الارض بالقضيب وقل ياخدام
هذه الاسماء تطلع اليك خدامه فان طلع لك أحد من رؤس القبائل فامره بما تريد
وتختار ثم انه ودعها وخرج ولبس الطاقية واخذ القضيب معه ودخل المكان الذى
فيه زوجته فرآها فى حالة العدم مصلوبة على السلم وشعرها مربوط فيه وهى باكية

العين حزينة القلب فى أسوا حال لا تدرى طريقا لخلاصها وأولادها تحت السلم يلعبون وهى تنظرهم وتبكى عليهم وعلى نفسها بسبب ماجرى لها مما أصابها وهى تقاسى من العذاب والضرب المؤلم أشد النكال فلما رآها فى أسوا الحالات سمعها تنشد هذه الابيات

لم يبق الا نفس هافت * ومقلة انسانها باهت
ومغرم تضرم أحشاؤه * بالنار الا انه ساكت
يرثى له الشامت مما رأى * ياويح من يرثى له الشامت

ثم ان حسنا لما رأى ماهى فيه من العذاب والذل والهوان بكى حتى غشى عليه فلما أفاق ورأى أولاده وهم يلعبون وقد غشى على أمهم من كثرة التألم كشف الطاقية عن رأسه فصاحوا ياأبانا فغطى رأسه واستفاقت أمهم من غشيتها على صياحهم فلم تنظر زوجها وانما نظرت أولادها وهم يبكون ويصيحون ياأبانا فبكت لما سمعتهم يذكرون أباهم ويبكون وانكسر قلبها وتقطعت أحشاؤها ونادت من كبد قد تصدع وقلب موجع أين أنتم وأين أبوكم ثم تذكرت أوقات اجتماع شملها وتذكرت ماجرى عليها بعد فراقه فبكت بكاء شديدا حتى جرحت دموعها خديها وبلت الارض وصارت خدودها غريقة فى دموعها من كثرة البكاء وليس لها يد مطلوقة حتى تمسح دموعها بها عن خدودها وشبع الذباب من جلدها ولم تجد لها مساعدا غير البكاء والتسلى بانشاد الاشعار فأنشدت هذه الابيات

وذكرت يوم البين بعد موادعى * فجرت دموعى أنهرا فى مرجعى
وحدا بهم حادى الركاب فلم أجد * صبرا ولا جلدا ولا قلبى معى
ورجعت لا أدرى الطريق ولم أفق * من لوعتى وتولهى وتوجعى
وأضر مابى فى رجوعى شامت * قد جاءنى فى صورة المتخشع
يانفس اذ بعد الحبيب ففارقى * طيب الحياة وفى البقا لا تطمعى
ياصاحبى أنصت لاخبار الهوى * حاشى لقلبك أن أقول ولا يعى
اروى الغرام مسلسلا بعجائب * وغرائب حتى كأنى الاصمعى

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنا لما دخل على زوجته رأى أولادها وسمعها تنشد الابيات التى ذكرناها وقد التفتت يمينا وشمالا لترى سبب صياح أولادها

وندائهم لابيهم فلم تر أحدا ولما لم تر أحدا تعجبت من ذكر أولادها لابيهم فى هذا الوقت هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر حسن فانه لما سمع شعرها بكى حتى غشى عليه وجرت دموعه على خده مثل المطر ودنا من الاولاد وكشف الطاقية فلما رأوه عرفوه وصاحوا بقولهم يا أبانا فبكت أمهم حين سمعتهم يذكرون أباهم وقالت لا حيلة فى قدر الله وقالت فى نفسها يا للعجب ما سبب ذكرهم لابيهم فى هذا الوقت وندائهم له ثم بكت وأنشدت هذه الابيات

خلت الديار من السراج الطالع * يا مقلتى جودى بفيض الادمع
رحلوا فكيف تصبرى من بعدهم * أقسمت ما قلبى ولا صبرى معى
يا راحلون وفى الفؤاد محلهم * هل بعد ذا يا سادتى من مرجع
ماضر لو رجعوا وفزت بانسهم * ورثوا الفيض مدامعى وتوجعى
أجروا سحائب مقلتى يوم النوى * عجبا ولم يطفأ تضرم أضلعى
وطمعت أن يبقوا فعاندنى البقا * فيهم وخيب بالتفرق مطمعى
بالله يا أحبابنا عودوا النا * فلقد كفى ما قد جرى من أدمعى

فلم يطق حسن الصبر دون أن كشف الطاقية عن رأسه فنظرته زوجته فلما عرفته زعقت زعقة أزعجت جميع من فى القصر ثم قالت له كيف وصلت الى ههنا أهل من السماء نزلت أو من الارض طلعت ثم تغرغرت عيونها بالدموع فبكى حسن فقالت له يا رجل ما هذا وقت بكاء ولا وقت عتاب قد نفذ القضاء وعمى البصر وجرى القلم بما حكم الله فى القدم فبالله عليك من أى مكان جئت روح واختف لئلا ينظرك أحد فيعلم أختى بذلك فتذبحنى وتذبحك فقال لها حسن يا سيدتى وسيدة كل ملكة أنا خاطرت بروحى وجئت الى هنا فاما أن أموت واما أن أخلصك من الذى أنت فيه وأسافر أنا وأنت وأولادى الى بلادى على رغم أنف هذه الفاجرة أختك فلما سمعت كلامه تبسمت وضحكت وصارت تحرك رأسها زمانا طويلا وقالت له هيهات يا روحى هيهات أن يخلصنى أحد مما أنا فيه الا الله تعالى ففز بنفسك وارحل ولا ترم روحك فى الهلاك فان لها عسكرا جرارا ما يقدر أحد ان يقابله وهب انك أخذتنى وخرجت فكيف تصل الى بلادك وتخلص من هذه الجزائر وصعوبة هذه الاماكن وقد رأيت فى الطريق الذى نظرتها من العجائب والغرائب والاهوال والشدائد ما لا يخلص منه أحد من الجن المتمردة فروح من قريب ولا تزدنى هما على همى ولا غما على غمى ولا تدعى انك تخلصنى من هذا فمن يوصلنى الى بلادك فى هذه الاودية والارض المعطشة والاماكن المهلكة فقال لها حسن

وحياتك يا نور عيني ما أخرج من هنا ولا أسافر الا بك فقالت له يا رجل كيف تقدر
على هذا الامر أي شيء جنسك فانك لا تعرف الذي تقوله ولو كنت تحكم على
جان وعفاريت وسحرة وأرهاط وأعوان فانه لا يقدر أحد أن يتخلص من هذه
الاماكن فغز أنت بنفسك سالما وخلني لعل الله يحدث بعد الامور أمورا فقال
لها حسن يا سيدة الملاح أنا ما جئت الا لاخلصك بهذا القضيب وبهذه الطاقية
ثم حكى لها حكايته مع الولدين فبينما هو في الحديث واذا بالملكة دخلت عليهما
فسمعت حديثهما فلما رأى الملكة لبس الطاقية فقالت لاختها يا فاجرة من الذي
كنت تتحدثين معه فقالت لها ومن عندي يكلمني غير هذه الاطفال فأخذت
السوط وصارت تضربها به وحسن واقف ينظر ولم تزل تضربها حتى غشي عليها
ثم أمرت بنقلها من ذلك المحل الى محل آخر فحملوها وخرجوا بها الى محل غيره
وخرج حسن معهم الى المكان الذي أوصلوها اليه ثم ألقوها مغشيا عليها ووقفوا
ينظرون اليها فلما أفاقت من غشيتها انشدت هذه الابيات

ولقد ندمت على تفرق شملنا • ندما أفاض الدمع من أجفاني
ونذرت ان عاد الزمان يلمنا • ما عدت أذكر فرقة بلساني
واقول للحساد موتوا حسرة • والله اني قد بلغت أماني
طفح السرور على حتى انه • من فرط ما قد سرني أبكاني
يا عين ما بال البكا لك عادة • تبكين في فرح وفي أحزان

فلما فرغت من شعرها خرج من عندها الجواري فعند ذلك قلع حسن الطاقية
فقالت له زوجته انظر يا رجل ما حل بي هذا كله لكوني عصيتك وخالفت أمرك
وخرجت من غير اذنك فبالله عليك يا رجل لا تؤاخذني بذنبي واعلم ان المرأة ما تعرف
قيمة الرجل حتى تفارقه وأنا اذنبت واخطأت ولكن استغفر الله العظيم عما وقع
مني وان جمع الله شملنا لا اعصى لك أمرا بعد ذلك أبدا وأدرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان زوجة حسن اعتذرت اليه وقالت له لا تؤاخذني
بذنبي وأنا استغفر الله العظيم فقال لها حسن وقد أوجعه قلبه عليها انت ما أخطأت
وما اخطأ الا أنا لاني سافرت وخليتك عند من لا يعرف قدرك ولا يعرف لك بقيمة
ولا مقدار واعلمي يا حبيبة قلبي وثمرة فؤادي ونور عيني ان الله سبحانه أقدرني على

تخليصك فهل تحبين أن اوصلك الى دار أبيك وتستوفى عنده ما قدره الله عليك أو تسافرين الى بلاد اعن قريب حيث حصل لك الفرج فقالت له ومن يقدر على تخليصى الارب السماء فرح بلادك وخل عنك الطمع فانك لا تعرف اخطار هذه الديار وان لم تطعنى سوف تنظر ثم انها أنشدت هذه الابيات

على وعندى ما تريد من الرضا * فما لك غضبانا على ومعرضا
وما قد جرى حاشى الذى كان بيننا * من الود ان ينسى قديما وينقضا
وما برح الواشى لنا متجنبا * فلما رأى الاعراض منا تعرضا
فانى بحسن الظن منك لواثق * وان جهل الواشى وقال وحرضا
فنكتم سرا بيننا ونصونه * ولو كان سيف العذل باللوم منتضى
أظل نهارى كله متشوقا * لعل بشيرا منك يقبل بالرضا

ثم بكت هى وأولادها وسمع الجوارى بكاءهم فدخلن عليهم فوجدن الملكة منار السنا تبكى هى وأولادها ولم ينظرن حسنا عندهم فبكى الجوارى رحمة لهم ودعين على الملكة نور الهدى فصبر حسن الى أن أقبل الليل وذهب الحراس الموكلون بها الى مراقدهم ثم بعد ذلك قام وشد وسطه وجاء الى زوجته وحلها وقبل رأسها وضمها الى صدره وقبل ما بين عينيها وقال لها ما أطول شوقنا الى ديارنا واجتماع شملنا هناك فهل اجتماعنا هذا فى المنام أو فى اليقظة ثم انه حمل ولده الكبير وحملت هى الولد الصغير وخرجا من القصر وقد أسبل الله عليهما الستر وسارا فلما وصلا الى خارج القصر وقفا عند الباب الذى يقفل على سراية الملكة فلما صارا هناك رأياه مقفولا فقال حسن لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون ثم انهما يئسا من الخلاص فقال حسن يا مفرج المكروب ودق يدا على يد وقال كل شئ حسبته ونظرت فى عاقبته الا هذا فانه اذا طلع علينا النهار يأخذونا وكيف تكون الحيلة فى هذا الامر ثم ان حسنا انشد هذين البيتين

حسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

ثم بكى حسن وبكت زوجته لبكائه ولما هى فيه من الاهانة وآلام الزمان فالتفت حسن الى زوجته وأنشد هذين البيتين

يعاندنى دهرى كأنى عدوه * وفى كل يوم بالكريهة يلقانى
وان رمت خيرا جاء دهرى بضده * وان يصف لى يوما تكدر فى الثانى

وأنشد أيضا هذين البيتين

تنكر لي دهري ولم يدر أنني * أعز وان النائبات تهون
وبت يريني الخطب كيف اعتداؤه * وبات اريه الصبر كيف يكون

فقالت له زوجته والله ما لنا فرج الا ان نقتل أرواحنا ونستريح من هذا التعب العظيم والانصبح نقاسي العذاب الاليم فبينما هما في الكلام واذا بقائل يقول من خارج الباب والله ما أفتح لك ياسيدتي منار السنا او زوجك حسن الا ان تطاوعاني فيما أقوله لكما فلما سمعا هذا الكلام منه سكتا وأرادا الرجوع الى المكان الذي كانا فيه واذا بقائل يقول ما لكما سكتما ولم تردا علي الجواب فعرفا صاحب القول وهي العجوز شواهي ذات الدواهي فقالا لها مهما تأمرينا به نعمله ولكن افتحي انا الباب فان هذا الوقت ما هو وقت كلام فقالت له والله ما أفتح لكما حتى تحلفا لي انكما تأخذاني معكما ولا تتركاني عند هذه العاهرة ومهما أصابكما أصابني وان سلمتما سلمت وان عطبتما عطبت فان هذه الفاجرة المساحقة تحتقرني وفي كل ساعة تنكاني من أجلكما وأنت يابنتي تعرفين مقداري فلما عرفاها اطمأنا بها وحلفا لها بالايمان التي تثق بها فلما حلفا لها بما تثق فتحت لهما الباب وخرجا فلما خرجا وجداها راكبة على زير رومي من فخار أحمر وفي حلق الزير حبل من ليف وهو يتقلب من تحتها ويجري جريا أقوى من جري المهر النجدي فتقدمت قدامهما وقالت لهما اتبعاني ولا تفزعا من شيء فاني أحفظ أربعين بابا من السحر أقل باب منها أجعل به هذه المدينة بحرا عجاجا متلاطما بالامواج وأسحر كل بنت فيها فتصير سمكة وكل ذلك أعمله قبل الصبح ولكني كنت لا أقدر أن أفعل شيأ من ذلك الشر خوفا من الملك أبيها ورعاية لاخواتها لانهم مستعزون بكثرة الاعوان والارهاط والخدم ولكن سوف أريكما عجائب سحري فسيرا بنا على بركة الله تعالى وعونه فعند ذلك فرح حسن هو وزوجته وأيقنا بالخلاص وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنا وزوجته والعجوز شواهي لما طلعوا من القصر وأيقنوا بالخلاص خرجوا الى ظاهر المدينة فأخذ حسن القضيب بيده وضرب به الارض وقوى جنانه وقال ياخدام هذه الاسماء احضروا الي واطلعوني على اخوانكم واذا بالارض قد انشقت وخرج منها عشرة عفاريت كل عفريت منهم رجلاه في تخوم الارض ورأسه في السحاب فقبلوا الارض بين يدي حسن

ثلاث مرات وقالوا كلهم بلسان واحد لبيك ياسيدنا والحاكم علينا بأى شئ تأمرنا فنحن لامرك سامعون ومطيعون ان شئت نيبس لك البحار وننقل لك الجبال من أماكنها ففرح حسن بكلامهم وبسرعة جوابهم فشجع قلبه وقوى جنانه وعزمه وقال لهم من أنتم وما اسمكم ولمن تنسبون من القبائل ومن أى طائفة أنتم ومن أى قبيلة ومن أى رهط فقبلوا الارض ثانيا وقالوا بلسان واحد نحن سبع ملوك كل ملك منا يحكم على سبع قبائل من الجن والشياطين والمردة فنحن سبع ملوك نحكم على تسعة وأربعين قبيلة من سائر طوائف الجن والشياطين والمردة والارهاط والاعوان الطيارة والغواصة وسكان الجبال والبرارى والقفار وعمار البحار فأمرنا بما تريد فنحن لك خدام وعبيد وكل من ملك هذا القضيب ملك رقابنا جميعا ونصير تحت طاعته فلما سمع حسن كلامهم فرح فرحا عظيما وكذلك زوجته والعجوز فعند ذلك قال حسن للجان أريد منكم أن تطلعونى على رهطكم وجندكم وأعوانكم فقالوا ياسيدنا اذا أطلعناك على رهطنا نخاف عليك وعلى من معك لانهم جنود كثيرة مختلفة الصور والخلق والالوان والوجوه والابدان فمنا رؤس بلا أبدان ومنا أبدان بلا رؤس ومنا من هو على صفة الوحوش ومنا من هو على صفة السباع ولكن ان شئت ذلك فلا بد لنا من أن نعرض عليك أولا من هو على صفة الوحوش ولكن ياسيدى ماتريد منا فى هذا الوقت فقال لهم حسن أريد منكم أن تحملونى أنا وزوجتى وهذه المرأة الصالحة فى هذه الساعة الى مدينة بغداد فلما سمعوا كلامه أطرقوا برؤسهم فقال لهم حسن لم لا تجيبون فقالوا بلسان واحد أيها السيد الحاكم علينا اننا من عهد السيد سليمان بن داود عليهما السلام وكان حلفنا اننا لا نحمل أحدا من بنى آدم على ظهورنا فنحن من ذلك الوقت ما حملنا أحدا من بنى آدم على اكتافنا ولا على ظهورنا ولكن نحن فى هذه الساعة نشد لك من خيول الجن ما يبلغك بلادك أنت ومن معك فقال لهم حسن وكم بيننا وبين بغداد فقالوا له مسافة سبع سنين للفارس المجد فتعجب حسن من ذلك وقال لهم كيف جئت أنا الى هنا فى دون السنة فقالوا له أنت قد حنن الله عليك قلوب عباده الصالحين ولولا ذلك ما كنت تصل الى هذه الديار والبلاد ولا تراها بعينك أبدا لان الشيخ عبد القدوس الذى أركبك الفيل وأركبك الجواد الميمون قطع بك فى الثلاثة أيام ثلاث سنين للفارس المجد فى السير وأما الشيخ أبو الرويش الذى اعطاك الدهنش فانه قد قطع بك فى اليوم والليلة مسافة ثلاث سنين وهذا من بركة الله العظيم لان الشيخ أبا الرويش من ذرية آصف بن برخيا وهو يحفظ اسم الله الاعظم

ومن

ومن بغداد الى قصر البنات سنة فهذه هى السبع سنين فلما سمع حسن كلامهم تعجب تعجبا عظيما وقال سبحان الله مهوّن العسير وجابر الكسير ومقرّب البعيد ومذل كل جبار عنيد الذى هوّن علينا كل أمر وأوصلنى الى هذه الديار وسخر لى هؤلاء العالم وجمع شملى بزوجتى وأولادى فما أدرى هل أنا نائم أو يقظان وهل أنا صاح أو سكران ثم التفت اليهم وقال لهم اذا اركبتمونى خيولكم فى كم يوم تصل بنا بغداد فقالوا تصل بك فيما دون السنة بعد أن تقاسى الامور الصعاب والشدائد والاهوال وتقطع أودية معطشة وقفارا موحشة وبرارى ومهالك كثيرة ولا نأمن عليك ياسيدى من أهل هذه الجزائر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الجان قالوا لحسن لانأمن عليك ياسيدى من أهل هذه الجزائر ولا من شر الملك الاكبر ولا من هذه السحرة والكهنة فربما يقهرونا ويأخذونكم منا ونبتلى بهم وكل من بلغه الخبر بعد ذلك يقول لنا أنتم الظالمون كيف قدمتم على الملك الاكبر وحملتم الانس من بلاده وحملتم أيضا ابنته معكم ولو كنت معنا وحدك لهان علينا الامر ولكن الذى أوصلك الى هذه الجزائر قادر أن يوصلك الى بلادك ويجمع شملك بأمك قريبا غير بعيد فاعزم وتوكل على الله ولا تخف فنحن بين يديك حتى نوصلك الى بلادك فشكرهم حسن على ذلك وقال لهم جزاكم الله خيرا ثم قال لهم عجلوا بالخيل فقالوا سمعا وطاعة ثم دقوا الارض بأرجلهم فانشقت فغابوا فيها ساعة ثم حضروا واذا بهم قد طلعوا ومعهم ثلاثة أفراس مسرجة ملجمة وفى مقدم كل سرج خرج فى احدى عينيه ركوة ملآنة ماء والعين الاخرى ملآنة زادا ثم قدموا الخيل فركب حسن جوادا وأخذ ولدا قدامه وركبت زوجته الجواد الثانى وأخذت ولدا قدامها ثم نزلت العجوز من فوق الزير وركبت الجواد الثالث وساروا ولم يزالوا سائرين طول الليل حتى أصبح الصباح فعرجوا عن الطريق وقصدوا الجبل وألسنتهم لاتفتر عن ذكر الله وساروا النهار كله تحت الجبل فبينما هم سائرون اذ نظر حسن الى جبل قدامه مثل العمود وهو طويل كالدخان المتصاعد الى السماء فقرأ شيأ من القرآن وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم فصار ذلك السواد يظهر كلما تقربوا منه فلما دنوا منه وجدوه عفريتا رأسه كالقبة العظيمة وأنيابه كالكلاليب ومنخراه كالابريق وأذناه

كالادراق وفمه كالمغارة وأسنانه كعواميد الحجارة ويداه كالمداري ورجلاه
كالصواري ورأسه في السحاب وقدمه في تخوم الارض تحت التراب فلما نظر
حسن الى العفريت انحنى وقبل الارض بين يديه فقال له يا حسن لا تخف مني أنا
رئيس عمار هذه الارض وهذه أول جزيرة من جزائر واق وأنا مسلم موحد بالله
وسمعت بكم وعرفت قدومكم ولما اطلعت على حالكم اشتهيت أن أرحل من
بلاد السحرة الى أرض غيرها تكون خالية من السكان بعيدة من الانس والجان
أعيش فيها منفردا وحدي واعبد الله حتى يدركني أجلي فأردت ان أرافقكم
وأكون دليلكم حتى تخرجوا من هذه الجزائر وانا ما اظهر الا بالليل فطيبوا
قلوبكم من جهتي فانني مسلم مثل ما أنتم مسلمون فلما سمع حسن كلام العفريت
فرح فرحا شديدا وأيقن بالنجاة ثم التفت اليه وقال له جزاك الله خيرا فسر معنا على
بركة الله فسار العفريت قدامهم وصاروا يتحدثون و يلعبون وقد طابت
قلوبهم وانشرحت صدورهم وصار حسن يحكي لزوجته جميع ما جرى له
وما قاساه. ولم يزالوا سائرين طول الليل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد انهم لم يزالوا سائرين طول الليل الى الصباح والخيل
تسير بهم كالبرق الخاطف فلما طلع النهار مد كل واحد يده في خرجه وأخرج منه
شيأ وأكله واخرج ماء وشربه ثم جدوا في السير ولم يزالوا سائرين والعفريت أمامهم
وقد عرج بهم عن الطريق الى طريق أخرى غير مسلوكة على شاطئ البحر وما زالوا
يقطعون الاودية والقفار مدة شهر كامل وفي اليوم الحادي والثلاثين طلعت
عليهم غبرة سدت الاقطار وأظلم منها النهار فلما نظرها حسن لحقه الاصفرار وقد
سمعوا ضجات مزعجة فالتفتت العجوز الى حسن وقالت له يا ولدي هذه عساكر جزائر
واق قد لحقونا وفي هذه الساعة يأخذونا قبضا باليد فقال لها حسن ما أصنع
يا أمي فقالت له اضرب الارض بالقضيب ففعل فطلع اليه السبعة ملوك وسلموا عليه
وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له لا تخف ولا تحزن ففرح حسن بكلامهم وقال
أحسنتم يا سادة الجن والعفاريت هذا وقتكم فقالوا له اطلع أنت وزوجتك
وأولادك ومن معك فوق الجبل وخلونا نحن واياهم لاننا نعرف انكم على الحق
وهم على الباطل وينصرنا الله عليهم فنزل حسن هو وزوجته وأولاده والعجوز عن

ظهور

ظهور الخيل وصرفوا الخيل وطلعوا على طرف الجبل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنا صعد هو وزوجته وأولاده والعجوز على طرف الجبل بعد ان صرفوا الخيل ثم بعد ذلك أقبلت الملكة نور الهدى بعساكر ميمنة وميسرة ودارت عليهم النقباء وصفوهم جملة جملة وقد التقى العسكران وتصادم الجمعان التهبت النيران وأقدمت الشجعان وفر الجبان ورمت الجن من أفواهها لهيب الشرر الى ان أقبل الليل المعتكر فافترق الجمعان وانفصل الفريقان ولما نزلوا عن خيولهم واستقروا على الارض أشعلوا النيران وطلع السبعة ملوك الى حسن وقبلوا الارض بين يديه فأقبل عليهم وشكرهم ودعا لهم بالنصر وسألهم عن حالهم مع عسكر الملكة نور الهدى فقالوا له انهم لا يثبتون معنا غير ثلاثة أيام فنحن كنا اليوم ظافرين بهم وقد قبضنا منهم مقدار ألفين وقتلنا منهم خلقا كثيرا لا يحصى عددهم فطب نفسا وانشرح صدرا ثم انهم ودعوه ونزلوا الى عسكرهم يحرسونه وما زالوا يشعلون النيران الى ان طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت الفرسان الخيل القراح وتضاربوا بمرهفات الصفاح وتطاعنوا بسمر الرماح وباتوا على ظهور الخيل وهم يلتطمون التطام البحار واستعر بينهم في الحرب لهيب النار ولم يزالوا في نضال وسباق حتى انهزمت عساكر واق وانكسرت شوكتهم وانحطت همتهم وزلت أقدامهم وأينما هربوا فالهزيمة قدامهم فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وقتل اكثرهم وأسرت الملكة نور الهدى هي وكبار مملكتها وخواصها فلما أصبح الصباح حضر الملوك السبعة بين يدي حسن ونصبوا له سريرا من المرمر مصفحا بالدر والجوهر فجلس فوقه ونصبوا عنده سريرا آخر للسيدة منار السنا زوجته وذلك السرير من العاج المصفح بالذهب الوهاج ونصبوا جنبه سريرا آخر للعجوز شواهي ذات الدواهي ثم انهم قدموا الاسارى بين يدي حسن ومن جملتهم الملكة نور الهدى وهي مكتفة اليدين مقيدة الرجلين فلما رأتها العجوز قالت لها ما جزاؤك يا فاجرة يا ظالمة الا أن يجوع كلبتان ويربطا معك في أذناب الخيل ويساقا الى البحر حتى تمزق جلدك وبعد ذلك يقطع من لحمك وتطعمين منه كيف فعلت بأختك هذه الفعال يا فاجرة مع انها تزوجت في الحلال بسنة الله ورسوله لانه لا رهبانية في الاسلام والزواج من سنن المرسلين عليهم السلام وما خلقت النساء

الا الرجال فعند ذلك أمر حسن بقتل الاسارى جميعهم فصاحت العجوز وقالت اقتلوهم ولا تبقوا منهم أحدا فلما رأت الملكة منار السنا أختها في هذه الحالة وهي مقيدة مأسورة بكت عليها وقالت لها يا أختي ومن هذا الذي أسرنا في بلادنا وغلبنا فقالت لها هذا أمر عظيم ان هذا الرجل الذي اسمه حسن قد ملكنا وحكمه الله فينا وفي سائر ملكنا وتغلب علينا وعلى ملوك الجن فقالت لها أختها انه ما نصره الله عليكم ولا قهركم ولا أسركم الا بهذه الطاقية والقضيب فتحققت أختها ذلك وعرفت انه خلصها بهذا السبب فتضرعت لاختها حتى حن قلبها عليها ثم قالت لزوجها حسن ما تريد أن تفعل باختي فها هي بين يديك وهي ما فعلت مكروها حتى تؤاخذها به فقال لها كفى تعذيبها اياك مكروها فقالت له كل مكروه فعلته معي كانت معذورة فيه وأما أنت فانك قد أحرقت قلب أبي بفقدي فكيف يكون حاله بعد أختي فقال لها حسن الرأى رأيك مهما أردته فافعليه فعند ذلك أمرت الملكة منار السنا بحل الاسارى جميعهم فحلوهم لاجل أختها وكذلك أختها وبعد ذلك أقبلت على أختها وعانقتها وصارت تبكي هي واياها ولم يزالا كذلك ساعة زمانية ثم قالت الملكة نور الهدى لاختها يا أختي لا تؤاخذيني بما فعلته معك فقالت لها السيدة منار السنا يا أختي ان هذا كان مقدرا علي ثم جلست هي وأختها على السرير يتحدثان وبعد ذلك أصلحت منار السنا بين العجوز وبين أختها على احسن ما يكون وطابت قلوبهما ثم ان حسنا صرف العسكر الذين كانوا في خدمة القضيب وشكرهم على ما فعلوه من نصره على أعدائه ثم ان السيدة منار السنا حكت لاختها جميع ما جرى لها مع زوجها حسن وجميع ما جرى له وما قاساه من أجلها وقالت لها يا أختي من كانت هذه الفعال فعاله وهذه القوة قوته وقد أيده الله تعالى بشدة البأس حتى دخل بلادنا وأخذك واسرك وهزم عسكرك وقهر أباك الملك الاكبر الذي يحكم على ملوك الجن يجب أن لا يفرط في حقه فقالت لها أختها والله يا أختي لقد صدقت فيما أخبرتني به من العجائب التي قاساها هذا الرجل وهل كل هذا من أجلك يا أختي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان السيدة منار السنا لما أخبرت أختها بأوصاف حسن قالت لها والله ان هذا الرجل ما يفرط فيه خصوصا بسبب مروءته وهل كل

هذا

جدا من أجلك قالت نعم ثم انهم باتوا يتحدثون الى الصباح فلما طلعت الشمس أراد
الرحيل فودع بعضهم بعضا وودعت منار السنا العجوز بعد ما أصلحت بينها وبين
أختها نور الهدى فعند ذلك ضرب حسن الارض بالقضيب فطلع له خدامه وسلموا
عليه وقالوا له الحمد لله على جمع شملك فأومر نا بما تريد حتى نعمله لك فى أسرع من لمح
البصر فشكرهم على قولهم وقال لهم جزاكم الله خيرا ثم انه قال لهم شدوا لنا
جوادين من أحسن الخيل ففعلوا ما أمرهم به فى الوقت وقدموا له جوادين
مسرجين فركب حسن جوادا منهما وأخذ ولده الكبير قدامه وركبت
زوجته الجواد الآخر وأخذت ولدها الصغير قدامها وركبت الملكة
نور الهدى هى والعجوز وتوجه الجميع الى بلادهم فسار حسن هو وزوجته يمينا
وسارت الملكة نور الهدى هى والعجوز شمالا ولم يزل حسن سائرا هو وزوجته
وأولاده مدة شهر كامل وبعد الشهر أشرفوا على مدينة فوجدوا حولها أشجارا
وأنهارا فلما وصلوا الى تلك الاشجار نزلوا عن ظهور الخيل وأرادوا الراحة ثم
جلسوا يتحدثون واذا هم بخيول كثيرة قد أقبلت عليهم فلما رآهم حسن قام على
رجليه وتلقاهم واذا هم الملك حسون صاحب أرض الكافور وقلعة الطيور فعند
ذلك تقدم حسن الى الملك وقبل يديه وسلم عليه ولما رآه الملك ترجل عن ظهر جواده
وجلس هو وحسن على الفرش تحت الاشجار بعد ان سلم على حسن وهناه بالسلامة
وفرح به فرحا شديدا وقال له يا حسن أخبرنى بما جرى لك من أوله الى آخره فأخبره
حسن بجميع ذلك فتعجب منه الملك حسون وقال له يا ولدى ما وصل أحد الى
جزائر واق ورجع منها أبدا الا أنت فأمرك عجيب ولكن الحمد لله على السلامة ثم بعد
ذلك قام الملك وركب وأمر حسنا أن يركب ويسير معه ففعل ولم يزالوا سائرين
الى ان أتوا الى المدينة فدخلوا دار الملك فنزل الملك حسون ونزل حسن هو وزوجته
وأولاده فى دار الضيافة فلما نزلوا أقاموا عنده ثلاثة أيام فى أكل وشرب ولعب
وطرب ثم بعد ذلك استأذن حسن الملك حسون فى السفر الى بلاده فأذن له فركب هو
وزوجته وأولاده وركب الملك معهم وساروا عشرة أيام فلما أراد الملك الرجوع
ودع حسنا وسار حسن هو وزوجته وأولاده ولم يزالوا سائرين مدة شهر كامل فلما
كان بعد الشهر أشرفوا على مغارة كبيرة أرضها من النحاس الاصفر فقال
حسن لزوجته انظرى هذه المغارة هل تعرفينها قالت نعم قال ان فيها شيخا يسمى
أبا الرويش وله على فضل كبير لانه هو الذى كان سببا فى المعرفة بينى وبين الملك
حسون وصار يحدث زوجته بخبر أبى الرويش واذا بالشيخ أبى الرويش قد خرج

من باب المغارة فلما رآه حسن نزل عن جواده وقبل يديه فسلم عليه الشيخ أبو الرويش وهناه بالسلامة وفرح به وأخذه ودخل به المغارة وجلس هو واياه وصار يحدث الشيخ أبا الرويش بما جرى له فى جزائر واق فتعجب الشيخ أبو الرويش غاية العجب وقال يا حسن كيف خلصت زوجتك وأولادك فحكى له حكاية القضيب والطاقية فلما سمع الشيخ أبو الرويش تلك الحكاية تعجب وقال يا حسن يا ولدى لولا هذا القضيب وهذه الطاقية ما كنت خلصت زوجتك وأولادك فقال له حسن نعم يا سيدى فبينما هما فى الكلام واذا بطارق يطرق باب المغارة فخرج الشيخ أبو الرويش وفتح الباب فوجد الشيخ عبد القدوس قد أتى وهو راكب فوق الفيل فتقدم الشيخ أبو الرويش وسلم عليه واعتنقه وفرح به فرحا عظيما وهناه بالسلامة وبعد ذلك قال الشيخ أبو الرويش لحسن احك للشيخ عبد القدوس جميع ما جرى لك يا حسن فشرع حسن يحكى للشيخ جميع ما جرى له من أوله الى آخره الى ان وصل الى حكاية القضيب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان حسنا شرع يحكى للشيخ عبد القدوس والشيخ أبى الرويش وهم فى المغارة يتحدثون جميع ما جرى له من أوله الى آخره الى ان وصل الى حكاية القضيب والطاقية فقال الشيخ عبد القدوس لحسن يا ولدى أما أنت فقد خلصت زوجتك وأولادك ولم يبق لك حاجة بهم وأما نحن فاننا كنا السبب فى وصولك الى جزائر واق وقد عملت معك الجميل لاجل بنات أخى وأنا اسألك من فضلك واحسانك أن تعطينى القضيب وتعطى الشيخ أبا الرويش الطاقية فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس أطرق رأسه الى الارض واستحى أن يقول ما أعطيهما لكما ثم قال فى نفسه ان هذين الشيخين قد فعلا معى جميلا عظيما وهما اللذان كانا السبب فى وصولى الى جزائر واق ولولا هما ما وصلت الى هذه الاماكن ولا خلصت زوجتى وأولادى ولا حصلت هذا القضيب وهذه الطاقية ثم رفع رأسه وقال نعم انا أعطيهما لكما ولكن يا سادتى انى اخاف من الملك الاكبر والد زوجتى أن يأتينى بعساكر الى بلادنا فيقاتلوننى ولا اقدر على دفعهما الا بالقضيب والطاقية فقال الشيخ عبد القدوس لحسن يا ولدى لا تخف فنحن نبقى لك جاسوسا ورداً فى هذا الموضع وكل من أتى اليك من عند والد زوجتك ندفعه عنك ولا تخف من شئ أصلا بجملة كافية فطب نفسا وقر عينا وانشرح صدرا ما عليك بأس فلما سمع حسن كلام

الشيخ

الشيخ أخذه الحياء وأعطى الطاقية للشيخ أبي الرويش وقال للشيخ عبد القدوس اصحبني الى بلادي وأنا أعطيك القضيب ففرح الشيخان بذلك فرحا شديدا وجهزا لحسن من الاموال والذخائر ما يعجز عنه الوصف ثم أقام عندهما ثلاثة أيام وبعد ذلك طلب السفر فتجهز الشيخ عبد القدوس للسفر معه فلما ركب حسن دابة وأركب زوجته دابة صفر الشيخ عبد القدوس واذا بفيل عظيم قد أقبل يهرول بيديه ورجليه من صدر البرية فأخذه الشيخ عبد القدوس وركبه وسار هو وحسن وزوجته وأولاده وأما الشيخ أبو الرويش فانه دخل المغارة ومازال حسن وزوجته وأولاده والشيخ عبد القدوس سائرين يقطعون الارض بالطول والعرض والشيخ عبد القدوس يدلهم على الطريق السهلة والمسافة القريبة حتى قربوا من الديار وفرح حسن بقربه من ديار والدته ورجوع زوجته وأولاده اليه وحيث وصل حسن الى تلك الديار بعد هذه الاهوال الصعبة حمد الله تعالى على ذلك وشكره على نعمته وفضله وأنشد هذه الابيات

لعل الله يجمعنا قريبا * فنصبح في مكانفة العناق
وأخبركم بأعجب ما جرى لي * وما لاقيت من ألم الفراق
وأشفي مقلتي نظرا اليكم * فانّ القلب أصبح في اشتياق
خبأت لكم حديثا في فؤادي * لاخبركم به عند التلاقي
أعاتبكم على ما كان منكم * عتابا ينقضي والود باقي

فلما فرغ حسن من شعره نظروا واذا هم قد لاحت لهم القبة الخضراء والفسقية والقصر الاخضر ولاح لهم جبل السحاب من بعيد فقال الشيخ عبد القدوس يا حسن أبشر بالخير فأنت الليلة ضيف عند بنات أخي ففرح حسن بذلك فرحا شديدا وكذلك زوجته ثم انهم نزلوا عند القبة واستراحوا وأكلوا وشربوا ثم ركبوا وساروا حتى قربوا من القصر فلما أشرفوا عليه خرجت لهم بنات الشيخ عبد القدوس وتلقينهم وسلمن عليهم وعلى عمهم وسلم عليهم عمهم وقال لهم يا بنات أخي ها أنا قد قضيت حاجة أخيكم حسن وساعدته على خلاص زوجته وأولاده فتقدم اليه البنات وعانقنه وفرحن به وهنينه بالسلامة والعافية وجمع الشمل بزوجته وأولاده وكان عندهن يوم عيد ثم تقدمت أخت حسن الصغيرة وعانقته وبكت بكاء شديدا وكذلك حسن بكى معها على طول الوحشة ثم شكت له ما تجده من ألم الفراق وتعب سرّها وما قاسته من فراقه وأنشدت هذين البيتين

وما نظرت من بعد بعدك مقلتى * الى احد الا وشخصك ماثل
وما غمضت الا رأيتك فى الكرى * كأنك بين الجفن والعين نازل

فلما فرغت من شعرها فرحت فرحا شديدا فقال لها حسن يا اختى انا ما اشكر احدا فى هذا الامر الا أنت من دون سائر الاخوات فالله تعالى يكون لك بالعون والعناية ثم انه حدثها بجميع ما جرى له فى سفره من اوله الى آخره وما قاساه وما اتفق له مع اخت زوجته وكيف خلص زوجته واولاده وحدثها أيضا بما رآه من العجائب والاهوال الصعاب حتى ان أختها كانت ارادت ان تذبحه وتذبحها وتذبح اولادها وما سلمهم منها الا الله تعالى ثم حكى لها حكاية القضيب والطاقية وان الشيخ أبا الرويش والشيخ عبد القدوس طلباهما منه وانه ما اعطاهما لهما الا من شانها فشكرته على ذلك ودعت له بطول البقاء فقال والله ما انسى كل ما فعلته معى من الخير من اول الامر الى آخره وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنا لما اجتمع بالبنات حكى لاخته جميع ما قاساه وقال لها انا ما انسى الذى فعلته معى من اول الزمان الى آخره فالتفتت اخته الى زوجته منار السنا وعانقتها وضمت أولادها الى صدرها ثم قالت لها يا بنت الملك الاكبر أما فى قلبك رحمة حتى فرقت بينه وبين اولاده وأحرقت قلبه عليهم فهل كنت تريدين بهذا الفعل أن يموت فضحكت وقالت بهذا حكم الله سبحانه وتعالى ومن خادع الناس خدعه الله ثم أحضروا شيأ من الاكل والشرب واكلوا جميعا وشربوا وانشرحوا ثم انه اقام عندهم عشرة ايام فى اكل وشرب وفرح وسرور ثم بعد العشرة ايام تجهز حسن للسفر فقامت اخته وجهزت له من المال والتحف ما يعجز عنه الوصف ثم ضمته الى صدرها لاجل الوداع وعانقته فاشار اليها حسن وانشد هذه الابيات

ما سلوة العشاق الا بعيد * وما فراق الحب الا شديد
وما الجفا والبعد الا عنا * وما قتيل الحب الا شهيد
ما أطول الليل على عاشق * قد فارق الخل وأمسى فريد
دموعه تجرى على خده * يقول يا للدمع هل من مزيد

ثم ان حسنا أعطى الشيخ عبد القدوس القضيب ففرح به فرحا شديدا وشكر حسنا على

على ذلك وبعد أن اخذه منه ركب ورجع الى محله ثم ركب حسن هو وزوجته واولاده من قصر البنات ثم خرجوا معه يودعونه وبعد ذلك رجعوا ثم توجه حسن الى بلاده فسار في البرّ الاقفر مدة شهرين وعشرة ايام حتى وصل الى مدينة بغداد دار السلام فجاء الى داره من باب السرّ الذي يفتح الى جهة الصحراء والبرية وطرق الباب وكانت والدته من طول غيبته قد هجرت المنام ولزمت الحزن والبكاء والعويل حتى مرضت وصارت لم تأكل طعاما ولم تلتذ بمنام بل تبكي في الليل والنهار ولا تفتر عن ذكر ولدها وقد يئست من رجوعه اليها فلما وقف على الباب سمعها تبكي وتنشد هذه الابيات

بالله ياسادتي طبوا مريضكم * فجسمه ناحل والقلب مكسور

فان سمحتم بوصل منكم كرما * فالصبّ من نعم الاحباب مغمور

لا يأس من قربكم فالله مقتدر * فبينما العسر اذ دارت مياسير

فلما فرغت من شعرها سمعت ولدها حسنا ينادي على الباب يا أمّاه ان الايام قد سمحت بجمع الشمل فلما سمعت كلامه عرفته فجاءت الى الباب وهي ما بين مصدق ومكذب فلما فتحت الباب رأت ولدها واقفا هو وزوجته واولاده معه فصاحت من شدة الفرح ووقعت في الارض مغشيا عليها فما زال حسن يلاطفها حتى افاقت وعانقته ثم بكت وبعد ذلك نادت غلمانه وعبيده وامرتهم أن يدخلوا جميع ما معه في الدار فادخلوا الاحمال في الدار ثم دخلت زوجته واولاده فقامت لها امه وعانقتها وقبلت رأسها وقبلت قدميها وقالت لها يا بنت الملك الاكبر ان كنت اخطأت في حقك فها انا استغفر الله العظيم ثم التفتت الى ابنها وقالت له يا ولدي ما سبب هذه الغيبة الطويلة فلما سألته عن ذلك اخبرها بجميع ما جرى له من اوله الى آخره فلما سمعت كلامه صرخت صرخة عظيمة ووقعت في الارض مغشيا عليها من ذكر ما جرى لولدها فلم يزل يلاطفها حتى افاقت وقالت له يا ولدي والله لقد فرطت في القضيب والطاقية فلو كنت احتفظت عليهما وابقيتهما لكنت ملكت الارض بطولها والعرض ولكن الحمد لله يا ولدي على سلامتك أنت وزوجتك واولادك وباتوا في أهنا ليلة واطيبها فلما أصبح الصباح غير ما عليه من الثياب ولبس بدلة من أحسن القماش ثم خرج الى السوق وصار يشتري العبيد والجواري والقماش والشيء النفيس من الحلي والحلل والفراش ومن الاواني المثمنة التي لا يوجد مثلها عند الملوك ثم اشترى الدور والبساتين والعقارات وغير ذلك ثم انه اقام هو واولاده وزوجته ووالدته في اكل وشرب ولذة ولم يزالوا في ارغد عيش واهناه حتى اتاهم

هاذم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان ذى الملك والملكوت وهو الحى الباقى الذى لا يموت

(حكاية خليفة الصياد مع القرود)

ومما يحكى أيضا أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان بمدينة بغداد رجل صياد يسمى خليفة وكان ذلك الرجل فقير الحال صعلوكا لم يتزوج فى عمره قط فاتفق له يوما من الايام انه اخذ شبكته ومضى بها الى البحر مثل عادته ليصطاد قبل الصيادين فلما وصل الى البحر تحزم وتشمر ثم تقدم الى البحر ونشر شبكته ورماها اول مرة وثانى مرة فلم يطلع فيها شئ ولم يزل يرميها الى أن رماها عشر مرات فلم يطلع فيها شئ ابدا فضاق صدره وتحير فكره فى امره وقال استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن الرزق على الله عز وجل واذا اعطى الله عبدا لا يمنعه احد واذا منع عبدا لا يعطيه احد ثم انه من كثرة ما حصل له من الغم أنشد هذين البيتين

اذا ما رماك الدهر منه بنكبة * فهيئ لها صبرا واوسع لها صدرا
فان اله العالمين بجوده * سيعقب بعد العسر من فضله يسرا

ثم جلس ساعة يتفكر فى امره وهو مطرق برأسه الى الارض وبعد ذلك انشد هذه الابيات

اصبر على حلو الزمان ومره * واعلم بان الله بالغ أمره
فلرب ليل فى الهموم كدمّل * عالجته حتى ظفرت بفجره
ولقد تمر الحادثات على الفتى * وتزول حتى لا تعود لفكره

ثم قال فى نفسه أرمى هذه المرة الاخرى وأتوكل على الله لعله لا يخيب رجائى ثم انه تقدم ورمى الشبكة على طول باعه فى البحر وطوى حبلها وصبر عليها ساعة زمانية ثم بعد ذلك سحبها فوجدها ثقيلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان خليفة الصياد لما رمى شبكته فى البحر مرارا ولم يطلع له فيها شئ تفكر فى نفسه وأنشد الابيات السابقة ثم قال فى نفسه أرمى هذه المرة الاخرى وأتوكل على الله لعله لا يخيب رجائى فقام ورمى الشبكة وصبر عليها

ساعة زمانية ثم سحبها فوجدها ثقيلة فلما عرف أنها ثقيلة مارسها بلطف وسحبها حتى طلعت الى البرّ واذا فيها قرد أعور أعرج فلما رآه خليفة قال لا حول ولا قوة الا بالله انا لله وانا اليه راجعون اى شئ هذا البخت المنحوس والطالع المنحوس ما الذى حصل لى فى هذا النهار المبارك ولكن هذا كله بتقادير الله تعالى ثم انه اخذ القرد وربطه فى حبل وتقدم الى شجرة طالعة على ساحل البحر وربط فيها القرد وكان معه سوط فاخذه فى يده ورفعه فى الهواء واراد أن ينزل به على القرد فانطق الله هذا القرد بلسان فصيح وقال له يا خليفة أمسك يدك ولا تضربنى وخلنى مربوطا فى هذه الشجرة ورح الى البحر وارم شبكتك وتوكل على الله فانه يأتيك برزقك فلما سمع خليفة كلام القرد اخذ الشبكة وتقدم الى البحر ورماها وأرخى لها الحبل ثم سحبها فوجدها أثقل من المرة الأولى فلم يزل يعالج فيها حتى طلعت الى البرّ واذا فيها قرد آخر مفلج الثنايا مكحل العينين مخضب اليدين وهو يضحك وفى وسطه ثوب خلق فقال خليفة الحمد لله الذى ابدل سمك البحر بقرود ثم أتى الى ذلك القرد المربوط فى الشجرة وقال له انظر يا مشوءم ما أقبح ما أشرت به علىّ فما أوقعنى فى القرد الثانى الا أنت فانك لما صبحتنى بعرجك وعورك أصبحت غلبانا تعبانا لا املك درهما ولا دينارا ثم انه اخذ مسوقة فى يده ولفها فى الهواء ثلاث مرات واراد أن ينزل بها على القرد فاستغاث منه وقال له سألتك بالله أن تعفو عنى لاجل صاحبى هذا واطلب منه حاجتك فانه يدلك على ما تريد فرمى خليفة المسوقة وعفا عنه ثم أتى الى القرد الثانى ووقف عنده فقال له القرد يا خليفة هذا الكلام ما يفيدك شيأ الا اذا سمعت منى ما اقوله لك فان سمعت منى وطاوعتنى ولم تخالفنى كنت انا السبب فى غناك فقال له خليفة ما الذى تقوله لى حتى اطيعك فيه فقال له خلنى مربوطا مكانى ورح الى البحر وارم شبكتك حتى اقول لك اى شئ تفعله بعد هذا فاخذ خليفة الشبكة ومضى الى البحر ورماها وصبر عليها ساعة ثم سحبها فوجدها ثقيلة فما زال يعالج فيها حتى طلعها الى البر واذا فيها قرد آخر الا أن هذا القرد أحمر وفى وسطه ثياب زرق وهو مخضب اليدين والرجلين مكحل العينين فلما نظره خليفة قال سبحان الله العظيم سبحان مالك الملك ان هذا اليوم مبارك من اوله الى آخره لان طالعه سعيد بوجه القرد الاول والصحيفة تظهر من عنوانها فهذا اليوم يوم قرود ولم يبق فى البحر ولا سمكة ونحن ما خرجنا اليوم الا لانصطاد القرود والحمد لله الذى بدل السمك بقرود ثم التفت الى القرد الثالث وقال له أى شئ تكون أنت الاخر يا مشوءم فقال له هل أنت لا تعرفنى يا خليفة قال لا قال انا قرد ابى السعادات اليهودى الصيرفى فقال له خليفة وأى شئ تصنع له

فقال له أصبحه من أول النهار فيكتسب خمسة دنانير وأمسيه فى آخر النهار فيكتسب خمسة دنانير فالتفت خليفة الى القرد الاول وقال له انظر يا مشؤم ما احسن قرود الناس وأما أنت فتصبحنى بعرجك وعورك وشؤم طلعتك فاصير فقيرا مفلسا جائعا ثم انه اخذ المسوقة ولفها فى الهواء ثلاث مرات واراد أن ينزل بها عليه فقال له قرد ابى السعادات اتركه يا خليفة وارفع يدك وتعال عندى حتى اقول لك أى شئ تعمل فرمى خليفة المسوقة من يده وتقدم اليه وقال له على أى شئ تقول لى ياسيد القرود كلها فقال له خذ الشبكة وارمها فى البحر وخلينى انا وهؤلاء القرود قاعدين عندك ومهما طلع لك فيها فهاته وتعال عندى وأنا اخبرك بما يسرك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان قرد أبى السعادات لما قال لخليفة خذ شبكتك وارمها فى البحر وكل شئ طلع لك فيها هاته وتعال عندى حتى أخبرك بما يسرك قال له خليفة سمعا وطاعة ثم انه أخذ الشبكة وطواها على كتفه وانشد هذه الابيات

اذا ضاق صدرى أستعين بخالقى * قدير على تيسير كل عسير
فقبل ارتداد الطرف من لطف ربنا * فكاك أسير وانجبار كسير
فسلم الى الله الامور جميعها * فافضاله يدريه كل بصير

ثم أنشد ايضا هذين البيتين

أنت الذى قد رميت الناس فى تعب * تلقى الهموم وأسباب البليات
لا تطمعنى بشئ لست أدركه * كم طامع فات تحصيل الارادات

فلما فرغ خليفة من شعره تقدم الى البحر ورمى فيه الشبكة وصبر عليها ساعة ثم سحبها واذا فيها حوت سمك كبير الرأس وذنبه كأنه مغرفة وعيناه كأنهما دينارات فلما رآه خليفة فرح به لانه ما اصطاد نظيره فى عمره فأخذه وهو متعجب منه وأتى به الى قرد أبى السعادات اليهودى وهو كأنه قد ملك الدنيا بحذافيرها فقال له ما تريد أن تصنع بهذا يا خليفة وأى شئ تعمل فى قردك فقال له خليفة أنا أخبرك ياسيد القرود كلها بما أفعله اعلم انى قبل كل شئ أتدبر فى هلاك هذا الملعون قردى وأتخذك عوضا عنه وأطعمك فى كل يوم ما تشتهيه فقال له القرد حيث انك قد أخبرتنى فأنا أقول لك كيف تفعل أنت ويكون فيه صلاح حالك ان شاء الله تعالى فافهم

ما

ما أقوله لك وهو انك تجيئ لى أنا الآخر حبلا وتربطنى به فى شجرة ثم تتركنى وتذهب الى وسط الرصيف وتطرح شبكتك فى بحر الدجلة واذا طرحتها فاصبر عليها قليلا واسحبها فانك تجد فيها سمكة ما رأيت أظرف منها طول عمرك فهاتها وتعال عندى وأنا أقول لك كيف تفعل بعد ذلك فعند ذلك قام خليفة من وقته وساعته وطرح الشبكة فى بحر الدجلة وسحبها فرأى فيها سمكة بياض قدر الخروف ما رأى مثلها فى طول عمره وهى أكبر من الحوت الاول فأخذها وذهب بها الى القرد فقال له القرد هات لك قدرا من الحشيش الاخضر واجعل نصفه فى قفة وحط السمكة عليه وغطها بالنصف الآخر واترك كام بوطين ثم احمل القفة على كتفك وادخل بها مدينة بغداد وكل من كلمك وسألك فلا ترد عليه جوابا حتى تدخل سوق الصيارف فتجد فى صدر السوق دكان المعلم أبى السعادات اليهودى شيخ الصيارف وتراه قاعدا على مرتبة ووراءه مخدة وبين يديه صندوقان واحد للذهب والآخر للفضة وعنده مماليك وعبيد وغلمان فتقدم اليه وحط القفة قدامه وقل له يا أبا السعادات انى قد خرجت اليوم الى الصيد وطرحت الشبكة على اسمك فبعث الله تعالى هذه السمكة فيقول هل أريتها الغيرى فقل له لا والله فيأخذها منك ويعطيك دينارا فرده عليه فيعطيك دينارين فردهما عليه وكلما يعطيك شيأ رده عليه ولو أعطاك وزنها ذهبا فلا تأخذ منه شيأ فيقول لك قل لى ما تريد فقل له والله ما أبيعها الا بكلمتين فاذا قال لك وما هما الكلمتان فقل له قم على رجليك وقل اشهدوا يا من حضر فى السوق انى أبدلت قرد خليفة الصياد بقردى وأبدلت قسمه بقسمى وبخته ببختى وهذا ثمنها ومالى حاجة بالذهب فاذا فعل معك ذلك فأنا كل يوم أصبحك وأمسيك وتبقى كل يوم تكسب عشرة دنانير ذهبا ويصير أبو السعادات اليهودى يصبحه قرده هذا الاعور الاعرج نبلاه الله كل يوم بغرامة يغرمها ولا يزال كذلك حتى يفتقر ويصير لا يملك شيأ ابدا فاسمع منى ما أقوله لك تسعد وترشد فلما سمع خليفة الصياد كلام القرد قال له قبلت ما أشرت به على يا ملك القرود كلها وأما هذا المشؤم لا بارك الله فيه فانى لا أدرى أى شئ أعمل معه فقال له سيبه فى الماء وسيبنى أنا الآخر فقال سمعا وطاعة ثم تقدم الى القرود وحلها وتركها فنزلت فى البحر وتقدم خليفة الى السمكة وأخذها وغسلها وجعل تحتها حشيشا أخضر فى المقطف وغطاها بحشيش أيضا وحملها على كتفه وسار يغنى بهذا الموال

سلم أمورك الى رب السما تسلم * وافعل جميل بطول عمرك ولا تندم

ولا تعاشر لأرباب التهم تتهم * وصن لسانك ولا تشتم به تشتم

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن خليفة الصياد لما فرغ من مغانيه حمل القفة على كتفه وسار ولم يزل سائرا الى ان دخل مدينة بغداد فلما دخلها عرفه الناس فصاروا يصيحون عليه ويقولون أى شىء معك يا خليفة وهو لا يلتفت الى أحد منهم حتى وصل الى سوق الصيارف وفات الدكاكين كما أوصاه القرد ثم نظر الى ذلك اليهودى فرآه جالسا فى الدكان والغلمان فى خدمته وهو كأنه ملك من ملوك خراسان فلما رآه خليفة عرفه فمشى حتى وقف بين يديه فرفع اليهودى رأسه فعرفه وقال له أهلا بك يا خليفة ما حاجتك وما الذى تريد فان كان أحد كلمك أو خاصمك قل لى حتى أروح معك الى الوالى فيأخذ لك حقك منه فقال لا وحياة رأسك يا قيم اليهود ما كلمنى أحد وانما أنا سرحت اليوم من بيتى على بختك ومضيت الى البحر ورميت شبكتى فى الدجلة فطلعت هذه السمكة ثم فتح المقطف ورمى السمكة قدام اليهودى فلما رآها اليهودى استحسنها وقال وحق التوراة والكلمات انى كنت نائما البارحة فرأيت فى المنام كأنى بين يدى العزير وهو يقول لى اعلم يا أبا السعادات انى قد أرسلت اليك هدية مليحة فلعل الهدية هذه السمكة من غير شك ثم انه التفت الى خليفة وقال له بحق دينك هل رآها أحد غيرى فقال له خليفة لا والله وحق أبى بكر الصديق يا قيم اليهود ما رآها أحد غيرك فالتفت اليهودى الى بعض غلمانه وقال له تعال خذ هذه السمكة ورح بها الى البيت وخل سعادة تجهزها وتقلى وتشوى الى حين أقضى شغلى وأجىء فقال له خليفة أيضا رح يا غلام خل امرأة المعلم تقلى منها وتشوى منها فقال الغلام سمعا وطاعة يا سيدى ثم انه اخذ السمكة وذهب بها الى البيت واما اليهودى فانه مد يده بدينار وناوله لخليفة الصياد وقال له خذ هذا لك يا خليفة واصرفه على عيالك فلما نظره خليفة فى كفه قال سبحان مالك الملك وكأنه ما نظر شيأ من الذهب فى عمره وأخذ الدينار ومشى قليلا ثم انه تذكر وصية القرد فرجع ورمى له الدينار وقال له خذ ذهبك وهات سمك الناس هل أنت عندك الناس سخرية فلما سمع اليهودى كلامه ظن انه يلعب معه فناوله دينارين على الدينار الاول فقال له خليفة هات السمك بلا لعب هل انت تعرف انى أبيع السمك بهذا الثمن فمد اليهودى يده الى اثنين آخرين وقال له خذ هذه الخمسة دنانير حق السمكة واترك الطمع فأخذها خليفة فى يده وتوجه بها وهو فرحان وصار

ينظر

ينظر الى الذهب ويتعجب منه ويقول سبحان الله ليس مع خليفة بغداد مثل ما معى في هذا اليوم ولم يزل سائرا حتى وصل الى رأس السوق ثم تذكر كلام القرد والوصية التى أوصاه بها فرجع الى اليهودى ورمى له الذهب فقال له مالك ياخليفة أى شئ تطلب أتأخذ صرف دنانيرك دراهم فقال له لا أريد دراهم ولا دنانير وانما اريد ان تعطينى سمك الناس فغضب اليهودى وصرخ عليه وقال له ياصياد أتجى لى بسمكة لا تساوى دينارا واعطيك فيها خمسة دنانير فلا ترضى هل أنت مجنون قل لى بكم تبيعها فقال له خليفة أنا لا ابيعها بفضة ولا بذهب وما أبيعها الا بكلمتين تقولهما فلما سمع اليهودى قوله كلمتين قامت عيناه فى أم رأسه وضاقت أنفاسه وقرط على اضراسه وقال له ياقطاعة المسلمين هل تريد أن افارق دينى لاجل سمكتك وتفسد على ملتى وعقيدتى التى وجدت عليها آبائى من قبلى وصاح على غلمانه فحضروا بين يديه فقال لهم ويلكم دونكم هذا النحس قطعوا بالصك قفاه واكثروا من الضرب اذاه فنزلوا عليه بالضرب ومازالوا يضربونه حتى وقع تحت الدكان فقال لهم اليهودى خلوا عنه حتى يقوم فقام خليفة على حيله كانه لم يكن به شئ فقال له اليهودى قل لى اى شئ تريده فى ثمن هذه السمكة وانا اعطيك اياه فانك ما نلت منا خيرا فى هذه الساعة فقال خليفة لا تخف على يا معلم من الضرب لانى آكل ضربا قدر عشرة حمير فضحك اليهودى من كلامه وقال له بالله عليك قل لى اى شئ تريد وانا وحق دينى اعطيك اياه فقال له لا يرضينى منك فى ثمن هذه السمكة الا كلمتان فقال له اليهودى اظن انك تطلب منى ان أسلم فقال له خليفة والله يا يهودى ان اسلمت فاسلامك لا ينفع المسلمين ولا يضر اليهود وان بقيت على كفرك فكفرك لا يضر المسلمين ولا ينفع اليهود ولكن الذى اطلبه منك ان تقوم على قدميك وتقول اشهدوا على يا أهل السوق انى قد ابدلت قردى بقرد خليفة الصياد وحظى فى الدنيا بحظه وبختى ببخته فقال اليهودى ان كان هذا الامر مرادك فهو على هين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان اليهودى قال لخليفة الصياد ان كان هذا الامر مرادك فهو على هين ثم قام اليهودى من وقته وساعته ووقف على قدميه وقال مثل ما قال له خليفة الصياد وبعد ذلك التفت اليه وقال له هل بقى لك عندى شئ فقال الصياد لا فقال له اليهودى مع السلامة فنهض خليفة من وقته وساعته واخذ قفته

وشبكته وجاء الى بحر الدجلة ورمى الشبكة ثم سحبها فوجدها ثقيلة فما طلعها الا بعد
جهد فلما طلعها رآها ملآنة بالسمك من جميع الاصناف فجاءت له امرأة ومعها
طبق فاعطته دينارا فاعطاها به سمكا وجاء اليه خادم آخر واخذ منه بدينار وهكذا
حتى باع سمكا بعشرة دنانير ولم يزل يبيع فى كل يوم بعشرة دنانير الى نهاية عشرة ايام
حتى جمع مائة دينار ذهبا وكان لذلك الصياد بيت من داخل ممر التجار فبينما هو نائم
فى بيته ليلة من الليالى اذ قال فى نفسه يا خليفة ان الناس كلهم يعرفون انك رجل
فقير صياد وقد حصل معك مائة دينار من الذهب فلا بد ان امير المؤمنين هرون
الرشيد يسمع بخبرك من آحاد الناس فربما يحتاج الى مال فيرسل اليك ويقول لك
انى محتاج الى مبلغ من الدنانير وقد بلغنى ان عندك مائة دينار فاقرضنى اياها فاقول
يا امير المؤمنين انا رجل فقير والذى اخبرك ان عندى مائة دينار كذب علىّ وليس
معى ولا عندى شىء من ذلك فيسلمنى الى الوالى ويقول له جرده من ثيابه وعاقبه
بالضرب حتى يقر ويأتى بالمائة دينار التى عنده فالرأى الصواب الذى يخلص من
هذه الورطة انى أقوم فى هذه الساعة واعاقب نفسى بالسوط لاكون قد تمرنت على
الضرب وقال له حشيشه قم تجرد من ثيابك فقام من وقته وساعته وتجرد من ثيابه
واخذ فى يده سوطا كان عنده وكان عنده مخدة من جلد فصار يضرب على تلك
المخدة ضربة وعلى جلده ضربة ويقول آه آه والله ان هذا كلام باطل يا سيدى وانهم
يكذبون علىّ وانا رجل فقير صياد وليس معى شىء من حطام الدنيا فسمع الناس
خليفة الصياد وهو يعاقب نفسه ويضرب فوق المخدة بالسوط ولوقع الضرب على
جسده وعلى المخدة دوىّ فى الليل ومن جملة من سمعه التجار فقالوا يا ترى ما لهذا
المسكين يصيح ونسمع وقع الضرب نازلا عليه فكأن اللصوص قد نزلوا عليه وهم
الذين يعاقبونه فعند ذلك قاموا كلهم على حس الضرب والصياح وخرجوا من
منازلهم وجاؤا الى بيت خليفة فرأوه مقفولا فقالوا لبعضهم ربما تكون اللصوص
نزلوا عليه من وراء القاعة فينبغى أن نطلع من السطوح فطلعوا السطوح ونزلوا
من المرق فرأوه عريانا وهو يعاقب نفسه فقالوا له ما لك يا خليفة أى شىء خبرك
فقال اعلموا يا جماعة انى حصلت بعض دنانير وانا خائف أن يرفع امرى الى امير
المؤمنين هرون الرشيد فيحضرنى بين يديه و يطلب منى تلك الدنانير فانكر واذا
أنكرت اخاف أن يعاقبنى فها انا اعاقب نفسى واجعل ذلك تمرينا لنفسى على ما يأتى
فضحك عليه التجار وقالوا له اترك هذه الفعال لا بارك الله فيك ولا فى الدنانير التى
جاءتك فقد اقلقتنا فى هذه الليلة وازعجت قلوبنا فبطل خليفة الضرب عن نفسه
ونام

ونام الى الصباح فلما قام من النوم واراد أن يذهب الى شغله تفكر فى أمر المائة دينار التى حصلت معه وقال فى نفسه اذا تركتها فى البيت يسرقها اللصوص وان وضعتها فى كمر على وسطى فربما ينظرها احد فيترصد نى حتى انفرد فى مكان خال عن الناس فيقتلنى ويأخذها منى ولكن انا افعل شيأ من الحيل وهو مليح نافع جدا ثم انه نهض من وقته وساعته وخيط له جيبا فى طوق جبته وربط المائة دينار فى صرة ووضعها فى ذلك الجيب الذى عمله ثم قام واخذ شبكته وقفته وعصاه وسار حتى وصل الى بحر الدجلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان خليفة الصياد لما وضع المائة دينار فى جيبه أخذ قفته وعصاه وشبكته وذهب الى بحر الدجلة ورمى شبكته فيه ثم سحبها فلم يطلع له شئ فانتقل من ذلك الموضع الى موضع غيره ورمى شبكته فيه فلم يطلع له شئ ولم يزل ينتقل من مكان الى مكان حتى بعد عن المدينة مسافة نصف يوم وهو يرمى الشبكة ولم يطلع له شئ فقال فى نفسه والله انى ما بقيت ارمى شبكتى فى الماء الا هذه المرة فاما عليها واما بها فطرح الشبكة بقوة عزمه اشدة غيظه فطارت الصرة التى فيها المائة دينار من طوقه ووقعت فى وسط البحر وراحت فى قوة التيار فرمى الشبكة من يده وتجرد من ثيابه وتركها على البر ونزل فى البحر وغطس خلف الصرة ولم يزل يغطس ويطلع نحو مائة مرة حتى ضعفت قوته فلم يقع بتلك الصرة فلما يئس منها طلع الى البر فلم يجد سوى العصا والشبكة والقفة وطلب ثيابه فلم يقع لها على اثر فقال فى نفسه أهجن ما يضرب به المثل لا تكمل الحجة الا بنيك الجمل ثم انه فرد الشبكة والتف فيها واخذ العصا فى يده والقفة على كتفه وسار يهرول مثل الجمل الهائم يجرى يمينا وشمالا وخلفا وأماما اشعث اغبر كالعفريت المتمرد اذا انطلق من السجن السليمانى هذا ما كان من أمر خليفة الصياد وأما ما كان من أمر الخليفة هرون الرشيد فانه كان له صاحب جوهرى يقال له ابن القرناص وقد كان جميع الناس والتجار والدلالين والسماسرة يعرفون ان ابن القرناص تاجر الخليفة وجميع ما يباع فى مدينة بغداد من التحف وغيرها من الامور المثمنة لا يباع حتى يعرض عليه ومن جملة ذلك المماليك والجوارى فبينما ذلك التاجر الذى هو ابن القرناص جالس فى دكانه يوما من الايام واذا بشيخ الدلالين قد اقبل عليه ومعه جارية ما رأى الراؤن مثلها وهى فى غاية من الحسن والجمال والقد والاعتدال ومن جملة محاسنها انها تعرف فى جميع

العلوم والفنون وتنظم الاشعار وتضرب على جميع آلات الطرب فاشتراها ابن القرناص الجوهري بخمسة آلاف دينار ذهبا وكساها بألف دينار واتى بها الى أمير المؤمنين فباتت عنده تلك الليلة واختبرها الخليفة فى كل علم وفى كل فن فرآها عارفة بجميع العلوم والصنائع ليس لها فى عصرها نظير وكان اسمها قوت القلوب وهى كما قال الشاعر

اردد الطرف فيها كلما سفرت * وفى تمنعها للطرف ردات
تحكى الغزال بجيد كلما التفتت * وللغزال كما قد قيل لفتات

وأين هذا من قول الآخر

من لى بأسمر تروى عن معاطفه * سمر رشاق عوال سمهريات
ساجى الجفون حريرى العذار له * فى قلب عاشقه المضنى مقامات

فلما أصبح الصباح أرسل الخليفة هرون الرشيد الى ابن القرناص الجوهرى فلما حضر رسم له بعشرة آلاف دينار ثمن تلك الجارية ثم ان الخليفة اشتغل قلبه بتلك الجارية المسماة بقوت القلوب وترك السيدة زبيدة بنت القاسم وهى بنت عمه وترك جميع المحاظى وقعد شهرا كاملا لم يخرج من عند تلك الجارية الا لصلاة الجمعة ثم يعود اليها على الفور فعظم ذلك على أرباب الدولة فشكو هذا الامر الى الوزير جعفر البرمكى فصبر الوزير على امير المؤمنين حتى كان يوم الجمعة فدخل الجامع واجتمع بأمير المؤمنين وحكى له جميع ما وقع له من القصص التى تتعلق بالعشق الغريبة لاجل أن يستخرج ما عنده فقال له الخليفة يا جعفر والله ان ذلك الامر ليس باختيارى ولكن قلبى تعلق فى شرك الهوى وما أدرى كيف يكون العمل فقال له الوزير جعفر اعلم يا أمير المؤمنين أن هذه المحظية قوت القلوب قد صارت تحت أمرك ومن جملة خدمك وما تملكه اليد تزهده النفس وانا اخبرك بشئ آخر وهو ان أحسن ما تفتخر به الملوك وأبناء الملوك هو الصيد والقنص واغتنام اللهو والفرص فاذا فعلت ذلك ربما تشتغل به عنها وربما تنساها فقال له الخليفة نعم ما قلته يا جعفر فامض بنا على الفور فى هذه الساعة الى الصيد فلما انقضت صلاة الجمعة خرجا من الجامع وركبا من وقتهما وساعتهما وسارا الى الصيد والقنص وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة هرون الرشيد لما طلع هو وجعفر الى الصيد

الصيد والقنص سارا حتى وصلا الى البرية وقد كان أمير المؤمنين هو والوزير جعفر
راكبين على بغلتين فتشاغلا في الحديث مع بعضهما وسبقهما العسكر وقد حمى
عليهما الحر فقال الرشيد يا جعفر اني قد لحقني العطش الشديد ثم ان الرشيد مد نظره
فرأى زوالا على كوم عال فقال للوزير هل أنت ناظر ما أنا ناظره فقال له الوزير نعم
يا أمير المؤمنين انظر زوالا على كوم عال وهو اما حارس بستان أو حارس مقات
وعلى كل حال فلا تخلو جهته من الماء ثم قال الوزير أنا أمضي اليه وآتيك بالماء من
عنده فقال الرشيد ان بغلتي أسرع من بغلتك فقف أنت هنا من اجل العسكر وأنا
أروح بنفسي وأشرب من عند هذا الشخص وأعود ثم ان الرشيد ساق بغلته فخرجت
مثل الريح في المسير أو مثل الماء في الغدير ولم تزل منطلقة به حتى وصل الى ذلك
الزوال في مقدار لمح البصر فلم يجد ذلك الزوال الا خليفة الصياد فرآه الرشيد وهو
عريان ملتف بالشبكة وعيناه من غاية الاحمرار كانهما مشاعل النار بصورة هائلة
وقامة مائلة وهو أشعث أغبر كانه عفريت أو غضنفر فسلم عليه الرشيد فرد عليه
السلام وهو غضبان ومن نفسه تلتهب النيران فقال له الرشيد يا رجل هل عندك
شئ من الماء فقال له خليفة يا هذا هل أنت أعمى أو مجنون فدونك بحر الدجلة فانه وراء
هذا الكوم فدار الرشيد من خلف الكوم ونزل الى بحر الدجلة وشرب وسقى بغلته
ثم طلع من وقته وساعته ورجع الى خليفة الصياد فقال له ماشانك يا رجل واقفا هنا
وما صنعتك فقال له خليفة ان هذا السؤال أعجب وأغرب من سؤالك عن الماء أما
ترى آلة صنعتي على كتفي فقال له الرشيد كانك صياد فقال له نعم فقال له الرشيد فاين
جبتك وأين شملتك وأين حرامك وأين ثيابك وقد كانت الحوائج التي راحت من
خليفة مثل التي ذكرها له سواء بسواء فلما سمع خليفة ذلك الكلام من الخليفة ظن
في نفسه أنه هو الذي أخذ ثيابه من على شاطئ البحر فنزل خليفة من وقته وساعته
من فوق الكوم اسرع من البرق الخاطف وقبض على لجام بغلة الخليفة وقال له
يا رجل هات لي حوايجي وخل عنك اللعب والمزاح فقال له الخليفة أنا والله ما رأيت
ثيابك ولا اعرفها وقد كان الرشيد له خدود كبار وفم صغير فقال له خليفة لعل صنعتك
أنك مغن أو زمار ولكن هات لي ثيابي بالتي هي أحسن والا اضربك بهذه العصا حتى
تبول على نفسك وتلوث ثيابك ثم ان الخليفة لما عاين العصا مع خليفة قال في نفسه
والله انا ما احمل من هذا الصعلوك نصف ضربة بهذه العصا وكان على الرشيد قباء
من أطلس فقلعه وقال لخليفة يا رجل خذ هذا القباء عوضا عن ثيابك فاخذه خليفة
وقلبه وقال ان ثيابي تساوي عشرة مثل هذه العباءة المزوقة فقال الرشيد البسه حتى

أجى ملك بثيابك فأخذ خليفة ولبسه فرآه طويلا عليه وقد كان مع خليفة سكين مربوطة فى اذن القفة فأخذها وقطع بها ذيل القباء مقدار ثلثه حتى صار لتحت ركبته ثم انه التفت الى الرشيد وقال له بحق الله عليك يازمار ان تخبرنى عن قدر جامكيتك فى كل شهر عند استاذك فى صنعة المزمار فقال له الخليفة جامكيتى فى كل شهر عشرة دنانير ذهبا فقال له خليفة والله يامسكين لقد حملتنى همك والله ان العشرة دنانير أكتسبها فى كل يوم فهل تريد أن تكون معى فى خدمتى وأنا أعلمك صنعة الصيد وأشاركك فى المكسب فتعمل فى كل يوم بخمسة دنانير وتكون غلامى وأحميك من استاذك بهذه العصا فقال له الرشيد رضيت بذلك فقال له خليفة انزل الآن من فوق ظهر الحمارة واربطها حتى تبقى تنفعنا فى حمل السمك وتعال حتى اعلمك الصيد فى هذه الساعة فعند ذلك نزل الرشيد عن ظهر بغلته وربطها وشمر اذياله فى دور منطقته فقال له خليفة يازمار امسك هذه الشبكة كذا واعملها على ذراعك كذا وارمها فى بحر الدجلة كذا فقوى الرشيد قلبه وفعل مثل ما أراه خليفة ورمى الشبكة فى البحر وسحبها فما قدر أن يطلعها فجاء اليه خليفة وسحبها معه فلم يقدرا على تطليعها فقال له خليفة يازمار النحس ان كنت أخذت عباءتك عوضا عن ثيابى فى المرة الاولى ففى هذه المرة آخذ حمارتك فى شبكتى ان رأيتها انقطعت واضربك حتى تنساب على روحك فقال له الرشيد اسحب انا وأنت معا فسحبها الاثنان معا فما قدرا أن يطلعا تلك الشبكة الا بالمشقة فلما أطلعاها نظراها فاذا هى ملآنة من جميع أنواع السمك ومن سائر الوانه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان خليفة الصياد لما طلع الشبكة هو والخليفة رآها ملآنة من جميع أصناف السمك فقال له خليفة والله يازمار انك قبيح ولكن اذا عانيت الصيد تكون صيادا عظيما فالرأى الصواب انك تركب حمارتك وتروح الى السوق وتأتى بفردين وانا احفظ هذا السمك حتى تحضر ونحمله أنا وأنت على ظهر حمارتك وعندى الميزان والارطال وجميع مانحتاج اليه فنأخذ الجميع معنا وليس عليك الا أن تمسك الميزان وتقبض الاثمان فان معنا سمكا يساوى عشرين دينارا فاسرع بمجىء الفردين ولا تبطئ فقال له الخليفة سمعا وطاعة ثم تركه وترك السمك وساق بغلته وهو فى غاية الفرح ولم يزل يضحك على ماجرى له مع الصياد حتى وصل

الي جعفر فلما رآه جعفر قال له يا امير المؤمنين لعلك لما رحت الى الشرب وجدت بستانا طيبا فدخلته وتفرجت فيه وحدك فلما سمع الرشيد كلام جعفر ضحك ثم ان جميع البرامكة قاموا وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له يا امير المؤمنين ادام الله عليك الافراح واذهب عنك الاتراح ما سبب تأخيرك حين ذهبت الى الشرب وما الذى جرى لك فقال لهم الخليفة لقد جرى لى حديث غريب وأمر مطرب عجيب ثم أعاد عليهم حديث خليفة الصياد وما جرى له معه من قوله أنت سرقت ثيابى ومن كونه اعطاه قباه ومن كون الصياد قطع القباء لما رآه طويلا فقال جعفر والله يا أمير المؤمنين لقد كان فى خاطرى انى اطلب القباء منك ولكن اروح فى هذه الساعة الى الصياد واشتريها منه فقال له الخليفة والله لقد قطع ثلثها من جهة ذيلها واتلفها ولكن يا جعفر قد كليت من صيدى فى البحر لانى قد اصطدت سمكا كثيرا وهو على شاطئ البحر عند معلمى خليفة فانه واقف هناك ينتظرنى حتى ارجع اليه وآخذ له فردين ثم اروح انا واياه الى السوق فنبيعه ونقسم ثمنه فقال له يا امير المؤمنين وانا اجىء اليكم بالذى يشترى منكم فقال له الخليفة يا جعفر وحق آبائى الطاهرين ان كل من جاء لى بسمكة من السمك الذى قدام خليفة الذى علمنى الصيد اعطيه فيها دينارا ذهبا فنادى المنادى فى العسكر ان اطلعوا واشتروا سمكا للامير المؤمنين فطلع المماليك وقصدوا شاطئ البحر فبينما خليفة ينتظر امير المؤمنين حتى يحضر له فردين واذا بالمماليك قد انقضت عليه مثل العقبان واخذوا السمك ووضعوه فى مناديل مزركشة من الذهب وصاروا يتضاربون عليه فقال خليفة لاشك ان هذا السمك من سمك الجنة ثم اخذ سمكتين بيده اليمنى وسمكتين بيده اليسرى ونزل فى الماء لحلقه وصار يقول يا الله بحق هذا السمك ان عبدك الزمار شريكى يجىء فى هذه الساعة واذا بعبد قد اقبل عليه وكان ذلك العبد مقدما على جميع العبيد الذين كانوا عند الخليفة وكان سبب تأخيره عن المماليك ان جواده وقف يبول فى الطريق فلما وصل عند خليفة وجد السمك لم يبق منه شىء قليل ولا كثير فنظر يمينا وشمالا فرأى خليفة الصياد واقفا فى الماء ومعه السمك فعند ذلك قال له يا صياد تعال فقال الصياد رح بلا فضول فتقدم اليه الخادم وقال له هات هذا السمك وانا اعطيك الثمن قال خليفة الصياد للخادم هل أنت قليل العقل انا لا أبيعه فسحب عليه الدبوس فقال له خليفة لا تضرب يا شقى فالانعام خير من الدبوس ثم انه رمى اليه السمك فاخذه الخادم وجعله فى منديله وحط يده فى جيبه فلم يجد ولا درهما واحدا فقال يا صياد ان بختك مشؤم وانا والله ما معى شىء من الدراهم ولكن فى غد تعال فى دار الخلافة وقل دلونى على

الطواشى صندل فيدلك الخدام على فاذا جئتنى هناك يحصل لك الذى فيه النصيب فتأخذه وتروح الى حال سبيلك فعند ذلك قال خليفة ان هذا اليوم مبارك وبركته ظاهرة من اوله ثم انه اخذ شبكته على كتفه ومشى حتى دخل بغداد ومشى فى الاسواق فرأى الناس خلعة الخليفة عليه وصاروا ينظرون اليه حتى دخل الحارة وكان دكان خياط امير المؤمنين على باب الحارة فنظر الخياط خليفة الصياد وعليه خلعة تساوى ألف دينار من ملابس الخليفة فقال يا خليفة من أين لك هذه الفرجية فقال له خليفة وأى شئ لك فى الفضول انا اخذتها من الذى علمته الصيد وصار غلامى وعفوت عنه فى قطع يده لانه سرق ثيابى واعطانى هذه العباءة عوضا عنها فعلم الخياط ان الخليفة قد عبر عليه وهو يصطاد ومزح معه واعطاه الفرجية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الخياط لما علم ان الخليفة قد عبر على خليفة الصياد وهو يصطاد وقد مزح معه واعطاه الفرجية ثم توجه الصياد الى بيته هذا ما كان من أمره وأما ما كان من امر الخليفة هرون الرشيد فانه ما طلع الى الصيد والقنص الا لاجل ما يشتغل عن الجارية قوت القلوب وكانت زبيدة لما سمعت بالجارية واشتغال الخليفة بها اخذها ما يأخذ النساء من الغيرة حتى امتنعت من الطعام والشراب وهجرت لذيذ المنام وصارت تنتظر غياب الخليفة او سفره حتى تنصب لقوت القلوب شرك المكايد فلما علمت ان الخليفة خرج الى الصيد والقنص أمرت الجوارى أن يفرشن الدار واكثرت من الزينة والافتخار ووضعت الاطعمة والحلويات وعملت من جملة ذلك طبقا صينيا فيه حلاوة من الطف ما يكون ووضعت فيه البنج وبنجته ثم انها أمرت بعض الخدام أن يمضى الى الجارية قوت القلوب ويدعوها الى زاد السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة امير المؤمنين ويقول لها ان زوجة امير المؤمنين قد شربت اليوم دواء وقد سمعت بطيب نغمك فاشتهت ان تتفرج على شئ من صناعتك فقالت سمعا وطاعة لله وللسيدة زبيدة ثم انها نهضت قائمة من وقتها وساعتها ولم تعلم بما هو مخبوء لها فى الغيب واخذت معها ما تحتاج من الآلات وسارت مع الخادم ولم تزل سائرة حتى دخلت على السيدة زبيدة فلما دخلت عليها قبلت الارض بين يديها مرارا عديدة ثم نهضت قائمة على قدميها وقالت السلام على الستر الرفيع والجناب المنيع والسلالة العباسية والبضعة النبوية بلغك الله

الاقبال

الاقبال والسلام فى الايام والاعوام ثم وقفت من جملة الجوارى والخدام فعند ذلك رفعت اليها السيدة زبيدة رأسها ونظرت الى حسنها وجمالها فرأت جارية اسيلة الخدود رمانية النهود بوجه اقمر وجبين ازهر وطرف احور قد سكنت جفونها فتورا وابتهج وجهها نورا كان الشمس تطلع من غرتها وظلام الليل من طرتها والمسك يفوح من نكهتها والازهار تزهو من بهجتها والقمر يبدو من جبينها والغصن يميل من قدها كأنها البدر التام قد اشرق فى جنح الظلام وقد تغزلت عيناها وتقوست حاجباها وصيغت من المرجان شفتاها تذهل بحسنها كل من نظرها وتسحر بطرفها كل من رآها جل من خلقها وكملها وسواها وهى كما قال الشاعر فيمن ضاهاها

اذا غضبت رأيت الناس قتلى * وان رضيت فأرواح تعود
لها من طرفها لحظات سحر * تميت بها وتحيى من تريد
وتسبى العالمين بمقلتيها * كأن العالمين لها عبيد

ثم ان السيدة زبيدة قالت لها اهلا وسهلا ومرحبا بك يا قوت القلوب اجلسى حتى تفرجينا على اشغالك وحسن صناعتك فقالت سمعا وطاعة ثم جلست ومدت يدها واخذت الدف الذى قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات

أياذا الطار قلبى طار شوقا * ويصرخ من جواه وانت تضرب
فلم تأخذ سوى قلب جريح * على توقيعك الانسان يرغب
فقل قولا ثقيلا أو خفيفا * ولحن ما تشاء فأنت تطرب
وطب واخلع عذارك يا محب * وقم وارقص ومل واعجب وعجب

ثم ضربت ضربا كثيرا وغنت حتى اوقفت الطير وهاج بهم المكان ثم حطت الدف واخذت الشبابة التى قيل فيها هذا البيت

لها اعين انسانها باصابع * يشير الى لحن صحيح بلا شكل

وكما قال الشاعر أيضا

اذا انهت الى القصد الاغانى * يطيب الوقت من طرب بوصل

ثم انها حطت الشبابة بعد ان طرب بها كل من حضر ثم اخذت العود الذى قال فيه الشاعر

وغصن رطيب عاد عود القينة * تحن اليه الاكرمون الافاضل
تجس وتجلوه لفرط ذكائها * باناملها ما اتقنته السلاسل

فشدت أوتاره وعركت آذانه وحملته فى حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على

ولدها المكان الشاعر قال فيها وفي عودها هذه الابيات

قد افصحت بالوتر الاعجمي * وافهمت من كان لم يفهم
وخبرت أن الهوى قاتل * يودي بعقل الرجل المسلم
تبارك الله من كفها * مصور ينطق عن ذي فم
قد حبست بالعود مجرى الهوى * حبس الطبيب العدل مجرى الدم

ثم ضربت أربعة عشر طريقة وغنت عليه نوبة كاملة حتى أذهلت الناظرين واطربت السامعين ثم أنشدت هذين البيتين

قدم عليك مبارك * فيه السرور يجدد
اقباله متواتر * ونعيمه لا ينفد

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الجارية قوت القلوب لما غنت الاشعار وضربت على الاوتار بين يدي السيدة زبيدة قامت بعد ذلك لعبت بالشعبذة والدكات وكل فن مليح حتى ان السيدة زبيدة كادت ان تعشقها وقالت في نفسها ما يلام ابن عمي الرشيد في عشقها ثم ان الجارية قبلت الارض بين يدي زبيدة وقعدت فقدموا اليها الطعام ثم قدموا الحلوى وقدموا الصحن الذي فيه البنج فأكلت منه فما استقرت الحلوى في جوفها حتى انقلبت رأسها وانطرحت على الارض نائمة فقالت السيدة زبيدة للجواري ارفعنها الى بعض المقاصير حتى اطلبها فقلن لها سمعا وطاعة ثم قالت لبعض الخدام اعمل لنا صندوقا وائتني به ثم امرت أن يعمل صورة قبر ويشيعوا ان الجارية قد شرقت وماتت ونبهت على خواصها ان كل من قال انها بالحياة تضرب رقبته واذا بالخليفة قد أتى في تلك الساعة من الصيد والقنص واول ما سأل سأل عن الجارية فتقدم اليه بعض خدمه وقد كانت أوصته السيدة زبيدة انه اذا سأله الخليفة عنها يقول له انها ماتت فقبل الارض بين يديه وقال له يا سيدي تعيش رأسك ان قوت القلوب غصت بالطعام فماتت فقال الخليفة لا بشرك الله بالخير يا عبد السوء ثم قام ودخل القصر فسمع بموتها من كل من في القصر فقال أين قبرها فاتوا به الى التربة وأروه القبر الذي عمل تزويرا وقالوا له هذا قبرها فلما نظره صاح واعتنق القبر وبكى وأنشد هذين البيتين

بالله يا قبر هل زالت محاسنها * وهل تغير ذاك المنظر النضر

يا قبر ما أنت لا روض ولا أفق * فكيف يجمع فيك الغصن والقمر
ثم ان الخليفة بكى عليها بكا شديدا ومكث هناك ساعة زمانية ثم قام من عند القبر
وهو فى غاية الحزن فعلمت السيدة زبيدة أن حيلتها قد تمت فقالت للخادم هات
الصندوق فاحضره بين يديها فأحضرت الجارية ووضعتها فيه وقالت للخادم اجتهد
فى بيع الصندوق واشترط على من يشتريه انه يشتريه وهو مقفول ثم تصدق بثمنه
فأخذه الخادم وخرج من عندها وامتثل امرها هذا ما كان من امر هؤلاء واما
ما كان من أمر خليفة الصياد فانه لما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح قال ليس لى
شغل فى هذا اليوم احسن من رواحى الى الطواشى الذى قد اشترى منى السمك
فانه واعدنى ان اروح اليه فى دار الخلافة ثم ان خليفة خرج من داره قاصدا دار
الخلافة فلما وصل اليها وجد المماليك والعبيد والخدم قياما وقعودا فتأملهم واذا
بالخادم الذى اخذ منه السمك جالس والمماليك فى خدمته فصاح عليه غلام من
المماليك فالتفت اليه الخادم لينظر من هو واذا هو بالصياد فلما عرف الصياد انه رآه
وتحقق ذاته قال له ما قصرت يا شقير هكذا تكون اصحاب الامانات فلما سمع الخادم
كلامه ضحك عليه وقال له والله لقد صدقت يا صياد ثم ان الخادم صندل اراد ان
يعطيه شيأ فمد يده الى جيبه واذا بصياح عظيم فرفع الخادم رأسه لينظر ما الخبر واذا
بالوزير جعفر البرمكى خارج من عند الخليفة فلما رآه الخادم نهض اليه قائما ومشى
بين يديه وصارا يتحدثان وهما ماشيان حتى طال الوقت فوقف خليفة الصياد مدة
والخادم لم يلتفت اليه فلما طال وقوفه تعرض اليه الصياد وهو بعيد عنه واشار
اليه بيده وقال يا سيدى شقير خلنى اروح فسمعه الخادم واستحى أن يرد عليه بسبب
حضور الوزير جعفر وصار الخادم يتحدث مع الوزير ويتشاغل عن الصياد فقال
خليفة يا مماطل قبح الله كل ثقيل وكل من يأخذ متاع الناس ويتثاقل عليهم انا داخل
يا سيدى كرش النخال ان تعطينى الذى لى لاجل ان اروح فسمعه الخادم فاستحى من
جعفر ورآه ايضا جعفر وهو يشير بيديه ويتحدث مع الخادم ولكنه لم يعرف ما يقوله
له فقال للخادم وقد أنكر عليه يا طواشى أى شئ يطلب منك هذا السائل المسكين
فقال له صندل الخادم اما تعرف هذا يا مولانا الوزير فقال الوزير جعفر والله
ما اعرفه ومن أين اعرف هذا وانا ما رأيته الا فى هذه الساعة فقال له الخادم
يا مولانا هذا الصياد الذى نهبنا سمكه من شاطئ الدجلة وكنت انا ما لحقت شيأ
واستحييت ان ارجع الى أمير المؤمنين بلا شئ وكل المماليك قد اخذوا فلما وصلت
اليه وجدته واقفا فى وسط البحر يدعو الله ومعه اربع سمكات فقلت له هات ما معك

وخذ حقه فلما اعطانى السمك ادخلت يدى فى جيبى واردت ان اعطيه شيأ فما رأيت فيه شيأ فقلت له تعال الى فى القصر وانا اعطيك شيأ تستعين به على فقرك فجا فى فى هذا اليوم فمددت يدى وأردت أن اعطيه شيأ فجئت أنت فقمت فى خدمتك واشتغلت بك عنه فطال عليه الامر فهذه قصته وهذا سبب وقوفه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن صندلا الطواشى لما حكى لجعفر البرمكى حكاية خليفة الصياد قال له بعد ذلك فهذه قصته وهذا سبب وقوفه فلما سمع الوزير كلام الطواشى تبسم منه وقال يا طواشى كيف جاء هذا الصياد فى وقت حاجته ولم تقضها له اما تعرف يا رئيس الطواشية قال لا قال هذا معلم أمير المؤمنين وشريكه وقد أصبح اليوم مولانا الخليفة ضيق الصدر حزين القلب مشتغل البال وماله شئ يشرح صدره الا هذا الصياد فلا تخله يروح حتى اشاور عليه الخليفة واحضره بين يديه فلعل الله يفرج مابه ويسليه على فقد قوت القلوب بسبب حضوره فيعطيه شيأ يستعين به فتكون أنت السبب فى ذلك فقال له الخادم يا مولاى افعل ماتريد فالله تعالى يبقيك ركنا لدولة امير المؤمنين أدام الله ظلها وحفظ فرعها واصلها ثم ان الوزير جعفر انهض متوجها الى الخليفة والخادم أمر المماليك أنهم لا يفارقون الصياد فقال خليفة الصياد عند ذلك ما اجمل احسانك يا شقير قد صار الطالب مطلوبا لانى جئت لاطلب مالى فحبسونى على البواقى فلما دخل جعفر على الخليفة وجده قاعدا وهو مطرق برأسه الى الارض ضيق الصدر كثير الفكر يترنم بقول الشاعر

تكلفنى السلوان عنها عواذلى * ومالى على قلبى اذا لم يطع أمر
وكيف يكون الصبر عن حب طفلة * على حبها فى الهجر لا يجدنى صبر
ولم أنسها والكاس قد دار بيننا * وقد مال بى من خمر الحاظها اسكر

فلما صار جعفر بين يدى الخليفة قال السلام عليك يا امير المؤمنين وحامى حرمة الدين وابن عم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله اجمعين فرفع الخليفة رأسه وقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال جعفر أعن اذن امير المؤمنين يتكلم خادمه ولا حرج عليه فقال الخليفة ومتى كان عليك حرج فى الكلام وأنت سيد الوزراء تكلم بما تريد فقال له الوزير جعفر انى خرجت يا مولانا من بين يديك اريد دارى فرأيت استاذك ومعلمك وشريكك خليفة الصياد واقفا بالباب وهو متغير عليك ويشتكى

ويشتكى منك ويقول سبحان الله قد علمته الصيد وذهب ليأتيني بفردين فلم يعد الى وماهذا شأن الشركة ولا شأن المعلمين فان كان لك غرض فى الشركة فلا باس والا فعرفه ليشارك غيرك فلما سمع الخليفة كلامه تبسم وزال ما كان عنده من ضيق الصدر ثم قال لجعفر بحياتى عليك أحق ما تقوله من أن الصياد واقف بالباب قال جعفر وحياتك يا أمير المؤمنين انه واقف بالباب فعند ذلك قال الخليفة يا جعفر والله لأسعين فى قضاء حقه فان يرد الله له على يدى شقاوة نالها وان يرد له على يدى سعادة نالها ثم ان الخليفة أخذ ورقة وقطعها قطعا وقال يا جعفر اكتب بيدك عشرين قدرا من دينار الى ألف دينار ومراتب الولاية والامارات من أقل العمل الى الخلافة وعشرين صنفا من أنواع النكال من أقل التعزير الى القتل فقال جعفر سمعا وطاعة يا امير المؤمنين ثم كتب الاوراق بيده كما أمره الخليفة ثم بعد ذلك قال الخليفة يا جعفر أقسم بحق آبائى الطاهرين واتصالى بحمزة وعقيل انى اريد أن أحضر خليفة الصياد وآمره أن يأخذ ورقة من هذه الاوراق لا يعرف ما فيها الا أنا وأنت فاى شىء كان فيها ملكته له ولو كان فيها الخلافة نزعت نفسى منها وملكته اياها ولا أبخل بها عليه وان كان فيها شنق أو قطع أو هلاك فعلته به فاذهب واتنى به فلما سمع جعفر هذا الكلام قال فى نفسه لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ربما يطلع لهذا المسكين شىء باتلافه فأكون أنا السبب ولكن الخليفة قد حلف وما بقى الا أنه يدخل ولا يكون الا ما يريده الله ثم توجه الى خليفة الصياد وقبض على يده وأراد الدخول به فطار عقل خليفة من رأسه وقال فى نفسه اى شىء عبنى حتى جئت الى هذا العبد النحس شقير فجمع بينى وبين كرش النخال ثم ان جعفر لم يزل سائرا به والمماليك خلفه وقدامه وهو يقول ما كفى الحبس حتى يكون هؤلاء خلفى وقدامى فيحرمونى ان أهرب ولم يزل جعفر سائرا به حتى قطع سبعة دهاليز ثم قال للخليفة ويلك يا صياد انك تقف بين يدى أمير المؤمنين وحامى حومة الدين ثم رفع الستر الاكبر فوقعت عين خليفة الصياد على الخليفة وهو جالس على سريره وارباب الدولة قيام فى خدمته فلما عرفه تقدم اليه وقال أهلا وسهلا يا زمار ما يصح منك أن تعمل صيادا ثم تتركنى قاعد أحرس السمك وتروح ولم تجئ فما شعرت الا والمماليك قد أقبلوا على دواب مختلفة الالوان فخطفوا السمك منى وأنا واقف وحدى وهذا كله من تحت رأسك فلو كنت جئت بالافراد سريعا كنا بعناهما بمائة دينار ولكن أنا جئت فى طلب حقى فحبسونى وأنت من حبسك فى هذا الموضع فتبسم الخليفة ثم رفع طرف الستارة وأخرج رأسه من تحتها وقال له تقدم وخذ لك ورقة من هذه الاوراق فقال

خليفة الصياد لامير المؤمنين أنت كنت صيادا وأراك اليوم صرت منجما ولكن من كثرت صنائعه كثر فقره فقال جعفر خذ الورقة بسرعة من غير كلام وامتثل ما أمرك به أمير المؤمنين فتقدم خليفة الصياد ومد يده وقال هيهات ان كان هذا الزمار يرجع غلامي ويصطاد معي ثم أخذ الورقة وناولها للخليفة وقال يا زمار أي شئ طلع لي فيها لا تخف منه شيأ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خليفة الصياد لما أخذ ورقة من الاوراق وناولها للخليفة قال له يا زمار أي شئ طلع لي فيها لا تخف منه شيأ فأخذها الخليفة بيده وناولها للوزير جعفر وقال له اقرأ ما فيها فنظر اليها جعفر وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال الخليفة خبر خير يا جعفر ما رأيت فيها فقال يا أمير المؤمنين طلع في الورقة يضرب الصياد مائة عصا فأمر الخليفة بضربه مائة عصا فامتثلوا امره وضربوا خليفة مائة عصا ثم قام وهو يقول لعن الله هذا اللعب يا كرش النخال هل الحبس والضرب من جملة اللعب فقال جعفر يا امير المؤمنين ان هذا المسكين جاء الى البحر وكيف يرجع عطشانا نرجو من صدقات أمير المؤمنين أن يأخذ له ورقة أخرى فلعله يطلع له فيها شئ فيرجع به ليستعين به على فقره فقال الخليفة والله يا جعفر ان اخذ ورقة وطلع له فيها قتل لاقتله فتكون أنت السبب فقال جعفر ان كان يموت فانه يستريح فقال له خليفة الصياد لا بشرك الله بالخير هل أنا ضيقت عليكم بغداد حتى تطلبوا قتلي فقال جعفر خذ لك ورقة واستخر الله تعالى فمد يده وأخذ ورقة وأعطاها لجعفر فأخذها منه وقرأها وسكت فقال له الخليفة مالك سكت يا ابن يحيى فقال يا امير المؤمنين انه طلع في الورقة لا يعطى الصياد شيأ فقال الخليفة ماله رزق عندنا قل له يروح من وجهي فقال جعفر بحق آبائك الطاهرين ان تخليه يأخذ الثالثة لعله يطلع له فيها رزق فقال الخليفة دعه يأخذ له ورقة لا شئ غيرها فمد يده واخذ الورقة الثالثة واذا فيها يعطى الصياد دينارا فقال جعفر للخليفة طلبت لك السعادة فما أراد الله لك الا هذا الدينار فقال خليفة كل مائة عصا بدينار خير كثير لا أصح الله لك بدنا فضحك الخليفة منه وأخذ جعفر بيد خليفة وخرج به فلما وصل الى الباب رآه صندل الخادم فقال له تعال يا صياد أنعم علينا مما أعطاك أمير المؤمنين وهو يمزح معك فقال له خليفة والله صدقت يا شقير وهل تريد أن تقاسمني يا أسود الجلد وقد أكلت مائة عصا وأخذت

دينارا واحدا أنت فى حل منه ثم رمى الدينار للخادم وخرج ودموعه تجرى على
صحن خده فلما نظره الخادم وهو على تلك الحالة عرف انه صادق فرجع اليه وصاح
على الغلمان أن ردوه فردوه فمد يده الى جيبه فأخرج منه كيسا أحمر ففتحه ونفضه
واذا فيه مائة دينار من الذهب وقال يا صياد خذ هذا الذهب حق سمكك وامض
الى حال سبيلك فعند ذلك فرح خليفة الصياد وأخذ المائة دينار ودينار الخليفة
وخرج وقد نسى الضرب ولما أراد الله تعالى انفاذ ما قضاه عبر خليفة الصياد
فى سوق الجوارى فرأى حلقة كبيرة وفيها خلق كثير فقال خليفة فى نفسه أى شئ
هؤلاء الناس ثم تقدم وشق بين الناس من تجار وغيرهم فقال التجار وسعوا
للناخودة زلبط فوسعوا له فنظر خليفة واذا بشيخ قائم على رجليه وبين يديه
صندوق وعليه خادم جالس والشيخ ينادى ويقول يا تجار يا أرباب الاموال من
يخاطر ويبادر بالعطاء لهذا الصندوق المجهول من دار السيدة زبيدة بنت القاسم
زوجة امير المؤمنين الرشيد بكم عليكم بارك الله فيكم فقال واحد من التجار والله
ان هذه مخاطرة فانا اقول كلاما وما على فيه ملام هو على بعشرين دينارا فقال
آخر بخمسين دينارا ثم تزايد التجار فيه الى أن وصل مائة دينار فقال المنادى هل
عندكم زيادة يا تجار فقال خليفة الصياد على بمائة دينار ودينار فلما سمع التجار كلام
خليفة حسبوه يلعب فضحكوا عليه وقالوا يا طواشى بع الى خليفة بالمائة دينار
ودينار فقال الطواشى والله ما ابيعه الا له خذ يا صياد بارك الله لك فيه وهات الذهب
فأخرج خليفة الذهب وسلمه الى الخادم ووقعت المعاقدة ثم ان الخادم تصدق
بالذهب وهو فى موضعه ورجع الى القصر وأعلم السيدة زبيدة بما فعل ففرحت
بذلك ثم ان خليفة الصياد حمل الصندوق على كتفه فلم يقدر على حمله لعظم ثقله
فحمله على رأسه واتى به الى الحارة ووضعه عن رأسه وكان قد تعب فقعد يتفكر
فيما جرى له وصار يقول فى نفسه يا ليت شعرى ما فى هذا الصندوق ثم فتح باب داره
وعالج فى الصندوق حتى ادخله داره وبعد ذلك عالج ان يفتحه فلم يقدر فقال فى نفسه
اى شئ حصل فى عقلى حتى اشتريت هذا الصندوق فلابد من كسره وانظر
ما فيه ثم عالج القفل فلم يقدر فقال فى نفسه أنا اخليه الى غد ثم طلب أن ينام فلم يجد
موضعا ينام فيه لان الصندوق جاء على قياس البيت فطلع ونام فوقه واستمر ساعة
واذا بشئ يتحرك ففزع خليفة وفر عنه النوم وقد طار عقله وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان خليفة الصياد لما نام على الصندوق استمر ساعة واذا
بشئ يتحرك ففزع وطار عقله وقام من النوم وقال كأن فيه جن الحمد لله الذي
ما جعلني فتحته لاني لو كنت فتحته لقاموا علي في الظلام واهلكوني ولم يحصل لي
منهم خير ثم انه رجع ونام واذا بالصندوق يتحرك ثاني مرة اكثر من الاول فنهض
خليفة قائما وقال هذه نوبة اخرى لكنها مزعجة ثم بادر الى سراج فلم يجده ولم يكن
معه ما يشتري به سراجا فخرج من البيت وصاح يا أهل الحارة وكان اكثر اهل
الحارة نائمين فانتبهوا على صياحه وقالوا ما لك يا خليفة فقال الحقوني بسراج فان
الجن خرجوا علي فضحكوا عليه وأعطوه سراجا فأخذه ودخل به بيته وضرب قفل
الصندوق بحجر فكسره وفتح الصندوق واذا هو بجارية كأنها حورية وهي نائمة
في الصندوق وكانت مبنجة وقد تقايئت البنج في تلك الساعة فاستفاقت وفتحت
عينيها واحست بالضيق فتحركت فلما رآها خليفة نهض اليها وقال بالله يا سيدتي
من أين أنت ففتحت عينها وقالت هات لي ياسمينا ونرجسا فقال خليفة ما هنا
الا تمر حناء فاستفاقت في نفسها ونظرت خليفة فقالت له اي شئ أنت ثم انها قالت
وأين أنا قال لها أنت في بيتي قالت أما انا في قصر الخليفة هرون الرشيد فقال لها
أي شئ الرشيد يا مجنونة ما انت الا جاريتي وفي هذا اليوم اشتريتك بمائة دينار
ودينار وجئت بك الى بيتي وكنت في هذا الصندوق نائمة فلما سمعت الجارية كلامه
قالت له ما اسمك قال اسمي خليفة ما بال نجمي قد سعد وأنا أعرف نجمي غير ذلك
فضحكت وقالت دعني من هذا الكلام هل عندك شئ يؤكل فقال والله ولا شئ
يشرب وانا والله لي يومان ما اكلت شيأ وانا الآن محتاج الى لقمة فقالت له اما معك
دراهم فقال الله يحفظ هذا الصندوق الذي أفقرني لاني أوردت ما كان معي فيه
وبقيت مفلسا فضحكت عليه الجارية وقالت قم اطلب من جيرانك شيأ آكله فاني
جائعة فقام خليفة وخرج من البيت وصاح يا أهل الحارة وقد كانوا راقدين فانتبهوا
وقالوا ما لك يا خليفة فقال يا جيراني انا جائع وما عندي شئ آكله فنزل له واحد
برغيف واخر بكسرة وآخر بقطعة جبن وآخر بخيارة فامتلأ حجره ودخل البيت
وحط الجميع بين يديها وقال لها كلي فضحكت عليه وقالت له كيف آكل من هذا
ولا عندي كوز ماء اشرب منه فأخاف أن اشرق باللقمة فاموت فقال خليفة انا املأ
لك هذه الجرة ثم أخذ الجرة وخرج في وسط الحارة وصاح يا أهل الحارة فقالوا له
ما مصيبتك في هذه الليلة يا خليفة فقال لهم انتم أعطيتموني فاكلت ولكن عطشت
فاسقوني فنزل له هذا بكوز وهذا بابريق وهذا بقلة فملأ الجرة ودخل بها البيت

وقال

وقال لها ياسيدتى ما بقى لك حاجة فقالت صحيح ما بقى لى حاجة فى هذه الساعة فقال لها كفينى وحدثينى بحديثك فقالت ويلك ان كنت لم تعرفنى فانا أعرفك بنفسى انا قوت القلوب جارية الخليفة هرون الرشيد وقد غارت منى السيدة زبيدة وبنجتنى ووضعتنى فى هذا الصندوق ثم قالت الحمد لله الذى كان هذا الامر السهل ولم يكن غيره ولكن ما جرى لى هذا الامن أجل سعادتك فلا بد أن تأخذ من الخليفة الرشيد مالا كثيرا يكون سببا فى غنائك فقال لها خليفة أما هو الرشيد الذى كنت فى قصره محبوسا قالت نعم قال والله ما رأيت أبخل منه ذلك الزمار القليل الخير والعقل فانه ضربنى امس مائة عصا وأعطانى دينارا واحدا مع انى علمته الصيد وشاركته فغدر بى فقالت له دع عنك هذا الكلام القبيح وافتح عينك وعليك بالادب اذا رأيته بعد هذه المرة فانك تبلغ مرادك فلما سمع كلامها كان كأنه نائم واستيقظ وكشف الله عن بصيرته لاجل سعادته فقال لها على الرأس والعين ثم قال لها باسم الله نامى فقامت ونامت ونام هو بعيدا عنها الى الصباح فلما أصبحت طلبت منه دواة وورقة فاحضرهما لها فكتبت الى التاجر الذى هو صاحب الخليفة تخبره بحالها وما جرى لها من انها عند خليفة الصياد وقد اشتراها ثم دفعت له الورقة وقالت له خذ هذه الورقة وامض بها الى سوق الجواهر واسأل عن دكان ابن القرناص الجوهرى وأعطه هذه الورقة ولا تتكلم فقال لها خليفة سمعا وطاعة ثم انه اخذ الورقة من يدها ومضى بها الى سوق الجواهر وسأل عن دكان ابن القرناص فارشدوه اليه فأتاه وسلم عليه فرد عليه السلام واحتقره فى عينه وقال له اى حاجة لك فناوله الورقة فأخذها ولم يقرأها الظنه انه صعلوك يطلب منه صدقة فقال لبعض غلمانه اعطه نصف درهم فقال له خليفة لا حاجة لى بالصدقة ولكن اقرأ الورقة فاخذ الورقة وقرأها ففهم ما فيها فلما عرف ما فيها قبلها ووضعها على رأسه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان ابن القرناص لما قرأ الورقة وفهم ما فيها قبلها ووضعها على رأسه ونهض قائما وقال له يا اخى أين بيتك فقال له خليفة وما تريد ببيتى فهل مرادك ان تروح اليه وتسرق جاريتى فقال له لا بل اشترى لك شيأ تأكله انت واياها فقال بيتى فى الحارة الفلانية فقال له أحسنت لا أعطاك الله عافية يا منحوس ثم صاح على عبدين من عبيده وقال لهما امضيا مع هذا الرجل الى دكان محسن

الصيرفي وقولا له يا محسن أعط هذا الف دينار من الذهب وارجعا به الى بسرعة
فمضى العبدان مع خليفة الى دكان الصيرفي وقالا له يا محسن أعط هذا الرجل الف
دينار من الذهب فأعطاه اياها فأخذها خليفة ورجع مع العبدين الى دكان سيدهما
فوجدوه راكبا زرزورية تساوى الف دينار والمماليك والغلمان حوله وفي جنب
بغلته بغلة مثلها مسرجة ملجمة فقال لخليفة باسم الله اركب هذه البغلة فقال
خليفة انا لا اركب والله انى اخاف ان ترميني فقال له التاجر ابن القرناص والله لا بد
من ركوبك فتقدم خليفة ليركبها فركبها مقلوبا ومسك ذنبها وصرخ فرمته على
الارض فضحكوا عليه ثم قام وقال أنا ما قلت لك ما اركب هذا الحمار الكبير ثم ان
ابن القرناص ترك خليفة في السوق وراح الى امير المؤمنين وأعلمه بالجارية ثم رجع
ونقلها الى بيته ثم ان خليفة ذهب الى البيت لينظر الجارية فرأى اهل الحارة مجتمعين
وهم يقولون ان خليفة اليوم مرهوب بالكلية يا ترى هذه الجارية من اين له فقال
واحد منهم هذا قواد مجنون لعله وجدها في الطريق سكرانة فحملها وأتى بها الى
بيته وما غاب الا لانه عرف ذنبه فبينما هم في الكلام واذا بخليفة اقبل عليهم فقالوا له
اي شئ حالك يا مسكين أما تعرف أي شئ جرى لك فقال لا والله فقالوا في هذه
الساعة جاء مماليك وأخذوا جاريتك وطلبوك فما وجدوك فقال خليفة كيف اخذوا
جاريتي فقال واحد لو كان وقع كانوا قتلوه فلم يلتفت خليفة اليهم بل رجع يجري الى
دكان ابن القرناص فرآه راكبا فقال له والله ما يصح منك فانك شاغلتني وارسلت
مماليكك فأخذوا جاريتي فقال يا مجنون تعالى وانت ساكت ثم اخذه واتى به الى دار
مليحة البناء فدخل به هناك فنظر الجارية قاعدة فيها على سرير من ذهب وحولها
عشر جوار كأنهن الاقمار فلما رآها ابن القرناص قبل الارض بين يديها فقالت له
ما فعلت بسيدي الجديد الذي اشتراني بجميع ما يملك فقال لها يا سيدتي اعطيته الف
دينار من الذهب وحكى لها خبر خليفة من أوله الى آخره فضحكت وقالت لا تؤاخذه
فانه رجل عامي ثم قالت وهذه الف دينار اخرى هبة مني اليه وان شاء الله تعالى
يأخذ من الخليفة ما يغنيه فبينما هم في الحديث واذا بخادم من عند الخليفة قد أقبل
يطلب قوت القلوب لانه علم أنها في بيت ابن القرناص وحين علم ذلك لم يصبر عنها فأمر
باحضارها فلما توجهت اليه أخذت خليفة معها وذهبت حتى أقبلت على الخليفة
فلما وصلت اليه قبلت الارض بين يديه فقام اليها وسلم عليها ورحب بها وسألها
كيف كان حالها مع من اشتراها فقالت له انه رجل يسمى خليفة الصياد وها هو
واقف بالباب وقد ذكر لي أن له مع مولانا امير المؤمنين محاسبة من اجل الشركة

التى كانت بينه وبينه فى الصيد فقال هل هو واقف قالت نعم فامر باحضاره فحضر وقبل الارض بين يدى الخليفة ودعا له بدوام العز والنعم فتعجب الخليفة منه وضحك عليه وقال له يا صياد هل كنت أمس شريكى حقيقة ففهم خليفة كلام امير المؤمنين فقوى قلبه وثبت جنانه وقال له وحق من أنعم عليك بخلافة ابن عمك ما أعلمها على أى حالة وما كان منى غير النظر والحديث ثم اعاد عليه جميع ماجرى له من الاول الى الآخر وصار الخليفة يضحك عليه ثم انه حدثه بحديث الخادم وماجرى له معه وكيف أعطاه المائة دينار على الدينار الذى أخذه من الخليفة وحدثه ايضا بدخوله السوق واشترائه الصندوق بالمائة دينار ودينار وهو لا يعلم مافيه وحكى له جميع الحكاية من المبتدا الى المنتهى فضحك عليه الخليفة وانشرح صدره وقال له نحن على ماتريد ياموصل الحق الى اهله ثم سكت وبعد ذلك امر له الخليفة بخمسين الف دينار ذهبا وخلعة سنية من ملابس الخلفاء الكبار وبغلة واهدى اليه عبيدا من السودان يخدمونه وصار كأنه بعض الملوك الموجودة فى ذلك الزمان وقد فرح الخليفة بقدوم جاريته وعلم ان هذا كله من فعال السيدة زبيدة بنت عمه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة فرح برجوع قوت القلوب وعرف ان هذا كله من فعال السيدة زبيدة بنت عمه فزاد غضبه عليها وهجرها مدة من الزمان وصار لا يدخل عليها ولا يميل اليها فلما تحققت ذلك حصل لها من غيظه هم عظيم واصفر لونها بعد الاحمرار فلما أعياها الصبر أرسلت الى ابن عمها امير المؤمنين تعتذر اليه وتقر بذنبها وقد انشدت هذه الابيات

أميل الى ما كان منكم من الرضى * لاطفئ منى حسرة وتأسفا
أيا سادتى رقوا لفرط صبابتى * فهذا الذى لاقيته منكم كفى
لقد عيل صبرى بعدكم يا احبتى * وكدرتم عيشى الذى كان قد صفا
حياتى اذا وفيتمو بعهودكم * وموتى اذا لم تسمحوا لى بالوفا
هبوا اننى اذنبت ذنبا فسامحوا * فوالله ما احلى الحبيب اذا عفا

فلما وصلت مراسلة السيدة زبيدة الى أمير المؤمنين وقرأها عرف أنها اعترفت بذنبها وأرسلت تعتذر اليه مما فعلت فقال فى نفسه ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وأرسل اليها رد الجواب عن مراسلتها مشتملا على الرضى والسماح والعفو

عما مضى فحصل لها الفرح العظيم ثم ان الخليفة رتب لخليفة فى كل شهر خمسين دينارا جائزة له وصار له عند الخليفة منزلة عظيمة ومقام عال وحرمة واحتشام ثم ان خليفة قبل الارض بين يدى امير المؤمنين عند خروجه وخرج يمشى ويتبختر فلما وصل الى الباب نظر اليه الخادم الذى أعطاه المائة دينار فعرفه وقال له يا صياد من أين لك هذا كله فحدثه بما جرى له من أوله الى آخره ففرح الخادم بذلك حيث كان هو السبب فى غنائه وقال له أما تعطينى انعاما من هذا المال الذى صار لك فمد خليفة يده الى جيبه فطلع منه كيسا فيه ألف دينار من الذهب وناوله للخادم فقال له الخادم خذ مالك بارك الله لك فيه وتعجب من مروءته وسماحة نفسه على فقره ثم ان خليفة خرج من عند الخادم وهو راكب على البغلة والخدام ماسكة كفلها وهو سائر الى أن اتى الى الخان والناس يتفرجون عليه ويتعجبون مما حصل له من العز فتقدم اليه الناس بعد ما نزل من فوق البغلة وسألوه عن سبب تلك السعادة فأخبرهم بما جرى له من الاول الى الآخر ثم انه اشترى دارا مليحة الاركان وأنفق عليها جملة من المال حتى صارت كاملة المعانى وسكن فى تلك الدار وصار ينشد هذين البيتين

انظر لدار شبه دار النعيم * الهم تنفيه وتشفى السقيم
قد جعلت بنيانها للعلا * والخير فيها كل وقت مقيم

ثم انه لما استقر فى داره خطب له بنتا من بنات أعيان اهل المدينة من البنات الحسان ودخل بها وحصل له غاية الانس والحظ الزائد والانبساط وصار فى نعمة زائدة وسعادة كاملة فلما رأى نفسه فى ذلك النعيم شكر الله سبحانه وتعالى على ما أعطاه من النعمة الوافرة والمكارم المتواترة وصار لربه حامدا حمد الشاكر مترنما بقول الشاعر

لك الحمد يا من فضله متواتر * ويا من له جود عميم وغامر
لك الحمد مني فاقبل الحمد انني * لجودك والاحسان والفضل ذاكر
لقد جدت انعاما على ومنة * وفضلا واحسانا فها أنا شاكر
وكل الورى من بحر جودك ناهل * وانت لهم عند الشدائد ناصر
وخولتنا يا رب آثار نعمة * وأسبغتها يا من لذنبي غافر
بجاه الذى قد جاء للناس رحمة * نبي كريم صادق القول طاهر
عليه صلاة الله ثم سلامه * وانصاره والآل ما زار زائر
واصحابه الغر الكرام اولى النهى * مدى الدهر ما غنى على الايك طائر

ثم

ثم ان خليفة صار يتردد على الخليفة هرون الرشيد مع القبول عنده وصار الرشيد يشمله باحسانه وجوده ولم يزل خليفة فى اتم نعمة وسرور وعز وحبور وفى نعمة زائدة ورفعة متصاعدة وعيشة طيبة هنية ولذة صافية مرضية الى ان أتاهم هاذم اللذات ومفرّق الجماعات فسبحان من له العز والبقاء وهو حىّ دائم لا يموت ابدا

(حكاية مسرور التاجر مع معشوقته زين المواصف)

ومما يحكى أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان رجل تاجر اسمه مسرور وكان ذلك الرجل من أحسن أهل زمانه كثير المال مرفه الحال ولكنه كان يحب النزهة فى الرياض والبساتين ويلتهى بهوى النساء الملاح فاتفق انه كان نائما فى ليلة من الليالى فرأى فى نومه انه فى روضة من أحسن الرياض وفيها أربع طيور ومن جملتها حمامة بيضاء مثل الفضة المجلية فاعجبته تلك الحمامة وصار فى قلبه منها وجد عظيم وبعد ذلك رأى انه نزل عليه طائر عظيم خطف تلك الحمامة من يده فعظم ذلك عليه ثم بعد ذلك انتبه من نومه فلم يجد الحمامة فصار يعالج اشواقه الى الصباح فقال فى نفسه لا بدّ أن اروح اليوم الى من يفسر لى هذا المنام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن مسرورا التاجر لما انتبه من نومه صار يعالج اشواقه الى الصباح فلما اصبح الصباح قال لا بدّ أن اروح اليوم الى من يفسر لى هذا المنام فقام وصار يمشى يمينا وشمالا الى أن بعد عن منزله فلم يجد من يفسر له هذا المنام ثم بعد ذلك طلب الرجوع الى منزله فبينما هو فى الطريق اذ خطر بباله انه يميل الى دار من دور التجار وكانت تلك الدار لبعض الاغنياء فلما وصل اليها واذا به يسمع بها صوت أنين من كبد حزين وهو ينشد هذه الابيات

نسيم الصبا هبت لنا من رسومها * معطرة يشفى العليل شميمها
وقفت بأطلال دوارس سائلا * وليس يجيب الدمع الا رميمها
فقلت نسيم الريح بالله خبرى * هل الدار هذى قد يعود نعيمها
وأحظى بظبى مال بى لين قده * وأجفانه الوسنا ضنانى سقيمها

فلما سمع مسرور ذلك الصوت نظر فى داخل الباب فرأى روضة من أحسن الرياض فى باطنها ستر من ديباج أحمر مكلل بالدرّ والجوهر وعليه من وراء الستر أربع جوار

بينهن صبية دون الخماسية وفوق الرباعية كانها البدر المنير والقمر المستدير بعينين كحيلتين وحاجبين مقرونين وفم كانه خاتم سليمان وشفتين واسنان كالدر والمرجان وهى تسلب العقول بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها فلما رآها مسرور دخل الدار وبالغ فى الدخول حتى وصل الى الستر فرفعت رأسها اليه ونظرته فعند ذلك سلم عليها فردت عليه السلام بعذوبة الكلام فلما نظرها وتأملها طاش عقله وذهب قلبه ونظر الى الروضة وكانت من الياسمين والمنثور والبنفسج والورد والنارنج وجميع ما يكون فيها من المشموم وقد توشحت جميع الاشجار بالاثمار والماء منحدر من أربعة لواوين يقابل بعضها بعضا فتأمل فى الليوان الاول فرأى مكتوبا على دائره بالزنجفر الاحمر هذان البيتان

الا يا دار لم يدخلك حزن * ولم يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تأوى كل ضيف * اذا ما الضيف ضاق به المكان

ثم تأمل فى الليوان الثانى فرأى مكتوبا فى دائره بالذهب الاحمر هذه الابيات

لاحت عليك ثياب السعد يا دار * ما غردت فى غصون الروض أطيار
ودام فيك عبيرات معطرة * وتنقضى بك للاحباب أوطار
وعاش أهلك فى عز وفى نعم * ما لاح نجم على العلياء سيار

ثم تأمل فى الليوان الثالث فرأى مكتوبا فى دائره باللازورد الازرق هذان البيتان

بقيت فى العز والاقبال يا دار * ما جن ليل وما قد لاح أنوار
فى بابك السعد يأوى كل من دخلوا * والخير منك لمن وافاك مدرار

ثم تأمل فى الليوان الرابع فرأى مكتوبا فى دائره بالمداد الاصفر هذا البيت

هذه روضة وهذا غدير * مجلس طيب ورب غفور

وفى تلك الروضة طيور من قرى وحمام وبلبل ويمام وكل طير يغرد بصوته والصبية تتمايل فى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها يفتتن بها كل من رآها ثم قالت أيها الرجل ما الذى أقدمك على دار غير دارك وعلى جوار غير جواريك من غير اجازة اصحابها فقال لها يا سيدتى رأيت هذه الروضة فاعجبنى حسن اخضرارها وفيح أزهارها وترنم اطيارها فدخلتها لاتفرج فيها ساعة من الزمان واروح الى حال سبيلى فقالت له حبا وكرامة فلما سمع مسرور التاجر كلامها ونظر الى ظرفها ورشاقة قدها تحير من حسنها وجمالها ومن لطافة الروضة والطير فطار عقله من ذلك وصار متحيرا فى أمره وأنشد هذه الابيات

قمر تبدى فى بديع محاسن * بين الربا والروح والريحان

والآس

والآس والنسرين ثم بنفسج * فاحت روائحه من الأغصان
يا روضة كملت بحسن صفاتها * وحوت جميع الزهر والأفنان
فالبدر يجلي تحت ظل غصونها * والطير تنشد أطيب الالحان
قمريها وهزارها وحمامها * وكذا البلابل هيجت اشجاني
وقف الغرام بمهجتي متحيرا * في حسنها كتحير السكران

فلما سمعت زين المواصف شعر مسرور نظرت له نظرة أعقبته ألف حسرة وسلبت بها عقله ولبه وأجابته عن شعره بهذه الابيات

لا ترتجي وصل التي عاينتها * واقطع مطامعك التي أملتها
وذر الذي ترجوه انك لم تطق * صد التي في الغانيات عشقتها
تجني على العشاق ألحاظي ولم * تعظم علي مقالة قد قلتها

فلما سمع مسرور كلامها تجلد وصبر وكتم أمرها في سره وتفكر وقال في نفسه ما للبلية الا الصبر ثم داموا على ذلك الى أن هجم الليل فأمرت بحضور المائدة فحضرت بين أيديهما وفيها من سائر الالوان من السمان وأفراخ الحمام ولحوم الضأن فأكلا حتى اكتفيا ثم أمرت برفع الموائد فرفعت وحضرت آلات الغسل فغسلا أيديهما ثم أمرت بوضع الشمعدانات فوضعت وجعل فيها شمع الكافور ثم بعد ذلك قالت زين المواصف والله ان صدري ضيق في هذه الليلة لاني محمومة فقال لها مسرور شرح الله صدرك وكشف غمك فقالت يا مسرور أنا معودة بلعب الشطرنج فهل تعرف فيه شيأ قال نعم انا عارف به فقدمته بين أيديهما واذا هو من الابنوس مقطع بالعاج له رقعة مرقومة بالذهب الوهاج وحجارته من در وياقوت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد انها لما أمرت باحضار الشطرنج أحضروه بين أيديهما فلما رآه مسرور حار فكره فالتفتت اليه زين المواصف وقالت له هل أنت تريد الحمر أم البيض فقال يا سيدة الملاح وزين الصباح خذي أنت الحمر لانهم ملاح ولمثلك أملح ودعي لي الحجارة البيض فقالت رضيت بذلك فاخذت الحمر وصفتها مقابلة البيض ومدت يديها الى القطع تنقل في أول الميدان فنظر الى أناملها فرآها كأنها من عجين فاندهش مسرور من حسن أناملها ولطف شمائلها فالتفتت اليه وقالت له يا مسرور لا تندهش واصبر واثبت فقال لها يا ذات الحسن الذي فضح الاقمار اذا

نظرك المحب كيف يكون له اصطبار فبينما هو كذلك واذا هي تقول له الشاه مات
فغلبته عند ذلك وعلمت زين المواصف انه بحبها مجنون فقالت له يا مسرور لا العب
معك الا برهن معلوم وقدر مفهوم فقال لها سمعا وطاعة فقالت له احلف لي واحلف
لك ان كلا منا لا يغدر صاحبه فتحالفا معا على ذلك فقالت يا مسرور ان غلبتك
اخذت منك عشرة دنانير وان غلبتني لم اعطك شيأ فظن انه يغلبها فقال لها يا سيدتي
لا تحنثي في يمينك فاني اراك اقوى مني في اللعب فقالت له رضيت بذلك وصارا يلعبان
ويتسابقان بالبيادق وألحقتهم بالافراز وصفتهم وقرنتهم بالرخاخ وسمحت النفس
بتقديم الافراس وكان على رأس زين المواصف وشاح من الديباج الازرق فوضعته
عن رأسها وشمرت عن معصم كأنه عمود من نور ومرت بكفها على القطع الحمر
وقالت له خذ حذرك فاندهش مسرور وطار عقله وذهب لبه ونظر الى رشاقتها ورقة
معانيها فاحتار واخذه الانبهار فمد يده الى البيض فراحت الى الحمر فقالت يا مسرور
أين عقلك الحمر لي والبيض لك فقال لها ان من ينظر اليك ليس يملك عقله فلما نظرت
زين المواصف الى حاله أخذت منه البيض وأعطته الحمر فلعب بها فغلبته ولم يزل
يلعب معها وهي تغلبه ويدفع لها في كل مرة عشرة دنانير فلما عرفت زين المواصف
انه مشغول بهواها قالت يا مسرور ما بقيت تنال مرادك الا اذا كنت تغلبني
كما هو شرطك ولا بقيت العب معك في كل مرة الا بمائة دينار فقال لها حبا وكرامة
فصارت تلاعبه وتغلبه وتكرر ذلك وهو في كل مرة يدفع لها المائة دينار وداما على
ذلك الى الصباح وهو لم يغلبها أبدا فنهض قائما على اقدامه فقالت له ما الذي تريد
يا مسرور قال امضي الى منزلي وآتي بمالي لعلي أبلغ آمالي فقالت له افعل ما تريد مما
بدالك فمضى الى منزله وأتاها بالمال جميعه فلما وصل اليها أنشد هذين البيتين

رأيت طيرا مر بي في المنام * في روض أنس زهره ذو ابتسام
لكنه لما بدا صدته * منك الوفا تأويل هذا المنام

فلما احضر عندها مسرور جميع ماله صار يلعب معها وهي تغلبه ولم يقدر أن يغلبها
دورا واحدا ولم يزل كذلك ثلاثة أيام حتى أخذت منه جميع ماله فلما انفد ماله قالت
له يا مسرور ما الذي تريد قال ألاعبك على دكان العطارة قالت له كم تساوي تلك
الدكان قال خمسمائة دينار فلعب بها خمسة اشواط فغلبته ثم لعب معها على
الجواري والعقارات والبساتين والعمارات فاخذت منه ذلك كله وجميع ما يملكه
وبعد ذلك التفتت اليه وقالت له هل بقي معك شيء من المال تلعب به فقال لها وحق
من أوقعني معك في شرك المحبة ما بقيت يدي تملك شيأ من المال وغيره لا قليلا ولا كثيرا

فقالت

فقالت له يا مسرور كل شئ يكون اوله رضا لا يكون آخره ندامة فان كنت ندمت خذ مالك واذهب عنا الى حال سبيلك وانا اجعلك فى حل من قبلى فقال لها مسرور وحق من قضى علينا بهذه الامور لو اردت اخذ روحى لكانت قليلة فى رضاك فما اعشق أحدا سواك فقالت له يا مسرور حينئذ اذهب واحضر القاضى والشهود واكتب لى جميع الاملاك والعقارات فقال حبا وكرامة ثم نهض قائما فى الوقت والساعة واتى بالقاضى والشهود وأحضرهم عندها فلما رآها القاضى طار عقله وذهب لبه وتبلبل خاطره من حسن أناملها وقال لها يا سيدتى لا أكتب الحجة الا بشرط أن تشترى العقارات والجوارى والاملاك وتصير كلها تحت تصرفك وفى حيازتك فقالت قد اتفقنا على ذلك فاكتب لى حجة بان ملك مسرور وجواريه وما تملكه يده ينتقل الى ملك زين المواصف بثمن جملته كذا وكذا فكتب القاضى ووضع الشهود خطوطهم على ذلك واخذت الحجة زين المواصف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما أخذت الحجة من القاضى مشتملة على أن جميع ما كان ملكا لمسرور وصار ملكا لها قالت له يا مسرور اذهب الى حال سبيلك فالتفتت اليه جاريتها هبوب وقالت له أنشد ناشيأ من الاشعار فانشد فى شان لعب الشطرنج هذه الابيات

أشكو الزمان وما قد حل بى وجرى * واشتكى الخسر والشطرنج والنظرا
فى حب جارية غيداء ناعمة * ما مثلها فى الورى أنثى ولا ذكرا
فوقت لى سهاما من لواحظها * وقدمت لى جيوشا تغلب البشرا
حمرا وبيضا وفرسانا مصادمة * فبارزتنى وقالت لى خذ الحذرا
وأهملتنى اذا مرت أناملها * فى جنح ليل بهيم يشبه الشعرا
لم استطع لخلاص البيض أنقلها * والوجد صير منى الدمع منهمرا
بيادق ورخوخ مع فرازنة * كرت فادبر جيش البيض منكسرا
لقد رمتنى بسهم من لواحظها * فصار قلبى بذاك السهم منفطرا
وخيرتنى بين العسكرين معا * فاخترت تلك الجيوش البيض مقتمرا
وقلت هذى الجيوش البيض تصلح لى * هم المراد وأما أنت فالحمرا
ولاعبتنى على رهن رضيت به * ولم اكن عن رضاها أبلغ الوطرا

يا لهف قلبي ويا شوقي ويا حزني * على وصال فتاة تشبه القمرا
ما القلب في حرق كلا ولا أسف * على عقاري ولكن يألف النظرا
وصرت حيران مبهوتا على وجل * أعاتب الدهر فيما تم لي وجرى
قالت فما لك مبهوتا فقلت لها * هل شارب الخمر يصحو عند ما سكرا
أنسية سلبت عقلي بقامتها * ان لان منها فؤادي يشبه الحجرا
أطمعت نفسي وقلت اليوم املكها * على الرهان ولا خوفا ولا حذرا
لا زال يطمع قلبي في تواصلها * حتى بقيت على الحالين مفتقرا
هل يرجع الصب عن عشق أضر به * ولو غدا في بحار الوجد منحدرا
فاصبح العبد لا مال يقلبه * اسير شوق ووجد ما قضى وطرا

فلما سمعت زين المواصف هذه الابيات تعجبت من فصاحة لسانه وقالت له يا مسرور دع عنك هذا الجنون وارجع الى عقلك وامض الى حال سبيلك فقد أفنيت مالك وعقارك في لعب الشطرنج ولم تحصل غرضك وليس لك جهة من الجهات توصلك اليه فالتفت مسرور الى زين المواصف وقال لها يا سيدتي اطلبي أي شئ ولك كل ما تطلبينه فاني أجيء به اليك واحضره بين يديك فقالت يا مسرور ما بقي معك شئ من المال فقال لها يا منتهى الآمال اذا لم يكن عندي شئ من المال تساعدني الرجال فقالت له هل الذي يعطي يصير مستعطيا فقال لها ان لي أقارب وأصحابا ومهما طلبته يعطوني اياه فقالت له اريد منك أربع نوافج من المسك الاذفر وأربع أواني من الغالية وأربعة ارطال من العنبر وأربعة آلاف دينار وأربعمائة حلة من الديباج الملوكي المزركش فان كنت يا مسرور تأتي بذلك الامر ابحت لك الوصال فقال لها هذا علي هين يا مخجلة الاقمار ثم ان مسرورا خرج من عندها ليأتيها بذلك الذي طلبته منه فارسلت خلفه هبوبا الجارية حتى تنظر قدره عند الناس الذين ذكرهم لها فبينما هو يمشي في شوارع المدينة اذ لاحت منه التفاتة فرأى هبوبا على بعد فوقف الى أن لحقته فقال لها يا هبوب الى أين أنت ذاهبة فقالت له ان سيدتي أرسلتني خلفك من أجل كذا وكذا واخبرته بما قالته لها زين المواصف من أوله الى آخره فقال والله يا هبوب ان يدي لا تملك شيأ من المال قالت له فلاي شئ وعدتها فقال كم من وعد لا يفي به صاحبه والمطل في الحب لا بد منه فلما سمعت هبوب ذلك منه قالت له يا مسرور طب نفسا وقر عينا والله لأكونن سببا في اتصالك بها ثم انها تركته ومشت وما زالت ماشية الى أن وصلت الى سيدتها فبكت بكاء شديدا وقالت لها يا سيدتي والله انه رجل كبير المقدار محترم عند الناس فقالت لها سيدتها

لا حيلة

لاحيلة فى قضاء الله تعالى ان هذا الرجل ماوجد عندنا قلبا رحيما الا انا اخذنا ماله
ولم يجد عندنا مودة ولا شفقة فى الوصال وان مات الى مراده اخاف أن يشيع
الامر فقالت اماهبوب ياسيدتى ماسهل علينا حاله واخذ ماله ولكن ماعندك
الا انت وجاريتك هبوب فمن يقدر أن يتكلم منا فيك ونحن جواريك فعند ذلك
اطرقت برأسها الى الارض فقال لها الجوارى ياسيدتى الرأى عندنا أن ترسلى خلفه
وتنعمى عليه ولا تدعيه يسأل أحدا من اللئام فأمر السؤال فقبلت كلام
الجوارى ودعت بدواة وقرطاس وكتبت اليه هذه الابيات

دنا الوصل يامسرور فابشر بلا مطل * اذا اسود جنح الليل فلتأت بالفعل
ولا تسأل الأنذال فى المال يافتى * فقد كنت فى سكرى وقد رد لى عقلى
فمالك مردود عليك جميعه * وزدتك يامسرور من فوقه وصلى
لانك ذو صبر وفيك حلاوة * على جور محبوب جفاك بلا عدل
فبادر لتحظى بالمنى ولك الهنا * ولا تعطاهما الافتدرى بنا أهلى
هلم الينا مسرعا غير مبطئ * وكل من ثمار الوصل فى غيبة البعل

ثم انها طوت الكتاب واعطته لجاريتها هبوب فاخذته ومضت به الى مسرور
فوجدته يبكى وينشد قول الشاعر

وهب على قلبى نسيم من الجوى * ففتت الاكباد من فرط لوعتى
لقد زاد وجدى بعد بعد أحبتى * وفاضت جفونى فى تزايد عبرتى
وعندى من الاوهام مالو أبح به * لصم الحصا والصخر لانت بسرعة
الا ليت شعرى هل أرى مايسرنى * وأحظى بما أرجوه من نيل بغيتى
وتطوى ليالى الصد من بعد هجرها * وأبرأ مما داخل القلب خلتى

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن مسرورا لما زاد به الهيام صار ينشد الاشعار وهو
فى غاية الشوق فبينما هو يترنم بتلك الابيات ويرددها اذ سمعته هبوب فطرقت عليه
الباب فقام وفتح لها فدخلت وناولته الكتاب فاخذه وقرأه وقال لها ياهبوب
ماوراءك من اخبار سيدتك فقالت ياسيدى ان فى هذا الكتاب مايغنى عن رد
الجواب وأنت من ذوى الالباب ففرح مسرور فرحا شديدا وأنشد هذين البيتين

ورد الكتاب فسرنا مضمونه * وأردت أنى فى الفؤاد أصونه

وازددت شوقا عند ما قبلته * فكأنما در الهوى مكنونه

ثم انه كتب كتابا جوابا لها واعطاه لهبوب فاخذته واتت به الى زين المواصف فلما وصلت اليها به صارت تشرح لها محاسنه وتذكر اوصافه وكرمه وصارت مساعدة له على جمع شمله بها فقالت لها زين المواصف يا هبوب انه ابطأ عن الوصول الينا فقالت لها هبوب انه سيأتي سريعا فلم تستتم كلامها واذا به قد اقبل وطرق الباب ففتحت له واخذته واجلسته عند سيدتها زين المواصف فسلمت عليه ورحبت به واجلسته الى جانبها ثم قالت لجاريتها هبوب هاتي له بدلة من احسن ما يكون فقامت هبوب واتت ببدلة مذهبة فاخذتها وافرغتها عليه وافرغت على نفسها بدلة ايضا من افخر الملابس ووضعت على رأسها شبيكة من اللؤلؤ الرطب وربطت على الشبيكة عصابة من الديباج مكللة بالدر والجوهر واليواقيت وارخت من تحت العصابة سالفتين ووضعت في كل سالفة ياقوتة حمراء مرقومة بالذهب الوهاج وارخت شعرها كأنه الليل الداج وتبخرت بالعود وتعطرت بالمسك والعنبر فقالت لها جاريتها هبوب الله يحفظك من العين فصارت تمشي وتتبختر في خطواتها وتنعطف فانشدت الجارية من بديع شعرها هذه الابيات

خجلت غصون البان من خطواتها * وسطت على العشاق من لحظاتها
قمر تبدى في غياهب شعرها * كالشمس تشرق في دجى وفراتها
طوبى لمن باتت تليه بحسنها * ويموت فيها حالفا بحياتها

فشكرتها زين المواصف ثم انها اقبلت على مسرور وهي كالبدر المشهور فلما رآها مسرور نهض قائما على قدميه وقال ان صدق ظني فما هي انسية وانما هي من عرائس الجنة ثم انها دعت بالمائدة فحضرت واذا مكتوب على اطراف المائدة هذه الابيات

عج بالملاعق في ربع السكاريج * ولذ بنوع القلايا والطباهيج
عليه سمانة مازلت اعشقها * مع الفراخ الغوالي والفراريج
نعم الكباب الذي يزهو بحمرته * والبقل يغمس في خل السكاريج
نعم الارز بألبان الحليب غدت * فيه الكفوف الى حد الدماليج
يا لهف قلبي على لونين من سمك * لدى رغيفين من خبز التواريج

ثم انهم اكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ورفعت سفرة الطعام وقدموا سفرة المدام ودار بينهم الكأس والطاس وطابت منهم الانفاس وملأ الكأس مسرور وقال يا من انا عبدها وهي سيدتي ثم صار يترنم بانشاد هذه الابيات

عجبت

عجبت لعيني ان تمل امتلالها * بحسن فتاة أشرقت بجمالها
وليس لها في عصرها من مشابه * للطف معانيها وحسن خصالها
ويحسد غصن البان لين قوامها * اذا خطرت في حلة باعتدالها
بوجه منير يخجل البدر في الدجى * وفرق حكى في النور ضوء هلالها
اذا خطرت في الارض يعبق نشرها * نسيما يرى في سهلها وجبالها

فلما فرغ مسرور من شعره قالت يا مسرور كل من تمسك بدينه وقد أكل خبزنا وملحنا وجب حقه علينا فخل عنك هذه الامور وأنا أرد عليك املاكك وجميع ما اخذناه منك فقال يا سيدتي أنت في حل مما تذكرينه وان كنت غدرت في اليمين الذي بيني وبينك فانا أروح واصير مسلما فقالت لها جاريتها هبوب يا سيدتي أنت صغيرة السن وتعرفين كثيرا وانا استشفع عندك بالله العظيم فان لم تطيعيني في أمري وتجبري خاطري لا انام الليلة عندك في الدار فقالت لها يا هبوب لا يكون الا ما تريدينه قومي جددي لنا مجلسا آخر فنهضت الجارية هبوب وجددت مجلسا وزينته وعطرته بأحسن العطر كما تحب وتختار وجهزت الطعام واحضرت المدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت منهم الانفاس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان زين المواصف لما أمرت جاريتها هبوب بتجديد مجلس الانس قامت وجددت الطعام والمدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت منهم الانفاس فقالت زين المواصف يا مسرور قد آن اوان اللقاء والتداني فان كنت لحبنا تعاني فأنشد لنا شعرا بديع المعاني فأنشد مسرور هذه القصيدة

أسرت وفي قلبي لهيب تضرما * بحبل وصال في الفراق تصرما
وحب فتاة قد قلبي قوامها * وقد سلبت عقلي بخد تنعما
لها الحاجب المقرون والطرف أحور * وثغر يحاكي البرق حين تبسما
لها من سنين العمر عشر وأربع * ودمعي حكي في حب هاتيك عندما
فعاينتها ما بين نهر وروضة * بوجه يفوق البدر في افق السما
وقفت لها شبه الاسير مهابة * وقلت سلام الله يا ساكن الحمى
فردت سلامي عند ذلك رغبة * بلطف حديث مثل در تنظما
وحين رأت قولي لديها تحققت * مرامي وصار القلب منها مصمما

وقالت أما هذا الكلام جهالة * فقلت لها كفى عن الصب ألوما
فان تقبليني اليوم فالخطب هين * فذلك معشوقا وشلى متيما
فلما رأت منى المرام تبسمت * وقالت ورب خالق الارض والسما
يهودية أقسى التهود دينها * وما أنت الا النصارى ملازما
فكيف ترى وصلى ولست بملتى * فان تبغ هذا الفعل تصبح نادما
وتلعب بالدينين هل حل فى الهوى * ويصبح مثلى بالملام مكلما
وتهوى به الاديان فى كل وجهة * وتبقى على دينى ودينك مجرما
فان كنت تهوانى تهود محبة * وصير سوى وصلى عليك محرما
وتحلف بالانجيل قولا محققا * لتحفظ سرى فى هواك وتكتما
وأحلف بالتوراة أيمان صادق * بانى على العهد الذى قد تقدما
حلفت على دينى وشرعى ومذهبى * وحلفتها مثلى يمينا معظما
وقلت لها ما الاسم يا غاية المنى * فقالت انا زين المواصف فى الحمى
فناديت يا زين المواصف اننى * بحبك مشغوف الفؤاد متيما
وعاينت من تحت اللثام جمالها * فصرت كئيب القلب والحال مغرما
فما زلت تحت الستر اخضع شاكيا * كثير غرام فى الفؤاد تحكما
فلما رأت حالى وفرط تولهى * جلت لى وجها ضاحكا متبسما
وهب لنا ريح الوصال وعطرت * نوافح عطر المسك جيدا ومعصما
وقد عبقت منها الاماكن كلها * وقبلت من فيها رحيقا ومبسما
ومالت كغصن البان تحت غلائل * وحللت وصلا كان قبل محرما
وبتنا بجمع الشمل والشمل جامع * بضم ولثم وارتشاف من اللمى
وما زينة الدنيا سوى من تحبه * يكون قريبا منك كى تتحكما
فلما تجلى الصبح قامت وودعت * بوجه جميل فائق قمر السما
وقد انشدت عند الوداع ودمعها * على الخد منثورا وبعضا منظما
فلم انس عهد الله ما عشت فى الورى * وحسن الليالى واليمين المعظما

فعند ذلك طربت زين المواصف وقالت يا مسرور ما أحسن معانيك ولا عاش من يعاديك ثم دخلت المقصورة ودعت بمسرور فدخل عندها واحتضنها وعانقها وقبلها وبلغ منها ما ظن انه محال وفرح بما نال من طيب الوصال فعند ذلك قالت له زين المواصف يا مسرور ان مالك حرام علينا حلال لك لاننا قد صرنا احبابا ثم انها ردت عليه جميع ما اخذته منه من الاموال وقالت له يا مسرور هل لك من روضة

تاتى اليها وتتفرج عليها قال نعم ياسيدتى لى روضة ليس لها نظير ثم مضى الى منزله وأمر
جواريه أن يصنعن طعاما فاخرا وان يهيئن مجلسا حسنا وصحبة عظيمة ثم انه دعاها
الى منزله فحضرت هى وجواريها فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ودار بينهم الكاس
والطاس وطابت منهم الانفاس وخلا كل حبيب بحبيبه فقالت له يامسرور انه خطر
ببالى شعر رقيق اريد ان اقوله على العود فقال لها قوليه فاخذت العود بيدها
واصلحت شأنه وحركت اوتاره وحسنت النغمات وأنشدت تقول هذه الابيات

قد مال بى طرب من الاوتار * وصفا الصبوح لنا لدى الاسحار
والحب يكشف عن فؤاد متيم * فبدا الهوى بتهتك الاستار
مع خمرة رقت بحسن صفاتها * كالشمس تجلى فى يد الاقمار
فى ليلة جاءت لنا بسرورها * تمحو بصفو شائب الاكدار

فلما فرغت من شعرها قالت له يامسرور أنشدنا شيأ من اشعارك ومتعنا بفواكه
اثمارك فأنشد هذين البيتين

طربنا على بدر يدير مدامة * ونغمة عود فى رياض مقامنا
وغنت قماريها ومالت غصونها * سحيرا وفى أشجانها غاية المنى

فلما فرغ من شعره قالت له زين المواصف انشد لنا شعرا فيما وقع لنا ان كنت
مشغولا بحبنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان زين المواصف قالت لمسرور ان كنت
مشغولا بحبنا فأنشد لنا شعرا فيما وقع لنا فقال حبا وكرامة وأنشد هذه
القصيدة

قف واستمع ما جرالى * فى حب هذا الغزال
ريم رمانى بنبل * ولحظه قد غزالى
فتنت عشقا وانى * فى الحب ضاق احتيالى
هويت ذات دلال * محجوبة بالنصال
أبصرتها وسط روض * وقدها ذو اعتدال
سلمت قالت سلاما * لما صغت لمقالى
سألت ما الاسم قالت * اسمى وفاق جمالى
سميت زين المواصف * فقلت رقى لحالى

فان عندى غراما * هيهات صب مثالى
قالت فان كنت تهوى * وطامعا فى وصالى
أريد مالا جزيلا * يفوق كل نوال
أريد منك ثيابا * من الحرير غوالى
وربع قنطار مسك * برسم ليل وصالى
ولؤلؤا وعقيقا * من النفيس الغالى
وفضة ونضارا * من الحلى الحوالى
أظهرت صبرا جميلا * على عظيم اشتغالى
فأنعمت لى بوصل * فياله من وصال
ان لامنى الغير فيها * أقول يا للرجال
لها شعور طوال * واللون لون الليالى
وخدها فيه ورد * مثل اللظى فى اشتعال
وجفنها فيه سيف * ولحظها كالنبال
وثغرها فيه خمر * وريقها كالزلال
كأنه عقد در * حوى نظام اللآلى
وجيدها جيد ظبى * مليحة فى كمال
وصدرها كرخام * ونهدها كالقلال
وبطنها فيه طى * معطر بالغوالى
وتحت ذلك شئ * له انتهت آمالى
مربرب وسمين * بمكانه يا موالى
كأنه تخت ملك * عليه أعرض حالى
بين العمودين تلقى * مصاطبا يتعالى
لكنه فيه وصف * يذهى عقول الرجال
له شفاه كبار * ونفرة كالبغال
يبدو بحمرة عين * ومشفر كالجمال
اذا أتيت اليه * بهمة فى الفعال
تلقاه حر الملاقى * بقوة واحتفالى
يرد كل شجاع * محاول عزم القتال
وتارة تلتقيه * بلحية فى مطال

يذيل

ينبيك عنه مليح * ذو بهجة وجمال
كمثل زين المواصف * مليحة في الكمال
أتيت ليلا اليها * ونلت شيأ حلالي
وليلة بت معها * فاقت جميع الليالي
لما أتى الصبح قامت * ووجهها كالهلال
تهز منها قواما * هز الرماح العوالي
وودعتني وقالت * متى تعود الليالي
فقلت يا نور عيني * اذا اردت تعالي

فطربت زين المواصف من هذه القصيدة طربا عظيما وحصل لها غاية الانشراح وقالت يامسرور قد دنا الصباح ولم يبق الا الرواح خوفا من الافتضاح فقال حبا وكرامة ثم نهض قائما على قدميه وأتى بها الى أن اوصلها الى منزلها ومضى الى محله وبات وهو متفكر في محاسنها فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح هيأ لها هدية فاخرة وأتى بها اليها وجلس عندها واقاما على ذلك مدة أيام وهما في ارغد عيش وأهناه ثم انه ورد عليها في بعض الايام كتاب من عند زوجها مضمونه أنه يصل اليها عن قريب فقالت في نفسها لاسلمه الله ولاحياه لانه ان وصل الينا تكدر عيشنا ياليتني كنت يئست منه فلما أتى اليها مسرور وجلس يتحدث معها على العادة فقالت له يامسرور قد ورد علينا كتاب من عند زوجي مضمونه أنه يصل الينا من سفره عن قريب فكيف يكون العمل ومالاحد منا عن صاحبه صبر فقال لها لست أدري مايكون بل أنت أخبر وادرى باخلاق زوجك ولاسيما أنت من اعقل النساء صاحبة الحيل التي تحتال بشئ تعجز عن مثله الرجال فقالت انه رجل صعب وله غيرة على أهل بيته ولكن اذا قدم من سفره وسمعت بقدومه فاقدم عليه وسلم واجلس الى جانبه وقل له يا أخي انا رجل عطار واشتر منه شيأ من أنواع العطارة وتردد عليه مرارا واطل معه الكلام ومهما أمرك به فلا تخالفه فيه فلعل ما احتال به يكون مصادفا فقال لها سمعا وطاعة وخرج مسرور من عندها وقد اشتعلت في قلبه نار المحبة فلما وصل زوجها الى الدار فرحت بوصوله ورحبت به وسلمت عليه فنظر في وجهها فرأى فيه لون الاصفرار وكانت غسلت وجهها بالزعفران وعملت فيه بعض حيل النساء فسألها عن حالها فذكرت له انها مريضة من وقت ماسافر هي والجواري وقالت له ان قلوبنا مشغولة عليك لطول غيابك وصارت تشكو اليه مشقة الفراق وتبكي بدمع مهراق وتقول لو كان معك رفيق ماحمل قلبي هذا الهم كله فبالله عليك ياسيدي

مابقيت تسافر الا برفيق ولاتقطع عنى اخبارك لاجل أن اكون مطمئنة القلب والخاطر عليك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان زين المواصف لما قالت لزوجها الاتسافر الا برفيق ولاتقطع عنى اخبارك لاجل ان أكون مطمئنة القلب والخاطر عليك قال لها حبا وكرامة والله ان أمرك رشيد ورأيك سديد وحياتك على قلبى مايكون الاماتريدينه ثم انه خرج بشئ من بضاعته الى دكانه وفتحها وجلس يبيع فى السوق فبينما هو فى دكانه واذا بمسرور قد أقبل وسلم عليه وجلس الى جانبه وصار يحييه ومكث يتحدث معه ساعة ثم اخرج كيسا وحله واخرج منه ذهبا ودفعه الى زوج زين المواصف وقال له أعطنى بهذه الدنانير شيأ من أنواع العطارة لابيعه فى دكانى فقال له سمعا وطاعة ثم اعطاه الذى طلبه وصار مسرور يتردد عليه اياما فالتفت اليه زوج زين المواصف وقال له انا مرادى رجل اشاركه فى المتجر فقال له مسرور وانا الآخر مرادى رجل اشاركه فى المتجر لان أبى كان تاجرا فى بلاد اليمن وخلف لى مالا عظيما وانا خائف على ذهابه فالتفت اليه زوج زين المواصف وقال له هل لك أن تكون رفيقا لى وأكون لك رفيقا وصاحبا وصديقا فى السفر والحضر واعلمك البيع والشراء والاخذ والعطاء فقال له مسرور حبا وكرامة ثم انه اخذه واتى به الى منزله واجلسه فى الدهليز ودخل الى زوجته زين المواصف وقال لها انى رافقت رفيقا ودعوته الى الضيافة فجهزى لنا ضيافة حسنة ففرحت زين المواصف وعرفت انه مسرور فجهزت وليمة فاخرة وصنعت طعاما حسنا من فرحتها بمسرور حيث تم تدبير حيلتها فلما حضر مسرور فى دار زوج زين المواصف قال اخرجى معى اليه ورحبى به وقولى له آنستنا فغضبت زين المواصف وقالت له تحضرنى قدام رجل غريب اجنبى اعوذ بالله ولو قطعتنى قطعا ما أحضر قدامه فقال لها زوجها لاى شئ تستحيين منه وهو نصرانى ونحن يهود ونصير اصحابا فقالت انا ما اشتهى ان أحضر قدام الرجل الاجنبى الذى ما نظرته عينى قط ولا اعرفه فظن زوجها انها صادقة فى قولها ولم يزل يعالجها حتى قامت وتلففت واخذت الطعام وخرجت الى مسرور ورحبت به فاطرق رأسه الى الارض كأنه مستحى فنظر الرجل الى اطراقه وقال لاشك ان هذا زاهد فأكلوا كفايتهم ثم رفعوا الطعام وقدموا المدام فجلست زين المواصف قبال مسرور فصارت تنظره وينظرها الى ان مضى النهار فانصرف

مسرور

مسرور الى منزله والتهبت فى قلبه النار واما زوج زين المواصف فانه صار متفكرا
فى لطف صاحبه وفى حسنه فلما أقبل الليل قدمت اليه زوجته طعاما ليتعشى
كعادته وكان عنده فى الدار طير هزار اذا جلس يأكل يأتى اليه ذلك الطير ويأكل
معه ويرفرف على رأسه وكان ذلك الطير قد ألف مسرورا فصار يرفرف عليه
كلما جلس على الطعام فحين غاب مسرور وحضر صاحبه فلم يعرفه ولم يقرب منه فصار
متفكرا فى أمر ذلك الطير وفى بعده عنه وأما زين المواصف فانها لم تنم بل صار قلبها
مشغولا بمسرور واستمر ذلك الامر الى ثانى ليلة وثالث ليلة ففهم اليهودى أمرها
ونقد عليها وهى مشغولة البال فأنكر عليها وفى رابع ليلة انتبه من منامه نصف
الليل فسمع زوجته تلهج فى منامها بذكر مسرور وهى نائمة فى حضنه فأنكر
ذلك عليها وكتم أمره فلما أصبح الصباح ذهب الى دكانه وجلس فيها فبينما هو جالس
واذا بمسرور قد أقبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحبا يا أخى ثم قال له انى
مشتاق اليك وجلس يتحدث معه ساعة زمانية ثم قال له قم يا أخى معى الى منزلى حتى
نعقد المؤاخاة فقال مسرور حبا وكرامة فلما وصلا الى المنزل تقدم اليهودى
واخبر زوجته بقدوم مسرور وأنه يريد أن يتجر هو واياه ويؤاخيه وقال لها هيئى لنا
مجلسا حسنا ولا بد انك تحضرين معنا وتنظرين المؤاخاة فقالت له بالله عليك
لا تحضرنى قدام هذا الرجل الغريب فمالى غرض أن أحضر قدامه فسكت عنها
وأمر الجوارى أن تقدم الطعام والشراب ثم انه استدعى بالطير الهزار فنزل فى حجر
مسرور ولم يعرف صاحبه فعند ذلك قال له يا سيدى ما اسمك قال اسمى مسرور
والحال أن زوجته طول الليل تلهج فى منامها بهذا الاسم ثم رفع رأسه فنظرها وهى
تشير اليه وتغمزه بحاجبها فعرف أن الحيلة قد تمت عليه فقال يا سيدى امهلنى حتى
أجىء بأولاد عمى يحضرون المؤاخاة فقال له مسرور افعل ما بدا لك فقام زوج زين
المواصف وخرج من الدار وجاء من وراء المجلس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان زوج زين المواصف قال لمسرور امهلنى حتى أجىء
بأولاد عمى ليحضروا عقد المؤاخاة بينى وبينك ثم انه مشى وجاء من وراء المجلس ووقف
وكان هناك طاقة تشرف عليهما فجاء اليها وصار ينظرهما منها وهما لا ينظرانه واذا
بزين المواصف قالت لجاريتها سكوب أين راح سيدك قالت الى خارج الدار قالت

لها اغلق الباب ومكنيه بالحديد ولا تفتحى له حتى يدق الباب بعد ان تخبريني قالت لها الجارية وهو كذلك كل ذلك وزوجها يعاين حالهم ثم ان زين المواصف اخذت الكأس وطيبته بماء الورد وسحيق المسك وجاءت الى مسرور فقام لها وتلقاها وقال لها والله ان ريقك احلى من هذا الشراب وصارت تسقيه ويسقيها وبعد ذلك رشته بماء الورد من فرقه الى قدمه حتى فاحت روائحه فى المجلس كل ذلك وزوجها ينظر اليهما ويتعجب من شدة الحب الذى بينهما وقد امتلأ قلبه غيظا مما قد رآه ولحقه الغضب وغار غيرة عظيمة فأتى الى الباب فوجده مغلقا فطرقه طرقا قويا من شدة غيظه فقالت الجارية يا سيدتى قد جاء سيدى فقالت افتحى له الباب فلا رده الله بسلامة فمضت سكوب الى الباب وفتحته فقال لها مالك تغلقين الباب فقالت هكذا فى غيابك لم يزل مغلقا ولا يفتح ليلا ولا نهارا فقال أحسنت فانه يعجبنى ذلك ثم دخل على مسرور وهو يضحك ولكنه كتم أمره وقال يا مسرور دعنا من المؤاخاة فى هذا اليوم ونتآخى فى يوم آخر غير هذا اليوم فقال سمعا وطاعة افعل ما تريد فعند ذلك مضى مسرور الى منزله وصار زوج زين المواصف متفكرا فى أمره ولا يدرى ما يصنع وصار خاطره فى غاية التكدير وقال فى نفسه حتى الهزار انكرنى والجوارى اغلقت الابواب فى وجهى وملن الى غيرى ثم انه صار من شدة قهره يردد انشاد هذه الابيات

لقد عاش مسرور زمانا منعما * بلذة أيام وعيشى تصرما
تعاندنى الايام فيمن أحبه * وقلبى بنيران يزيد تضرما
صفا لك دهر بالمليحة قد مضى * ولا زلت فى ذاك الجمال متيما
لقد عاينت عيناى حسن جمالها * فاصبح قلبى فى هواها متيما
لقد طالما قد ارشفتنى مع الرضا * بعذب ثناياها رحيقا على ظما
فمالك يا طير الهزار تركتنى * وصرت لغيرى فى الغرام مسلما
وقد أبصرت عينى أمورا عجيبة * تنبه أجفانى اذا كن نوما
رأيت حبيبى قد أضاع مودتى * وطير هزارى لم يكن لى محوما
وحق اله العالمين الذى اذا * اراد قضاء فى الخليقة أبرما
لافعل ما يستوجب الظالم الذى * بجهل دنا من وصلها وتقدما

فلما سمعت زين المواصف شعره ارتعدت فرائصها واصفر لونها وقالت لجاريتها هل سمعت هذا الشعر فقالت الجارية ما سمعته فى عمرى قال مثل هذا الشعر ولكن دعيه يقول ما يقول فلما تحقق زوجها أن هذا الامر صحيح صار يبيع فى كل ما تملكه يده

يده وقال فى نفسه ان لم اغربهما عن اوطانهما لم يرجعا عما هما فيه ابدا فلما باع جميع املاكه كتب كتابا مزورا ثم قرأه عليهما وادعى أن هذا الكتاب جاءه من عند أولاد عمه يتضمن طلب زيارته لهم هو وزوجته فقالت وكم نقيم عندهم قال اثنى عشر يوما فأجابته الى ذلك وقالت له هل آخذ معى بعض جوارى قال خذى منهن هبوب وسكوب ودعى هنا خطوب ثم هيأ لهن هودجا مليحا وعزم على الرحيل بهن فأرسلت زين المواصف الى مسرور ان فات الميعاد الذى بيننا ولم نأت فاعلم انه قد عمل علينا حيلة ودبر لنا مكيدة وأبعدنا عن بعضنا فلا تنس العهود والمواثيق التى بيننا فانى أخاف من حيله ومكره ثم ان زوجها جهز حاله للسفر وأما زين المواصف فانها صارت تبكى وتنتحب ولا يقر لها قرار فى ليل ولا نهار فلما رأى زوجها ذلك لم ينكر عليها فلما رأت زين المواصف ان زوجها لابد له من السفرلمت قماشها ومتاعها واودعت جميع ذلك عند أختها وأخبرتها بما جرى لها وودعتها وخرجت من عندها وهى تبكى ثم رجعت الى بيتها فرأت زوجها قد احضر الجمال وصار يضع عليها الاحمال وهيأ لزين المواصف أحسن الجمال فلما رأت زين المواصف انه لا بد من فراقها لمسرور تحيرت فاتفق ان زوجها قد خرج لبعض اشغاله فخرجت الى الباب الاول وكتبت عليه هذه الابيات وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان زين المواصف لما رأت زوجها احضر الجمال وعلمت بالسفر تحيرت فاتفق ان زوجها خرج لبعض اشغاله فخرجت الى الباب الاول وكتبت عليه هذه الابيات

الا يا حمام الدار بلغ سلامنا * من الصب للمحبوب عند فراقنا
و بلغه انى لا أزال حزينة * وندمى على ما كان من طيب وقتنا
كما ان حبى لا يزال متيما * حزينا على ما قد مضى من سرورنا
قضينا زمانا بالمسرة والهنا * وفزنا بوصل ليلنا ونهارنا
فلم نستفق الا واصبح صائحا * علينا غراب البين ينعى فراقنا
رحلنا وخلينا الديار بلاقعا * فيا ليتنا لم نخل تلك المساكنا

ثم أتت الى الباب الثانى وكتبت عليه هذه الابيات

ايا واصلا للباب بالله فانظرا * جمال حبيبى فى الدياجى وأخبرا
بانى ابكى ان تذكرت وصله * ولا ينفد الدمع الذى بالبكا جرى

فان لم تجد صبرا على ما أصابنى * فضع فوق رأسك التراب وغبرا
وسافر الى شرق البلاد وغربها * وعش صابرا فالله للامر قدرا
ثم أتت الى الباب الثالث وبكت بكاء شديدا وكتبت عليه هذه الابيات
رويدك يامسرور ان زرت دارها * فقر الى الابواب واقرأ سطورها
ولا تنس عهد الود ان كنت صادقا * فكم طعمت حلو الليالى ومرها
فبالله يامسرور لا تنس قربها * فقد تركت فيك الهنا وسرورها
الا وابك ايام الوصال وطيبها * وأنت متى ما جئت أرخت ستورها
فسافر قصيات البلاد لاجلنا * وخض بحرها واستقص عنا برورها
لقد ذهبت عنا الليالى وصالنا * وفرط ظلام الهجر اطفأ نورها
رعى الله اياما مضت ما أسرها * بروض الامانى اذ قطفنا زهورها
فهلا استمرت مثل ما كنت أرتجى * ابى الله الا وردها وصدورها
فهل ترجع الايام تجمع شملنا * وأوفى اذا وافت لربى نذورها
وكن عالما أن الامور بكف من * يخط على لوح الجبين سطورها
ثم بكت بكاء شديدا ورجعت الى الدار تبكى وتنتحب وصارت تتذكر ما مضى وقالت
سبحان الله الذى حكم علينا بهذا ثم زاد تأسفها على مفارقة الاحباب وعلى فراق
الديار وأنشدت هذه الابيات
عليك سلام الله يا منزلا خلا * لقد قضت الايام فيك سرورها
الا يا حمام الدار لا زلت نائحا * لمن فارقت أقمارها وبدورها
رويدك يامسرور فابك لفقدنا * لقد فقدت عينى لفقدك نورها
ولو نظرت عيناك يوم رحيلنا * ونيران قلبى زاد دمعى سعيرها
ولا تنس ذاك العهد فى ظل روضة * حوت شملنا فيها وأرخت ستورها
ثم حضرت بين يدى زوجها فحملها على الهودج الذى صنعه لها فلما أن صارت على
ظهر البعير أنشدت هذه الابيات
عليك سلام الله يا منزلا خلا * وقد طال ما زدنا هناك تجملا
فليت زمانى فى ذراك تصرمت * لياليه حتى فى الصبابة أقتلا
جزعت على بعدى وشوقى لموطن * شغفت به لم ادر ماقد تحصلا
فياليت شعرى هل أرى فيه عودة * تروق كما راقت لنا فيه أولا
فقال لها زوجها يا زين المواصف لا تحزنى على فراق منزلك فانك تعودين اليه عن
قريب وصار يطيب خاطرها ويلاطفها ثم ساروا حتى خرجوا الى ظاهر البلد

وأستقبلوا الطريق وعلمت أن الفراق قد تحقق فعظم ذلك عليها كل هذا ومسرور
قاعد فى منزله متفكر فى أمره وأمر محبوبته فحس قلبه بالفراق فنهض قائما على
قدميه من وقته وساعته وسار حتى جاء الى منزلها فرأى الباب مقفولا ورأى
الابيات التى كتبتها زين المواصف فقرأ ما على الباب الاول فلما قرأه وقع
فى الارض مغشيا عليه ثم أفاق من غشيته وفتح الباب الاول ودخل الى الباب
الثانى فرأى ما كتبته وكذلك الثالث فلما قرأ جميع هذه الكتابة زاد به الغرام
والشوق والهيام فخرج فى اثرها يسرع فى خطاه حتى لحق بالركب فرآها فى آخره
وزوجها فى أوله لاجل حوايجه فلما رآها تعلق بالهودج باكيا حزينا من ألم الفراق
وأنشد هذه الابيات

ليت شعرى باى ذنب رمينا * بسهام الصدود طول السنينا
يامنى القلب جئت للدار يوما * عند مازدت فى هواك شجونا
فرأيت الديار قفرا يبابا * فشكوت النوى وزدت أنينا
وسألت الجدار عن كل قصدى * اين راحوا وصار قلبى رهينا
قال ساروا عن المنازل حتى * صيروا الوجد فى الفؤاد كمينا
كتبت لى على الجدار سطورا * فعل أهل الوفا من العالمينا

فلما سمعت زين المواصف هذا الشعر علمت انه مسرور وأدرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما سمعت منه هذا الشعر علمت انه
مسرور فبكت هى وجواريها ثم قالت له يامسرور سألتك بالله أن ترجع عنا لئلا
يراك ويرانى زوجى فلما سمع مسرور ذلك غشى عليه فلما أفاق ودعا بعضهما وأنشد
هذه الابيات

نادى الرحيل سحيرا فى الدجى الهادى * قبل الصباح وهبت نسمة النادى
شدوا المطايا وجدوا فى ترحلهم * وأسرع الركب لما زمزم الحادى
وعطروا ارضهم من كل ناحية * وعجلوا اسيرهم فى ذلك الوادى
تملكوا مهجتى عشقا وقد رحلوا * وغادرونى على آثارهم غادى
ياجيرة مقصدى أن لا أفارقهم * حتى بللت الثرى من دمعى الغادى
ياويح قلبى بعيد البعد ماصنعت * يد الفراق على رغمى باكبادى

وما زال مسرور ملازما للركب وهو يبكى و ينتحب وهى تستعطفه فى أن يرجع قبل الصباح خشية الافتضاح فتقدم الى الهودج وودعها ثانى مرة وغشى عليه ساعة زمانية فلما أفاق وجدهم سائرين فالتفت نحو سيرهم وشم ريح القبول وصار يترنم بانشاد هذه الابيات

ماهب ريح القرب للمشتاق * الاشكا من لوعة الاشواق
هبت عليه نسمة سحرية * مافاق الا وهو فى الآفاق
ملقى على فرش السقام من الضنى * يبكى الدما بدمعه المهراق
من جيرة رحلوا وقلبى معهم * بين الركاب يساق بالسواق
والله مافى القرب هبت نسمة * الا وقفت لها على الاحداق

ثم رجع مسرور الى الدار وهو فى غاية الاشتياق فرآها خالية من الاطناب موحشة من الاحباب فبكى حتى بل الثياب وغشى عليه وكادت أن تخرج روحه من جسده فلما أفاق انشد هذين البيتين

ياربع رق لذاتى وخضوعى * ونحول جسمى وانهمال دموعى
وانشر اليناعن عبير نسيمهم * أرجا لتشفى خاطر الموجوع

فلما رجع مسرور الى منزله صار متحيرا من أجل ذلك باكى العين ولم يزل على هذا الحال مدة عشرة أيام هذا ما كان من أمر مسرور وأما ما كان من أمر زين المواصف فانها عرفت ان الحيلة قد تمت عليها فان زوجها ما زال سائرا بها مدة عشرة أيام ثم أنزلها فى بعض المدن فكتبت زين المواصف كتابا لمسرور وناولته لجاريتها هبوب وقالت ارسلى هذا الكتاب الى مسرور ليعرف كيف تمت الحيلة علينا وكيف غدر بنا اليهودى فأخذت الجارية منها الكتاب وارسلته الى مسرور فلما وصل اليه عظم عليه هذا الخطاب فبكى حتى بل التراب وكتب كتابا وأرسله الى زين المواصف وختمه بهذين البيتين

كيف الطريق الى أبواب سلوان * وكيف يسلو الذى فى حر نيران
ما كان أطيب أوقات لهم سلفت * فليت منها الدنيا بعض احيان

فلما وصل الكتاب الى زين المواصف أخذته وقرأته واعطته لجاريتها هبوب وقالت لها اكتمى خبره فعلم زوجها انهما يتراسلان فأخذ زين المواصف وجواريها وسافر بهن مسافة عشرين يوما ثم نزل بهن فى بعض المدن هذا ما كان من امر زين المواصف وأما ما كان من امر مسرور فانه صار لا يهنأ له نوم ولا يقر له قرار ولم يكن له اصطبار ولم يزل كذلك اذ هجعت عيناه فى بعض الليالى فرأى فى المنام

ان

ان زين المواصف قد جاءت اليه فى الروضة وصارت تعانقه فانتبه من نومه فلم يرها فطار عقله وذهل لبه وهملت عيناه بالدموع وقد أصبح قلبه فى غاية الولوع فانشد هذه الابيات

سلام على من زارفى النوم طيفها * فهيج اشواقى وزاد هيامى
وقد قمت من ذاك المنام مولعا * برؤية طيف زارنى بمنامى
فهل تصدق الاحلام فيمن أحبه * وتشفى غليلى فى الهوى وسقامى
فطورا تعاطينى وطورا تضمنى * وطورا تواسينى بطيب كلام
ولما تقضى فى المنام عتابنا * وصارت عيونى بالدموع دوامى
رشفت رضابا من لماها كأنه * رحيق ارى رياه مسك ختام
عجبت لما قد كان فى النوم بيننا * وقد نلت منها منيتى ومرامى
وقد قمت من ذاك المنام ولم أجد * من الطيف الالوعتى وغرامى
فأصبحت كالمجنون حين رأيتها * وأمسيت سكرانا بغير مدام
ألا يانسيم الريح بالله بلغى * تحية أشواقى لهم وسلامى
وقولى لهم ذاك الذى تعهدونه * سقته صروف الدهر كأس حمام

ثم انه توجه الى منزلها ومازال يبكى حتى وصل اليه فنظر الى المكان فوجده خاليا ورأى خيالها يلوح قدامه وكأن شخصها أمامه فاشتعلت نيرانه وزادت أحزانه ووقع مغشيا عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان مسرورا لما رأى فى المنام زين المواصف وهى تعانقه فرح غاية الفرح ثم انتبه من النوم وراح الى دارها فرأى الدار خالية فزادت أحزانه ووقع مغشيا عليه فلما افاق جعل ينشد هذه الابيات

تنشقت منهم فائح العطر والبان * فرحت بقلب زائد الوجد والهان
أعالج أشواقى كئيبا متيما * بربع خلا عن حسن انسى وخلانى
فامرضنى بالبين والوجد والاسى * وذكرنى العهد القديم بخلانى

فلما فرغ من شعره سمع غرابا ينعق على جانب الدار فبكى وقال سبحان الله لا ينعق الغراب الاعلى الدار الخراب ثم تحسر وتنهد وانشد هذه الابيات

ما للغراب بدار الحب يبكيها * والنار تحرق أحشائى وتكويها
على زمان تقضى فى محبتهم * قد راح قلبى ضياعا فى مهاويها

أموت وجدا ونار الشوق فى كبدى * وأكتب الكتب مالى من يؤديها
واحسرتى لضنى جسمى وقد رحلت * حبيبتى يا ترى تأتى لياليها
فيا نسيم الصبا ان زرتها سحرا * سلم عليها وقف بالدار حييها
وقد كان لزين المواصف أخت تسمى نسيما وكانت تنظر اليه من مكان عال فلما رأته على تلك الحالة بكت وتحسرت وانشدت هذه الابيات
كم ذا التردد فى الاوطان تبكيها * والدار تندب بالاحزان بانيها
كان السرور بها من قبل ان رحلت * سكانها وشموس أشرقت فيها
أين البدور التى كانت طوالعة * محت صروف الردى أبهى معانيها
دع ما مضى من ملاح كنت تألفها * وانظر عسى ترجع الايام تبديها
لولاك ما رحلت سكانها أبدا * ولا رأيت غرابا فى أعاليها
فبكى مسرور بكاء شديدا لما سمع هذا الكلام وفهم الشعر والنظام وكانت أختها تعرف ما هو ما عليه من العشق والغرام والوجد والهيام فقالت له بالله عليك يا مسرور كف عن هذا المنزل لئلا يشعر بك أحد فيظن انك تأتى من أجلى لانك رحلت أختى وتريد أن ترحلنى أنا الاخرى وانت تعرف أنه لولاك ما خلت الدار من سكانها فتسل عنها واتركها فقد مضى ما مضى فلما سمع مسرور ذلك من اختها بكى بكاء شديدا وقال لها يا نسيم لو قدرت ان أطير لطرت شوقا اليها فكيف أتسلى عنها فقالت مالك حيلة الا الصبر فقال لها سألتك بالله أن تكتبى لها كتابا من عندك وتردى لنا جوابا ليطيب خاطرى وتنطفى النار التى فى ضمائرى فقالت حبا وكرامة ثم أخذت دواة وقرطاسا وصار مسرور يصف لها شدة شوقه وما يكابده من الم الفراق ويقول ان هذا الكتاب عن لسان الهائم الحزين المفارق المسكين الذى لا يقر له قرار فى ليل ولا فى نهار بل يبكى بدموع غزار قد قرحت الدموع أجفانه وأضرمت فى كبده أحزانه وطال تأسفه وكثر قلقه مثل طير فقد الفه وعجل تلفه فيا أسفى من مفارقتك ويا لهفى على معاشرتك لقد ضر جسمى النحول ودمعى صار فى هول وضاقت على الجبال والسهول فامسيت من فرط وجدى أقول
وجدى على تلك المنازل باقى * زادت الى سكانها أشواقى
وبعثت نحوكم حديث صبابتى * وبكأس حبكم سقانى الساقى
وعلى رحيلكم و بعد دياركم * جرت الجفون بدمعها المهراق
يا حادى الاظعان عرج بالحمى * فالقلب منى زائد الاحراق

واقرأ سلامى للحبيب وقل له * مالى له غير اللمى من راق
اودى الزمان به فشتت شمله * ورمى حشاشته بسهم فراق
بلغ لهم وجدى وشدة لوعتى * من بعد فرقتهم وما أنا لاقى
قسما بحبكم يمينا اننى * اوفى لكم بالعهد والميثاق
ماملت قط ولا سلوت هواكم * كيف السلو لعاشق مشتاق
فعليكم منى السلام تحية * ممزوجة بالمسك فى الاوراق

فتعجبت أختها نسيم من فصاحة لسانه وحسن معانيه ورقة اشعاره فرقت له وختمت الكتاب بالمسك الاذفر وبخرته بالند والعنبر وأوصلته الى بعض التجار وقالت له لا تسلم هذا الا لاختى أو جاريتها هبوب فقال حبا وكرامة فلما وصل الكتاب الى زين المواصف عرفت انه من املاء مسرور وعرفت نفسه فيه بلطف معانيه فقبلته ووضعته على عينيها واجرت الدموع من جفنيها ولم تزل تبكى حتى غشى عليها فلما افاقت دعت بدواة وقرطاس وكتبت له جواب الكتاب ووصفت شوقها وغرامها ووجدها وما هى فيه من الحنين الى الاحباب وشكت حالها اليه وما نالها من الوجد عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان زين المواصف لما كتبت جواب الكتاب لمسرور قالت له فيه ان هذا كتاب الى سيدى ومالك رقى ومولاى وصاحب سرى ونجواى أما بعد فقد أقلقنى السهر وزاد بى الفكر ومالى على بعدك مصطبر يامن حسنه يفوق الشمس والقمر فالشوق أقلقنى والوجد أهلكنى وكيف لا أكون كذلك وانا مع الهالكين فيا بهجة الدنيا وزينة الحياة هل لمن انقطعت أنفاسه أن يطيب كاسه لانه لا هو مع الاحياء ولا مع الاموات ثم أنشدت هذه الابيات

كتابك يا مسرور قد هيج البلوى * فوالله مالى عنك صبر ولا سلوى
ولما قرأت الخط حنت جوارحى * ومن ماء دمعى دائما لم أزل أروى
ولو كنت طيرا طرت فى جنح ليلة * فلم أدر طعم المن بعدك والسلوى
حرام على العيش من بعد بعدكم * فانى على حر التفرق لا أقوى

ثم تربت الكتاب بسحيق المسك والعنبر وختمته وأرسلته مع بعض التجار وقالت له لا تسلمه الا لاختى نسيم فلما وصل الى اختها نسيم أوصلته الى مسرور فقبله ووضعه على عينيه وبكى حتى غشى عليه هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر زوج

زين المواصف فانه لما علم بالمراسلات بينهما صار يرحل بها وبجواريها من محل الى محل فقالت له زين المواصف سبحان الله الى أين تسير بنا وتبعدنا عن الاوطان قال الى أن أقطع بكم سنة حتى لا يصل اليكن مراسلات من مسرور وانظر كيف أخذتن جميع مالى واعطيتنه لمسرور فكل شئ ضاع لى آخذه منكن وانظر هل ينفعكن مسرور ويقدر على خلاصكن من يدى ثم انه مضى الى الحداد وصنع لهن ثلاثة قيود من الحديد واتى بها اليهن ونزع ما كان عليهن من الثياب الحرير والبسهن ثيابا من الشعر وصار يبخرها بالكبريت ثم جاء اليهن بالحداد وقال له ضع هذه القيود فى أرجل هؤلاء الجوارى فأول ما قدم زين المواصف فلما رآها الحداد غاب صوابه وعض على أنامله وطار عقله من رأسه وزاد غرامه وقال لليهودى ماذنب هؤلاء الجوارى فقال انهن جوارى وسرقن مالى وهربن منى فقال له الحداد خيب الله ظنك والله لو كانت هذه الجارية عند قاضى القضاة واذنبت كل يوم ألف ذنب لا يؤاخذها وأيضا لا يظهر عليها علامة السرقة ولا تقدر على وضع الحديد فى رجليها ثم سأله أن لا يقيدها وصار يستشفع عنده فى عدم تقييدها فلما نظرت الحداد وهو يستشفع لها عنده قالت لليهودى سألتك بالله لا تخرجنى قدام هذا الرجل الغريب فقال لها وكيف خرجت قدام مسرور فلم ترد له جوابا ثم قبل شفاعة الحداد ووضع فى رجليها قيدا صغيرا وقيد الجوارى بالقيود الثقيلة وكان لزين المواصف جسم ناعم لا يتحمل الخشونة فلم تزل لابسة ثياب الشعر هى وجواريها ليلا ونهارا الى ان انتحلت أجسامهن وتغيرت ألوانهن واما الحداد فانه وقع فى قلبه لزين المواصف عشق عظيم فسار الى منزله وهو بأشد الحسرات وجعل ينشد هذه الابيات

شلت يمينك يا قين بما وثقت * تلك القيود على الاقدام والعصب
قيدت اقدام مولاة منعمة * انيسة خلقت من أعجب العجب
لو كنت تنصف ما كانت خلاخلها * من الحديد وقد كانت من الذهب
ولو رأى حسنها قاضى القضاة رثى * لها واجلسها تيها على الرتب

وكان قاضى القضاة مارا على دار الحداد وهو يترنم بانشاد هذه الابيات فارسل اليه فلما حضر قال يا حداد من هذه التى تلهج بذكرها وقلبك مشغول بحبها فنهض الحداد قائما على قدميه بين يدى القاضى وقبل يده وقال أدام الله ايام مولانا القاضى وفسح فى عمره انها جارية صفتها كذا وكذا وصار يصف له الجارية وماهى فيه من الحسن والجمال والقد والاعتدال والظارف والكمال بوجه جميل وخصر نحيل

نحيل وردف ثقيل ثم أخبره بما هي فيه من الذل والحبس والقيود وقلة الزاد
فقال القاضي يا حداد دلها علينا واوصلها الينا حتى نأخذ لها حقها لان هذه
الجارية صارت متعلقة برقبتك وان كنت لا تدلها علينا فان الله يجازيك يوم
القيامة فقال الحداد سمعا وطاعة ثم انه توجه من وقته وساعته الى دار زين
المواصف فوجد الباب مغلوقا وسمع كلاما رخيما من كبد حزين فان زين المواصف
كانت فى ذلك الوقت تنشد هذه الابيات

قد كنت فى وطنى والشمل مجتمع * والحب يملأ لى بالصفو أقداحا
دارت علينا بما نهواه من طرب * فليس تنكر امساء واصباحا
لقد قضينا زمانا كان ينعشنا * كأس وعود وقانون وافراحا
ففرق الدهر والتصريف الفتنا * والحب ولى ووقت الصفو قد راحا
فليت عنا غراب البين منزجر * وليت فجر وصالى فى الهوى لاحا

فلما سمع الحداد هذا الشعر والنظام بكى بدمع كدمع الغمام ثم طرق الباب عليهن
فقلن من بالباب فقال لهن أنا الحداد ثم أخبرهن بما قاله القاضي وانه يريد حضورهن
لديه واقامة الدعوى بين يديه حتى يخلص لهن حقهن وأدرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الحداد لما أخبر زين المواصف بكلام القاضي
وانه يريد حضورهن لديه واقامة الدعوى بين يديه ويقتص لهن من غريمهن حتى
يخلص لهن حقهن قالت للحداد كيف نروح اليه والباب مغلوق علينا والقيود
فى أرجلنا والمفاتيح مع اليهودى قال لهن الحداد أنا أعمل للاقفال مفاتيح وافتح
بها الباب والقيود قالت فمن يعرفنا بيت القاضي فقال الحداد أنا أصفه لكن
فقالت زين المواصف وكيف نمضى عند القاضي ونحن لابسات ثياب الشعر
المبخرة بالكبريت فقال لهن الحداد ان القاضي لا يعيبكن وأنتن فى هذه الحالة ثم
نهض الحداد من وقته وساعته وصنع مفاتيح للاقفال ثم فتح الباب وفتح القيود
وحلها من أرجلهن واخرجهن ودلهن على بيت القاضي ثم ان جاريتها هبوب نزعت
ما كان على سيدتها من الثياب الشعر وذهبت بها الى الحمام وغسلتها والبستها
ثياب الحرير فرجع لونها اليها ومن تمام السعادة ان زوجها كان فى وليمة عند
بعض التجار فتزينت زين المواصف بأحسن الزينة ومضت الى بيت القاضي فلما

نظرها القاضى وقف قائما على قدميه فسلمت عليه بعذوبة كلام وحلاوة ألفاظ
ورشقته فى ضمن ذلك بسهام الالحاظ وقالت له أدام الله مولانا القاضى وأيد به
القاضى ثم أخبرته بأمر الحداد وما فعل معها من فعل الاجواد وبما صنع بها
اليهودى من العذاب الذى يدهش الالباب وأخبرته أنه قد زاد بهن الهلاك
ولم يجدن لهن من فكاك فقال القاضى يا جارية ما اسمك قالت اسمى زين المواصف
وجاريتى هذه اسمها هبوب فقال لها القاضى ان اسمك وافق مسماه وطابق لفظه
معناه فتبسمت ولفت وجهها فقال لها القاضى يا زين المواصف ألك بعل أم لا قالت
مالى بعل قال وما دينك قالت دين الاسلام وملة خير الانام فقال لها اقسمى
بالشريعة ذات الآيات والعبر انك على ملة خير البشر فأقسمت له وتشهدت فقال
لها القاضى كيف انقضى شبابك مع هذا اليهودى فقالت اعلم أيها القاضى أدام
الله أيامك بالتراضى وبلغك آمالك وختم بالصالحات أعمالك ان أبى خلف لى بعد
وفاته خمسة عشر ألف دينار وجعلها فى يد هذا اليهودى ليتجر فيها والكسب
بيننا وبينه ورأس المال ثابت بالبينة الشرعية فعند ما مات أبى طمع اليهودى فىّ
وطلبنى من أمى ليتزوج بى فقالت له أمى كيف أخرجها من دينها وأجعلها يهودية
فوالله لأعرفن الدولة بك فخاف ذلك اليهودى من كلامها وأخذ المال وهرب الى
مدينة عدن وعند ما سمعنا به أنه فى مدينة عدن جئنا فى طلبه فلما اجتمعنا عليه
فى تلك المدينة ذكر لنا أنه يتاجر فى البضائع ويشترى بضاعة بعد بضاعة فصدقناه
ولم يزل يخادعنا حتى حبسنا وقيدنا وعذبنا أشد العذاب ونحن غرباء وما لنا معين
الا الله تعالى ومولانا القاضى فلما سمع القاضى هذه الحكاية قال لجاريتها هبوب
هل هذه سيدتك وأنتن غرباء وليس لها بعل قالت نعم قال زوجينى بها وأنا يلزمنى
العتق والصيام والحج والصدقة ان لم أخلص لكن حقكن من هذا الكلب بعد
أن أجازيه بما فعل فقالت هبوب لك السمع والطاعة فقال القاضى روحى طيبى
قلبك وقلب سيدتك وفى غد ان شاء الله تعالى أرسل الى هذا الكافر وأخلص لكن
حقكن منه وتنظرين العجب فى عذابه فدعت له الجارية وانصرفت من عنده
وخلته فى كرب وهيام وشوق وغرام وبعد ان انصرفت من عنده هى وسيدتها
سألتا عن دار القاضى الثانى فدلوهما عليه فلما حضرتا لديه أعلمتاه بذلك وكذلك
الثالث والرابع حتى رفعت أمرها الى القضاة الاربعة وكل واحد يسألها أن تتزوج
به فتقول له نعم ولم يعرف بعضهم خبر بعض فصار كل واحد يطمع فيها ولم يعلم
اليهودى بشئ من ذلك لانه كان فى دار الوليمة فلما أصبح الصباح نهضت جاريتها

وأفرغت

وأفرغت عليها حلة من أفخر الملابس ودخلت بها على القضاة الاربعة فى مجلس الحكم فلما رأت القضاة حاضرين أسفرت عن وجهها ورفعت قناعها وسلمت عليهم فردوا عليها السلام وعرفها كل واحد منهم وكان بعضهم يكتب فوقع القلم من يد وبعضهم كان يتحدث فتلجلج لسانه وبعضهم كان يحسب فغلط فى حسابه فعند ذلك قالوا لها ياظريفة الخصال وبديعة الجمال لايكن قلبك الا طيبا فلا بد من أن نخلص لك حقك ونبلغك مرادك فدعت لهم ثم ودعتهم وانصرفت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان القضاة قالوا لزين المواصف ياظريفة الخصال بديعة الجمال لايكن قلبك الا طيبا بقضاء غرضك وبلوغ مرادك فدعت لهم ثم ودعتهم وانصرفت هذا كله واليهودى مقيم عند أصحابه فى الوليمة وليس له علم بذلك وصارت زين المواصف تدعو ولاة الاحكام وأرباب الاقلام اينصروها على هذا الكافر المرتاب ويخلصوها من أليم العذاب ثم بكت وأنشدت هذه الابيات

يا عين سحى الدمع كالطوفان * فعسى بدمعى تنطفى أحزانى
من بعد لبسى للحرير مطرزا * أضحى لباسى ملبس الرهبان
والعطر كبريت بخور ملابسى * شتان بين الند والريحان
لو كنت يا مسرور تعلم حالنا * ما كنت ترضى ذلتى وهوانى
ومحبوب فى قيد الحديد أسيرة * مع كافر بالواحد الديان
وزهدت أحوال اليهود ودينهم * واليوم دينى أشرف الاديان
وسجدت للرحمن سجدة مسلم * وتبعت شرع محمد ببيان
مسرور لاتنس المودة بيننا * واحفظ وثيق العهد والايمان
أبدلت دينى فى هواك واننى * من فرط حبى لم يزل كتمانى
بادر الينا ان حفظت ودادنا * حفظ الكرام ولا تكن متوانى

ثم انها كتبت كتابا يتضمن جميع ما عمله معها اليهودى من الاول الى الآخر وسطرت فيه هذه الاشعار ثم طوت الكتاب وناولته لجاريتها هبوب وقالت لها احفظى هذا الكتاب فى جيبك حتى نرسله الى مسرور فبينما هما كذلك واذا باليهودى قد دخل عليهما فرآهما فرحانتين فقال مالى أراكما فرحانتين هل جاءكما

كتاب من عند صديقكما مسرور فقالت له زين المواصف نحن ما لنا معين عليك الا الله سبحانه وتعالى فانه هو الذى يخلصنا من جورك وان لم تردنا الى بلادنا واوطاننا فنحن فى غد نترافع واياك الى حاكم هذه المدينة وقاضيها فقال اليهودى ومن خاص القيود من أرجلكما ولكن لابد أن أصنع لكل واحدة منكن قيدا قدر عشرة أرطال واطوف بكن حول المدينة فقالت له هبوب جميع ما نويته لنا تقع فيه ان شاء الله كما أبعدتنا عن اوطاننا وفى غد نقف واياك قدام حاكم المدينة واستمروا على ذلك الى الصباح ثم نهض اليهودى وجاء الى الحداد ليصنع قيود لهن فعند ذلك قامت زين المواصف هى وجواريها وأتت الى دار الحكم ودخلتها فرأت القضاة فسلمت عليهم فردّ عليها جميع القضاة السلام ثم قال قاضى القضاة لمن حوله ان هذه الجارية زهراوية وكل من رآها احبها وخضع لحسنها وجمالها ثم ان القاضى أرسل معها من الرسل أربعة وكانوا أشرافا وقال لهم احضروا اغريمها فى أسوا حال هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر اليهودى فانه لما صنع لهن القيود توجه الى المنزل فلم يجدهن فيه فاحتار فى أمره فبينما هو كذلك واذا بالرسل قد تعلقوا به وضربوه ضربا شديدا وجروه سحبا على وجهه حتى أتوا به الى القاضى فلما رآه القاضى صرخ فى وجهه وقال ويلك يا عدو الله هل وصل من أمرك انك فعلت ما فعلت وأبعدت هؤلاء عن أوطانهن وسرقت مالهن وتريد أن تجعلهن يهودا فكيف تريد تكفير المسلمين فقال اليهودى يا مولاى ان هذه زوجتى فلما سمع القضاة منه ذلك الكلام صاحوا كلهم وقالوا ارموا هذا الكلب على الارض وانزلوا على وجهه بنعالكم واضربوه ضربا وجيعا فان ذنبه لا يغفر فنزعوا عنه ثيابه الحرير وألبسوه ثيابا من الشعر وألقوه على الارض ونتفوا لحيته وضربوه ضربا وجيعا على وجهه بالنعال ثم اركبوه على حمار وجعلوا وجهه الى كفله وأمسكوه ذيل الحمار فى يده وطافوا به حول المدينة حتى جرسوه فى سائر البلد ثم عادوا به الى القاضى وهو فى ذل عظيم فحكم عليه القضاة الاربعة بأن تقطع يداه ورجلاه وبعد ذلك يصلب فاندهش الملعون من ذلك القول وغاب عقله وقال يا سادات القضاة ما تريدون منى فقالوا له قل ان هذه الجارية ما هى زوجتى وان المال مالها وأنا تعديت عليها وشتتها عن أوطانها فأقر بذلك وكتبوا باقراره حجة وأخذوا منه المال ودفعوه الى زين المواصف وأعطوها الحجة وخرجت فصار كل من رأى حسنها وجمالها متحيرا فى عقله وقد ظن كل واحد من القضاة انها يؤول أمرها اليه فلما وصلت الى منزلها جهزت أمرها من جميع ما تحتاج اليه وصبرت الى ان دخل

الليل

الليل فأخذت ما خف حمله وغلا ثمنه وسارت هي وجواريها في ظلام الليل ولم تزل سائرة مسافة ثلاثة أيام بلياليها هذا ما كان من امر زين المواصف وأما ما كان من امر القضاة فانهم بعد ذهابها امروا بحبس اليهودي زوجها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان القضاة امروا بحبس اليهودي زوج زين المواصف فلما أصبح الصباح صار القضاة والشهود ينتظرون أن تحضر عندهم زين المواصف فلم تحضر عند احد منهم ثم ان القاضي الذي ذهبت اليه أولا قال أنا أريد اليوم أن أتفرج على خارج المدينة لان لي حاجة هناك ثم ركب بغلته وأخذ غلامه وصار يطوف في أزقة المدينة طولا وعرضا ويفتش على زين المواصف فلم يقع لها على خبر فبينما هو كذلك اذ وجد باقي القضاة دائرين وكل واحد منهم يظن انها ليس بينها وبين غيره ميعاد فسألهم ما سبب ركوبهم ودورانهم في أزقة المدينة فأخبروه بشأنهم فرأى حالهم كحاله وسؤالهم كسؤاله ثم صار الجميع يفتشون عليها فلم يقعوا لها على خبر فانصرف كل واحد منهم الى منزله مريضا ورقدوا على فرش الضنى ثم ان قاضي القضاة تذكر الحداد فأرسل اليه فلما حضر بين يديه قال يا حداد هل تعرف شيأ من خبر الجارية التي دللتها علينا فوالله ان لم تطلعني عليها ضربتك بالسياط فلما سمع الحداد كلام القاضي أنشد هذه الابيات

ان التي ملكتني في الهوى ملكت * مجامع الحسن حتى لم تدع حسنا

رنت غزالا وفاحت عنبرا وبدت * شمسا وماجت غديرا وانثنت غصنا

ثم ان الحداد قال والله يا مولاي من حين انصرفت من الحضرة الشريفة ما نظرتها عيني أبدا وقد ملكت لبي وعقلي وصار فيها حديثي وشغلي وقد مضيت الى منزلها فلم أجدها ولم أر أحدا يخبرني عن شأنها فكأنها غطست في قرار الماء أو عرج بها الى السماء فلما سمع القاضي كلامه شهق شهقة كادت روحه أن تخرج منها وقال والله ما كان لنا حاجة برؤيتها فانصرف الحداد ووقع القاضي على فرشه وصار من أجلها في ضنى وكذا الشهود وباقي القضاة الاربعة وصارت الحكماء تتردد عليهم وما بهم من مرض يحتاج الى الطبيب ثم ان وجهاء الناس دخلوا على القاضي الاول فسلموا عليه واستخبروه عن حاله فتنهد وباح بما في ضميره وأنشد هذه الابيات

كفوا الملام كفاني مؤلم السقم * واستعذروا قاضيا يقضي على الامم
من كان يعذلني في الحب يعذرني * ولا يلم فقتيل الحب لم يلم
فقاضيا كنت والاقدار تسعدني * على المراتب في حظي وفي قلمي
حتى رميت بسهم لا طبيب له * من طرف جارية جاءت لسفك دمي
ما مثل مسلمة تشكو ظلامتها * وثغرها كيتيم الدر منتظم
نظرت تحت محياها وقد سفرت * بدرا بدا تحت جنح الليل في الظلم
وجها منيرا وثغرا باسما عجبا * قد عمها الحسن من فرق الى قدم
والله ما نظرت عيني كطلعتها * من البرية في عرب ولا عجم
يا حسن ما وعدتني وهي قائلة * اذا وعدت أفي يا قاضي الامم
هذا مقامي وهذا ما بليت به * لا تسألوا عن شجوني يا أولي الهمم

فلما فرغ القاضي من هذه الابيات بكى بكاء شديدا ثم انه شهق شهقة ففارقت روحه جسده فلما رأوا ذلك غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه وكتبوا على قبره هذه الابيات

كملت صفات العاشقين لمن غدا * في القبر مقتول الحبيب وصده
قد كان هذا للبرية قاضيا * ويراعه سجن الحسام بغمده
فقضى عليه الحب لم نر قبله * مولى تذلل في الانام لعبده

ثم انهم ترحموا عليه وانصرفوا الى القاضي الثاني ومعهم الطبيب فلم يجدوا به ضررا ولا ألما يحتاج الى طبيب فسألوه عن حاله وشغل باله فعرفهم بقضيته فلاموه وعنفوه على تلك الحالة فأجابهم مترنما بهذه الابيات

بليت بها وشلي لا يلام * رميت نبلة من كف رامي
أتتني مرأة تدعى هبوبا * تعد الدهر عاما بعد عام
ومعها طفلة أبدت محيا * يفوق البدر في جنح الظلام
فبينت المحاسن وهي تشكو * وأدمع جفنها ذات انسجام
سمعت كلامها ونظرت فيها * فأضنتني بثغر ذي ابتسام
وقد راحت بقلبي أين راحت * وخلتني رهينا في غرامي
فهذي قصتي فارثوا لحالي * وحطوا قاضيا غيري غلامي

ثم انه شهق شهقة ففارقت روحه جسده فجهزوه ودفنوه وترحموا عليه ثم توجهوا الى القاضي الثالث فوجدوه مريضا وحصل له ما حصل للثاني وكذلك الرابع فوجدوا الجميع مرضى بحبها ووجدوا الشهود أيضا مرضى بحبها فان كل من رآها مات

نمات بحبها وان لم يمت عاش يكابد لوعة الغرام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان أهل المدينة وجدوا جميع القضاة والشهود مرضى بحبها فان كل من رآها مات بعشقها وان لم يمت عاش يكابد لوعة الغرام من شدة حبها رحمهم الله أجمعين هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر زين المواصف فانها جدت في السير مدة أيام حتى قطعت مسافة بعيدة فاتفق انها خرجت هي وجواريها فمرت على دير في الطريق وفيه راهب كبير اسمه دانس وكان عنده أربعون بطريقا فلما رأى جمال زين المواصف نزل اليها وعزم عليها وقال لها استريحوا عندنا عشرة أيام ثم سافروا فنزلت عنده هي وجواريها في ذلك الدير فلما نزلت ورأى حسنها وجمالها أفسدت عقيدته وافتتن بها وصار يرسل اليها مع البطارقة واحدا بعد واحد لاجل أن يؤلفها فصار كل من أرسله اليها يقع في حبها ويراودها عن نفسها لَه وهي تعتذر وتمتنع ولم يزل دانس يرسل اليها واحدا بعد واحد حتى أرسل اليها أربعين بطريقا وكل واحد حين يراها يتعلق بعشقها ويكثر من ملاطفتها ويراودها عن نفسها ولا يذكر لها اسم دانس فتمتنع من ذلك وتجاوبهم باغلظ جواب فلما فرغ صبر دانس واشتد غرامه قال في نفسه ان صاحب المثل يقول ما حك جسمي غير ظفري ولا سعى في مرامي مثل أقدامي ثم نهض قائما على قدميه وصنع طعاما مفتخرا وحمله ووضعه بين يديها وكان ذلك في اليوم التاسع من العشرة أيام التي اتفق معها على اقامتها عنده لاجل الاستراحة فلما وضعه بين يديها قال تفضلي باسم الله خير الزاد ما حصل فمدت يدها وقالت بسم الله الرحمن الرحيم وأكلت هي وجواريها فلما فرغت من الاكل قال لها يا سيدتي أريد أن أنشدك أبياتا من الشعر فقالت له قل فأنشد هذه الابيات

ملكت قلبي بالحاظ ووجنات * وفي هواك غدا نثري وأبياتي

أتتركيني محبا مغرما دنفا * أعالج العشق حتى في المنامات

لا تتركيني صريعا والها فلقد * تركت أشغال ديري بعد لذاتي

يا غادة جوزت في الحب سفك دمي * رفقا بحالي وعطفا في شكاياتي

فلما سمعت زين المواصف شعره أجابته عن شعره بهذين البيتين

يا طالب الوصل لا يغررك بي أمل * اكفف سؤالك عني أيها الرجل

لاتطمع النفس فيما لست تاركه * ان المطامع مقرون بها الوجل

فلما سمع شعرها رجع الى صومعته وهو متفكر فى نفسه ولم يدر كيف يصنع فى أمرها ثم بات تلك الليلة فى أسوا حال فلما جن الليل قامت زين المواصف وقالت لجواريها قوموا بنا فاننا لانقدر على أربعين رجلا رهبانا وكل واحد يراودنى عن نفسى فقال لها الجوارى حبا وكرامة ثم انهن ركبن دوابهن وخرجن من باب الدير ليلا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان زين المواصف لما خرجت هى وجواريها من الدير ليلا لم يزلن سائرات واذا هن بقافلة سائرة فاختلطن بها واذا بالقافلة من مدينة عدن التى كانت فيها زين المواصف فسمعت أهل القافلة يتحدثون بخبر زين المواصف ويذكرون ان القضاة والشهود ماتوا فى حبها وولى أهل المدينة قضاة وشهودا غيرهم وأطلقوا زوج زين المواصف من الحبس فلما سمعت زين المواصف هذا الكلام التفتت الى جواريها وقالت لجاريتها هبوب ألا تسمعين هذا الكلام فقالت لها جاريتها اذا كان الرهبان الذين عقيدتهم ان الترهب عن النساء عبادة قد افتتنوا فى هواك فكيف حال القضاة الذين عقيدتهم انه لارهبانية فى الاسلام ولكن امضى بنا الى أوطاننا مادام أمرنا مكتوما ثم انهن سرن وبالغن فى السير هذا ما كان من أمر زين المواصف وجواريها وأما ما كان من أمر الرهبان فانهم لما أصبح الصباح أتوا الى زين المواصف لاجل السلام فرأوا المكان خاليا فأخذهم المرض فى أجوافهم ثم ان الراهب الاول مزق ثيابه وصار ينشد هذه الابيات

ألايا أصحابى تعالوا فاننى * مفارقكم عما قليل وراحل

فان فؤادى فيه سقم ولوعة * وقلبى به من زفرة الحب قاتل

لاجل فتاة قد أتت نحو أرضنا * لها البدر فى أفق السماء يعادل

فراحت وخلتنى قتيل جمالها * طريح سهام صادفتها مقاتل

ثم ان الراهب الثانى أنشد هذه الابيات

ياراحلين بمهجتى رفقا على * مسكينكم وتعطفوا بالمرجع

راحوا فراحت راحتى من بعدهم * ونأوا وطيب حديثهم فى مسمعى

شطوا فشط مزارهم ياليتهم * منوا علينا فى المنام بمرجع

أخذوا فؤادى عند مارحلوا وقد * تركوا جميعى فى سوافح أدمعى

ثم

ثم ان الراهب الثالث أنشد هذه الابيات

يصوركم قلبي وعيني ومسمعي * فقلبي لكم ماوى وكلي باجمعي
وذكركم أحلى من الشهد في فمي * ويجري كمجرى الروح في كل أضلعي
وصيرتموني كالخلال من الضني * وأغرقتموني في الغرام بمدمعي
دعوني أراكم في المنام لعلكم * تريحون خدي من تباريح أدمعي

ثم ان الراهب الرابع أنشد هذين البيتين

خرس اللسان وقل فيك كلامي * والحب منه توجعي وسقامي
يابدر تم في السماء محله * قد زاد فيك تولهي وهيامي

ثم ان الراهب الخامس أنشد هذه الابيات

أهوى قمرا عادل القد رشيق * والخصر نحيل شاكي الضرر
والريق له شبه سلاف ورحيق * والردف ثقيل لاهي البشر
والقلب غدا بالغرام حريق * والصب قتيل بين السمر
والدمع على الخدقان كعقيق * في الخد يسيل مثل المطر

ثم ان الراهب السادس أنشد هذه الابيات

يامتلفي في الحب فرط صدوده * ياغصن بان لاح نجم سعوده
أشكو اليك كآبتي وصبابتي * يامحرقي في نار ورد خدوده
هل مثل صب فيك غادر نسكه * وغدا عديم ركوعه وسجوده

ثم ان الراهب السابع أنشد هذه الابيات

سجن الفؤاد ودمع عيني اطلقا * والوجد جدده وصبري مزقا
حلو الشمائل ما أمر صدوده * يرمي الفؤاد بسهمه عند اللقا
ياعاذلي أقصر وتب عما مضى * ما أنت في خبر الغرام مصدقا

وهكذا باقي البطارقة والرهبان كلهم يبكون وينشدون الاشعار وأما كبيرهم دانس فانه زاد به البكاء والعويل ولم يجد لوصالها من سبيل ثم انه صار يترنم بانشاد هذه الابيات

عدمت اصطباري يوم سار أحبتي * وفارقني من كان سؤلي ومنيتي
فيا حادي الاظعان رفقا بعيشهم * عسى أن يمنوا بالرجوع لدارتي
جفا جفن عيني النوم يوم فراقهم * وجددت أحزاني وفارقت لذتي
الى الله أشكو ما ألاقي بحبها * لقد أنحلت جسمي واودت بقوتي

ثم انهم لما يئسوا منها أجمع رأيهم على انهم يصورون صورتها عندهم واتفقوا على

ذلك الى أن أتاهم هاذم اللذات هذا ما كان من أمر هؤلاء الرهبان أصحاب الدير وأما ما كان من أمر زين المواصف فانها سارت تقصد محبوبها مسرورا ولم تزل سائرة الى ان وصلت الى منزلها وفتحت الابواب ودخلت الدار ثم أرسلت الى أختها نسيم فلما سمعت أختها بذلك فرحت فرحا شديدا وأحضرت لها الفراش ونفيس القماش ثم انها فرشت لها وألبستها وأرخت الستور على الابواب وأطلقت العود والندّ والعنبر والمسك الاذفر حتى عبق المكان من تلك الرائحة وصار أعظم ما يكون ثم ان زين المواصف لبست أفخر قماشها وتزينت أحسن الزينة كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدومها بل كان فى همّ شديد وحزن ما عليه من مزيد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان زين المواصف لما دخلت دارها أتت لها أختها بالفراش والقماش وفرشت لها وألبستها أفخر الثياب كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدومها بل كان فى همّ شديد وحزن ما عليه من مزيد ثم جلست زين المواصف تتحدث مع جواريها التى تخلفن عن السفر معها وذكرت لهنّ جميع ما وقع لها من الاول الى الآخر ثم انها التفتت الى هبوب واعطتها دراهم وامرتها أن تذهب وتأتى لها بشئ تأكله هى وجواريها فذهبت وأتت بالذى طلبته من الاكل والشرب فلما انتهى أكلهنّ وشربهنّ أمرت هبوب ان تمضى الى مسرور وتنظر أين هو وتشاهد ما هو فيه من الاحوال وكان مسرور لا يقرّ له قرار ولا يمكنه اصطبار فلما زاد عليه الوجد والغرام والعشق والهيام صار يتسلى بانشاد الاشعار ويذهب الى الدار ويقبل الجدار فاتفق انه مضى الى محل التوديع وصار ينشد هذا الشعر البديع

اخفيت ما ألقاه منه وقد ظهر * والنوم من عينى تبدل بالسهر
ناديت لما قد سبت قلبى الفكر * يا دهر لا تبقى علىّ ولا تذر
ها مهجتى بين المشقة والخطر
لو كان سلطان المحبة منصفى * ما كان نومى من عيونى قد نفى
يا سادتى رقوا لصب مدنف * وارثوا الحال كبير قوم ذل فى
شرع الهوى وغنى قوم افتقر
لج العواذل فيك ما طاوعتهم * وسددت كل مسامعى وكتمتهم
وحفظت

وحفظت ميثاق الذين حببتهم * قالوا عشقت مفارقا فأجبتهم
كفوا اذا نزل القضا عمى البصر

ثم انه رجع الى منزله وقعد يبكى فغلب عليه النوم فرأى فى منامه كأنّ زين المواصف أتت الى الدار فانتبه من نومه وهو يبكى ثم سار متوجها الى منزل زين المواصف وهو ينشد هذه الابيات

السلو الى فى الحب قد ملكت أسرى * وقلبى على نار أحر من الجمر
عشقت الى اشكو الى الله بعدها * وصرف الليالى والحوادث من دهرى
متى الملتقى ياغاية القلب والمنى * وأحظى بجمع الشمل يا طلعة البدر

وكان آخر ما انشد من الشعر وهو ماش فى زقاق زين المواصف فشم منه الروائح الزكية فهاج لبه وفارق صدره قلبه وتضرم غرامه وزاد هيامه واذا بهبوب متوجهة الى قضاء حاجة فرآها وهى مقبلة من صدر الزقاق فلما رآها فرح فرحا شديدا فلما رأته هبوب اتت اليه وسلمت عليه وبشرته بقدوم سيدتها زين المواصف وقالت له انها ارسلتنى فى طلبك اليها ففرح بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد ثم اخذته ورجعت به اليها فلما رأته زين المواصف نزلت له من فوق سريرها وقبلته وقبلها وعانقته وعانقها ولم يزالا يقبلان بعضهما ويتعانقان حتى غشى عليهما زمانا طويلا من شدة المحبة والفراق فلما افاقا من غشيتهما امرت جاريتها هبوب باحضار قلة مملوءة من شراب السكر وقلة مملوءة من شراب الليمون فاحضرت لها الجارية جميع ما طلبته ثم أكلوا وشربوا وما زالوا كذلك الى أن أقبل الليل فصاروا يذكرون الذى جرى لهم من اوله الى آخره ثم انها أخبرته باسلامها ففرح واسلم هو ايضا وكذلك جواريها وتابوا الى الله تعالى فلما اصبح الصباح امرت باحضار القاضى والشهود واخبرتهم انها عازبة وقد وفت العدة ومرادها الزواج بمسرور فكتبوا كتابها عليه وصاروا فى الذ عيش هذا ما كان من امر زين المواصف ومسرور واما ما كان من امر زوجها اليهودى فانه حين أطلقه اهل المدينة من السجن سافر منها متوجها الى بلاده ولم يزل مسافرا حتى صار بينه وبين المدينة التى فيها زين المواصف ثلاثة ايام فاخبرت بذلك زين المواصف فدعت بجاريتها هبوب وقالت لها امضى الى مقبرة اليهود واحفرى قبرا وضعى الرياحين ورشى حوله الماء وان جاء اليهودى وسألك عنى فقولى له ان سيدتى ماتت من قهرها عليك ومضى لموتها مدة عشرين يوما فان قال أرينى قبرها فخذيه الى القبر وتحيلى على دفنه فيه بالحياة فقالت سمعا وطاعة ثم انهم رفعوا الفراش وأدخلوه فى مخدع ومضت الى بيت مسرور فقعد هو واياها فى اكل وشرب ولم يزالوا كذلك حتى

مضت الثلاثة ايام هذا ما كان من أمرهم واما ما كان من امر زوجها فانه لما اقبل
من السفر دق الباب فقالت هبوب من بالباب فقال سيدك ففتحت له الباب فرأى
دموعها تجرى على خدها فقال لها ما يبكيك واين سيدتك فقالت له ان سيدتى
قد ماتت بسبب قهرها عليك فلما سمع منها ذلك الكلام تحير فى امره وبكى بكاء شديدا
ثم قال لها يا هبوب اين قبرها فأخذته ومضت به الى المقبرة وارته القبر الذى حفرته
فعند ذلك بكى بكاء شديدا ثم انشد هذين البيتين

شيئان لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى يؤذنا بذهاب
لم يقضيا المعشار من حقيهما * شرخ الشباب وفرقة الاحباب

ثم بكى بكاء شديدا وانشد هذه الابيات

أواه وا أسفا قد خاننى جلدى * ومن فراق حبيبى مت بالكمد
يا ما دهانى من بعد الحبيب ويا * تقطيع قلبى على ما قدمته يدى
يا ليتنى قد كتمت السر فى زمنى * ولم أبح بغرام هاج فى كبدى
قد كنت فى عيشة مرضية رغد * وصرت من بعدها فى الذل والنكد
فيا هبوب لقد هيجت لى شجنا * بموت من كان من دون الورى سندى
زين المواصف لا كان الفراق ولا * كان الذى فارقت روحى به جسدى
لقد ندمت على نقض العهود وقد * عاتبت نفسى على التفريط فى عمدى

فلما فرغ من شعره بكى وأن واشتكى وخر مغشيا عليه فلما غشى عليه أسرعت
هبوب بجره ووضعه فى القبر وهو بالحياة ولكنه مدهوش ثم سدت عليه ورجعت
الى سيدتها وأعلمتها بهذا الخبر ففرحت بذلك فرحا شديدا وأنشدت هذين
البيتين

الدهر اقسم لا يزال مكدرى * حنثت يمينك يا زمان فكفر
مات العذول ومن هويت مواصلى * فانهض الى داعى السرور وشمر

ثم انهم اقاموا مع بعضهم على الاكل والشرب واللهو واللعب الى ان أتاهم هادم
اللذات ومفرق الجماعات ومميت البنين والبنات

(حكاية على نور الدين مع مريم الزنارية)

ومما يحكى انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان رجل تاجر بالديار
المصرية يسمى تاج الدين وكان من اكابر التجار ومن الامناء الاحرار الا انه كان
مولعا بالسفر الى جميع الاقطار ويحب السير فى البرارى والقفار والسهول
والاوعار

والاوعار وجزائر البحار فى طلب الدرهم والدينار وكان له عبيد ومماليك وخدم وجوار وطالما ركب الاخطار وقاسى فى السفر مايشيب الاطفال الصغار وكان أكثر التجار فى ذلك الزمان مالا واحسنهم مقالا صاحب خيول وبغال وبخاتى وجمال وغرائر واعدال وبضائع واموال وأقمشة عديمة المثال من شدود حمصية وثياب بعلبكية ومقاطع سندسية وثياب مروزية وتفاصيل هندية وأزرار بغدادية وبرانس مغربية ومماليك تركية وخدم حبشية وجوار رومية وغلمان مصرية وكانت غرائر احماله من الحرير لانه كان كثير الاموال بديع الجمال مائس الاعطاف شهى الانعطاف كما قال فيه بعض واصفيه

وتاجر عاينت عشاقه * والحرب فيما بينهم ثائر
فقال ما للناس فى ضجة * قلت على عينك يا تاجر

وقال آخر فى وصفه وأجاد واتى فيه بالمراد

وتاجر فى وصله زارنا * والقلب من ألحاظه حائر
فقال لى مالك فى حيرة * قلت على عينك يا تاجر

وكان لذلك التاجر ولد ذكر يسمى على نور الدين كأنه البدر اذا بدر فى ليلة أربعة عشر بديع الحسن والجمال ظريف القد والاعتدال فجلس ذلك الصبى يوما من الايام فى دكان والده على جرى عادته للبيع والشراء والاخذ والعطاء وقد دارت حوله أولاد التجار فصار هو بينهم كأنه القمر بين النجوم بجبين أزهر وخد أحمر وعذار أخضر وجسم كالمرمر كما قال فيه الشاعر

ومليح قال صفنى * أنت فى الوصف رجيح
قلت قولا باختصار * كل ما فيك مليح

وكما قال فيه بعض واصفيه

له خال على صفحات خد * كنقطة عنبر فى صحن مرمر
والحاظ كاسياف تنادى * على عاصى الهوى الله اكبر

فعزمه أولاد التجار وقالوا له يا سيدى نور الدين نشتهى فى هذا اليوم انك تتفرج نحن واياك فى البستان الفلانى فقال لهم حتى أشاور والدى فانى لم أقدر أن أروح الا باجازته فبينما هم فى الكلام واذا بوالده تاج الدين قد أتى فنظر اليه ولده وقال يا ابى ان اولاد التجار قد عزمونى لاجل أن اتفرج انا واياهم فى البستان الفلانى فهل تاذن لى فى ذلك فقال نعم يا ولدى ثم انه اعطاه شيأ من المال وقال توجه معهم

ثم ركب اولاد التجار حميرا وبغالا وركب نور الدين بغلة وسار معهم الى بستان فيه ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وهو مشيد الاركان رفيع البنيان له باب مقنطر كأنه ايوان وباب سماوى يشبه أبواب الجنان وبوابه اسمه رضوان وفوقه مائة مكعب عنب من سائر الالوان الاحمر كأنه مرجان والاسود كأنه أنوف السودان والابيض كأنه بيض الحمام وفيه الخوخ والرمان والكمثرى والبرقوق والتفاح كل هذه الانواع مختلفة الالوان صنوان وغير صنوان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان أولاد التجار لما دخلوا البستان رأوا فيه كامل ما تشتهى الشفة واللسان ووجدوا العنب مختلف الالوان صنوانا وغير صنوان كما قال فيه الشاعر

عنب طعمه كطعم الشراب * حالك لونه كلون الغراب
بين أوراقه زها فتراه * كبنان النساء بين الخضاب

وكما قال فيه الشاعر أيضا

عناقيد حكت لما تدلت * على قضبانها جسمى نحولا
حكت عسلا وماء فى اناء * وعادت بعد حصرمها شمولا

ثم انتهوا الى عريشة البستان فرأوا رضوان بواب البستان جالسا فى تلك العريشة كأنه رضوان خازن الجنان ورأوا مكتوبا على باب العريشة هذان البيتان

سقى الله بستانا تدلت قطوفه * فمالت بها الاغصان من شدة الشرب
اذا رقصت أغصانه بيد الصبا * تنقطها الانواء باللؤلؤ الرطب

ورأوا مكتوبا فى داخل العريشة هذان البيتان

ادخل بنا يا صاح فى روضة * تجلو عن القلب صدا همه
نسيمها يعثر فى ذيله * وزهرها يضحك فى كمه

وفى ذلك البستان فواكه ذات أفنان وأطيار من جميع الاصناف والالوان مثل فاخت وبلبل وكروان وقمرى وحمام يغرد على الاغصان وأنهار بها الماء الجارى وقد راقت تلك المجارى بأزهار وأثمار ذات لذات كما قال فيه الشاعر هذين البيتين

سرت النسيم على الغصون فشابهت * خوداء تعثر فى جميل ثيابها

وحكت جداولها السيوف اذا انتضت * أيدى الفوارس من غلاف قرابها

وكما قال فيه الشاعر أيضا

والنهر مدّ على الغصون ولم يزل * أبدا يمثل شخصها فى قلبه

حتى اذا فطن النسيم سرى لها * من غيرة فامالها من قربه

وأشجار ذلك البستان عليها من كل فاكهة زوجان وفيه من الرمان مايشبه اكر القيروان كما قال فيه الشاعر وأجاد

ورمان رقيق القشر يحكى * نهود البكر اذ برزت نحولا

اذا قشرته يبدو لدينا * من الياقوت ما بهر العقولا

وكما قال فيه الشاعر

مملمة تبدى لقاصد جوفها * يواقيت حمرا فى معاطف عبقرى

ورمانة شبهتها اذ رأيتها * بنهد العذارى أو بقبة مرمر

وفيها شفاء للمريض وصحة * وفيها حديث للنبى المطهر

وفيها يقول الله جل جلاله * مقالا بليغا فى الكتاب المسطر

وفى ذلك البستان تفاح سكرى ومسكى يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر

تفاحة جمعت لونين قد حكيا * خدى حبيب ومحبوب قد اجتمعا

لاحا على الغصن كالضدين من عجب * فذاك أسود والثانى به لمعا

تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمرّ ذا خجلا واصفرّ ذا ولعا

وفى ذلك البستان مشمش لوزى وكافورى وجيلانى وعنتابى كما قال فيه الشاعر

والمشمش اللوزى يحكى عاشقا * جاء الحبيب له فحيرلبه

وكفاه من صفة المتيم مابه * يصفر ظاهره ويكسر قلبه

وقال فيه آخر وأجاد

انظر الى المشمش فى زهره * حدائق يجلو سناها الحدق

كالانجم الزهر اذا مازهت * الغصن يزهو بها فى الورق

وفى ذلك البستان برقوق وقراصيا وعناب تشفى السقيم من الاوصاب والتين فوق أغصانه ما بين أحمر واخضر يحير العقول والنواظر كما قال فيه الشاعر

كأنما التين يبدو منه أبيضه * مع اخضر بين أوراق من الشجر

أبناء روم على أعلى القصور وقد * جنّ الظلام بهم باتوا على حذر

وقال آخر وأجاد

أهلا بتين جاءنا * منضدا على طبق

كسفرة منمومة * قد جمعت بلا حلق

وقال آخر وأجاد

انعم بتين طاب طعما واكتسى * حسنا وقارب منظرا من مخبر
يبدى تعاطيه اذا ماذقته * ريح الاقاح وطيب طعم السكر
وحكى اذا ماصب فى اطباقه * اكراصنعن من الحرير الاخضر

وما أحسن قول بعضهم

قالوا وقد ألفت نفسى تفكهها * بغيرفاكهة فى حبها هاموا
لاى شئ تحب التين قلت لهم * للتين قوم وللجميز أقوام

واحسن منه قول الآخر

التين يعجبنى عن كل فاكهة * لما استوى والتوى فى غصنه الزاهى
كأنه عابد والسحب ماطرة * فاضت مدامعه من خشية الله

وفى ذلك البستان من الكمثرى الطورى والحلبى والرومى ماهو مختلف الالوان صنوان وغير صنوان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان أولاد التجار لما نزلوا البستان رأوا فيه من الفواكه ماذكرناه ووجدوا فيه من الكمثرى الطورى والحلبى والرومى ماهو مختلف الالوان صنوان وغير صنوان ما بين أصفر وأخضر يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر

يهنيك كمثرى غدا لونها * لون محب زائد الصفرة
شبيهة بالبكر فى خدرها * والوجه منها مسبل السترة

وفى ذلك البستان من الخوخ السلطانى ماهو مختلف الالوان من أصفر وأحمر كما قال فيه الشاعر

كأنما الخوخ لدى روضة * وقد كسى من حمرة العندم
بنادق من ذهب أصفر * قد خضبت فى وجهها بالدم

وفى ذلك البستان من اللوز الاخضر ماهو شديد الحلاوة يشبه الجمار ولبه من داخل ثلاثة اثواب من صنعة الملك الوهاب كما قيل فيه

ثلاثة اثواب على جسد رطب * مخالفة الاشكال من صنعة الرب
تريه الردى فى ليله ونهاره * وان يكن المسجون فيها بلا ذنب

وقال

وقال آخر وأجاد

أما ترى اللوز حين تظهره * من الافانين كف مقتطف
وقشره قد جلا القلوب لنا * كأنه الدر داخل الصدف

وأحسن منه قول الآخر

يا حسن لوز أخضر * أصغره ملء اليد
كأنما زبيره * نبت عذار الامرد
قلوبه يا صاح من * مزدوج ومفرد
كأنها لآلئ * تصان فى زبرجد

وقال آخر وأجاد

ما أبصرت عيناى مثل اللوز فى * جماله لما بدت أنواره
الرأس منه باشتعال أشيب * حين انتشا واخضر منه عذاره

وفى ذلك البستان النبق مختلف الالوان صنوان وغير صنوان كما قال فيه بعض واصفيه هذا الشعر

انظر الى النبق فى الاغصان منتظما * كشمش معجب يزهو على القضب
كأن صفرته للناظرين غدت * تحكى جلاجل قد صيغت من الذهب

وقال آخر وأجاد

وسدرة كل يوم * من حسنها فى فنون
كأنما النبق فيها * وقد بدا للعيون
جلاجل من نضار * قد علقت فى غصون

وفى ذلك البستان النارنج كأنه خولنجان كما قال فيه الشاعر الولهان

وحمراء ملء الكف تزهو بحسنها * فظاهرها نار وباطنها ثلج
ومن عجب ثلج مع النار لم يذب * ومن عجب نار وليس لها وهج

وقال بعضهم وأجاد

وأشجار نارنج كأن ثمارها * اذا ما بدت للناظر المتفرس
خدود نساء قد تبرجن زينة * بايام عيد فى غلائل سندس

وقال آخر وأجاد

كأن ربا النارنج اذهبت الصبا * وأضحت به الاغصان وهى تميد
خدود عليها بهجة الحسن أقبلت * عليها باوقات السلام خدود

وقال آخر وأجاد

وشادن قلنا له صف لنا * بستاننا هذا ونارنجنا
فقال لي بستانكم طلعتي * ومن جنى النارنج ناراجني

وفي ذلك البستان الاترج لونه كلون التبر وقد حط من أعلى مكان وتدلى في الاغصان كأنه سبائك العقيان وقد قال فيه الشاعر الولهان

أما ترى ايكة الاترج مثمرة * يخشى عليها اذا مالت من العطب
كأنها عندما مر النسيم بها * غصن تحمل قضبانا من الذهب

وفي ذلك البستان الكباد متدليا في أغصانه كنهود أبكار تشبه الغزلان وهو على غاية المراد كما قال فيه الشاعر وأجاد

وكبادة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة أغيد
اذا ميلتها الريح مالت كأكرة * بدت ذهبا في صولجان زبرجد

وفي ذلك البستان الليمون زاكي الرائحة يشبه بيض الدجاج ولكن صفرته زينة جانيه وريحه يزهو لجانيه كما قال فيه بعض واصفيه

أما ترى الليمون لما بدا * يأخذ من اشراقه بالعيان
كأنه بيض دجاج وقد * لطخه الحسة بالزعفران

وفي ذلك البستان من سائر الفواكه والرياحين والخضراوات والمشمومات من الياسمين والفاغية والفلفل والسنبل العنبري والورد بسائر أنواعه ولسان الحمل والآس وكامل الرياحين من جميع الاجناس وذلك البستان من غير تشبيه كأنه قطعة من الجنان لرائيه اذا دخله العليل خرج منه كالاسد الغضبان ولم يقدر على وصفه اللسان لما فيه من العجائب والغرائب التي لا توجد الا في الجنان كيف لا واسم بوابه رضوان لكن بين المقامين شتان فلما تفرج أولاد التجار في ذلك البستان جلسوا بعد التفرج والتنزه على ليوان من لواوينه وأجلسوا نور الدين في وسط الليوان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان أولاد التجار لما جلسوا في الليوان أجلسوا نور الدين في وسط الليوان على نطع من الاديم المزركش متكئا على مخدة محشوة بريش النعام وظهارتها مدورة سنجابية ثم ناولوه مروحة من ريش النعام مكتوبا عليها هذان البيتان

ومروحة معطرة النسيم * تذكر طيب أوقات النعيم

وتهدى طيبها فى كل وقت * الى وجه الفتى الحر الكريم

ثم ان هؤلاء الشباب خلعوا ما كان عليهم من العمائم والثياب وجلسوا يتحدثون ويتنادمون ويتجاذبون أطراف الكلام بينهم وكل منهم يتأمل فى نور الدين وينظر الى حسن صورته وبعد أن اطمأن بهم الجلوس ساعة من الزمان أقبل عليهم عبد وعلى رأسه سفرة طعام فيها أوان من الصينى والبلور لان بعض أولاد التجار كان وصى أهل بيته بها قبل خروجه الى البستان وكانت تلك السفرة مما درج وطار وسبح فى البحار كالقطا والسمان وأفراخ الحمام وشياه الضان وألطف السمك فلما وضعت تلك السفرة بينهم تقدموا وأكلوا بحسب الكفاية ولما فرغوا من الاكل قاموا عن الطعام وغسلوا أيديهم بالماء الصافى والصابون الممسك وبعد ذلك نشفوا أيديهم بالمناديل المنسوجة بالحرير والقصب وقدموا لنور الدين منديلا مطرزا بالذهب الاحمر فمسح به يديه وجاءت القهوة فشرب كل منهم مطلوبه ثم جلسوا للحديث واذا بخولى البستان ذهب وجاء بسل مملوء بالورد وقال ما تقولون يا سادتنا فى المشموم فقال بعض أولاد التجار لا بأس به خصوصا الورد فانه لا يرد فقال البستانى نعم ولكن عادتنا اننا لا نعطى الورد الا بالمنادمة فمن أراد أخذه فليأت بشىء من الشعر يناسب المقام وكان أولاد التجار عشرة أشخاص فقال واحد منهم نعم اعطنى وانا أنشدك شيأ يناسب المقام فناوله حزمة من الورد فاخذها وانشد هذه الابيات

للورد عندى محل * لانه لا يمل
كل الرياحين جند * وهو الامير الاجل
ان غاب عزوا وتاهوا * حتى اذا جاء ذلوا

ثم ناول الثانى حزمة ورد فاخذها وأنشد هذين البيتين

دونك يا سيدى وردة * يذكرك المسك أنفاسها
كهيفاء أبصرها عاشق * فغطت باكمامها راسها

ثم ناول الثالث حزمة ورد فاخذها وأنشد هذين البيتين

ورد نفيس تسر القلب رؤيته * تحكى روائحه ما طاب من ند
قد ضمه الغصن فى أوراقه طربا * كقبلة بفم من غير ماصد

ثم ناول الرابع حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

أما ترى دوحة الورد التى ظهرت * لها بدائع قد ركبن فى قضب
كأنهن يواقيت يطوف بها * زبرجد قد حوى شيأ من الذهب

ثم ناول الخامس حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

قضب الزبرجد قد حملن وانما * أثمارهن سبائك العقيان
وكأن وقع القطر من أوراقه * دمع بكته فواتر الاجفان

ثم ناول السادس حزمة ورد فاخذها وأنشد هذين البيتين

ياوردة لبديع الحسن قد جمعت * وأودع الله فيها لطف اسرار
كأنها خد محبوب ونقطه * لدى التواصل مشتاق بدينار

ثم ناول السابع حزمة ورد فاخذها وأنشد هذين البيتين

قلت للورد ماالشوك يؤذى * كل من مسه سريع الجراح
قال لى معشر الرياحين جندى * أناسلطانها وشوكى سلاحى

ثم ناول الثامن حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

رعى الله وردا غدا أصفرا * بهيا نضيرا يحاكى النضارا
وحسن غصون به أثمرت * وحملن منه شموسا صغارا

ثم ناول التاسع حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

شجرات ورد أصفر جذبت * فى قلب كل متيم طربا
عجبا لها من دوحة سقيت * ماء اللجين فاثمرت ذهبا

ثم ناول العاشر حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

الم تر ان جند الورد يزهو * بصفر من مطالعه وحمر
وقد شبهته والشوك فيه * نصال زمرد فى ترس تبر

فلما استقر الورد فى أيديهم احضر البستانى سفرة المدام فوضع بينهم صينية مزركشة بالذهب الاحمر وانشد يقول هذين البيتين

هتف الفجر بالسنا فاسق خمرا * عانسا تجعل الحليم سفيها
لست ادرى من لطفها وصفاها * أبكأس ترى ام الكاس فيها

ثم ان خولى البستان ملأ وشرب ودار الدور الى ان وصل الى نور الدين ابن التاجر تاج الدين فملأ خولى البستان كأسا وناوله اياه فقال له نور الدين انت تعرف أن هذا شئ لا أعرفه ولا شربته قط لان فيه اثما كبيرا وقد حرمه فى كتابه الرب القدير فقال البستانى ياسيدى نور الدين ان كنت ماتركت شربه الا من أجل الاثم فان الله سبحانه وتعالى كريم حليم غفور رحيم يغفر الذنب العظيم ورحمته وسعت كل شئ ورحمة الله على بعض الشعراء حيث قال

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وما عليك اذا أذنبت من باس
الا اثنتين فلا تقربهما أبدا * الشرك بالله والاضرار للناس

ثم قال واحد من أولاد التجار بحياتى عليك ياسيدى نور الدين أن تشرب هذا القدح وتقدم شاب آخر وحلف عليه بالطلاق وآخر وقف بين يديه على أقدامه فاستحى نور الدين وأخذ القدح من خولى البستان وشرب منه جرعة ثم بصقها وقال هذا مر فقال له خولى البستان ياسيدى نور الدين لولا انه مر ما كانت فيه هذه المنافع ألم تعلم ان كل حلو اذا أكل على سبيل التداوى يجده الآكل مرا وان هذه الخمر منافعها كثيرة فمن جملة منافعها انها تهضم الطعام وتصرف الهم والغم وتزيل الارياح وتروق الدم وتصفى اللون وتنعش البدن وتشجع الجبان وتقوى همة الرجل على الجماع ولو كنا ذكرنا منافعها كلها لطال علينا شرح ذلك وقد قال بعض الشعراء

شربنا وعفو الله من كل جانب * وداويت أسقامى بمرتشف الكاس
وما غرنى فيها وأعرف اثمها * سوى قوله فيها منافع للناس

ثم ان خولى البستان نهض قائما على أقدامه من وقته وساعته وفتح مخدعا من مخادع ذلك الايوان وأخرج منه قمع سكر مكرر وكسر منه قطعة كبيرة ووضعها لنور الدين فى القدح وقال له ياسيدى ان كنت هبت شرب الخمر من مرارته فاشرب الآن فقد حلا فعند ذلك أخذ نور الدين القدح وشربه ثم ملأ الكاس واحد من أولاد التجار وقال ياسيدى نور الدين أنا عبدك وكذا الآخر قال أنا خادمك وقام الآخر وقال من أجل خاطرى وقام الآخر وقال بالله عليك ياسيدى نور الدين اجبر بخاطرى ولم يزل العشرة أولاد التجار بنور الدين الى ان أسقوه العشرة أقداح كل واحد قدحا وكان نور الدين باطنه بكر عمره ماشرب خمرا قط الا فى تلك الساعة فدار الخمر فى دماغه وقوى عليه السكر فوقف على حيله وقد ثقل لسانه واستعجم كلامه وقال ياجماعة والله أنتم ملاح وكلامكم مليح ومكانكم مليح الا انه يحتاج الى سماع طيب فان الشراب بلا سماع عدمه أولى من وجوده كما قال فيه الشاعر هذين البيتين

أدرها بالكبير وبالصغير * وخذها من يد القمر المنير
ولا تشرب بلا طرب فانى * رأيت الخيل تشرب بالصفير

فعند ذلك نهض الشاب صاحب البستان وركب بغلة من بغال أولاد التجار وغاب ثم عاد ومعه صبية مصرية كأنها ألية طرية أو فضة نقية أو دينار فى صينية أو غزال فى برية بوجه يخجل الشمس المضيئة وعيون بابلية وحواجب كأنها قسى محنية وخدود وردية وأسنان لؤلؤية ومراشف سكرية وعيون مرخية

ونهود عاجية وبطن خماصية وأعكان مطوية وأرداف كأنها مخدات محشية وفخذين كالجداول الشامية وبينهما شيء كأنه صرة فى بقجة مطوية كما قيل فيها هذه الابيات

ولو أنها للمشركين تعرضت * رأوا وجهها من دون أصنامهم ربا
ولو أنها فى الشرق لاحت لراهب * لخلى سبيل الشرق واتبع الغربا
ولو تفلت فى البحر والبحر مالح * لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا

وقال آخر هذه الابيات

أبهى من البدر كحلاء العيون بدت * كظبية قنصت اشبال آساد
أرخت عليها الليالى من ذوائبها * بيتا من الشعر لم يشدد باوتاد
من ورد وجنتها النيران ما اتقدت * الا بأفئدة ذابت واكباد
فلو رآها حسان العصر قمن لها * على الرؤس وقلنا الفضل للبادى

وما أحسن قول بعض الشعراء

ثلاثة منعتها عن زيارتنا * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلى وما * حوت معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلى تنزعه ما حيلة العرق

وتلك الصبية كأنها البدر اذا بدر فى ليلة أربعة عشر وعليها بدلة زرقاء بقناع أخضر فوق جبين أزهر تدهش العقول وتحير أرباب المعقول وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان خولى البستان لما جاءهم بالصبية التى ذكرنا انها فى غاية الحسن والجمال ورشاقة القد والاعتدال كأنها المرادة بقول الشاعر

أقبلت فى غلالة زرقاء * لازوردية كلون السماء
فتحققت فى الغلالة منها * قمر الصيف فى ليالى الشتاء

وما أحسن قول الآخر وأجوده

جاءت مبرقعة فقلت لها اسفرى * عن وجهك القمر المنير الازهر
قالت أخاف العار قلت لها اقصرى * بحوادث الايام لا تتحيرى
رفعت نقاب الحسن عن وجناتها * فتساقط البلور فوق الجوهر

واقد

ولقد هممت بقتلها من حبها * كيما تكون خصيمتى فى المحشر
ونكون أول عاشقين تخاصما * يوم القيامة عند رب أكبر
وأقول طوّل فى الحساب وقوفنا * حتى يطول الى الحبيبة منظرى

ثم ان الشاب خولى البستان قال لتلك الصبية اعلمى ياسيدة الملاح وكل كوكب لاح اننا ماقصدنا بحضورك فى هذا المكان الا أن تنادمى هذا الشاب المليح الشمائل سيدى نور الدين فانه لم يأت محلنا هذا الا فى هذا اليوم فقالت له الصبية ليتك كنت أخبرتنى لاجل ان اجىء بالذى كان معى فقال لها ياسيدتى أنا اروح وأجىء به اليك فقالت الصبية افعل مابدا لك فقال لها اعطينى أمارة فاعطته منديلا فعند ذلك خرج سريعا وغاب ساعة زمانية ثم عاد ومعه كيس أخضر من حرير اطلس بشكلين من الذهب فاخذته الصبية منه وحلته ونفضته فنزل منه اثنان وثلاثون قطعة خشب ثم ركبت الخشب فى بعضه على صورة ذكر فى أنثى وأنثى فى ذكر وكشفت عن معاصمها وأقامته فصار عودا محكوكا مجرودا صنعة الهنود ثم انحنت عليه تلك الصبية انحناء الوالدة على ولدها وزغزغته بانامل يدها فعند ذلك أن العود ورن ولأماكنه القديمة قد حن وقد تذكر المياه التى قد سقته والارض التى نبت منها وتربى فيها وتذكر النجارين الذين قطعوه والدهانين الذين دهنوه والتجار الذين جلبوه والمراكب التى حملته فصرخ وصاح وعدد وناح وكأنها سألته عن ذلك كله فاجابها بلسان الحال منشدا هذه الابيات

لقد كنت عودا للبلابل منزلا * أميل بها وجدا وفرعى اخضر
ينوحون من فوقى فعلمت نوحهم * ومن أجل ذاك النوح سرى مجهر
رمانى بلاذنب على الارض قاطعى * وصيرنى عودا نحيلا كماترووا
ولكن ضربى بالانامل مخبر * بأنى قتيل فى الانام مصبر
فمن أجل هذا صار كل منادم * اذا ماراًى نوحى يهيم ويسكر
وقد حننى المولى على قلوبهم * وقد صرت فى أعلى الصدور اصدر
تعانق قدّى كل من فاق حسنها * وكل غزال ناعس الطرف أحور
فلا فرق الله المهيمن بيننا * ولا عاش محبوب يصد ويهجر

ثم سكتت الصبية ساعة وبعد ذلك اخذت ذلك العود فى حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وضربت عليه طرقا عديدة ثم عادت الى طريقتها الاولى وأنشدت هذه الابيات

لو أنهم جنحوا للصب أوزاروا * لحط عنه من الاشواق أوزار

وعندليب على غصن يشاجره * كأنه عاشق شطت به الدار
قم وانتبه فليالى الوصل مقمرة * كأنها باجتماع الشمل اسحار
واليوم فى غفلة عنا حواسدنا * وقد دعتنا الى اللذات أوتار
اماترى أربعا للهو قد جمعت * آس وورد ومنثور وأنوار
واليوم قد جمعت للحظ أربعة * صب وخل ومشروب ودينار
فاظفر بحظك فى الدنيا فلذتها * تفنى وتبقى روايات واخبار

فلما سمع نور الدين من الصبية هذه الابيات نظر اليها بعين المحبة حتى كاد لا يملك نفسه من شدة الميل اليها وهى الاخرى كذلك لانها نظرت الى الجماعة الحاضرين من اولاد التجار كلهم والى نور الدين فرأته بينهم كالقمر بين النجوم لانه كان رخيم اللفظ ذا دلال كامل القد والاعتدال والبهاء والجمال ألطف من النسيم وأرق من التسنيم كما قيل فيه هذه الابيات

قسما بوجنته وباسم ثغره * وبأسهم قد راشها من سحره
وبلين معطفه ونبل لحاظه * وبياض غرته واسود شعره
وبحاجب حجب الكرى عن ناظرى * وسطا على بنهيه وباصره
وعقارب قد ارسلت من صدغه * وسعت لقتل العاشقين بهجره
وبورد خديه وآس عذاره * وعقيق مبسمه ولؤلؤ ثغره
وبغصن قامته الذى هو مثمر * رمانه يزهو جناه بصدره
وبردفه المرتج فى حركاته * وسكونه وبدقة فى خصره
وحرير ملبسه وخفة ذاته * وبما حواه من الجمال باسره
ان الشذا قد فاح من أنفاسه * والريح تروى طيبها عن نشره
وكذلك الشمس المنيرة دونه * وكذا الهلال قلامة من ظفره

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نور الدين لما سمع كلام تلك الصبية وشعرها أعجبه نظامها وكان قد مال من السكر فجعل يمدحها ويقول

عوادة مالت بنا * فى نشوة المنتبذ
قالت لنا اوتارها * أنطقنا الله الذى

فلما تكلم نور الدين بهذا الكلام وانشد هذا الشعر والنظام نظرت له تلك الصبية بعين

بعين المحبة وزادت فيه عشقا وغراما وقد صارت متعجبة من حسنه وجماله ورشاقة قده واعتداله فلم تملك نفسها بل احتضنت العود ثانيا وانشدت هذه الابيات

يعاتبني على نظري اليه * ويهجرني وروحي في يديه
ويعذلني ويعلم ما بقلبي * كأن الله قد أوحى اليه
كتبت مثاله في وسط كفي * وقلت لناظري عول عليه
فلا عيني ترى منه بديلا * ولا قلبي يصبرني لديه
فيا قلبي نزعتك من فؤادي * لانك بعض حسادي عليه
اذا ما قلت يا قلبي تسلى * فقلبي لم يمل الا اليه

فلما أنشدت الصبية تلك الابيات تعجب نور الدين من حسن شعرها وبلاغة كلامها وعذوبة لفظها وفصاحة لسانها فطار عقله من شدة الغرام والوجد والهيام ولم يقدر أن يصبر عنها ساعة من الزمان بل مال اليها وضمها الى صدره فانطبقت الاخرى عليه وصارت بكليتها لديه وقبلته بين عينيه وقبل هو فاها بعد ضم القوام ولعب معها في التقبيل زق الحمام فالتفتت له وفعلت معه مثل ما فعل معها فهام الحاضرون وقاموا على أقدامهم فاستحى نور الدين ورفع يده عنها ثم انها أخذت عودها وضربت عليه طرائق عديدة ثم عادت الى الطريقة الاولى وأنشدت هذه الابيات

قمر يسل من الجفون اذا انثنى * عضبا ويهزأ بالغزال اذا رنا
ملك محاسنه البديعة جنده * ولدى الطعان قوامه يحكي القنا
لو أن رقة قلبه في خصره * ما جار قط على المحب ولا جنى
يا قلبه القاسي ورقة خصره * هلا نقلت الى هنا من ههنا
يا عاذلي في حبه كن عاذري * فلك البقاء بحسنه ولي الفنا

فلما سمع نور الدين حسن كلامها وبديع نظامها مال اليها من الطرب ولم يملك عقله من شدة العجب ثم أنشد هذه الابيات

لقد خلتها شمس الضحى فتجلت * ولكن لهيب الحزن منها بمهجتي
وماذا عليها لو أشارت فسلمت * علينا بأطراف البنان وأومت
رأى وجهها اللاحي فقال وتاه في * محاسنها اللاتي عن الحسن جلت
أهذي التي قد همت شوقا بحبها * فانك معذور فقلت هي التي
رمتني بسهم اللحظ عمدا وما رثت * لحالي وذلي وانكساري وغربتي
فأصبحت مسلوب الفؤاد متيما * أنوح وأبكي طول يومي وليلتي

فلما فرغ نور الدين من شعره تعجبت الصبية من فصاحته ولطافته واخذت عودها وضربت عليه باحسن حركاتها واعادت جميع النغمات ثم أنشدت هذه الابيات

وحياة وجهك يا حياة الانفس * لا حلت عنك يئست أم لم أيأس
فلئن جفوت فان طيفك واصل * أو غبت عن عينى فذكرك مؤنسى
يا موحشا طرفى وتعلم أننى * أبدا بغير هواك لم أستأنس
خدّاك من ورد وريقك قهوة * هلا سمحت بها بهذا المجلس

فعند ذلك طرب نور الدين من انشاد تلك الصبية غاية الطرب وتعجب منها غاية العجب ثم أجابها عن شعرها بهذه الابيات

ما أسفرت عن محيا الشمس فى الغسق * الا تحجب بدر التم فى الافق
ولا بدت لعيون الصبح طرتها * الا وعوذت ذاك الفرق بالفلق
خذ عن مجارى دموعى فى تسلسلها * وار وحديث الهوى من أقرب الطرق
وربّ رامية بالنبل قلت لها * مهلا لا نبلك ان القلب فى فرق
ان كان دمعى لبحر النيل نسبته * فان ودك منسوب الى الملق
قالت فهات جميع المال قلت خذى * قالت ونومك أيضا قلت من حدقى

فلما سمعت الصبية كلام نور الدين وحسن فصاحته طار قلبها واندهش لبها وقد احتوى على مجامع قلبها فضمته الى صدرها وصارت تقبله تقبيلا كزق الحمام وكذلك الآخر قابلها بتقبيل متلاحق ولكن الفضل للسابق وبعد أن فرغت من التقبيل أخذت العود وأنشدت هذه الابيات

ويلاه ويلى من ملامة عاذل * أأشكوه أم أشكو اليه تملّلى
يا هاجرى ما كنت أحسب أننى * ألقى الاهانة فى هواك وأنت لى
عنفت أرباب الصبابة بالجوى * وأبحت فيك لعاذليك تذللى
بالامس كنت ألوم أرباب الهوى * واليوم أعذر كل صب مبتلى
وان اعترتنى من فراقك شدة * أصبحت أدعو الله باسمك يا على

فلما فرغت تلك الصبية من شعرها أنشدت أيضا هذين البيتين

قد قالت العشاق ان لم يسقنا * من ريقه ورحيق فيه السلسل
ندعو اله العالمين يجيبنا * ويقول فيه الكل منا يا على

فلما سمع نور الدين من تلك الصبية هذا الكلام والشعر والنظام تعجب من فصاحة لسانها وشكرها على ظرافة افتنانها فلما سمعت الصبية ثناء نور الدين عليها قامت

من

من وقتها وساعتها على قدميها وخلعت جميع ما كان عليها من ثياب ومصاغ
وتجردت من ذلك كله ثم جلست على ركبتيه وقبلته بين عينيه وعلى شامتى
خديه ووهبت له جميع ذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية وهبت كل ما كان عليها لنور الدين وقالت
له اعلم يا حبيب قلبى ان الهدية على مقدار مهديها فقبل ذلك منها نور الدين ثم رده
عليها وقبلها فى فمها وخديها وعينيها فلما انقضى ذلك ولم يدم الا الحى القيوم رازق
الطاوس والبوم قام نور الدين من ذلك المجلس ووقف على قدميه فقالت له
الصبية الى أين يا سيدى فقال لها الى بيت والدى فحلف عليه أولاد التجار انه ينام
عندهم فأبى وركب بغلته ولم يزل سائرا حتى وصل الى بيت والده فقامت له أمه
وقالت له يا ولدى ما سبب غيابك الى هذا الوقت والله انك قد شوشت على وعلى
والدك بغيابك عنا وقد اشتغل خاطرنا عليك ثم ان أمه تقدمت اليه لتقبله فى فمه
فشمت منه رائحة الخمر فقالت يا ولدى كيف بعد الصلاة والعبادة صرت تشرب الخمر
وتعصى من له الخلق والامر فبينما هما فى الكلام واذا بوالده قد أقبل ثم ان نور
الدين ارتمى فى الفراش ونام فقال أبوه ما لنور الدين هكذا قالت له أمه كأن رأسه
أوجعته من هوى البستان فعند ذلك تقدم له والده ليسأله عن وجعه ويسلم عليه
فشم منه رائحة الخمر وكان ذلك التاجر المسمى تاج الدين لا يحب من يشرب الخمر
فقال له ويلك يا ولدى هل بلغ بك السفه الى هذا الحد حتى تشرب الخمر فلما سمع نور
الدين كلام والده رفع يده وهو فى سكره ولطمه بها فجاءت اللطمة بالامر المقدر على
عين والده اليمنى فسالت على خده فوقع على الارض مغشيا عليه واستمر فى غشيته
ساعة فرشوا عليه ماء الورد فلما أفاق من غشيته أراد ان يضربه فمنعته أمه فحلف
بالطلاق من امه انه اذا اصبح الصباح لابد من قطع يده اليمنى فلما سمعت امه كلام
والده ضاق صدرها وخافت على ولدها ولم تزل تدارى والده وتأخذ بخاطره الى
ان غلب عليه النوم فصبرت الى أن طلع القمر وأتت الى ولدها وقد زال عنه السكر
فقالت له يا نور الدين ما هذا الفعل القبيح الذى فعلته مع والدك فقال لها وما الذى
فعلته مع والدى فقالت انك لطمته بيدك على عينه اليمنى فسالت على خده وقد
حلف بالطلاق انه اذا أصبح الصباح لابد أن يقطع يدك اليمنى فندم نور الدين على
ما وقع منه حيث لا ينفعه الندم فقالت له أمه يا ولدى ان هذا الندم لا ينفعك وانما

ينبغى لك انك تقوم فى هذا الوقت وتهرب وتطلب النجاة لنفسك وتختفى عند خروجك حتى تصل الى أحد من اصحابك وانتظر مايفعل الله فانه يغير حالا بعد حال ثم ان أمه فتحت صندوق المال وأخرجت منه كيسا فيه مائة دينار وقالت له ياولدى خذ هذه الدنانير واستعن بها على مصالح حالك فاذا فرغت منك ياولدى فارسل اعلمنى حتى أرسل اليك غيرها واذا راسلتنى فارسل الى أخبارك سرّا ولعل الله ان يقدر لك فرجا وتعود الى منزلك ثم انها ودعته وبكت بكاء شديدا ماعليه من مزيد فعند ذلك اخذ نور الدين كيس الدنانير من امه واراد أن يخرج فرأى كيسا كبيرا قد نسيته امه بجنب الصندوق فيه الف دينار فاخذه نور الدين ثم ربط الاثنين على وسطه وخرج من الزقاق وتوجه الى جهة بولاق قبل الفجر فلما أصبح الصباح وقامت الخلائق توحد الملك الفتاح وخرج كل واحد منهم الى مقصده ليحصل ماقسم الله له كان نور الدين وصل الى بولاق فصار يمشى على ساحل البحر فرأى مركبا سقالتها ممدودة والناس تطلع فيها وتنزل منها وهراسيها اربع مدقوقة فى البر ورأى البحرية واقفين فقال لهم نور الدين الى أين أنتم مسافرون فقالوا الى مدينة اسكندرية فقال لهم نور الدين خذونى معكم فقالوا له أهلا وسهلا ومرحبا بك ياشاب يامليح فعند ذلك نهض نور الدين من وقته وساعته ومضى الى السوق واشترى مايحتاج اليه من زاد وفرش وغطاء ثم رجع الى المركب وكانت تلك المركب تجهزت للسفر فلما نزل نور الدين فى المركب لم تمكث الا قليلا وسارت من وقتها وساعتها ولم تزل تلك المركب سائرة حتى وصلت الى مدينة رشيد فلما وصلوا الى هناك رأى نور الدين زورقا صغيرا سائرا الى اسكندرية فنزل فيه وعدّى الخليج ولم يزل سائرا الى ان وصل الى قنطرة تسمى قنطرة الجامى فطلع نور الدين من ذلك الزورق ودخل من باب يقال له باب السدرة وقد ستر الله عليه فلم ينظره أحد من الواقفين فى الباب فمشى نور الدين حتى دخل مدينة اسكندرية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن نور الدين لما دخل مدينة اسكندرية رآها مدينة حصينة الاسوار حسنة المنتزهات تلذ لسكانها وترغب فى ايطانها قد ولى عنها فصل الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع بورده وازدهت أزهارها وأورقت اشجارها وأينعت أثمارها وتدفقت أنهارها وهى مدينة مليحة الهندسة والقياس

والقياس واهلها اجناد من خيار الناس اذا غلقت أبوابها أمنت أصحابها وهى كما قيل فيها هذه الابيات

قد قلت يوما لخل * له مقال فصيح
اسكندرية صفها * فقال ثغر مليح
قلت وفيها معاش * فقال ان هب ريح

وقال بعض الشعراء

اسكندرية ثغر * رضابه يستطاب
ما أحسن الوصل فيها * ان لم يصبها غراب

فمشى نور الدين فى تلك المدينة ولم يزل ماشيا فيها الى ان وصل الى سوق النجارين ثم الى سوق الصرافين ثم الى سوق النقلية ثم الى سوق الفكهانية ثم الى سوق العطارين وهو يتعجب من تلك المدينة لان وصفها قد شاكل اسمها فبينما هو يمشى فى سوق العطارين اذا برجل كبير السن نزل من دكانه وسلم عليه ثم أخذه من يده ومضى به الى منزله فرأى نور الدين زقاقا مليحا مكنوسا مرشوشا قد هب عليه النسيم وراق وظللته من الاشجار أوراق وفى ذلك الزقاق ثلاث دور وفى صدر ذلك الزقاق دار أساسها راسخ فى الماء وجدرانها شاهقة الى عنان السماء قد كنسوا الساحة التى قدامها ورشوها وتشم روائح الازهار قاصدوها يقابلها النسيم كانه من جنات النعيم فأول ذلك الزقاق مكنوس مرشوش وآخره بالرخام مفروش فدخل الشيخ بنور الدين الى تلك الدار وقدم له شيأ من المأكول فأكلا معا فلما فرغا من الاكل قال له الشيخ متى كان القدوم من مدينة مصر الى هذه المدينة فقال له ياوالدى فى هذه الليلة قال له ما اسمك قال له على نور الدين فقال له الشيخ ياولدى يانور الدين يلزمنى الطلاق ثلاثا انك مادمت مقيما فى هذه المدينة لاتفارقنى وأنا أخلى لك موضعا تسكن فيه فقال له نور الدين ياسيدى الشيخ زدنى بك معرفة فقال ياولدى اعلم انى دخلت مصر فى بعض السنين بتجارة فبعتها فيها واشتريت متجرا آخر فاحتجت الى ألف دينار فوزنها عنى والدك تاج الدين من غير معرفة له بى ولم يكتب علىّ بها منشورا وصبر علىّ بها الى ان رجعت الى هذه المدينة وأرسلتها اليه مع بعض غلمانى ومعها هدية وقد رأيتك وأنت صغير وان شاء الله تعالى أجازيك ببعض مافعل والدك معى فلما سمع نور الدين هذا الكلام أظهر الفرح والابتسام وأخرج الكيس الذى فيه الالف دينار وأعطاه لذلك الشيخ وقال له خذ هذا وديعة عندك حتى أشترى به شيأ من البضائع لاتجر فيه ثم ان نور الدين أقام فى مدينة

اسكندرية مدة أيام وهو يتفرج كل يوم فى شارع من شوارعها ويأكل ويشرب ويتلذذ ويطرب الى ان فرغت منه المائة دينار التى كانت معه برسم النفقة فأتى الى الشيخ العطار ليأخذ منه شيأ من الالف دينار وينفقه فلم يجده فى الدكان فجلس فى دكانه ينتظره الى ان يعود وصار يتفرج على التجار ويتأمل ذات اليمين وذات الشمال فبينما هو كذلك اذا بأعجمى قد أقبل على السوق وهو راكب على بغلة وخلفه جارية كأنها فضة نقية أو بلطية فى فسقية أو غزالة فى برية بوجه يخجل الشمس المضية وعيون بابلية ونهود عاجية وأسنان لؤلؤية وبطن خماصية وأعطاف مطوية وسيقان كأطراف لية كاملة الحسن والجمال ورشاقة القد والاعتدال كما قال فيها بعض واصفيها

كأنها مثل ما تهواه قد خلقت * فى رونق الحسن لا طول ولا قصر
الورد من خدها يحمر من خجل * والغصن من قدها يزهو به الثمر
البدر طلعتها والمسك نكهتها * والغصن قامتها ما مثلها بشر
كأنها أفرغت من ماء لؤلؤة * فى كل جارحة من حسنها قمر

ثم ان الاعجمى نزل عن بغلته وأنزل الصبية وصاح على الدلال فحضر بين يديه فقال له خذ هذه الجارية وناد عليها فى السوق فأخذها الدلال ونزل بها الى وسط السوق وغاب ساعة ثم عاد ومعه كرسى من الابنوس مزركش بالعاج الابيض فوضعه الدلال على الارض وأجلس عليه تلك الصبية ثم كشف القناع عن وجهها فبان من تحته وجه كأنه ترس ديلمى أو كوكب درى وهى كأنها البدر اذا بدر فى ليلة أربعة عشر بغاية الجمال الباهر كما قال الشاعر

قد عارض البدر جهلا حسن صورتها * فراح منكسفا وانشق بالغضب
وسرحة البان ان قيست بقامتها * تبت يدا من غدت حمالة الحطب

وما أحسن قول الشاعر

قل للمليحة فى الخمار المذهب * ماذا فعلت بعابد مترهب
نور الخمار ونور وجهك تحته * هزما بضوئهما جيوش الغيهب
واذا أتى طرفى ليسرق نظرة * فى الخد حراس رمته بكوكب

فعند ذلك قال الدلال للتجار كم دفعتم فى درة الغواص وفلية القناص فقال له تاجر من التجار على بمائة دينار وقال آخر بمائتين وقال آخر بثلثمائة ولم يزل التجار يتزايدون فى تلك الجارية الى ان أوصلوا ثمنها الى تسعمائة وخمسين دينارا وتوقف البيع على الايجاب والقبول وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التجار صاروا يتزايدون في الجارية الى ان بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينارا فعند ذلك أقبل الدلال على الاعجمي سيدها وقال له ان جاريتك بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينارا فهل تبيع وتقبض لك الثمن فقال الاعجمي هل هي راضية بذلك فاني أحب مراعاة خاطرها لاني ضعفت في هذه السفرة وخدمتني هذه الجارية غاية الخدمة فحلفت اني لا أبيعها الالمن تشتهي وتريد وجعلت بيعها بيدها فشاورها فان قالت رضيت فبعها لمن أرادته وان قالت لا فلا تبعها فعند ذلك تقدم الدلال اليها وقال لها ياسيدة الملاح اعلمي ان سيدك قد جعل بيعك بيدك وقد بلغ ثمنك تسعمائة وخمسين دينارا أفتأذنين أن أبيعك فقالت الجارية للدلال أرني الذي يريد أن يشتريني قبل انعقاد البيع فعند ذلك جاء الدلال بها الى رجل من التجار وهو شيخ كبير هرم فنظرت اليه الجارية ساعة زمانية وبعد ذلك التفتت الى الدلال وقالت له يادلال هل أنت مجنون أو مصاب في عقلك فقال لها الدلال لاي شيء ياسيدة الملاح تقولين لي هذا الكلام فقالت له الجارية أيحل لك من الله أن تبيع مثلي لهذا الشيخ الهرم الذي قال في شأن زوجته هذه الابيات

تقول لي وهي غضبي من تدللها * وقد دعتني الى شيء فما كانا
ان لم تنكني نيك المرء زوجته * فلا تلمني اذا أصبحت قرنانا
كأن ايرك من شمع رخاوته * فكلما عركته راحتي لانا

وقال في ايره أيضا

لي اير ينام لؤما وشؤما * كلما رمت من حبيب وصالا
واذا ما غدوت في البيت فردا * طلب الطعن وحده والنزالا

وقال في ايره أيضا

ولي اير سوء كثير الجفا * يعامل باللؤم من يكرمه
اذا نمت قام وان قمت نام * فلا رحم الله من يرحمه

فلما سمع شيخ التجار من تلك الصبية هذا الهجو القبيح اغتاظ غيظا شديدا ما عليه من مزيد وقال للدلال يا أنحس الدلالين ما جئت لنا في السوق الا بجارية مشؤمة تجاري علي وتهجوني بين التجار فعند ذلك أخذها الدلال وانصرف عنه وقال لها ياسيدتي لا تكوني قليلة الادب ان هذا الشيخ الذي هجوته هو شيخ السوق ومحتسبه وصاحب مشورة التجار فضحكت وأنشدت هذين البيتين

يصلح للحكام فى عصرنا * وذاك للحكام مما يجب
الشنق للوالى على بابه * والضرب بالدرة للمعتب

ثم ان الجارية قالت للدلال والله ياسيدى أنا لا أباع لهذا الشيخ فبعنى الى غيره لانه ربما خجل منى فيبيعنى الى آخر فاصير ممتهنة ولا ينبغى لى ان أدنس نفسى بالامتهان وقد علمت ان أمر بيعى مفوض الى فقال لها الدلال سمعا وطاعة ثم توجه بها الى رجل من التجار الكبار فلما وصل بها الى ذلك الرجل قال لها ياسيدتى هل أبيعك الى سيدى شريف الدين هذا بتسعمائة وخمسين دينارا فنظرت اليه الجارية فرأته شيخا ولكن لحيته مصبوغة فقالت للدلال هل أنت مجنون أو مصاب فى عقلك حتى تبيعنى الى هذا الشيخ الفانى فهل أنا من كتكت المشاق أو من مهلهل الاخلاق حتى تطوف بى على شيخ بعد شيخ وكلاهما كجدار آيل الى السقوط أو عفريت محقه النجم بالهبوط أما الاول فانه ناطق لسان الحال بقول من قال

طلبت قبلتها فى الثغر قائلة * لا والذى أوجد الاشياء من عدم
ما كان لى فى بياض الشيب من أرب * أفى الحياة يكون القطن حشو فمى

وما أحسن قول الشاعر

قالوا بياض الشيب نور ساطع * يكسو الوجوه مهابة وضياء
حتى بدا وخط المشيب بمفرقى * فوددت أن لا أعدم الظلماء
لو أن لحية من يشيب صحيفة * بمعاده ما اختارها بيضاء

وأحسن منه قول الآخر

ضيف ألم برأسى غير محتشم * السيف أحسن فعلا منه باللمم
ابعد بعدت بياضا لا بياض له * لانت أسود فى عينى من الظلم

وأما الآخر فانه ذو عيب وريب ومسود وجه الشيب قد أتى فى خضاب شيبه باقبح مين وأنشد لسان حاله هذين البيتين

قالت أراك خضبت الشيب قلت لها * كتمته عنك يا سمعى ويا بصرى
فقهقهت ثم قالت ان ذا عجب * تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

وما أحسن قول الشاعر

يا من يخضب بالسواد مشيبه * كيما يقرّ له الشباب ويحصل
ها فاختضب بسواد حظى مرّة * ولك الضمان بأنه لا ينصل

فلما سمع الشيخ الذى صبغ لحيته من تلك الجارية هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا ما عليه من مزيد وقال للدلال يا أنحس الدلالين ماجئت فى هذا اليوم سوقنا الا

الا بجارية سفيهة تسفه على كل من فى السوق واحدا بعد واحد وتهجوهم بالاشعار والكلام الفشار ثم ان ذلك التاجر نزل من دكانه وضرب الدلال على وجهه فاخذها الدلال ورجع بها وهو غضبان وقال والله انى ما رأيت عمرى جارية أقل حياء منك وقد قطعت رزقى ورزقك فى هذا النهار وقد أبغضنى من أجلك جميع التجار فرآهما فى الطريق رجل من التجار فزاد فى ثمنها عشرة دنانير وكان اسم ذلك التاجر شهاب الدين فاستأذن الدلال الجارية فى البيع فقالت أرنى اياه حتى أنظر اليه وأسأله عن حاجة فان كانت تلك الحاجة فى بيته فانا اباع له والا فلا فخلاها الدلال واقفة ثم تقدم اليه وقال له ياسيدى شهاب الدين اعلم ان هذه الجارية قالت لى انها تسألك عن حاجة فان كانت عندك فانها تباع لك وها أنت قد سمعت ما قالته لاصحابك من التجار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الدلال قال للتاجر انك سمعت ما قالته هذه الجارية لاصحابك التجار أنا والله خائف ان أجىء بها اليك فتعمل معك مثل ما عملت مع جيرانك وأبقى انا معك مفضوحا فان اذنت لى فى المجىء بها اجىء بها اليك فقال له ائتنى بها فقال الدلال سمعا وطاعة ثم ذهب الدلال واتى بالجارية اليه فنظرته الجارية وقالت له ياسيدى شهاب الدين هل فى بيتك مدورات محشوة بقطاعة فرو السنجاب فقال لها نعم ياسيدة الملاح عندى فى البيت عشر مدورات محشوة بقطاعة فرو السنجاب فبالله عليك ماذا تصنعين بهذه المدورات فقالت أصبر عليك حتى ترقد واجعلها على فمك وانفك حتى تموت ثم انها التفتت الى الدلال وقالت له يا أخس الدلالين كأنك مجنون حتى تعرضنى من منذ ساعة على اثنين من الشيوخ فى كل واحد منهما عيبان وبعد ذلك تعرضنى على سيدى شهاب الدين وفيه ثلاثة عيوب الاول انه قصير والثانى ان انفه كبير والثالث ان لحيته طويلة وقد قال فيه بعض الشعراء

ما رأينا ولا سمعنا بشخص * مثل هذا بين الخلائق اجمع
فله لحية ذراع وأنف * طول شبر وقامة طول اصبع

وقال بعضهم ايضا

منارة الجامع فى وجهه * كرقة الخنصر فى الخاتم

لودخل العالم فى انفـه * اصبحت الدنيا بلا عالم

فلما سمع التاجر شهاب الدين من الجارية ذلك الكلام نزل من الدكان وأخذ بطوق الدلال وقال له يا أنحس الدلالين كيف تأتى الينا بجارية توبخنا وتهجونا واحدا بعد واحد بالاشعار والكلام الفشار فعند ذلك اخذها الدلال وذهب من بين يديه وقال لها والله طول عمرى وأنا فى هذه الصناعة مارأيت جارية أقل أدبا منك ولا أنحس على من نجمك لانك قطعت رزقى فى هذا اليوم ولاربحت منك الا الصفع على القفا والاخذ بالطوق ثم ان الدلال وقف بتلك الجارية أيضا على تاجر صاحب عبيد وغلمان وقال لها أتباعين لهذا التاجر سيدى علاء الدين فنظرته فوجدته أحدب فقالت ان هذا أحدب وقد قال فيه الشاعر

قصرت منا كبه وطال فقاره * فحكاه شيطان يصادف كوكبا
وكأنه قد ذاق أول مرة * وأحس ثانية فصار محدبا

وقال فيه بعض الشعراء أيضا

لما رقى أحدبكم بغلة * صاربها بين الورى مثله
اماله الضحك فلاتعجبوا * ان جفلت من تحته البغله

وكما قال فيه بعض الشعراء

ولرب أحدب زاد فى حدباته * قبحا وقاطبة العيون عجبه
فكانه غصن تقلص يابس * ولواه من طول المدى اترجه

فعند ذلك أسرع الدلال اليها وأخذها وأتى بها الى تاجر آخر وقال لها أتباعين لهذا فنظرت اليه فوجدته أعمش فقالت ان هذا أعمش كيف تبيعنى له وقد قال فيه بعض الشعراء

رمد به أمراضه * هدت قواه لعينه
ياقوم قوموا وانظروا * هذا القذا فى عينه

فعند ذلك أخذها الدلال وأتى بها الى تاجر آخر وقال لها أتباعين لهذا فنظرت اليه فرأت لحيته كبيرة فقالت للدلال ويلك ان هذا الرجل كبش ولكن طلع ذيله فى حلقه كيف تبيعنى له يا أنحس الدلالين أما سمعت ان كل طويل الذقن قليل العقل وعلى قدر طول اللحية يكون نقصان العقل وهذا الامر مشهور بين العقلاء كما قال بعض الشعراء

مارجل طالت له لحية * فزادت اللحية فى هيبته
الا وما ينقص من عقله * يكون طولا زاد فى لحيته

وكما

وكما قال فيه بعض الشعراء أيضا

لنا صديق وله لحية * طوّلها الله بلا فائده
كأنها بعض ليالى الشتا * طويلة مظلمة بارده

فعند ذلك أخذها الدلال ورجع فقالت له الى أين تتوجه فقال لها الى سيدك الاعجمى وكفانا ما جرى لنا بسببك فى هذا النهار وقد تسببت فى منع رزقى ورزقه بقلة أدبك ثم ان الجارية نظرت فى السوق والتفتت يمينا وشمالا وخلفا وأماما فوقع نظرها بالامر المقدر على نور الدين على المصرى فرأته شابا مليحا نقى الخد رشيق القد وهو ابن أربعة عشر سنة بديع الحسن والجمال والظرف والدلال كأنه البدر اذا بدر فى ليلة أربعة عشر بجبين أزهر وخد أحمر وعنق كالمرمر وأسنان كالجوهر وريق أحلى من السكر كما قال فيه بعض واصفيه

بدت لنحاكى حسنه وجماله * بدور وغزلان فقلت لها قفى
رويدك يا غزلان لا تتشبهى * بهذا ويا أقمار لا تتكلفى

وما أحسن قول بعض الشعراء

ومهفهف من شعره وجبينه * تغدو الورى فى ظلمة وضياء
لا تنكروا الخال الذى فى خده * كل الشقيق بنقطة سوداء

فلما نظرت تلك الجارية الى نور الدين حال بينها وبين عقلها ووقع فى خاطرها وقعا عظيما وتعلق قلبها بمحبته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما رأت عليا نور الدين تعلق قلبها بمحبته فالتفتت الى الدلال وقالت له هل هذا الشاب التاجر الذى هو جالس بين التجار وعليه الفرجية الجوخ العودى ما زاد فى ثمنى شيأ فقال لها الدلال يا سيدة الملاح ان هذا شاب غريب مصرى ووالده من أكابر التجار بمصر وله الفضل على جميع تجارها وأكابرها وله مدة يسيرة فى هذه المدينة وهو مقيم عند رجل من أصحاب أبيه ولم يتكلم فيك بزيادة ولا نقصان فلما سمعت الجارية كلام الدلال نزعت من اصبعها خاتم ياقوت مثمنا وقالت للدلال وصلنى عند هذا الشاب المليح فان اشترانى كان هذا الخاتم لك فى نظير تعبك فى هذا اليوم معنا ففرح الدلال وتوجه بها الى نور الدين فلما صارت عنده تأملته فرأته كأنه بدر التمام لانه ظريف الجمال رشيق القد والاعتدال كما قال فيه بعض واصفيه

صفا فى وجهه ماء الجمال * ومن ألحاظه رمى النبال
ويشرق كل صب ان سقاه * بخمر وده والوصل حال
فغرته وقامته وعشقى * كمال فى كمال فى كمال
وان غلائل الاثواب منه * مزررة على طوق الهلال
ومقلته وطرته وحالى * ليال فى ليال فى ليال
وحاجبه وطلعته وجسمى * هلال فى هلال فى هلال
وطافت مقلتاه بكأس خمر * على العشاق ان يمر حلالى
وأرشفنى على ظمئى زلالا * بباسم ثغره يوم الوصال
فمالى عنده ودمى وعرضى * حلال فى حلال فى حلال

ثم ان الجارية نظرت الى نور الدين وقالت له ياسيدى بالله عليك أما أنا مليحة فقال لها ياسيدة الملاح وهل فى الدنيا أحسن منك فقالت له الجارية ولاى شئ رأيت التجار كلهم زادوا فى ثمنى وأنت ساكت ما تكلمت بشئ ولا زدت فى ثمنى دينارا واحدا كأننى ما أعجبتك ياسيدى فقال لها ياسيدتى لو كنت فى بلدى كنت أشتريك بجميع ما تملكه يدى من المال فقالت له ياسيدى أنا ما قلت لك اشترنى على غير مرادك ولكن لو زدت فى ثمنى شيأ لجبرت بخاطرى ولو كنت لا تشترينى لاجل أن تقول التجار لولا ان هذه الجارية مليحة ما زاد فيها هذا التاجر المصرى لان أهل مصر لهم خبرة بالجوارى فعند ذلك استحى نور الدين من كلام الجارية الذى ذكرته واحمر وجهه وقال للدلال كم بلغ ثمن هذه الجارية قال بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينارا غير الدلالة وأما قانون السلطان فانه على البائع فقال نور الدين للدلال خلها على بالالف دينار دلالة وثمنا فبادرت الجارية وتركت الدلال وقالت بعت نفسى لهذا الشاب المليح بالف دينار فسكت نور الدين فقال واحد بعناه وقال آخر يستاهل وقال آخر ملعون ابن ملعون من يزود ولا يشترى وقال آخر والله انهما يصلحان لبعضهما فلم يشعر نور الدين الا والدلال أحضر القضاة والشهود وكتبوا عقد البيع والشراء فى ورقة وناولها لنور الدين وقال له تسلم جاريتك الله يجعلها مباركة عليك فهى ما تصلح الا لك ولا تصلح أنت الا لها وأنشد الدلال هذين البيتين

أتته السعادة منقادة * اليه تجرجر أذيالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

فعند ذلك استحى نور الدين من التجار وقام من وقته وساعته ووزن الالف دينار

التى

التى كان وضعها وديعة عند العطار صاحب أبيه وأخذ الجارية وأتى بها الى البيت الذى أسكنه فيه الشيخ العطار فلما دخلت الجارية البيت رأت فيه خلق بساط ونطعا عتيقا فقالت له ياسيدى هل أنا مالى منزلة عندك ولا أستحق أن توصلنى الى بيتك الاصلى الذى فيه مصالحك ولاى شئ ما دخلت بى عند أبيك فقال لها نور الدين والله ياسيدة الملاح ان هذا بيتى الذى انا فيه ولكنه ملك لشيخ عطار من أهل هذه المدينة وقد اخلاه لى وأسكننى فيه وقد قلت لك انى غريب وانى من أولاد مدينة مصر فقالت له الجارية ياسيدى اقل البيوت يكفى الى أن ترجع الى بلدك ولكن ياسيدى بالله عليك ان تقوم وتأتى لنا بشئ من اللحم المشوى والمدام والنقل والفاكهة فقال لها نور الدين والله ياسيدة الملاح ما كان عندى من المال غير الالف دينار الذى وزنته فى ثمنك ولا املك غير تلك الدنانير شيأ من المال وكان معى بعض دراهم صرفتها بالامس فقالت له امالك فى هذه المدينة صديق تقترض منه خمسين درهما وتأتينى بها حتى أقول لك أى شئ تفعل بها فقال لها مالى صديق سوى العطار ثم ذهب من وقته وتوجه الى العطار وقال له السلام عليك ياعم فرد عليه السلام وقال له ياولدى اى شئ اشتريت بالالف دينار فى هذا اليوم فقال له اشتريت بها جارية فقال له ياولدى هل أنت مجنون حتى تشترى جارية واحدة بألف دينار ياليت شعرى ما جنس هذه الجارية فقال له نور الدين ياعم انها جارية من اولاد الافرنج وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نور الدين قال للشيخ العطار انها جارية من أولاد الافرنج فقال له الشيخ اعلم ياولدى ان خيار أولاد الافرنج عندنا فى هذه المدينة ثمنه مائة دينار ولكن والله ياولدى قد عملت عليك حيلة فى هذه الجارية فان كنت أحببتها فبت عندها فى هذه الليلة واقض غرضك منها واصبح انزل بها السوق وبعها ولو كنت تخسر فيها مائتى دينار وقدر انك غرقت فى البحر او طلع عليك اللصوص فى الطريق فقال نور الدين كلامك صحيح ولكن ياعم أنت تعرف انه ما كان معى غير الالف دينار الذى اشتريت به الجارية ولم يبق معى شئ أنفقه ولا درهم واحد وانى أريد من فضلك واحسانك ان تقرضنى خمسين درهما أنفقها الى غد فابيع الجارية واورد هالك من ثمنها فقال الشيخ أعطيك ياولدى على الرأس

ثم وزن له خمسين درهما وقال له يا ولدي أنت شاب صغير السن وهذه الجارية مليحة وربما انه لحق بها قلبك فما يهون عليك أن تبيعها وانت ماتملك شيأ تنفقه فتفرغ منك هذه الخمسون درهما فتأتيني فأقرضك اول مرة وثاني مرة وثالث مرة الى عشر مرات فاذا أتيتني بعد ذلك فلا أرد عليك السلام الشرعي وتضيع محبتنا مع والدك ثم ناوله الشيخ خمسين درهما فأخذها نور الدين وأتى بها الى الجارية فقالت له يا سيدي رح الى السوق في هذه الساعة وجات لنا بعشرين درهما حريرا ملونا خمسة ألوان وهات لنا بالثلاثين درهما الاخرى لحما وخبزا وفاكهة وشرابا ومشموما فعند ذلك ذهب نور الدين الى السوق واشترى منه كلما طلبته تلك الجارية وأتى به اليها فقامت من وقتها وساعتها وشمرت عن يديها وطبخت طعاما وأتقنته غاية الاتقان ثم قدمت له الطعام فاكل واكلت معه حتى اكتفيا ثم قدمت المدام وشربت هي واياه ولم تزل تسقيه وتؤانسه الى ان سكر ونام فقامت الجارية من وقتها وساعتها وأخرجت من بقجتها جرابا من أديم طائفي وفتحته واخرجت منه مسمارين وقعدت عملت شغلها الى ان فرغ فصار زنارا مليحا فلفته في خرقة بعد صقله وتنظيفه وجعلته تحت المخدة ثم قامت تعرت ونامت بجانب نور الدين وكبسته فانتبه من نومه فوجد بجانبه صبية كأنها فضة نقية أنعم من الحرير واطرى من اللية وهي اشهر من علم واحسن من حمر النعم خماسية القد قاعدة النهد بحواجب كأنها قسي السهام وعيون كأنها عيون غزلان وخدود كأنها شقائق النعمان وبطن خميصة الاعكان وسرة تسع أوقية من دهن البان وفخذين كأنهما مخدتان محشوتان من ريش النعام وبينهما شيء يكل عن وصفه اللسان وتنسكب عند ذكره العبرات فكأن الشاعر قصدها بهذه الابيات

نحن شعرها ليل ومن فرقها فجر * ومن خدها ورد ومن ريقها خمر
ومن وصلها مأوى ومن هجرها لظى * ومن ثغرها ورد ومن وجهها بدر

وما احسن قول بعض الشعراء

بدت قمرا وماست غصن بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا
كأن الحزن مشغوف بقلبي * فساعة هجرها يجد الوصالا
لها وجه يفوق على الثريا * ونور جبينها فاق الهلالا

وقال بعضهم أيضا

سفرن بدورا وانجلين أهلة * ومسن غصونا والتفتن جاذرا
وفيهن كحلاء العيون لحسنها * تود الثريا أن تكون لها ثرى

فعند ذلك التفت نور الدين من وقته وساعته الى تلك الجارية وضمها الى صدره ومص شفتها الفوقية بعد ان مص التحتية ثم زرق اللسان بين الشفتين وقام اليها فوجدها درة ماثقبت ومطية لغيره ماركبت فأزال بكارتها ونال منها الوصال وانعقدت بينهما المحبة بلا انفكاك ولا انفصال وتابع فى خدها تقبيلا كوقع الحصا فى الماء ورهزا كطعن الرماح فى الغارة الشعواء لان نور الدين كان مشتاقا الى اعتناق الحور ومص الثغور وحل الشعور وضم الخصور وعض الخدود وركوب النهود مع حركات مصرية وغنج يمانية وشهيق حبشية وفتور هندية وغلمة نوبية وتضجر ريفية وأنين دمياطية وحرارة صعيدية وفترة اسكندرية وكانت هذه الجارية جامعة لهذه الخصال مع فرط الجمال والدلال كما قال فيها الشاعر

هذى التى أناطول الدهر ناسيها * فلا جنحت الى من ليس يدنيها
كأنها البدر فى تكوين صورتها * سبحان خالقها سبحان باريها
إن كان ذنبى عظيما فى محبتها * فليس لى توبة يوما ارجيها
قد صيرتنى حزينا مغرما دنفا * والقلب قد حارة فكرا فى معانيها
وأنشدت بيت شعر ليس يعرفه * الا فتى لقوافى الشعر يرويها
لا يعرف الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها

ثم نام نور الدين هو وتلك الجارية الى الصباح فى لذة وانشراح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نور الدين نام هو وتلك الجارية الى الصباح فى لذة وانشراح لابسين حلل العناق محكمة الازرار آمنين طوارق الليل والنهار وقد باتا على أحسن حال ولم يخشيا فى الوصال كثرة القيل والقال كما قال فيهما الشاعر المفضال

زر من تحب ودع مقالة حاسد * ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن أحسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضى * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تألفت القلوب على الهوى * فالناس تضرب فى حديد بارد
يامن يلوم على الهوى أهل الهوى * هل تستطيع صلاح قلب فاسد

واذا صفا لك من زمانك واحد * نعم الصديق وعش بذاك الواحد *

فلما أصبح الصباح وضاء بنوره ولاح انتبه نور الدين من نومه فرآها أحضرت الماء فاغتسل هو واياها وأدى ما عليه من الصلاة لربه ثم أتته بما تيسر من المأكول والمشروب فاكل وشرب ثم أدخلت الجارية يدها تحت المخدة وأخرجت الزنار الذي صنعته بالليل وناولته اياه وقالت له ياسيدي خذ هذا الزنار فقال لها من أين هذا الزنار قالت ياسيدي هو الحرير الذي اشتريته البارحة بالعشرين درهما فقم واذهب به الى سوق العجم وأعطه للدلال لينادي عليه ولا تبعه الا بعشرين دينارا اسالمة فقال لها نور الدين ياسيدة الملاح هل شئ بعشرين درهما يباع بعشرين دينارا يعمل في ليلة واحدة قالت له الجارية ياسيدي أنت ما تعرف قيمة هذا ولكن اذهب به الى السوق وأعطه للدلال فاذا نادى عليه الدلال ظهرت لك قيمته فعند ذلك أخذ نور الدين الزنار من الجارية وأتى به الى سوق الاعاجم وأعطى الزنار للدلال وأمره أن ينادي عليه وقعد نور الدين على مصطبة دكان فغاب الدلال عنه ساعة ثم أتى اليه وقال له ياسيدي قم اقبض ثمن زنارك فقد بلغ عشرين دينارا اسالمة ليدك فلما سمع نور الدين كلام الدلال تعجب غاية العجب واهتز من الطرب وقام ليقبض العشرين دينارا وهو ما بين مصدق ومكذب فلما قبضها ذهب من ساعته واشترى بها كلها حريرا من سائر الالوان لتعمله الجارية كله زنانير ثم رجع الى البيت وأعطاها الحرير وقال لها اعمليه كله زنانير وعلميني أيضا حتى أعمل بعملك فاني طول عمري ما رأيت صنعة أحسن من هذه الصنعة ولا أكثر مكسبا منها قط وانها والله أحسن من التجارة بالف مرة فضحكت الجارية من كلامه وقالت له ياسيدي نور الدين امض الى صاحبك العطار واقترض منه ثلاثين درهما وفي غد ادفعها له من ثمن الزنار هي والخمسين درهما التي اقترضتها منه قبلها فقام نور الدين وأتى الى صاحبه العطار وقال له ياعم اقرضني ثلاثين درهما وفي غد ان شاء الله تعالى أجيء لك بالثمانين درهما جملة واحدة فعند ذلك وزن له الشيخ العطار ثلاثين درهما فاخذها نور الدين وأتى بها الى السوق واشترى بها لحما وخبزا ونقلا وفاكهة ومشموما كما فعل بالامس وأتى به الى الجارية وكان اسم تلك الجارية مريم الزنارية فلما أخذت اللحم قامت من وقتها وساعتها وهيأت طعاما فاخرا ووضعته قدام سيدها نور الدين ثم بعد ذلك هيأت سفرة المدام وتقدمت تشرب هي واياه وصارت تملأ وتسقيه ويملأ ويسقيها فلما لعب المدام بعقلهما أعجبها حسن لطافته ورقة معانيه فانشدت هذين البيتين

اقول لاهيف حيا بكاس * لها من مسك نكهته ختام
امن خديك تعصر قال كلا * متى عصرت من الورد المدام

ولم تزل تلك الجارية تنادم نور الدين وتنادمها وتعاطيه الكاس والطاس وتطلب ان يملأ لها ويسقيها ماتطيب به الانفاس واذا وضع يده عليها تتمنع منه دلالا وقد زادها السكر حسنا وجمالا فانشد هذين البيتين

وهيفاء تهوى الراح قالت لصبها * بمجلس انس وهو يخشى ملالها
اذا لم تدر كأس المدام وتسقني * أبيتك مهجورا فخاف ملالها

ولم يزالا كذلك الى ان غلب عليه السكر ونام فقامت هي من وقتها وساعتها وعملت شغلها في الزنار على جرى عادتها ولما فرغت أصلحته ولفته في ورقة ثم نزعت ثيابها ونامت بجانبه الى الصباح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان مريم الزنارية لما فرغت من شغل الزنار أصلحته ولفته في ورقة ونزعت ثيابها ونامت بجانبه الى الصباح وكان بينهما ما كان من الوصال ثم قام نور الدين وقضى شغله وناولته الزنار وقالت له امض الى السوق وبعه بعشرين دينارا كما بعت نظيره بالامس فعند ذلك أخذه ومضى به الى السوق وباعه بعشرين دينارا وأتى الى العطار ودفع له الثمانين درهما وشكر فضله ودعا له فقال له يا ولدي هل أنت بعت الجارية فقال نور الدين كيف أبيع روحي من جسدي ثم انه حكى له الحكاية من المبتدا الى المنتهى وأخبره بجميع ما جرى له ففرح الشيخ العطار بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال له والله يا ولدي انك قد فرحتني وان شاء الله أنت بخير دائما فاني أود لك الخير لمحبتي لوالدك وبقاء صحبتي معه ثم ان نور الدين فارق الشيخ العطار وراح من وقته وساعته الى السوق واشترى اللحم والفاكهة والشراب وجميع ما يحتاج اليه على جرى العادة وأتى به الى تلك الجارية ولم يزل نور الدين هو والجارية في أكل وشرب ولعب وانشراح وود ومنادمة مدة سنة وهي تعمل في كل ليلة زنارا ويصبح يبيعه بعشرين دينارا ينفق منها ما يحتاج اليه والباقي يعطيه لها تحفظه عندها الى وقت الحاجة اليه وبعد السنة قالت له الجارية يا سيدي نور الدين اذا بعت الزنار في غد فخذ لي من حقه حريرا ملونا ستة ألوان فانه قد خطر ببالي أن أصنع لك منديلا تجعله على كتفك ما فرحت بمثله

أولاد التجار ولا أولاد الملوك فعند ذلك خرج نور الدين الى السوق وباع الزنار واشترى الحرير الملون كما ذكرت له الجارية وجاء به اليها فقعدت مريم الزنارية تصنع فى المنديل جمعة كاملة لانها كلما فرغت من زنار فى ليلة تعمل فى المنديل شيأ الى ان خلصته ثم ناولته لنور الدين فجعله على كتفه وصار يمشى به فى السوق فصار التجار والناس وأكابر البلد يقفون عنده صفوفا ليتفرجوا على حسنه وعلى ذلك المنديل وحسن صنعته فاتفق ان نور الدين كان نائما ذات ليلة من الليالى فانتبه من منامه فوجد جاريته تبكى بكاء شديدا وتنشد هذه الابيات

دنا فراق الحبيب واقتربا * واحربا للفراق واحربا
تفتتت مهجتى فوا أسفى * على ليال مضت لنا طربا
لابد أن ينظر الحسود لنا * بعين سوء ويبلغ الاربا
فما علينا أضر من حسد * ومن عيون الوشاة والرقبا

فقال لها نور الدين ياسيدتى مريم مالك تبكين فقالت له أبكى من ألم الفراق فقد أحس قلبى به فقال لها ياسيدة الملاح ومن الذى يفرق بيننا وأنا الآن أحب الخلق اليك وأعشقهم لك فقالت له ان عندى أضعاف ما عندك ولكن حسن الظن بالليالى يوقع الناس فى الاسف ولقد أحسن الشاعر حيث قال

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر
وفى السماء نجوم لاعداد لها * وليس يكسف الا الشمس والقمر
وكم على الارض من خضر ويابسة * وليس يرجم الا ماله ثمر
أما ترى البحر يعلو فوقه جيف * ويستقر باقصى قاعه الدرر

ثم قالت ياسيدى نور الدين اذا كنت تحرص على عدم الفراق فخذ حذرك من رجل افرنجى أعور العين اليمنى أعرج الرجل الشمال وهو شيخ أغبر الوجه مكلثم اللحية لانه هو الذى يكون سببا لفراقنا وقد رأيته أتى فى تلك المدينة وأظن انه ماجاء الا فى طلبى فقال لها نور الدين ياسيدة الملاح ان وقع بصرى عليه قتلته ومثلت به فقالت له مريم ياسيدى لاتقتله ولا تكلمه ولا تبايعه ولا تشاريه ولا تعامله ولا تجالسه ولا تماشيه ولا تحدث معه بكلام قط وادع الله أن يكفينا شره ومكره فلما أصبح الصباح أخذ نور الدين الزنار وذهب به الى السوق وجلس على مصطبة دكان يتحدث هو وأولاد التجار فأخذته سنة من النوم فنام على مصطبة الدكان فبينما هو نائم واذا بذلك الافرنجى مر على ذلك السوق فى تلك الساعة ومعه سبعة

من

من الافرنجى فرأى نور الدين نائماً على مصطبة الدكان ووجهه ملفوف بذلك المنديل وطرفه فى يده فقعد الافرنجى عنده وأخذ طرف المنديل وقلبه فى يده واستمر يقلب فيه ساعة فاستحس به نور الدين فافاق من النوم فرأى الافرنجى الذى وصفته الجارية بعينه جالساً عند رأسه فصرخ عليه نور الدين صرخة عظيمة أرعبته فقال له الافرنجى لاى شئ تصرخ علينا هل نحن أخذنا منك شيأ فقال نور الدين والله يا ملعون لو كنت أخذت منى شيأ لكنت ذهبت بك الى الوالى فقال له الافرنجى يا مسلم بحق دينك وما تعتقده أن تخبرنى من أين لك هذا المنديل فقال له نور الدين هو شغل والدتى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الافرنجى لما سال نور الدين عن الذى عمل المنديل قال له ان هذا المنديل شغل والدتى عملته لى بيدها فقال له الافرنجى أتبيعه لى وتأخذ ثمنه منى فقال له نور الدين والله يا ملعون لا أبيعه لك ولا لغيرك فانها ما عملته الا على اسمى ولم تعمل غيره فقال بعه لى وأنا أعطيك ثمنه فى هذه الساعة خمسمائة دينار ودع الذى عملته تعمل لك غيره أحسن منه فقال له نور الدين أنا ما أبيعه أبداً لانه لا نظير له فى هذه المدينة فقال له الافرنجى يا سيدى وهل لا تبيعه بستمائة دينار من الذهب الخالص ولم يزل يزيده مائة بعد مائة الى ان أوصله الى تسعمائة دينار فقال نور الدين يفتح الله على بغير بيعه أنا ما أبيعه لا بألفى دينار ولا بأكثر أبداً ولم يزل ذلك الافرنجى يرغب نور الدين بالمال فى ذلك المنديل الى ان أوصله الى ألف دينار فقال له جماعة من التجار الحاضرين نحن بعناك هذا المنديل فادفع ثمنه فقال نور الدين أنا ما أبيعه والله فقال له تاجر من التجار اعلم يا ولدى ان هذا المنديل قيمته مائة دينار ان كثرت ووجد له راغب وان هذا الافرنجى دفع فيه ألف دينار جملة فربحك تسعمائة دينار فاى ربح تريد أكثر من هذا الربح فالرأى عندى انك تبيع هذا المنديل وتأخذ الالف دينار وتقول للذى عملته لك تعمل لك غيره أو أحسن منه واربح أنت الالف دينار من هذا الافرنجى الملعون عدو الدين فاستحى نور الدين من التجار وباع الافرنجى المنديل بالف دينار ودفع له الثمن فى الحضرة وأراد نور الدين أن ينصرف ويمضى الى جاريته مريم ليبشرها بما كان من أمر الافرنجى فقال الافرنجى يا جماعة التجار احجزوا نور الدين فانكم واياه ضيوفى فى هذه الليلة فان عندى بتية

خمر رومي من معتق الخمر وخاروفا سمينا وفاكهة ونقلا ومشموما فانتم تؤانسونا
فى هذه الليلة ولا يتأخر أحد منكم فقال التجار ياسيدى نور الدين نشتهى أن تكون
معنا فى مثل هذه الليلة لنتحدث واياك فمن فضلك واحسانك أن تكون معنا فنحن
واياك ضيوف عند هذا الافرنجى لانه رجل كريم ثم انهم حلفوا عليه بالطلاق ومنعوه
بالاكراه عن الرواح الى بيته ثم قاموا من وقتهم وساعتهم وقفلوا الدكاكين وأخذوا
نور الدين معهم وراحوا مع الافرنجى الى قاعة مطيبة رحيبة بليوانين فاجلسهم فيها
ووضع بين أيديهم سفرة غريبة الصنع بديعة العمل فيها صورة كاسر ومكسور
وعاشق ومعشوق وسائل ومسؤل ثم وضع الافرنجى على تلك السفرة الاوانى
النفيسة من الصينى والبلور وكلها مملوءة بنفائس النقل والفاكهة والمشموم
ثم قدم لهم الافرنجى بتية ملآنة بالخمر الرومى المعتق وأمر بذبح خاروف سمين ثم
ان الافرنجى أوقد النار وصار يشوى من ذلك اللحم ويطعم التجار ويسقيهم من
ذلك الخمر ويغمزهم على نور الدين أن ينزلوا عليه بالشراب فلم يزالوا يسقونه حتى سكر
وغاب عن وجوده فلما رآه الافرنجى مستغرقا فى السكر قال آنستنا ياسيدى نور
الدين فى هذه الليلة فمرحبا بك ثم مرحبا بك وصار الافرنجى يؤانسه بالكلام ثم
تقرب منه وجلس بجانبه وسارقه فى الحديث ساعة زمانية ثم قال له ياسيدى نور
الدين هل تبيعنى جاريتك التى اشتريتها بحضرة هؤلاء التجار بالف دينار من مدة سنة
وأنا أعطيك فى ثمنها الآن خمسة آلاف دينار بزيادة أربعة آلاف فابى نور الدين
ولم يزل ذلك الافرنجى يطعمه ويسقيه ويرغبه فى المال حتى أوصل الجارية الى عشرة
آلاف دينار فقال نور الدين وهو فى سكره قدام التجار بعتك اياها هات العشرة
آلاف دينار ففرح الافرنجى بذلك القول فرحا شديدا وأشهد عليه التجار وباتوا
فى أكل وشرب وانشراح الى الصباح ثم صاح الافرنجى على غلمانه وقال لهم ائتونى
بالمال فاحضروا له المال فعد لنور الدين العشرة آلاف دينار نقدا وقال له ياسيدى
نور الدين تسلم هذا المال ثمن جاريتك التى بعتها لى الليلة بحضرة هؤلاء التجار المسلمين
فقال نور الدين ياملعون أنا ما بعتك شيأ وأنت تكذب على وليس عندى جوار
فقال له الافرنجى قد بعتنى جاريتك وهؤلاء التجار يشهدون عليك بالبيع فقال
التجار كلهم نعم يا نور الدين أنت بعته جاريتك قدامنا ونحن نشهد عليك انك بعته
اياها بعشرة آلاف دينار فقم اقبض الثمن وسلم اليه الجارية والله يعوضك خيرا منها
أتكره يا نور الدين انك اشتريت جارية بالف دينار ولك سنة ونصف تتمتع بحسنها
وجمالها وتتلذذ فى كل يوم وليلة بمنادمتها ووصالها وبعد ذلك ربحت من هذه
الجارية

الجارية تسعة آلاف دينار فوق ثمنها الاصلي وفي كل يوم تعمل لك زنارا تبيعه
بعشرين دينارا وبعد ذلك كله تنكر البيع وتستقل الربح أي ربح أكثر
من هذا الربح وأي مكسب أكثر من هذا المكسب فان كنت تحبها فها أنت قد
شبعت منها في هذه المدة فاقبض الثمن واشتر غيرها أحسن منها أو نزوجك بنتا من
بناتنا بمهر أقل من نصف هذا الثمن وتكون البنت أجمل منها ويصير معك باقي
المال رأس مال في يدك ولم يزل التجار يتكلمون مع نور الدين بالملاطفة والمخادعة
الى ان قبض العشرة آلاف دينار ثمن الجارية واحضر الافرنجي من وقته وساعته
القضاة والشهود فكتبوا الحجة باشتراء الجارية التي اسمها مريم الزنارية من نور
الدين هذا ما كان من أمر نور الدين وأمّا ما كان من أمر مريم الزنارية فانها
قعدت تنتظر سيدها جميع ذلك اليوم الي المغرب ومن المغرب الى نصف الليل فلم يعد
اليها سيدها فجزعت وصارت تبكي بكاء شديدا فسمعها الشيخ العطار وهي تبكي فارسل
اليها زوجته فدخلت عليها فرأتها تبكي فقالت لها يا سيدتي ما لك تبكين فقالت لها
يا أمّي اني قعدت أنتظر مجيء سيدي نور الدين فما جاء الى هذا الوقت وأنا خائفة
أن يكون أحد عمل عليه حيلة من أجلي لاجل أن يبيعني فدخلت عليه الحيلة
وباعني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان مريم الزنارية قالت لزوجة العطار أنا خائفة أن
يكون أحد عمل على سيدي حيلة من شأني لاجل أن يبيعني فدخلت عليه الحيلة
وباعني فقالت لها زوجة العطار يا سيدتي مريم لو أعطوا سيدك فيك ملء هذه
القاعة ذهبا لم يبعك لما أعرفه من محبته لك ولكن يا سيدتي مريم ربما يكون جماعة
أتوا من مدينته من عند والديه فعمل لهم عزومة في المحل الذي هم نازلون فيه
واستحى أن يأتي بهم الى هذا المحل لانه لا يسعهم أو لان مرتبتهم أقل من ان يجيء
بهم الى البيت أو أحب ان يخفي امرك عنهم فبات عندهم الى الصباح ويأتي ان شاء
الله تعالى اليك في غد بخير فلا تحملي نفسك هما ولا غما يا سيدتي فهذا سبب غيابه
عنك في هذه الليلة وها أنا أبيت عندك في هذه الليلة وأسليك الى ان يأتي اليك
سيدك ثم ان زوجة العطار صارت تلاهي مريم وتسليها بالكلام الى ان ذهب الليل
كله فلما أصبح الصباح نظرت مريم سيدها نور الدين وهو داخل من الزقاق وذلك
الافرنجي وراءه وجماعة التجار حواليه فلما رأتهم مريم ارتعدت فرائصها واصفر

لونها وصارت ترتعد كأنها سفينة فى وسط بحر مع شدة الريح فلما رأتها امرأة العطار قالت لها ياسيدتى مريم مالى أراك قد تغير حالك واصفر وجهك وزاد به الذبول فقالت لها الجارية ياسيدتى والله ان قلبى قد أحس بالفراق وبعد التلاق ثم ان الجارية تأوهت بتصاعد الزفرات وأنشدت هذه الابيات

لا تركنن الى الفرا * ق فانه مر المذاق
الشمس عند غروبها * تصفر من ألم الفراق
وكذاك عند شروقها * تبيض من فرح التلاق

ثم ان مريم الزنارية بكت بكاء شديدا ماعليه من مزيد وتيقنت الفراق وقالت لزوجة العطار ياسيدتى أما قلت لك ان سيدى نور الدين قد عملت عليه حيلة من أجل بيعى فما أشك انه باعنى فى هذه الليلة لهذا الافرنجى وقد كنت حذرته منه ولكن لا ينفع حذر من قدر فقد بان لك صدق قولى فبينما هى وزوجة العطار فى الكلام واذا بسيدها نور الدين قد دخل عليهما فى تلك الساعة فنظرت اليه الجارية فرأته قد تغير لونه وارتعدت فرائصه ويلوح على وجهه أثر الحزن والندامة فقالت له ياسيدى نور الدين كأنك بعتنى فبكى بكاء شديدا وتأوه وتنفس الصعداء وأنشد هذه الابيات

هى المقادير فما يغنى الحذر * ان كنت اخطأت فما اخطا القدر
اذا أراد الله أمرا بامرئ * وكان ذا عقل وسمع وبصر
أصم أذنيه وأعمى عينه * وسل منه عقله سل الشعر
حتى اذا أنفذ فيه حكمه * رد اليه عقله ليعتبر
فلا تقل فيما جرى كيف جرى * فكل شئ بقضاء وقدر

ثم ان نور الدين اعتذر الى الجارية وقال لها والله ياسيدتى مريم انه قد جرى القلم بما الله حكم والناس قد عملوا على حيلة من أجل بيعك فدخلت على الحيلة فبعتك وقد فرطت فيك أعظم تفريط ولكن عسى من حكم بالفراق أن يمن بالتلاق فقالت له قد حذرتك من هذا وكان فى وهمى ثم ضمته الى صدرها وقبلت ما بين عينيه وأنشدت هذه الابيات

وحق هواكم ماسلوت ودادكم * ولو تلفت روحى هوى وتشوقا
أنوح وأبكى كل يوم وليلة * كما ناح قمرى على شجر النقا
تنغص عيشى بعدكم يا أحبتى * متى غبتم عنى فمالى ملتقى

فبينما هما على هذه الحالة واذا بالافرنجى قد طلع عليهما وتقدم ليقبل أيادى السيدة

السيدة مريم فلطمته بكفها على خده وقالت له ابعد يا ملعون فما زلت ورائي حتى خدعت سيدي ولكن يا ملعون ان شاء الله تعالى لا يكون الا خير فضحك الافرنجي من قولها وتعجب من فعلها واعتذر اليها وقال لها يا سيدتي مريم أي شئ ذنبي أنا وانما سيدك نور الدين هذا هو الذي باعك برضى نفسه وطيب خاطره وانه وحق المسيح لو كان يحبك ما فرط فيك ولولا انه فرغ غرضه منك ما باعك وقد قال بعض الشعراء

من ملني فليمض عني عامدا * ان عدت أذكره فلست براشد
ماضاقت الدنيا على بأسرها * حتى تراني راغبا في زاهد

وقد كانت هذه الجارية بنت ملك افرنجة وهي مدينة واسعة الجهات كثيرة الصنائع والغرائب والنبات تشبه مدينة القسطنطينية وقد كان لخروج تلك الجارية من مدينة أبيها حديث غريب وأمر عجيب نسوقه على الترتيب حتى يطرب السامع ويطيب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان لخروج مريم الزنارية من عند أبيها وأمها سببا عجيبا وأمرا غريبا وذلك انها تربت عند أبيها وأمها في العز والدلال وتعلمت الفصاحة والكتابة والحساب والفروسية والشجاعة وتعلمت جميع الصنائع مثل الزركشة والخياطة والحياكة وصنعة الزنار والعقادة ورمي الذهب على الفضة والفضة على الذهب وتعلمت جميع صنائع الرجال والنساء حتى صارت فريدة زمانها ووحيدة عصرها وأوانها وقد أعطاها الله عز وجل من الحسن والجمال والظرف والكمال ما فاقت به على جميع أهل عصرها فخطبها ملوك الجزائر من أبيها وكل من خطبها منه يأبى أن يزوجها له لانه كان يحبها حبا عظيما ولا يقدر على فراقها ساعة واحدة ولم يكن عنده بنت غيرها وكان معه من الاولاد الذكور كثير ولكنه كان مشغوفا بحبها أكثر منهم فاتفق أنها مرضت في بعض السنين مرضا شديدا حتى أشرفت على الهلاك فنذرت على نفسها انها اذا عوفيت من هذا المرض تزور الدير الفلاني الذي في الجزيرة الفلانية وكان ذلك الدير معظما عندهم وينذرون له النذور ويتبركون به فلما عوفيت مريم من مرضها أرادت أن توفي بنذرها الذي نذرته على نفسها لذلك الدير فارسلها والدها ملك افرنجة الى ذلك الدير في مركب صغيرة وأرسل معها بعضا من بنات أكابر المدينة ومن البطارقة لاجل

خدمتها فلما قربت من الدير خرجت مركب من مراكب المسلمين المجاهدين فى سبيل
الله فاخذوا جميع ما فى تلك المركب من البطارقة والبنات والاموال والتحف
فباعوا ما اخذوه فى مدينة القيروان فوقعت مريم فى يد رجل اعجمى تاجر من
التجار قد كان ذلك الاعجمى عنينا لا يأتى النساء ولم تنكشف له عورة على امرأة
فجعلها للخدمة ثم ان ذلك الاعجمى مرض مرضا شديدا حتى أشرف على الهلاك
وطال عليه المرض مدة شهور فخدمته مريم وبالغت فى خدمته الى ان عافاه الله
من مرضه فتذكر ذلك الاعجمى منها الشفقة والحنية عليه والقيام بخدمته فاراد
أن يكافئها على ما فعلته معه من الجميل فقال لها تمنى على يا مريم فقالت يا سيدى
تمنيت عليك أن لا تبيعنى الا لمن أريده وأحبه فقال لها نعم لك على ذلك والله يا مريم
ما أبيعك الا لمن تريدينه وقد جعلت بيعك بيدك ففرحت فرحا شديدا وكان الاعجمى
قد عرض عليها الاسلام فاسلمت وعلمها العبادات فتعلمت من ذلك الاعجمى فى تلك
المدة أمر دينها وما يجب عليها وحفظها القرآن وما تيسر من العلوم الفقهية
والاحاديث النبوية فلما دخل بها مدينة اسكندرية باعها لمن أرادته وجعل
بيعها بيدها كما ذكرنا فاخذها على نور الدين كما أخبرنا هذا ما كان من سبب خروجها
من بلادها وأما ما كان من أمر أبيها ملك افرنجة فانه لما بلغه أمر ابنته ومن
معها قامت عليه القيامة وأرسل خلفها المراكب وصحبتهم البطارقة والفرسان
والرجال الابطال فلم يقعوا لها على خبر بعد التفتيش فى جزائر المسلمين ورجعوا الى
أبيها بالويل والثبور وعظائم الامور فحزن عليها أبوها حزنا شديدا فارسل وراءها ذلك
الاعور اليمين الاعرج الشمال لانه كان أعظم وزرائه وكان جبارا عنيدا ذا حيل
وخداع وأمره أن يفتش عليها فى جميع بلاد المسلمين ويشتريها ولو بحمل مركب
ذهبا ففتش عليها ذلك الملعون فى جزائر البحار وسائر المدن فلم يقع لها على خبر الى
ان وصل الى مدينة اسكندرية وسأل عنها فوقع على خبرها عند نور الدين على
المصرى فجرى له معه ما جرى وعمل عليه الحيلة حتى اشتراها منه كما ذكرنا بعد
الاستدلال عليها بالمنديل الذى لا يحسن صنعته غيرها وكان قد وصى التجار واتفق
معهم على خلاصها بالحيلة فلما صارت عنده مكثت فى بكاء وعويل فقال لها
يا سيدتى مريم خلى عنك هذا الحزن والبكاء وقومى معى الى مدينة أبيك ومحل
مملكتك ومنزل عزك ووطنك لتكونى بين خدمك وغلمانك واتركى هذا الذل وهذه
الغربة ويكفى ما قد حصل لى من التعب والسفر من أجلك وصرف الاموال فان لى
فى التعب والسفر نحو سنة ونصف وقد أمرنى والدك أن أشتريك ولو بحمل مركب ذهبا

ثم

بهمان وزير ملك افرنجة صار يقبل قدميها ويخضع لها ولم يزل يكثر تقبيل يديها وقدميها ويزداد غضبها عليه كلما فعل ذلك أدبا معها وقالت له يا ملعون الله تعالى لا يبلغك ما فى مرادك ثم قدم اليها الغلمان فى تلك الساعة بغلة بسرج مزركش واركبوها عليها ورفعوا فوق رأسها سحابة من حرير بعواميد من ذهب وفضة وصار الافرنج يمشون حولها حتى طلعوا بها من باب البحر وأنزلوها فى قارب صغير وصاروا يقذفون بها الى ان أوصلوها الى المركب الكبيرة وأنزلوها فيها فعند ذلك نهض الوزير الاعور وقال لبحرية المركب ارفعوا الصارى فرفعوه من وقتهم وساعتهم ونشروا القلوع والاعلام ونشروا القطن والكتان واعملوا المقاديف وسافرت بهم تلك المركب هذا كله ومريم تنظر الى ناحية اسكندرية حتى غابت عن عينها فصارت تبكى فى سرها بكاء شديدا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان مريم الزنارية صارت تنظر الى ناحية اسكندرية حتى غابت عن عينها فبكت وانتحبت وسكبت العبرات وانشدت هذه الابيات

ايا منزل الاحباب هل لك عودة * الينا وما علمى بما الله صانع
فسارت بنا سفن الفراق واسرعت * وطرفى قريح قد محته المدامع
لفرقة خل كان غاية مقصدى * به يشتفى سقمى وتمحى المواجع
الا يا الهى كن عليه خليفتى * فعندك يوما لا تضيع الودائع

ولم تزل مريم كلما تذكرته تبكى وتنوح فاقبل عليها البطارقة يلاطفونها فلم تقبل منهم كلاما بل شغلها داعى الوجد والغرام ثم انها بكت وانت واشتكت وانشدت هذه الابيات

لسان الهوى فى مهجتى لك ناطق * يخبر عنى اننى لك عاشق
ولى كبد جمر الهوى قد اذابها * وقلبى جريح من فراقك خافق
وكم اكتم الحب الذى قد اذابنى * وجفنى قريح والدموع سوابق

ولم تزل مريم على هذه الحالة لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار مدة سفرها هذا ما كان من أمرها هى والوزير الاعور واما ما كان من أمر نور الدين على المصرى ابن التاجر تاج الدين فانه بعد نزول مريم المركب وسفرها ضاقت عليه الدنيا وصار

لايقرّ له قرار ولا يطاوعه اصطبار فتوجه الى القاعة التى كان مقيما بها هو ومريم فرآها فى وجهه سوداء مظلمة ورأى العدة التى كانت تشتغل عليها الزنانير وثيابها التى كانت على جسدها فضمها الى صدره وبكى وفاضت من جفنه العبرات وأنشد هذه الابيات

ترى هل يعود الشمل بعد تشتت * وبعد توالى حسرتى وتلفتى
فهيهات ما قد كان ليس براجع * فياهل ترى احظى بوصل حبيبتى
وياهل ترى قد يجمع الله شملنا * وتذكر احبابى عهود مودتى
ويحفظ ودى من بجهلى اضعته * ويرعى عهودى ثم سالف صحبتى
فما انا الا ميت بعد بعدهم * وهل ترتضى الاحباب يوما منيتى
فيا أسفى ان كان يجدى تأسفى * لقد ذبت وجدا من تزايد حسرتى
وضاع زمان كان فيه تواصلى * فياهل ترى دهرى يجود بمنيتى
فيا قلب زد وجدا ويا عين أهملى * دموعا ولا تبقى الدموع بمقلتى
ويا بعد احبابى وفقد تصبرى * وقد قل انصارى وزادت بليتى
سأت اله العالمين يجود لى * بعود حبيبى والوصال كعادتى

ثم ان نور الدين بكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد ونظر الى زوايا القاعة وانشد هذين البيتين

ارى آثارهم فاذوب شوقا * واجرى فى مواطنهم دموعى
واسأل من قضى بالبعد عنهم * يمنّ على يوما بالرجوع

ثم ان نور الدين نهض من وقته وساعته وقفل باب الدار وخرج يجرى الى البحر وصار يتأمل فى موضع المركب التى سافرت بمريم ثم بكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

سلام عليكم ليس لى عنكم غنى * وانى على الحالين فى القرب والبعد
احنّ اليكم كل وقت وساعة * واشتاقكم شوق العطاش الى الورد
وعندكم سمعى وقلبى وناظرى * وتذكاركم عندى الذ من الشهد
فيا أسفى لما استقلت ركابكم * وحادت بكم تلك السفينة عن قصدى

ثم ان نور الدين ناح وبكى وانّ وحنّ واشتكى ونادى يا مريم يا مريم هل كانت رؤيتى لك فى المنام ام اضغاث احلام ولما زادت به الحسرات أنشد هذه الابيات

فهل بعد هذا البعد عينى تراكم * واسمع من قرب الديار نداكم
وتجمعنا الدار التى انست بنا * واعطى منى قلبى وانتم مناكم

خذوا

خذوا العظامي اين سرتم محفة * واين حللتم فادفنوني حذاكم
فلو كان لي قلبان عشت بواحد * واترك قلبا مغرما في هواكم
ولو قيل لي ماذا على الله تشتهي * لقلت رضى الرحمن ثم رضاكم

فبينما نور الدين على هذه الحالة يبكي و يقول يا مريم يا مريم واذا بشيخ قد طلع من مركب واقبل عليه فرآه يبكي وينشد هذين البيتين

يا مريم الحسن عودي ان لي مقلا * سحائب المزن تجري من سواكبها
واستخبري عذلي دون الانام ترى * اجفان عيني غرقى في كواكبها

فقال له الشيخ يا ولدي كانك تبكي على الجارية التي سافرت البارحة مع الافرنجي فلما سمع نور الدين كلام الشيخ خر مغشيا عليه ساعة زمانية ثم افاق وبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وانشد هذه الابيات

فهل بعد هذا البعد يرجى وصالها * ولذة انسي قد يعود كمالها
فان بقلبي لوعة وصبابة * ويزعجني قيل الوشاة وقالها
اقيم نهاري باهتا متحيرا * وفي الليل ارجو ان يزور خيالها
فوالله لا اسلو عن العشق ساعة * وكيف ونفسي في الوشاة ملالها
منعمة الاطراف مهضومة الحشى * لها مقلة في القلب مني نبالها
تحاكي قضيب البان في الروض قدها * ويخجل ضوء الشمس حسنا جمالها
ولولا اخاف الله جل جلاله * لقلت لذات الحسن جل جلالها

فلما نظر ذلك الشيخ الى نور الدين ورأى جماله وقده واعتداله وفصاحة لسانه ولطفه افتتانه حزن قلبه عليه ورق لحاله وكان ذلك الشيخ رئيس مركب مسافرة الى مدينة تلك الجارية وفيها مائة تاجر من تجار المسلمين المؤمنين فقال له اصبر ولا يكون الا خير فان شاء الله سبحانه وتعالى اوصلك اليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشيخ الريس لما قال لنور الدين انا اوصلك اليها ان شاء الله تعالى قال له نور الدين متى السفر قال الريس قد بقي لنا ثلاثة ايام ونسافر في خير وسلامة فلما سمع نور الدين كلام الريس فرح فرحا شديدا وشكر فضله واحسانه وبعد ذلك تذكر ايام الوصال واجتماع الشمل بجاريته عديمة المثال فبكى بكاء شديدا وأنشد هذه الابيات

فهل يجمع الرحمن لى ولكم شملا * وهل ابلغ المقصود ياسادتى ام لا
ويسمح صرف الدهر منكم بزورة * واطبق اجفانى على ذاتكم بخلا
ولو كان وصلكم يباع اشتريته * بروحى ولكنى ارى وصلكم اغلى

ثم ان نور الدين طلع من وقته وساعته وتوجه الى السوق واخذ منه جميع مايحتاج اليه من الزاد وادوات السفر واقبل على ذلك الريس فلما رآه قال له ياولدى ماهذا الذى معك قال زوادتى وما احتاج اليه فى السفر فضحك الريس من كلامه وقال له ياولدى هل أنت رائح تتفرج على عمود الصوارى ان بينك وبين مقصدك مسيرة شهرين اذا طاب الريح وصفت الاوقات ثم ان ذلك الشيخ اخذ من نور الدين شيأ من الدراهم وطلع الى السوق واشترى له جميع مايحتاج اليه فى السفر على قدر كفايته وملأ له بتية ماء حلو ثم أقام نور الدين فى المركب ثلاثة ايام الى ان تجهز التجار وقضوا مصالحهم ونزلوا فى المركب ثم حل الريس قلوعها وسار وامدة واحد وخمسين يوما وبعد ذلك خرج عليهم القرصان قطاع الطريق فنهبوا المركب واسروا جميع من فيها وأتوا بهم الى مدينة افرنجة وعرضوهم على الملك وكان نور الدين من جملتهم فأمر الملك بحبسهم وفى وقت نزولهم من عند الملك الى الحبس وصل الغراب الذى فيه الملكة مريم الزنارية مع الوزير الاعور فلما وصل الغراب الى المدينة طلع الوزير الى الملك وبشره بوصول ابنته مريم الزنارية سالمة فدقوا البشائر وزينوا المدينة باحسن زينة وركب الملك فى جميع عسكره وارباب دولته وتوجهوا الى البحر ليقابلوها فلما وصلت المركب طلعت ابنته مريم فعانقها وسلم عليها وسلمت عليه وقدم لها جوادا فركبته فلما وصلت الى القصر قابلتها امها وعانقتها وسلمت عليها وسألتها عن حالها وهل هى بكر مثل ماكانت عندهم سابقا أو صارت امرأة ثيبا فقالت لهم مريم ياامى بعد أن يباع الانسان فى بلاد المسلمين من تاجر الى تاجر ويصير محكوما عليه كيف يبقى بنتا بكرا ان التاجر الذى اشترانى هددنى بالضرب واكرهنى وازال بكارتى وباعنى لآخر وآخر باعنى لآخر فلما سمعت امها منها هذا الكلام صار الضياء فى وجهها ظلاما ثم اعادت على أبيها هذا الكلام فصعب ذلك عليه وكبر أمره لديه وعرض حالها على ارباب دولته وبطارقته فقالوا له ايها الملك انها تنجست من المسلمين ومايطهرها الاضرب مائة رقبة من المسلمين فعند ذلك أمر الملك باحضار الاسارى الذين فى الحبس فاحضروهم جميعا بين يديه ومن جملتهم نور الدين فأمر الملك بضرب رقابهم فأول من ضربوا رقبته ريس المركب ثم ضربوا رقاب التجار واحدا بعد واحد حتى لم يبق الا نور الدين فشرطوا ذيله وعصبوا عينيه وقدموه الى نطع

الدم

الدم وارادوا أن يضربوا رقبته واذا بامرأة عجوز اقبلت على الملك فى تلك الساعة
وقالت له يا مولاى أنت كنت نذرت لكل كنيسة خمسة اسارى من المسلمين ان ردّ الله
بنتك مريم لاجل أن يساعدوا فى خدمتها والآن قد وصلت اليك بنتك السيدة مريم
فاوف بنذرك الذى نذرته فقال لها الملك يا أمى وحق المسيح والدين الصحيح لم يبق
عندى من الاسارى غير هذا الاسير الذى يريدون قتله فخذيه معك يساعدك
فى خدمة الكنيسة الى أن يأتى الينا أسارى من المسلمين فارسل اليك أربعة اخر
ولو كنت سبقت قبل أن يضربوا رقاب هؤلاء الاسارى لاعطيناك كلما تريدينه
فشكرت العجوز صنيع الملك ودعت له بدوام العز والبقاء والنعم ثم تقدمت العجوز
من وقتها وساعتها الى نور الدين واخرجته من نطع الدم ونظرت اليه فرأته شابا
لطيفا ظريفا رقيق البشرة ووجهه كأنه البدر اذا بدر فى ليلة أربعة عشر فاخذته
ومضت به الى الكنيسة وقالت له يا ولدى اقلع ثيابك التى عليك فانها لا تصلح
الا لخدمة السلطان ثم ان العجوز جاءت لنور الدين بجبة من صوف اسود ومئزر من
صوف اسود وسير عريض فالبسته تلك الجبة وعممته بالمئزر وشدت وسطه بالسير
وأمرته أن يخدم الكنيسة فخدم الكنيسة مدة سبعة ايام فبينما هو كذلك واذا
بتلك العجوز قد اقبلت عليه وقالت له يا مسلم خذ ثيابك الحرير والبسها وخذ هذه
العشرة دراهم واخرج فى هذه الساعة تفرج فى هذا اليوم ولا تقف هنا ساعة
واحدة لئلا تروح روحك فقال لها نور الدين يا امى أى شئ الخبر فقالت له العجوز اعلم
يا ولدى ان بنت الملك السيدة مريم الزنارية تريد أن تدخل الكنيسة فى هذا الوقت
لاجل أن تزورها وتتبرك بها وتقرب لها قربانا حلاوة السلامة بسبب خلاصها من
بلاد المسلمين وتوفى لها النذور التى نذرتها ان نجاها المسيح ومعها أربعمائة بنت
ما واحدة منهن الا كاملة فى الحسن والجمال ومن جملتهن بنت الوزير وبنات الامراء
وارباب الدولة وفى هذه الساعة يحضرن وربما يقع نظرهن عليك فى هذه الكنيسة
فيقطعنك بالسيوف فعند ذلك اخذ نور الدين من العجوز العشرة دراهم بعد ان
لبس ثيابه وخرج الى السوق وصار يتفرج فى شوارع المدينة حتى عرف جهاتها
وأبوابها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نور الدين لما لبس ثيابه اخذ العشرة دراهم من
العجوز ثم خرج الى السوق وغاب ساعة حتى عرف جهات المدينة ثم رجع الى

الكنيسة فرأى مريم الزنارية بنت ملك افرنجة قد اقبلت على الكنيسة ومعها أربعمائة بنت نهد ابكار كأنهن الاقمار ومن جملتهن بنت الوزير الاعور وبنات الامراء وارباب الدولة وهي تمشي بينهن كأنها القمر بين النجوم فلما وقع نظر نور الدين عليها لم يتمالك نفسه بل صرخ من صميم قلبه وقال يامريم يامريم فلما سمعت البنات صياح نور الدين وهو ينادي يامريم هجمن عليه وجردن بيض الصفاح مثل الصواعق واردن قتله في تلك الساعة فالتفتت اليه مريم وتأملته فعرفته غاية المعرفة فقالت للبنات اتركن هذا الشاب فانه مجنون بلاشك لان علامة الجنون لائحة على وجهه فلما سمع نور الدين من السيدة مريم هذا الكلام كشف رأسه وحملق عينيه واشاح بيديه وعوج رجليه واخرج الزبد من فيه وشدقيه فقالت السيدة مريم اما قلت لكن ان هذا مجنون احضرنه عندي وابعدن عنه حتى اسمع مايقول فاني اعرف كلام العرب وانظر حاله وهل داء جنونه يقبل المداواة ام لا فعند ذلك حمله البنات وجئن به بين يديها ثم بعدن عنه فقالت له هل جئت الى هنا من اجلي وخاطرت بنفسك وعملت نفسك مجنونا فقال لها نور الدين ياسيدتي اما سمعت قول الشاعر

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * مالذة العيش الا للمجانين

هاتوا جنوني وهاتوا من جننت به * فان وفى بجنوني لاتلوموني

فقالت له مريم والله يانور الدين انك الجاني على نفسك فاني حذرتك من هذا قبل وقوعه فلم تقبل قولي وتبعت هوى نفسك وانا ما اخبرتك لا من باب الكشف ولا من باب الفراسة ولا من باب الرؤية في المنام وانما هو من باب المشاهدة والعيان لاني رأيت الوزير الاعور فعرفت انه مادخل في هذه البلدة الا في طلبي فقال لها نور الدين ياسيدتي مريم نعوذ بالله من زلة العاقل ثم تزايد بنور الدين الحال فانشد هذا المقال

هب لي جناية من زلت به القدم * قد يشمل العبد من ساداته كرم

حسب المسيء بذنب من جنايته * فرط الندامة اذ لا ينفع الندم

فعلت مايقتضي التأديب معترفا * فاين مايقتضيه العفو والكرم

ولم يزل نور الدين هو والسيدة مريم الزنارية في عتاب يطول شرحه وكل منهما يحكي لصاحبه ماجرى له ويتناشدان الاشعار ودموعهما تجري على خدودهما اشبه البحار ويشكوان لبعضهما شدة الهوى وأليم الوحدة والجوى الى أن لم يبق لاحدهما قوة على الكلام وكان النهار قد ولى واقبل الظلام وقد كان على السيدة

مريم حلة خضراء مزركشة بالذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر فزاد حسنها وجمالها وظرف معانيها وقد اجاد من قال فيها

شدت كبدر التم فى الحلل الخضر * مفككة الازرار محلولة الشعر
فقلت لها ما الاسم قالت انا التى * كويت قلوب العاشقين على الجمر
انا الفضة البيضاء والذهب الذى * يفك به المأسور من شدة الاسر
فقلت لها ان الصدود اذابنى * فقالت انشكو لى وقلبى من صخر
فقلت لها ان كان قلبك صخرة * فقد انبع الله الزلال من الصخر

فلما جن الليل اقبلت السيدة مريم على البنات وقالت لهن هل اغلقتن الباب فقلن لها قد اغلقناه فعند ذلك اخذت السيدة مريم البنات واتت بهن الى مكان يقال له مكان السيدة مريم العذراء ام النور لان النصارى يزعمون ان روحانيتها وسرها فى ذلك المكان فصار البنات يتبركن به ويطفن فى الكنيسة كلها ولما فرغن من زيارتها التفتت السيدة مريم اليهن وقالت لهن انى اريد ان ادخل وحدى فى هذه الكنيسة واتبرك بها فانه حصل لى اشتياق اليها بسبب طول غيبتى فى بلاد المسلمين واما انتن فحيث فرغتن من الزيارة فنمن حيث شئتن فقلن لها حبا وكرامة وافعلى أنت ما تريدينه ثم انهن تفرقن عنها فى الكنيسة ونمن فعند ذلك استغفلتهن مريم وقامت تفتش على نور الدين فرأته فى ناحية جالسا على مقالى الجمر وهو فى انتظارها فلما اقبلت عليه قام لها على قدميه وقبل يديها فجلست واجلسته فى جانبها ثم نزعت ما كان عليها من الحلى والحلل ونفيس القماش وضمت نور الدين الى صدرها وجعلته فى حضنها ولم تزل هى واياه فى بوس وعناق ونغمات خاق باق وهما يقولان ما اقصر ليل التلاق وما اطول يوم الفراق وينشدان قول الشاعر

يا ليلة الوصل وبكر الدهر * لانت غرة الليالى الغر
جأتنى بالصبح وقت العصر * هل كنت كحلا فى عيون الفجر
او كنت نوما فى عيون رمد
يا ليلة الهجر وما اطولها * آخرها مواصل أولها
كحلقة مفرغة ما ان لها * من طرف والحشر ايضا قبلها
فالصب بعد البعث ميت الصد

فبينما هما فى هذه اللذة العظيمة والفرحة العميمة واذا بغلام من الغلمان النفيسة يضرب الناقوس فوق سطح الكنيسة ليقيم من عبادتهم الشعائر وهو كما قال الشاعر

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم الظبى ضربا بالنواقيس

وقلت للنفس أى الضرب يؤلمك * ضرب النواقيس ام ضرب النوى قيسى
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن مريم الزنارية مازالت هى ونور الدين فى لذة وطرب الى أن طلع الغلام النواقيسى فوق سطح الكنيسة وضرب الناقوس فقامت من وقتها وساعتها ولبست ثيابها وحليها فشق ذلك على نور الدين وتكدر وقته فبكى وسكب العبرات وأنشد هذه الابيات

لازلت الثم ورد خد غض * واعض ذلك مبالغا فى العض
حتى اذا طبنا ونام رقيبنا * وعيونه مالت لنحو الغمض
ضربت نواقيس تنبه أهلها * كمؤذن يدعو صلاة الفرض
قامت على عجل للبس ثيابها * من خوف نجم رقيبنا المنقض
وتقول ياسؤلى ويا كل المنى * جاء الصباح بوجهه المبيض
أقسمت لو اعطيت يوم ولاية * وبقيت سلطانا شديد القبض
لهدمت اركان الكنائس كلها * وقتلت كل مقسس فى الارض

ثم ان السيدة مريم ضمت نور الدين الى صدرها وقبلت خده وقالت له يا نور الدين كم يوما لك فى هذه المدينة فقال سبعة ايام فقالت له هل سرت فى هذه المدينة وعرفت طرقها ومخارزها وأبوابها التى من ناحية البر والبحر قال نعم قالت وهل تعرف طريق صندوق النذر الذى فى الكنيسة قال نعم قالت له حيث كنت تعرف ذلك كله اذا كانت الليلة القابلة ومضى ثلث الليل الاول فاذهب فى تلك الساعة الى صندوق النذر وخذ منه ماتريد وتشتهى وافتح باب الكنيسة الذى فيه الخوخة التى توصل الى البحر فانك تجد سفينة صغيرة فيها عشرة رجال بحرية فمتى رآك الريس يمد يده اليك فناوله يدك فانه يطلعك فى السفينة فاقعد عنده حتى اجىء اليك والحذر ثم الحذر من أن يلحقك النوم فى تلك الليلة فتندم حيث لا ينفعك الندم ثم ان السيدة مريم ودعت نور الدين وخرجت من عنده فى تلك الساعة ونبهت جواريها وسائر البنات من نومهن واخذتهن وأتت الى باب الكنيسة ودقته ففتحت العجوز الباب فلما طلعت منه رأت الخدام والبطارقة وقوفا فقدموا لها بغلة فركبتها وارخوا عليها ناموسية من حرير واخذ البطارقة بزمام البغلة ووراءها البنات واحتاط بها الجاويشية وبايديهم السيوف مسلولة وساروا بها الى ان وصلوا بها الى قصر أبيها هذا ما كان

من

من أمر مريم الزنارية وأمّا ما كان من أمر نور الدين المصرى فانه لم يزل مختفيا وراء الستارة التى كان مستترا خلفها هو ومريم الى أن طلع النهار وانفتح باب الكنيسة وكثرت الناس فيها فاختلط بالناس وجاء الى تلك العجوز قيمة الكنيسة فقالت له أين كنت راقدا فى هذه الليلة قال فى محل داخل المدينة كما أمرتنى فقالت له العجوز انك فعلت الصواب ياولدى ولو كنت بت الليلة فى الكنيسة كانت قتلتك اقبح قتلة فقال لها نور الدين الحمد لله الذى نجانى من شر هذه الليلة ولم يزل نور الدين يقضى شغله فى الكنيسة الى أن مضى النهار واقبل الليل بدياجى الاعتكار فقام نور الدين وفتح صندوق النذر واخذ منه ماخف حمله وغلا ثمنه من الجواهر ثم صبر الى أن مضى ثلث الليل الاول وقام ومشى الى باب الخوخة التى توصل الى البحر وهو يطلب الستر من الله ولم يزل يمشى الى أن وصل الى الباب وفتحه وخرج من تلك الخوخة وراح الى البحر فوجد السفينة راسية على شاطئ البحر بجوار الباب ووجد الريس شيخا كبيرا ظريفا لحيته طويلة وهو واقف فى وسطها على رجليه والعشرة رجال واقفون قدامه فناوله نور الدين يده كما أمرته مريم فاخذه من يده وجذبه فصار فى وسط السفينة فعند ذلك صاح الشيخ الريس على البحرية وقال لهم اقلعوا مرساة السفينة من البر وعوموا بنا قبل أن يطلع النهار فقال واحد من العشرة البحرية ياسيدى الريس كيف نعوم والملك أخبرنا انه فى غد يركب السفينة فى هذا البحر ليطلع على مافيه لانه خائف على ابنته مريم من سراق المسلمين فصاح عليهم الريس وقال ويلكم ياملاعين هل بلغ من أمركم انكم تخالفونى وتردون كلامى ثم ان ذلك الشيخ الريس سل سيفه من غمده وضرب به ذلك المتكلم على عنقه فخرج السيف يلمع من رقبته فقال له واحد وأى شئ عمل صاحبنا من الذنوب حتى تضرب رقبته فمد يده الى السيف وضرب به عنق هذا المتكلم ولم يزل ذلك الريس يضرب اعناق البحرية واحدا بعد واحد حتى قتل العشرة ورماهم على شاطئ البحر ثم التفت الى نور الدين وصاح عليه صيحة عظيمة ارعبته وقال له انزل اقلع الوتد فخاف نور الدين من ضرب السيف ونهض قائما ووثب فى البر وقلع الوتد ثم طلع فى السفينة أسرع من البرق الخاطف وصار الريس يقول له افعل كذا وكذا ودور كذا وكذا وانظر فى النجوم ونور الدين يفعل جميع ما يأمره به الريس وقلبه خائف مرعوب ثم رفع شراع المركب وسارت بهما فى البحر العجاج المتلاطم بالامواج وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ الريس لما رفع شراع المركب توجه بالمركب هو ونور الدين في البحر العجاج وقد طاب لهما الريح كل ذلك ونور الدين ماسك بيده الراجح وهو غريق في بحر الافكار ولم يزل مستغرقا في الفكر ولم يعلم بما هو مخبوء له في الغيب وكلما نظر الى الريس ارتعب قلبه ولم يعلم بالجهة التي يتوجه اليها الريس بل صار مشغولا في فكر ووسواس الى أن تضحى النهار فعند ذلك نظر نور الدين الى الريس فرآه قد أخذ لحيته الطويلة بيده وجذبها فطلعت من موضعها في يده وتأملها نور الدين فوجدها لحية كانت ملصقة زورا ثم تأمل نور الدين في ذات الريس ودقق نظره فيها فرآها السيدة مريم معشوقته ومحبوبة قلبه وكانت قد تحيلت بتلك الحيلة حتى قتلت الريس وسلخت وجهه بلحيته واخذت جلده وركبته على وجهها فتعجب نور الدين من فعلها وشجاعتها ومن قوة قلبها وقد طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال لها مرحبا يا منيتي وسؤلي وغاية مطلبي ثم ان نور الدين هزه الشوق والطرب وأيقن ببلوغ الامل والارب فردد صوته باطيب النغمات وأنشد هذه الابيات

قل لقوم هم لعشق جهلوا * في حبيب ما اليه وصلوا
عن غرامي بين قومي فاسألوا * قد حلا نظمي ورق الغزل
في هوى قوم بقلبي نزلوا
ذكرهم عندي يزيل السقما * عن فؤادي ويزيح الالما
زاد شوقي وهيامي عندما * أصبح القلب كئيبا مغرما
وبه في الناس سار المثل
أنا لا أقبل فيهم لومة * لا ولا أقصد عنهم سلوة
لكن الحب رماني حسرة * اشعلت منه بقلبي جمرة
حرها في كبدي يشتعل
من عجيب قد أباحوا سقمي * مع سهادي طول ليل مظلم
كيف راموا بالتجافي عدمي * واستحلوا في الهوى سفك دمي
وهم في جورهم قد عدلوا
يا ترى من ذا الذي أوصاكم * بالتجافي عن فتى يهواكم
ولعمري والذي أنشاكم * ان حكى العذال قولا عنكم

كذبوا

كذبوا والله فيما نقلوا

لا أزاح الله عنى عللا * لا ولا أبرا الهى غللا

يوم أشكو من هواكم مللا * أنا لا أرضى سواكم بدلا

عذبوا قلبى وان شئتم صلوا

لى فؤاد لم يحل عن حبكم * لو تعانى حسرة من صدكم

سخط هذا والرضى من عندكم * ما تشاؤا فافعلوا فى عبدكم

هو بالروح لكم لا يبخل

فلما فرغ نور الدين من شعره تعجبت منه السيدة مريم غاية العجب وشكرته على قوله وقالت له من هذه حالته ينبغى أن يسلك مسالك الرجال ولا يفعل فعل الانذال والارذال وقد كانت السيدة مريم قوية القلب تعرف بأحوال سير المراكب فى البحر المالح وتعرف الاهوية كلها واختلافها وتعرف جميع طرق البحر فقال لها نور الدين والله يا سيدتى لو أطلت على هذا الامر لمت من شدة الخوف والفزع خصوصا مع نار الوجد والاشتياق وأليم عذاب الفراق فضحكت من كلامه وقامت من وقتها وساعتها وأخرجت شيأ من المأكول والمشروب فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وبعد ذلك أخرجت من اليواقيت والجواهر وأصناف المعادن والذخائر الغالية وأنواع الذهب والفضة ما خف حمله وغلا ثمنه من الذى جاءت به وأخرجته من قصر أبيها وخزائنه وعرضت ذلك على نور الدين ففرح به غاية الفرح كل ذلك والريح معتدل والمركب سائرة ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على مدينة اسكندرية وشاهدوا اعلامها القديمة والجديدة وشاهدوا عمود الصوارى فلما وصلوا الى المينا طلع نور الدين من وقته وساعته من تلك السفينة وربطها فى حجر من أحجار القصارين وأخذ معه شيأ من الذخائر التى جاءت بها الجارية معها وقال للسيدة مريم اقعدى يا سيدتى فى السفينة حتى أطلع بك الى اسكندرية مثل ما أحب وأشتهى فقالت له ولكن ينبغى أن يكون ذلك بسرعة لان التراخى فى الامور يورث الندامة فقال لها ما عندى تراخ فقعدت مريم فى السفينة وتوجه نور الدين الى بيت العطار صاحب أبيه ليستعير لها من زوجته نقابا وحبرة وخفا وازارا كعادة نساء اسكندرية ولم يعلم بما لم يكن له فى حساب من تصرفات الدهر صاحب العجب العجاب هذا ما كان من أمر نور الدين ومريم الزنارية وأما ما كان من أمر أبيها ملك افرنجة فانه لما أصبح الصباح تفقد ابنته مريم فلم يجدها فسأل عنها من جواريها وخدمها فقالوا والله يا مولانا انها خرجت بالليل

وراحت الى الكنيسة وبعد ذلك لم نعرف لها خبرا فبينما الملك يتحدث مع الجوارى والخدم فى تلك الساعة واذا بصرختين عظيمتين تحت القصر دوى لهما المكان فقال الملك ما الخبر فقالوا له أيها الملك انه وجد عشرة رجال مقتولون على ساحل البحر وسفينة الملك قد فقدت ورأينا باب الخوخة الذى فى الكنيسة من جهة البحر مفتوحا والاسير الذى كان فى الكنيسة يخدمها قد فقد فقال الملك ان كانت سفينتى التى فى البحر فقدت فبنتى مريم فيها بلاشك ولاريب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن ملك افرنجة لما فقدت ابنته مريم جاؤا له بالخبر وقالوا له ان سفينتك قد فقدت فقال ان كانت سفينتى فقدت فابنتى مريم فيها بلا شك ولاريب ثم ان الملك دعا من وقته وساعته بريس المينة وقال له وحق المسيح والدين الصحيح ان لم تلحق سفينتى فى هذه الساعة بعسكر وتأتينى بها وبمن فيها لاقتلنك أشنع قتلة وأمثل بك ثم صرخ عليه الملك فخرج من بين يديه وهو يرتعد وطلب العجوز من الكنيسة وقال لها ما كنت تسمعين من الاسير الذى كان عندك فى شأن بلاده ومن أى البلاد هو فقالت له كان يقول أنا من مدينة اسكندرية فلما سمع الريس كلام العجوز رجع من وقته وساعته الى المينة وصاح على البحرية وقال لهم تجهزوا وحلوا القلوع ففعلوا ما أمرهم به وسافروا ولم يزالوا مسافرين ليلا ونهارا حتى أشرفوا على مدينة اسكندرية فى الساعة التى طلع فيها نور الدين من السفينة وترك فيها السيدة مريم وكان من جملة الافرنج الوزير الاعور الاعرج الذى كان اشتراها من نور الدين فرأوا السفينة مربوطة فعرفوها فربطوا مراكبهم بعيدا عنها وأتوا اليها فى مركب صغيرة من مراكبهم تعوم على ذراعين من الماء وفى تلك المركب مائة مقاتل ومن جملتهم الوزير الاعور الاعرج لانه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا ولصا محتالا لايقدر أحد على احتياله يشبه أبا محمد البطال ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى تلك السفينة فهجموا عليها وحملوا حملة واحدة فلم يجدوا فيها أحدا الا السيدة مريم فأخذوها هى والسفينة التى هى فيها بعد ان طلعوا على الشاطئ وأقاموا زمنا طويلا ثم عادوا من وقتهم وساعتهم الى مراكبهم وقد فازوا ببغيتهم من غير قتال ولا شهر سلاح ورجعوا قاصدين بلاد الروم وسافروا وقد طاب لهم الريح ولم يزالوا مسافرين على حماية الى ان وصلوا الى مدينة

افرنجه

افرنجية وطلعوا بالسيدة مريم الى أبيها وهو فى تخت مملكته فلما نظر اليها أبوها قال لها ويلك يا خائنة كيف تركت دين الآباء والاجداد وحصن المسيح الذى عليه الاعتماد واتبعت دين الاسلام الذى قام بالسيف على رغم الصليب والاصنام فقالت له مريم أنا مالى ذنب لانى خرجت فى الليل الى الكنيسة لازور السيدة مريم وأتبرك بها فبينما أنا فى غفلة واذا بسراق المسلمين قد هجموا على وسدوا فمى وشدوا وثاقى وحطونى فى السفينة وسافروا بى الى بلادهم فخادعتهم وتكلمت معهم فى دينهم الى ان فكوا وثاقى وما صدقت ان رجالك أدركونى وخلصونى وأنا وحق المسيح والدين الصحيح وحق الصليب ومن صلب عليه قد فرحت بفكاكى من أيديهم غاية الفرح واتسع صدرى وانشرح حيث خلصت من أسر المسلمين فقال لها أبوها كذبت يا فاجرة يا عاهرة وحق ما فى محكم الانجيل من منزل التحريم والتحليل لابد لى من أن أقتلك أقبح قتلة وأمثل بك أشنع مثلة أما كفاك الذى فعلتيه فى الاول ودخل علينا محالك حتى رجعت الينا بيهتانك ثم ان الملك أمر بقتلها وصلبها على باب القصر فدخل عليه الوزير الاعور فى تلك الساعة وكان مغرما بحبها قديما وقال له أيها الملك لا تقتلها وزوجنى بها وأنا أحرص عليها غاية الحرص وما أدخل عليها حتى أبنى لها قصرا من الحجر الجلود وأعلى بنيانه حتى لا يستطيع أحد من السارقين الصعود على سطحه واذا فرغت من بنيانه ذبحت على بابه ثلاثين من المسلمين وأجعلهم قربانا للمسيح عنى وعنها فانعم عليه الملك بزواجها وأذن للقسيسين والرهبان والبطارقة أن يزوجوها له فزوجوها للوزير الاعور وأذن أن يشرعوا لها فى بنيان قصر مشيد يليق بها فشرعت العمال فى العمل هذا ما كان من أمر الملكة مريم وأبيها والوزير الاعور وأما ما كان من أمر نور الدين والشيخ العطار فان نور الدين لما توجه الى العطار صاحب أبيه استعار من زوجته ازارا وخفا وثيابا كثياب نساء اسكندرية ورجع بها الى البحر وقصد السفينة التى فيها السيدة مريم فوجد الجو قفرا والمزار بعيدا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نور الدين لما وجد الجو قفرا والمزار بعيدا صار قلبه حزينا فبكى بدمع متواتر وأنشد قول الشاعر

سرى طيف سعدى طارقا فاستفزنى * سحيرا وصحبى فى الفلاة رقود

فلما انتبهنا للخيال الذي سرى * أرى الجو قفرا والمزار بعيد

فغشي نور الدين على شاطئ البحر يتلفت يمينا وشمالا فرأى ناسا مجتمعين على الشاطئ
وهم يقولون يا مسلمين ما بقي لمدينة اسكندرية حرمة حتى صار الافرنج يدخلونها
ويخطفون من فيها ويعودون الى بلادهم على هينة ولا يخرج وراءهم أحد من
المسلمين ولا من العساكر المغازين فقال لهم نور الدين ما الخبر فقالوا له يا ولدي ان
مركبا من مراكب الافرنج فيها عساكر هجموا في تلك الساعة على تلك المينة وأخذوا
سفينة كانت راسية هنا بمن فيها وراحوا على حماية الى بلادهم فلما سمع نور الدين
كلامهم وقع مغشيا عليه فلما أفاق سألوه عن قضيته فأخبرهم بخبره من الاول الى
الآخر فلما فهموا خبره صار كل منهم يشتمه ويسبه ويقول له لاي شيء ما تخرجها
الا بازار ونقاب وصار كل واحد من الناس يقول له كلاما مؤلما ومنهم من يقول
خلوه في حاله يكفيه ما جرى له وصار كل واحد يوجعه بالكلام ويرميه بسهام
الملام حتى وقع مغشيا عليه فبينما الناس مع نور الدين على تلك الحالة واذا بالشيخ
العطار مقبلا فرأى الناس مجتمعين فتوجه اليهم ليعرف الخبر فرأى نور الدين راقدا
بينهم وهو مغشي عليه فقعد عند رأسه ونبهه فلما أفاق قال له يا ولدي ما هذا الحال
الذي أنت فيه فقال له يا عم ان الجارية التي كانت راحت مني قد جئت بها من مدينة
أبيها في مركب وقاسيت ما قاسيت في المجيء بها فلما وصلت بها الى هذه المدينة
ربطت السفينة في البر وتركت الجارية فيها وذهبت الى منزلك وأخذت من
زوجتك مصالح للجارية لاطلعها بها الى المدينة فجاء الافرنج وأخذوا السفينة
والجارية فيها وراحوا على حماية حتى وصلوا الى مراكبهم فلما سمع الشيخ العطار
من نور الدين هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما وتأسف على نور الدين تأسفا
عظيما وقال له يا ولدي لاي شيء ما أخرجتها من السفينة الى المدينة من غير ازار
ولكن في هذا الوقت ما ينفع الكلام قم يا ولدي واطلع معي الى المدينة لعل الله
يرزقك بجارية أحسن منها فتتسلى بها عنها والحمد لله الذي ما خسرك فيها شيأ بل
حصل لك الربح فيها واعلم يا ولدي ان الاتصال والانفصال بيد الملك المتعال فقال له
نور الدين والله يا عم اني ما أقدر أن أسلوها أبدا ولا أترك طلبها ولو سقيت من أجلها
كأس الردى فقال له العطار يا ولدي وأي شيء في ضميرك تريد أن تفعله فقال له
نويت أن أرجع الى بلاد الروم وأدخل الى مدينة افرنجة وأخاطر بنفسي فاما عليها
واما لها فقال له يا ولدي ان في الامثال السائرة ما كل مرة تسلم الجرة وان كانوا
ما فعلوا بك في المرة الاولى شيأ ربما يقتلونك في هذه المرة لا سيما وقد عرفوك حق
المعرفة

المعرفة فقال نور الدين يا عم دعنى أسافر واقتل فى هواها سريعا ولا أقتل بتركها
صبرا وتحيرا وكان بمصادفة القدر مركب راسية فى المينة مجهزة للسفر وركابها
قد قضت جميع أشغالها وفى تلك الساعة قلعوا أوتادها فنزل فيها نور الدين وسافرت
تلك المركب مدة أيام وقد طاب لركابها الوقت والريح فبينما هم سائرون واذا
بمراكب من مراكب الافرنج دائرة فى البحر العجاج لا يرون مركبا الا ويأسرونها
خوفا على بنت الملك من سراق المسلمين واذا أخذوا مركبا يوصلون جميع من فيها
الى ملك افرنجة فيذبحهم ويوفى بهم نذره الذى كان نذره من أجل ابنته مريم فرأوا
المركب التى فيها نور الدين فأسروها وأخذوا كل من كان فيها وأتوا بهم الى الملك أبى
مريم فلما أوقفوهم بين يديه وجدهم مائة رجل من المسلمين فأمر بذبحهم فى الوقت
والساعة ومن جملتهم نور الدين فذبحوهم كلهم ولم يبق منهم غير نور الدين وكأن
الجلاد قد أخره شفقة عليه لصغر سنه ورشاقة قده فلما رآه الملك عرفه حق المعرفة
فقال له أما أنت نور الدين الذى كنت عندنا فى المرة الاولى قبل هذه المرة فقال له
ما كنت عندكم وليس اسمى نور الدين وانما اسمى ابراهيم فقال له الملك تكذب
بل أنت نور الدين الذى وهبتك للعجوز القيمة على الكنيسة لتساعدها فى خدمة
الكنيسة فقال له نور الدين يا مولاى انا اسمى ابراهيم فقال له الملك ان العجوز
قيمة الكنيسة اذا حضرت ونظرتك تعرف هل أنت نور الدين أو غيره فبينما هم
فى الكلام واذا بالوزير الاعور الذى تزوج بنت الملك قد دخل فى تلك الساعة وقبل
الارض بين أيادى الملك وقال له أيها الملك اعلم أن القصر قد فرغ بنيانه وأنت
تعرف انى نذرت للمسيح اذا فرغت من بنائه أن أذبح على بابه ثلاثين من المسلمين
وقد أتيتك لآخذ من عندك ثلاثين مسلما فأذبحهم وأوفى بهم نذر المسيح ويكونون
فى ذمتى على سبيل القرض ومتى جاءنى أسارى أعطيتك بدلهم فقال الملك وحق
المسيح والدين الصحيح ما بقى عندى غير هذا الاسير وأشار الى نور الدين وقال له
اخذه واذبحه فى هذه الساعة حتى أرسل اليك البقية اذا جاءنى أسارى من المسلمين
فعند ذلك قام الوزير الاعور وأخذ نور الدين ومضى به الى القصر ليذبحه على عتبة
بابه فقال له الدهانون يا مولانا قد بقى علينا من الدهان شغل يومين فاصبر علينا وأخر
ذبح هذا الاسير حتى نفرغ من الدهان عسى أن يأتى اليك بقية الثلاثين فتذبح
الجميع دفعة واحدة وتوفى بنذرك فى يوم واحد فعند ذلك أمر الوزير بحبس نور
الدين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير لما أمر بحبس نور الدين أخذوه مقيدا جائعا عطشانا يتحسر على نفسه وقد نظر الموت بعينه وكان بالامر المقدر والقضاء المبرم للملك حصانان اخوان شقيقان أحدهما اسمه سابق والآخر اسمه لاحق وكانت بحسرة تحصيل واحد منهما الملوك الاكاسرة وكان أحدهما أشهب نقيا والآخر أدهم كالليل الحالك وكان ملوك الجزائر جميعا يقولون كل من سرق لنا حصانا من هذين الحصانين نعطيه جميع ما يطلبه من الذهب الاحمر والدر والجوهر فلم يقدر احد على سرقة واحد من هذين الحصانين فحصل لاحدهما مرض فى عينيه فاحضر الملك جميع البياطرة لدوائه فعجزوا عنه كلهم فدخل على الملك الوزير الاعور الذى تزوج بنته فرآه مهموما من قبل الحصان فأراد أن يزيل همه فقال أيها الملك أعطنى هذا الحصان وأنا أداويه فاعطاه له فنقله فى الاصطبل الذى حبس فيه نور الدين فلما فارق الحصان أخاه صاح صيحة عظيمة وصهل حتى أزعج الناس من الصياح فعرف الوزير انه ما حصل منه هذا الصياح الا لفراقه من أخيه فراح وأعلم الملك بذلك فلما تحقق الملك كلامه قال اذا كان ذلك حيوانا ولم يصبر على فراق اخيه فكيف بذوى العقول ثم امر الغلمان ان ينقلوا الحصان عند اخيه بدار الوزير زوج مريم وقال لهم قولوا للوزير ان الملك يقول لك ان الحصانين انعام منه عليك لاجل خاطر ابنته مريم فبينما نور الدين نائم فى الاصطبل وهو مقيد مكبل اذ نظر الحصانين فوجد على عينى أحدهما غشاوة وكان عنده بعض معرفة باحوال الخيل وممارسة دوائها فقال فى نفسه هذا والله وقت فرصتى فأقوم وأكذب على الوزير وأقول له أنا أداوى هذا الحصان وأعمل له شيأ يتلف عينيه فيقتلنى وأستريح من هذه الحياة الذميمة ثم ان نور الدين انتظر الوزير الى ان دخل الاصطبل ينظر الحصانين فلما دخل قال له نور الدين يا مولاى أى شئ يكون لى عليك اذا أنا داويت لك هذا الحصان وأعمل له شيأ يطيب عينيه فقال له الوزير وحياة رأسى ان داويته أعتقتك من الذبح وأخليك تتمنى على فقال له يا مولاى أؤمر بفك قيدى فأمر الوزير باطلاقه فنهض نور الدين وأخذ زجاجا بكرا وسحقه وأخذ جيرا بلا طفى وخلطه بماء البصل ثم وضع الجميع فى عينى الحصان وربطهما وقال فى نفسه الآن تغور عيناه فيقتلونى وأستريح من هذه العيشة الذميمة ثم ان نور الدين نام تلك الليلة بقلب خال من وسواس الهم وتضرع الى الله تعالى وقال يارب فى علمك ما يغنى عن السؤال فلما أصبح الصباح وأشرقت الشمس على الروابى والبطاح جاء الوزير الى الاصطبل وفك الرباط عن عينى الحصان ونظر اليهما فرآهما أحسن عيون ملاح بقدرة الملك

الفتاح

الفتاح فقال له الوزير يا مسلم ما رأيت فى الدنيا مثلك فى حسن معرفتك وحق المسيح والدين الصحيح انك أعجبتنى غاية الاعجاب فانه عجز عن دواء هذا الحصان كل بيطار فى بلادنا ثم تقدم الى نور الدين وحل قيده بيده ثم ألبسه حلة سنية وجعله ناظرا على خيله ورتب له مرتبات وجرايات وأسكنه فى طبقة على الاصطبل وكان فى القصر الجديد الذى بناه للسيدة مريم شباك مطل على بيت الوزير وعلى الطبقة التى فيها نور الدين فقعد نور الدين مدة أيام يأكل ويشرب ويتلذذ ويطرب ويأمر وينهى على خدمة الخيل وكل من غاب منهم ولم يعلق على الخيل المربوطة على الطوالة التى فيها خدمته يرميه ويضربه ضربا شديدا ويضع فى رجليه القيد الحديد وفرح الوزير بنور الدين غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ولم يدر ما يؤول أمره اليه وكان نور الدين كل يوم ينزل الى الحصانين ويمسحهما بيده لما يعلم من معزتهما عند الوزير ومحبته لهما وكان للوزير الاعور بنت بكر فى غاية الجمال كأنها غزال شارد أو غصن مائد فاتفق انها كانت جالسة ذات يوم من الايام فى الشباك المطل على بيت الوزير وعلى المكان الذى فيه نور الدين اذ سمعت نور الدين يغنى ويسلى نفسه على المشقات بانشاد هذه الابيات

يا عاذلا أصبح فى ذاته * منعما يزهو بلذاته
لو عضك الدهر بآفاته * لقلت من ذوق مراراته
آه من العشق وحالاته * أحرق قلبى بحراراته
لكن سلمت اليوم من غدره * ومن تناهيه ومن جوره
فلا تلم من حار فى أمره * وقال من فرط صباباته
آه من العشق وحالاته * أحرق قلبى بحراراته
كن عاذر العشاق فى حالهم * ولا تكن عونا على عذلهم
اياك أن تشتد فى حبلهم * مجرعا من مر لوعاته
آه من العشق وحالاته * أحرق قلبى بحراراته
قد كنت من قبلك بين العباد * كمثل من بات خلى الفؤاد
لم أعرف العشق وطعم السهاد * حتى دعانى لمقاماته
آه من العشق وحالاته * أحرق قلبى بحراراته
لم يدر ما العشق وماذله * الا الذى أسقمه طوله
وضاع منه فى الهوى عقله * وشربه من مر جرعاته

آه من العشق وحالاته * أحرق قلبي بحراراته
كم عين صب في الدجى أسهرا * وأحرم الجفن لذيذ الكرى
وكم أسال دمعه أنهرا * تجري على الخد بلوعاته
آه من العشق وحالاته * أحرق قلبي بحراراته
كم في الورى من مغرم مستهام * سهران من وجد بعيد المنام
ألبسه ثوب الضنى والسقام * من قد نفى عنه مناماته
آه من العشق وحالاته * أحرق قلبي بحراراته
كم قل صبري وبرى أعظمي * وسال دمعي منه كالعندم
مهفهف أمر من مطعمي * ما كان حلوا في مذاقاته
آه من العشق وحالاته * أحرق قلبي بحراراته
مسكين من في الناس مثلي عشق * وبات في جنح الليالي أرق
ان عام في بحر التجافي غرق * يشكو من العشق وزفراته
آه من العشق وحالاته * أحرق قلبي بحراراته
من ذا الذي بالعشق لم يبتلي * ومن نجا من كيده الاسهل
ومن به يعيش عيش الخلي * وأين من فاز براحاته
آه من العشق وحالاته * أحرق قلبي بحرارته
يارب دبر من به قد بلي * واكفله نعم أنت من كافل
وارزقه منك بالثبات الجلي * والطف به في كل آفاته
آه من العشق وحالاته * أحرق قلبي بحراراته

فلما استتم نور الدين أقصى كلامه وفرغ من شعره ونظامه قالت في نفسها بنت الوزير وحق المسيح والدين الصحيح ان هذا المسلم شاب مليح ولكنه لاشك عاشق مفارق فياترى هل معشوق هذا الشاب مليح مثله وهل عنده مثل ماعنده ام لا فان كان معشوقه مليحا مثله يحق له اسالة العبرات وشكوى الصبابات وان كان غير مليح فقد ضيع عمره في الحسرات وحرم طعم اللذات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الوزير قالت في نفسها فان كان معشوقه مليحا يحق له اسالة العبرات وان كان غير مليح فقد ضيع عمره في الحسرات وكانت مريم

الزنارية زوجة الوزير قد نقلت الى القصر امس ذلك اليوم وعلمت منها بنت الوزير ضيق الصدر فعزمت ان تذهب اليها وتحدثها بخبر هذا الغلام وما سمعت منه من النظام فما استتمت الفكر فى هذا الكلام حتى ارسلت خلفها السيدة مريم زوجة ابيها الاجل أن تؤانسها بالحديث فذهبت اليها فرأت صدرها ضيقا ودموعها جارية على خدها وهى تبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد ثم كفكفت العبرات وتنشد هذه الابيات

مضى عمرى وعمر الوجد باقى * وصدرى ضاق من فرط اشتياق
وقلبى ذاب من ألم الفراق * يؤمّل عود ايام التلاقى
لينتظم الوصال على انتساق

أقلوا اللوم عن مسلوب قلب * نحيل الجسم من شوق وكرب
ولا ترموا هواه بسهم عتب * فما فى الكون اشقى من محب
نرى العشق حلو فى المذاق

فقالت بنت الوزير للسيدة مريم مالك ايتها الملكة ضيقة الصدر مشتتة الفكر فلما سمعت السيدة مريم كلام بنت الوزير تذكرت مافات من عظيم اللذات وأنشدت هذين البيتين

سأصبر توطينا على هجر صاحبى * وأرسل درّ الدمع تتراعى لى نثر
عسى فرج يأتى به الله انه * طوى كل يسر تحت جانحة العسر

فقالت لها بنت الوزير أيتها الملكة لا تضيقى صدرا وقومى معى فى هذه الساعة الى شباك القصر فان عندنا فى الاصطبل شابا مليح الحارشيق القوام حلو الكلام كأنه عاشق مفارق فقالت لها السيدة مريم بأى علامة عرفت انه عاشق مفارق فقالت لها بنت الوزير أيتها الملكة عرفت ذلك بانشاده القصائد والاشعار آناء الليل واطراف النهار فقالت السيدة مريم فى نفسها ان كان قول بنت الوزير بيقين فهذه صفات الكئيب المسكين على نور الدين فيا هل ترى هو ذلك الشاب الذى ذكرته بنت الوزير ثم ان السيدة مريم زادها العشق والهيام والوجد والغرام فقامت من وقتها وساعتها ومشت مع بنت الوزير الى الشباك ونظرت منه فرأته محبوبها وسيدها نور الدين ودققت النظر فيه فعرفته حق المعرفة ولكنه سقيم من كثرة عشقه لها ومحبته اياها ومن نار الوجد وألم الفراق والوله والاشتياق قد زاد به النحول فصار ينشد ويقول

القلب مملوك وعينى جاريه * ليس لها سحابة مجاريه

بين بكائى وسهادى والجوى * والنوح والحزن على أحبابيه
واحرقتى واحسرتى والوعتى * تكاملت اعدادها ثمانيه
وتابعتها ستة فى خمسة * ألا اقفوا واستمعوا مقاليه
ذكر وفكر وزفير وضنى * وفرط شوق واشتغال باليه
فى محنة وغربة وصبوة * ولهفة وفرحة ترانيه
قل اصطبارى واحتمالى للجوى * لما نأى صبرى دنا محاليه
قد زاد فى قلبى تباريح الجوى * يا سائلا عن نار قلبى ماهيه
ما بال دمعى موقدا فى مهجتى * فنار قلبى لاتزال حاميه
اصبحت فى طوفان دمعى غارقا * ومن لظى هذا الهوى فى هاويه

فلما رأت السيدة مريم سيدها نور الدين وسمعت بليغ شعره وبديع نثره تحققت انه هو ولكنها كتمت أمرها عن بنت الوزير وقالت لها وحق المسيح والدين الصحيح ما كنت أحسب ان عندك خبرا بضيق صدرى ثم نهضت من وقتها وساعتها وقامت من الشباك ورجعت الى مكانها ومضت بنت الوزير الى شغلها ثم صبرت السيدة مريم ساعة زمانية ورجعت الى الشباك وجلست فيه وصارت تنظر الى سيدها نور الدين وتتأمل فى لطفه ورقة معانيه فرأته كالبدر اذا بدر فى ليلة أربعة عشر لكنه دائم الحسرات جارى العبرات لانه تذكر مافات فانشد هذه الابيات

أملت وصل أحبتى ما نلته * ابدا ومر العيش قد واصلته
دمعى يحاكى البحر فى جريانه * واذا رأيت عواذلى كفكفته
آه على داع دعا بفراقنا * لونلت منه لسانه لقطعته
لاعتب للايام فى افعالها * مزجت بصرف المر ما جرعته
فلمن أسير الى سواكم قاصدا * والقلب فى عرصاتكم خلفته
من منصفى من ظالم متحكم * يزداد ظلما كلما حكمته
ملكته روحى ليحفظ ملكه * فاضاعنى واضاع ما ملكته
انفقت عمرى فى هواه وليتنى * أعطى وصولا بالذى انفقته
يا أيها الرشأ الملم بمهجتى * يكفى من الهجران ما قد ذقته
انت الذى جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبرى فرقته
احللته قلبى فحل به البلا * انى لراض بالذى أحللته
وجرت دموعى مثل بحر زاخر * لوكنت اعرف مسلكا لسلكته
وخشيت خوفا ان اموت بحسرة * ويفوت منى كل ما أملته

فلما سمعت مريم من نور الدين العاشق المفارق المسكين انشاد هذه الاشعار حصل عندها من كلامه اشعار فافاضت دموع العين وانشدت هذين البيتين

تمنيت من أهوى فلما لقيته * ذهلت فلم أملك لسانا ولا طرفا
وكنت معدا للعتاب دفاترا * فلما اجتمعنا ما وجدت ولا حرفا

فلما سمع نور الدين كلام السيدة مريم عرفها وبكى بكاء شديدا وقال والله ان هذه نغمة السيدة مريم الزنارية بلا شك ولا ريب ولا رجم غيب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان نور الدين لما سمعها تنشد الاشعار قال في نفسه ان هذه نغمة السيدة مريم بلا شك ولا ريب ولا رجم غيب فيا ترى هل ظني صحيح وانها هي بعينها او غيرها ثم ان نور الدين زادت به الحسرات فتأوه وأنشد هذه الابيات

لما رآني لائمي في الهوى * صادفت حبي في مكان رحيب
ولم أفه بالعتب عند اللقا * ورب عتب فيه برء الكئيب
فقال ما هذا السكوت الذي * صدك عن رد الجواب المصيب
فقلت يا من قد غدا جاهلا * بحال اهل العشق كالمستريب
علامة العاشق في عشقه * سكوته عند لقاء الحبيب

فلما فرغ من شعره احضرت السيدة مريم دواة وقرطاسا وكتبت فيه بعد البسملة الشريفة أما بعد فسلام الله عليك ورحمته وبركاته اخبرك ان الجارية مريم تسلم عليك وهي كثيرة الشوق اليك وهذه مراسلتها اليك في ساعة وقوع هذه الورقة بين يديك انهض من وقتك وساعتك واهتم بما تريده منك غاية الاهتمام والحذر كل الحذر من المخالفة ومن أن تنام فاذا مضى ثلث الليل الاول فان تلك الساعة من اسعد الاوقات فلا يكون لك فيها شغل الا أن تشد الفرسين وتخرج بهما خارج المدينة وكل من قال لك اين أنت رائح فقل له انا رائح اسيرهما فاذا قلت ذلك لا يمنعك أحد فان أهل هذه المدينة واثقون بقفل الابواب ثم ان السيدة مريم لفت الورقة في منديل حرير ورمتها الى نور الدين من الشباك فاخذها وقرأها وفهم ما فيها وعرف انها خط السيدة مريم فقبلها ووضعها بين عينيه وتذكر ما حصل له معها من طيب الوصال فاسال دمع العين وأنشد هذين البيتين

أتانى كتاب منكم جنح ليلة * فهيجنى شوقا اليكم وابرانى
وذكرنى عيشا مضى بوصالكم * فسبحان رب بالتفرق ابلانى

ثم ان نور الدين لما جن عليه الليل اشتغل باصلاح الحصانين وصبر حتى مضى من الليل ثلثه الاول ثم قام من وقته وساعته الى الحصانين ووضع عليهما سرجين من أحسن السروج وخرج بهما من باب الاصطبل وقفل الباب وسار بهما الى باب المدينة وجلس ينتظر السيدة مريم هذا ما كان من أمر نور الدين وأما ما كان من أمر الملكة مريم فانها ذهبت من وقتها وساعتها الى المجلس الذى هو معد لها فى ذلك القصر فوجدت الوزير الاعور جالسا فى ذلك المجلس متكئا على مخدة محشوة من ريش النعام وهو مستح ان يمد يده اليها أو يخاطبها فلما رأته ناجت ربها فى قلبها وقالت اللهم لا تبلغه منى اربا ولا تحكم علىّ بالنجاسة بعد الطهارة ثم اقبلت عليه واظهرت له المودة وجلست فى جانبه ولاطفته وقالت له يا سيدى ما هذا الاعراض عنا هل هو منك تيه ودلال علينا ولكن صاحب المثل السائر يقول اذا بار السلام سلمت القعود على القيام فان كنت يا سيدى ما تجى عندى وتخاطبنى أجى انا عندك واخاطبك فقال لها الوزير الفضل والجميل لك يا ملكة الارض فى الطول والعرض وهل انا الا من بعض خدامك واقل غلمانك وانما انا مستح ان أتهجم على مخاطبتك الفخيمة أيتها الدرة اليتيمة ووجهى منك فى الارض فقالت له دعنا من هذا الكلام وأتنا بالمأكل والمشرب فعند ذلك صاح الوزير على جواريه وخدمه وأمرهم باحضار المأكل والمشرب فقدموا له سفرة فيها مادرج وطار وسبح فى البحار من قطا وسمان وافراخ الحمام ورضيع الضان واوز سمين وفيها دجاج محمر وفيها من سائر الاشكال والالوان فمدت السيدة مريم يدها الى السفرة واكلت وصارت تلقم الوزير وتبوسه فى فمه ومازالا يأكلان حتى اكتفيا من الاكل ثم غسلا ايديهما وبعد ذلك رفع الخدم سفرة الطعام واحضروا سفرة المدام فصارت مريم تملأ وتشرب وتسقيه وقامت بخدمته حق القيام حتى كاد أن يطير قلبه من الفرح واتسع صدره وانشرح فلما غاب عقله عن الصواب وتمكن منه الشراب مدت يدها الى جيبها واخرجت منه قرصا من البنج البكر المغربى الذى اذا شم منه الفيل ادنى رائحة نام من العام الى العام كانت اعدته لهذه الساعة ثم غافلت الوزير وفركته فى القدح وملأته واعطته اياه فطار عقله من الفرح وما صدق انها تناوله اياه فاخذ القدح وشربه فما استقر فى جوفه حتى خر صريعا على الارض فى الحال فقامت السيدة مريم على قدميها وعمدت الى خرجين كبيرين وملأتهما مما خف حمله وغلا ثمنه من الجواهر واليواقيت

واليواقيت واصناف المعادن المثمنة ثم حات معها شيأ من المأكل والمشرب ولبست آلة الحرب والكفاح من العدة والسلاح واخذت معها النور الدين ما يسره من الملابس الملوكية الفاخرة وأهبة السلاح القاهرة ثم انها رفعت الخرجين على اكتافها وخرجت من القصر وكانت ذات قوة وشجاعة وتوجهت الى نور الدين هذا ما كان من أمر مريم واما ما كان من أمر نور الدين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم لما خرجت من القصر توجهت الى نور الدين وكانت ذات قوة وشجاعة هذا ما كان من أمر مريم وأما ما كان من أمر نور الدين العاشق المسكين فانه قعد على باب المدينة ينتظرها ومقاود الحصانين في يده فارسل الله عزوجل عليه النوم فنام وسبحان من لا ينام وكانت ملوك الجزائر في ذلك الزمان يبذلون المال رشوة على سرقة هذين الحصانين او واحد منهما وكان موجودا في تلك الايام عبد اسود تربى في الجزائر يعرف سرقة الخيل فصار ملوك الافرنج يرشونه بمال كثير لاجل أن يسرق أحد الحصانين ووعدوه انه ان سرق الحصانين يعطوه جزيرة كاملة ويخلعوا عليه خلعا سنية وقد كان لذلك العبد زمان طويل يدور في مدينة افرنجة وهو مختف فلم يقدر على اخذ الحصانين وهما عند الملك فلما وهبهما للوزير الاعور ونقلهما الى اصطبله فرح العبد فرحا شديدا وطمع في اخذهما وقال وحق المسيح والدين الصحيح لاسرقنهما ثم ان العبد خرج في تلك الليلة قاصدا ذلك الاصطبل ليسرق الحصانين فبينما هو ماش في الطريق اذ لاحت منه التفاتة فرأى نور الدين نائما ومقاود الحصانين في يده فنزع المقاود من رؤسهما واراد أن يركب واحدا ويسوق الآخر قدامه واذا بالسيدة مريم قد أقبلت وهي حاملة الخرجين على كتفها فظنت ان العبد هو نور الدين فناولته أحد الخرجين فوضعه على الحصان ثم ناولته الثاني فوضعه على الحصان الآخر وهو ساكت وهي تظن انه نور الدين ثم انها خرجت من باب المدينة والعبد ساكت فقالت له يا سيدي نور الدين مالك ساكتا فالتفت العبد اليها وهو مغضب وقال لها أي شئ تقولين يا جارية فسمعت بربرة العبد فعرفت انها غير لغة نور الدين فرفعت رأسها اليه ونظرته فوجدت له مناخير كالاباريق فلما نظرته صار الضياء في وجهها ظلاما فقالت له من تكون ياشيخ بني حام وما اسمك بين الانام فقال لها يا بنت اللئام أنا اسمي مسعود سراق الخيل والناس

ينام فما ردت عليه بشيء من الكلام بل جردت من وقتها الحسام وضربته على عاتقه فطلع يلمع من علائقه فوقع صريعا على الارض يختبط فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فعند ذلك اخذت السيدة مريم الحصانين وركبت واحدا منهما وقبضت الاخر بيدها ورجعت الى عقبها تفتش على نور الدين فلقيته راقدا فى المكان الذى واعدته بالاجتماع فيه والمقاود فى يده وهو نائم يغط فى نومه ولم يعرف يديه من رجليه فنزلت عن ظهر الحصان ولكزته بيدها فانتبه من نومه مرعوبا وقال لها ياسيدتى الحمد لله على مجيئك سالمة فقالت له قم اركب هذا الحصان وأنت ساكت فقام وركب الحصان والسيدة مريم ركبت الحصان الثانى وخرجا من المدينة وسارا ساعة زمانية وبعد ذلك التفتت مريم الى نور الدين وقالت له اما قلت لك لا تنم فانه لا افلح من ينام فقال ياسيدتى انا ما نمت الا من برد فؤادى بميعادك وأى شيء جرى ياسيدتى فاخبرته بحكاية العبد من المبتدا الى المنتهى فقال لها نور الدين الحمد لله على السلامة ثم جدا فى اسراع المسير وقد سلما أمرهما الى اللطيف الخبير وصارا يتحدثان حتى وصلا الى العبد الذى قتلته السيدة مريم فرآه مرميا فى التراب كأنه عفريت فقالت مريم لنور الدين انزل جرده من ثيابه وخذ سلاحه فقال لها ياسيدتى والله انا لا اقدر ان أنزل عن ظهر الحصان ولا اقف عنده ولا اتقرب منه وتعجب نور الدين من خلقته وشكر السيدة مريم على فعلها وتعجب من شجاعتها وقوة قلبها ثم سارا ولم يزالا سائرين سيرا عنيفا بقية الليل الى أن أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وانتشرت الشمس على الروابى والبطاح فوصلا الى مرج أفيح فيه الغزلان تمرح وقد اخضرت منه الجوانب وتشكلت فيه الاثمار من كل جانب وازهاره كبطون الحيات والطيور فيه عاكفات وجداوله تجرى مختلفة الصفات كما قال فيه الشاعر واجاد ووفى بالمراد

وقانا لفحة الرمضاء واد * وقاه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظما زلالا * الذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب الدر النظيم

وكما قال الاخر

وادترنم طيره وغديره * يشتاقه الولهان فى الاسحار
فكأنه الفردوس فى اكنافه * ظل وفاكهة وماء جار

فعند

فعند ذلك نزلت السيدة مريم هي ونور الدين ليستريحا في ذلك الوادي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة مريم ونور الدين لما نزلا في ذلك الوادي أكلا من أثماره وشربا من أنهاره وأطلقا الحصانين يأكلان في المرعى فأكلا وشربا من ذلك الوادي وجلس نور الدين هو ومريم يتحدثان ويتذاكران حكايتهما وماجرى لهما وكل منهما يشكو لصاحبه مالاقاه من ألم الفراق وماقاساه من البعد والاشتياق فبينما هما كذلك واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وسمعا صهيل الخيل وقعقعة السلاح وكان السبب في ذلك ان الملك لما زوج ابنته للوزير ودخل عليها في تلك الليلة وأصبح الصباح أراد الملك أن يصبح عليهما كما جرت به العادة عند الملوك في بناتهم فقام وأخذ معه أقمشة من الحرير ونثار الذهب والفضة ليتخاطفها الخدمة والمواشط ولم يزل الملك يتمشى هو وبعض الغلمان الى ان وصل الى القصر الجديد فوجد الوزير مرميا على الفرش لم يعرف رأسه من رجليه فالتفت الملك في القصر يمينا وشمالا فلم ير ابنته فيه فتنكد حاله واشتغل باله وأمر باحضار الماء السخن والخل البكر والكندر فلما أحضروا له ذلك خلطها ببعضها وسعط الوزير بها ثم هزه فخرج البنج من جوفه كقطع الجبن ثم ان الملك سعط الوزير بذلك ثاني مرة فانتبه فسأله عن حاله وعن حال ابنته فقال له أيها الملك الاعظم لا علم لي بها غير انها أسقتني قدحا من الخمر بيدها فمن ذلك الوقت ماعرفت روحي الا في هذه الساعة ولا أعلم ماكان من أمرها فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء في وجهه ظلاما وسحب السيف وضرب به الوزير على رأسه فخرج يلمع من أضراسه ثم ان الملك أرسل من وقته وساعته الى الغلمان والسياس فلما حضروا طلب منهم الحصانين فقالوا له أيها الملك ان الحصانين فقدا في هذه الليلة وكبيرنا فقد معهما أيضا فاننا أصبحنا وجدنا الابواب كلها مفتوحة فقال الملك وحق ديني ومايعتقده يقيني ماأخذ الحصانين الا ابنتي هي والاسير الذي كان يخدم الكنيسة وكان قد أخذها في المرة الاولى وعرفته حق المعرفة ولم يخلصه من يدي الا هذا الوزير الاعور وقد جوزي بفعله ثم ان الملك دعا في الوقت باولاده الثلاثة وكانوا أبطالا شجعانا كل واحد منهم يقوم بألف فارس في حومة الميدان ومقام الضرب والطعان ثم صاح الملك عليهم وأمرهم بالركوب فركبوا وركب الملك بجماعتهم مع خواص

بطارقته وأرباب دولته وأكابرهم وصاروا يتبعون أثرهما فلحقوهما فى ذلك الوادى فلما رأتهم مريم نهضت وركبت جوادها وتقلدت بسيفها وحملت آلة سلاحها وقالت لنور الدين ما حالك وكيف قلبك فى القتال والحرب والنزال فقال لها ان ثباتى فى النزال مثل ثبات الوتد فى النخال ثم أنشد وقال

يا مريم اطرحى أليم عتابى * لاتقصدى قتلى وطول عذابى
من أين لى انى أكون محاربا * انى لافزع من نعيق غراب
واذا نظرت الفار أفزع خيفة * وأبول من خوفى على أثوابى
أنا لا أحب الطعن الا خلوة * والكس يعرف سطوة الازباب
هذا هو الرأى السديد وما رى * من دون هذا الرأى غير صواب

فلما سمعت مريم من نور الدين هذا الكلام والشعر والنظام أظهرت له الضحك والابتسام وقالت له ياسيدى نور الدين استقم مكانك وأنا أكفيك شرهم ولو كانوا عدد الرمل ثم انها تهيأت من وقتها وساعتها وركبت ظهر جوادها وأطلقت من يدها طرف العنان وأدارت من الرمح جهة السنان فخرج ذلك الحصان من تحتها كانه الريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب وقد كانت مريم أشجع أهل زمانها وفريدة عصرها وأوانها لان أباها علمها وهى صغيرة الركوب على ظهور الخيل وخوض بحار الحرب فى ظلام الليل وقالت لنور الدين اركب جوادك وكن خلف ظهرى واذا انهزمنا فاحرص على نفسك من الوقوع فان جوادك ما يلحقه لاحق فلما نظر الملك الى ابنته مريم عرفها غاية المعرفة والتفت الى ولده الاكبر وقال له يابرطوط يا ملقب برأس القلوط ان هذه أختك مريم لاشك فيها ولاريب قد حملت علينا وطلبت حربنا وقتالنا فابرز اليها واحمل عليها وحق المسيح والدين الصحيح انك ان ظفرت بها لا تقتلها حتى تعرض عليها دين النصارى فان رجعت الى دينها القديم فارجع بها أسيرة وان لم ترجع اليه فاقتلها أقبح قتلة ومثل بها أشنع مثلة وكذلك هذا الملعون الذى معها مثل به أقبح مثلة فقال له برطوط السمع والطاعة ثم برز لاخته مريم من وقته وساعته وحمل عليها فلاقته وحملت عليه ودنت منه وتقربت اليه فقال لها برطوط يامريم أما يكفى ما جرى منك حيث تركت دين الآباء والاجداد واتبعت دين السياحين فى البلاد يعنى دين الاسلام ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح ان لم ترجعى الى دين آبائك وأجدادك من الملوك وتسلكى فيه أحسن السلوك لأقتلنك شر قتلة وأمثل بك أقبح مثلة فضحكت مريم من كلام أخيها وقالت هيهات هيهات أن يعود ما فات أو يعيش من مات

فقالت بل أجرعك أشد الحسرات أنا والله لست براجعة عن دين محمد بن عبد الله الذى عم هداه فانه هو الدين الحق فلا أترك الهدى ولو سقيت كؤس الردى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان مريم قالت لاخيها هيهات هيهات أن أرجع عن دين محمد بن عبد الله الذى عم هداه فانه دين الهدى ولو سقيت كؤس الردى فلما سمع الملعون برطوط من أخته هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما وعظم ذلك عليه وكبر لديه والتهب بينهما القتال واشتد الحرب والنزال وغاص الاثنان فى الاودية العراض الطوال وصبرا على الشدائد وشخصت لهما الابصار فأخذها الانبهار ثم تجاولا مليا واعتركا طويلا وصار برطوط كلما يفتح لاخته مريم بابا من الحرب تبطله عليه وتسده بحسن صناعتها وقوة براعتها ومعرفتها وفروسيتها ولم يزالا على تلك الحالة حتى انعقد على رؤسهما الغبار وغاب الفرسان عن الابصار ولم تزل مريم تجاوله وتسد عليه طريقه حتى كل وبطلت همته واضمحل عزمه وضعفت قوته فضربته بالسيف على عاتقه فخرج يلمع من علائقه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم ان مريم جالت فى حومة الميدان وموقف الحرب والطعان وطلبت البراز وسألت الانجاز وقالت هل من مقاتل هل من مناجز لا يبرز لى اليوم كسلان ولا عاجز لا يبرز لى الا الأبطال أعداء الدين لاسقيهم كأس العذاب المهين يا عبدة الاوثان وذوى الكفر والطغيان هذا يوم تبيض فيه وجوه أهل الايمان وتسود وجوه أهل الكفر بالرحمن فلما رأى الملك ولده الكبير قد قتل لطم على وجهه وشق أثوابه وصاح على ولده الوسطانى وقال له يا برطوس يا ملقب بخرء السوس ابرز يا ولدى بسرعة الى قتال أختك مريم وخذ ثار أخيك برطوط وائتنى بها أسيرة ذليلة حقيرة فقال له يا أبت السمع والطاعة ثم انه برز لاخته مريم وحمل عليها فلاقته وحملت عليه فتقاتلت هى واياه قتالا شديدا أشد من القتال الاول فرأى أخوها الثانى نفسه عاجزا عن قتالها فاراد الفرار والهروب فلم يمكنه ذلك من شدة بأسها لانه كلما ركن الى الفرار تقربت منه ولاصقته وضايقته ثم ضربته بالسيف على رقبته فخرج يلمع من لبته وألحقته بأخيه وبعد ذلك جالت فى حومة الميدان وموقف الحرب والطعان وقالت أين الفرسان والشجعان أين الوزير الاعور الاعرج صاحب الدين الاعوج فعند ذلك صاح أبوها بقلب جريح وطرف من الدمع قريح وقال انها قتلت ولدى

الاوسط وحق المسيح والدين الصحيح ثم انه صاح على ولده الصغير وقال له يا فسيان يا ملقب بسلح الصبيان اخرج يا ولدى الى قتال أختك وخذ منها ثار أخويك وصادمها ما لك أو عليك وان ظفرت بها فاقتلها أقبح قتلة فعند ذلك برز لها أخوها الصغير وحمل عليها فنهضت اليه ببراعتها وحملت عليه بحسن صناعتها وشجاعتها ومعرفتها بالحرب وفروسيتها وقالت له يا عدو الله وعدو المسلمين لالحقنك بأخويك وبئس مثوى الكافرين ثم انها جذبت سيفها من غمده وضربته فقطعت عنقه وذراعيه وألحقته بأخويه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى البطارقة والفرسان الذين كانوا راكبين مع أبيها أولاده الثلاثة وقد قتلوا وكانوا أشجع أهل زمانهم وقع فى قلوبهم الرعب من السيدة مريم وأدهشتهم الهيبة ونكسوا رؤسهم الى الارض وأيقنوا بالهلاك والدمار والذل والبوار واحترقت قلوبهم من الغيظ بلهيب النار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار فلما نظر الملك الى أولاده قد قتلوا والى عساكره قد انهزموا أخذته الحيرة والانبهار واحترق قلبه بلهيب النار وقال فى نفسه ان السيدة مريم قد استقلت بنا وان جازفت بنفسى وبرزت اليها وحدى ربما غلبت على وقهرتنى فتقتلنى أشنع قتلة وتمثل بى أقبح مثلة كما قتلت اخوتها لانها لم يبق لها فينا رجاء ولا لنا فى رجوعها طمع والرأى عندى أن أحفظ حرمتى وأرجع الى مدينتى ثم ان الملك أرخى عنان فرسه ورجع الى مدينته فلما استقر فى قصره انطلقت فى قلبه النار من أجل قتل أولاده الثلاثة وانهزام عسكره وهتك حرمته فما استقر نصف ساعة حتى طلب أرباب دولته وكبراء مملكته وشكا اليهم فعل ابنته مريم معه من قتلها لاخوتها وما لاقاه من القهر والحزن واستشارهم فاشاروا عليه كلهم أن يكتب كتابا الى خليفة الله فى أرضه أمير المؤمنين هرون الرشيد ويعلمه بهذه القضية فكتب الى الرشيد مكتوبا مضمونه بعد السلام على أمير المؤمنين ان لنا بنتا اسمها مريم الزنارية قد أفسدها علينا أسير من أسرى المسلمين اسمه نور الدين على ابن التاجر تاج الدين المصرى وأخذها ليلا وخرج بها الى ناحية بلاده وأنا أسأل من فضل مولانا أمير المؤمنين أن يكتب الى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وارسالها الينا مع رسول أمين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان ملك افرنجة لما كتب الى الخليفة أمير المؤمنين

هرون

هرون الرشيد كتابا يتضرع اليه فيه ويطلب ابنته مريم ويسأل من فضله أن يكتب الى
سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وارسالها مع رسول أمين من خدام حضرة أمير المؤمنين
ومن جملة مضمون ذلك الكتاب اننا نجعل لكم في نظير مساعدتكم لنا على هذا
الامر نصف مدينة رومة الكبرى لتبنوا فيها مساجد للمسلمين ويحمل اليكم
خراجها وبعد ان كتب الكتاب برأى أهل مملكته وكبراء دولته طواه ودعا بوزيره
الذي جعله وزيرا مكان الوزير الاعور وأمره أن يختم الكتاب بختم الملك وكذلك
ختمه أرباب دولته بعد ان وضعوا خطوط أيديهم فيه ثم قال لوزيره ان أتيت بها فلك
عندي اقطاع اميرين وأخلع عليك خلعة بطرازين ثم ناوله الكتاب وأمره أن
يسافر الى مدينة بغداد دار السلام ويوصل الكتاب الى أمير المؤمنين من يده الى
يده ثم سافر الوزير بالمكتوب وسار يقطع الاودية والقفار حتى وصل الى مدينة
بغداد فلما دخلها مكث فيها ثلاثة أيام حتى استقر واستراح ثم سأل عن قصر أمير
المؤمنين هرون الرشيد فدلوه عليه فلما وصل اليه طلب اذنا من أمير المؤمنين
في الدخول عليه فأذن له في ذلك فدخل عليه وقبل الارض بين يديه وناوله الكتاب
الذي من ملك افرنجة وصحبته من الهدايا والتحف العجيبة ما يليق بأمير المؤمنين
فلما فتح الخليفة المكتوب وقرأه وفهم مضمونه أمر وزراءه من وقته أن يكتبوا
المكاتيب الى سائر بلاد المسلمين ففعلوا ذلك وبينوا في المكاتيب صفة مريم وصفة
نور الدين واسمه واسمها وانهما هاربان فكل من وجدهما فليقبض عليهما ويرسلهما
الى أمير المؤمنين وحذروهم من أن يعطوا في ذلك امهالا أو اهمالا أو غفلة ثم ختمت
الكتب وأرسلت مع السعاة الى العمال فبادروا الى امتثال الامر وساروا يفتشون
في سائر البلاد على من يكون بهذه الصفة هذا ما كان من أمر هؤلاء الملوك
وأتباعهم وأما ما كان من أمر نور الدين المصري ومريم الزنارية بنت ملك افرنجة
فانهما ركبا بعد انهزام الملك وعساكره من وقتهما وساعتهما وسارا الى بلاد الشام
وقد ستر عليهما الستار فوصلا الى مدينة دمشق وكانت الطوالع التي أرسلها الخليفة
قد سبقتهما الى دمشق بيوم فعلم أمير دمشق أنه مأمور بالقبض عليهما متى وجدهما
ليحضرهما بين يدي الخليفة فلما كان يوم دخولهما الى دمشق أقبل عليهما
الجواسيس فسألوهما عن اسمهما فأخبروهما بالصحيح وقصوا عليهما قصتهما وجميع
ما جرى عليهما فعرفوهما وقبضوا عليهما وأخذوهما وساروا بهما الى أمير دمشق
فأرسلهما الى الخليفة بمدينة بغداد دار السلام فلما وصلوا اليها استأذنوا في الدخول
على أمير المؤمنين هرون الرشيد فأذن لهم فلما دخلوا عليه قبلوا الارض بين يديه

وقالوا له يا أمير المؤمنين ان هذه مريم الزنارية بنت ملك افرنجه وهذا نور الدين ابن التاجر تاج الدين المصرى الاسير الذى أفسدها على أبيها وسرقها من بلاده ومملكته وهرب بها الى دمشق فوجدناهما وقت دخولهما دمشق وسألناهما عن أمرهما فأجابونا بالصحيح فعند ذلك أتينا بهما وأحضرناهما بين يديك فنظر أمير المؤمنين الى مريم فرآها رشيقة القد والقوام فصيحة الكلام مليحة أهل زمانها فريدة عصرها وأوانها حلوة اللسان ثابتة الجنان قوية القلب فلما وصلت اليه قبلت الارض بين يديه ودعت له بدوام العز والنعم وزوال البؤس والنقم فأعجب الخليفة حسن قوامها وعذوبة ألفاظها وسرعة جوابها فقال لها هل أنت مريم الزنارية بنت ملك افرنجة قالت نعم يا أمير المؤمنين وامام الموحدين وحامى حومة الدين وابن عم سيد المرسلين فعند ذلك التفت الخليفة فرأى عليا نور الدين شابا مليحا حسن الشكل كأنه البدر المنير فى ليلة تمامه فقال له الخليفة هل أنت على نور الدين الاسير ابن التاجر تاج الدين المصرى قال نعم يا أمير المؤمنين وعمدة القاصدين فقال الخليفة كيف أخذت هذه الصبية من مملكة أبيها وهربت بها فصار نور الدين يحدث الخليفة بجميع ماجرى له من أول الامر الى آخره فلما فرغ من حديثه تعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وأخذه من التعجب فرط الطرب وقال ما أكثر ما تقاسيه الرجال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الخليفة هرون الرشيد لما سأل نور الدين عن قصته فأخبره بجميع ماجرى له من المبتدا الى المنتهى فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وقال ما أكثر ما تقاسيه الرجال ثم انه التفت الى السيدة مريم وقال لها يا مريم اعلمى ان والدك ملك افرنجة قد كاتبنا فى شأنك فما تقولين قالت يا خليفة الله فى أرضه وقائما بسنة نبيه وفرضه خلد عليك النعم وأجارك من البؤس والنقم أنت خليفة الله فى أرضه انى قد دخلت فى دينكم لانه هو الدين القويم الصحيح وتركت ملة الكفرة الذين يكذبون على المسيح وقد صرت مؤمنة بالله الكريم ومصدقة بما جاء به رسوله الرحيم أعبد الله سبحانه وتعالى وأوحده وأسجد خاضعة اليه وأمجده وأنا قائلة بين يدى الخليفة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فهل

فى

فى وسعك يا أمير المؤمنين أن تقبل كتاب ملك الملحدين وترسلنى الى بلاد الكافرين الذين يشركون بالملك العلام ويعظمون الصليب ويعبدون الاصنام ويعتقدون الهية عيسى وهو مخلوق فان فعلت بى ذلك يا خليفة الله أتعلق بأذيالك يوم العرض على الله وأشكوك الى ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم فقال أمير المؤمنين يا مريم معاذ الله أن أفعل ذلك أبدا كيف أرد امرأة مسلمة موحدة بالله ورسوله الى ما نهى الله عنه ورسوله فقالت مريم أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال لها أمير المؤمنين يا مريم بارك الله فيك وزادك هداية الى الاسلام وحيث كنت مسلمة موحدة بالله فقد صار لك علينا حق واجب وهو انى لا أفرط فيك ابدا ولو بذل لى من اجلك مل ء الارض جواهر وذهبا فطيبى نفسا وقرى عينا وانشرحى صدرا ولا يكن خاطرك الا طيبا فهل رضيت أن يكون هذا الشاب على المصرى لك بعلا وتكونين له أهلا فقالت مريم يا أمير المؤمنين كيف لا أرضى أن يكون لى بعلا وقد اشترانى بماله وأحسن الى غاية الاحسان ومن تمام احسانه انه خاطر بروحه من أجلى مرات عديدة فزوجها به مولانا أمير المؤمنين وعمل لها مهرا وأحضر القاضى والشهود وأكابر دولته يوم زواجها عند كتب الكتاب وكان يوما مشهودا ثم بعد ذلك التفت أمير المؤمنين من وقته وساعته الى وزير ملك الروم وكان حاضرا فى تلك الساعة وقال له هل سمعت كلامها كيف أرسلها الى أبيها الكافر وهى مسلمة موحدة وربما ساءها وأغلظ عليها خصوصا وقد قتلت أولاده فأتحمل أنا ذنبها يوم القيامة وقد قال الله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فارجع الى ملكك وقل له ارجع عن هذا الامر ولا تطمع فيه وكان ذلك الوزير أحمق فقال للخليفة يا أمير المؤمنين وحق المسيح والدين الصحيح انى لا يمكننى الرجوع بدون مريم ولو كانت مسلمة لانى لو رجعت الى أبيها بدونها يقتلنى فقال الخليفة خذوا هذا الملعون واقتلوه وأنشد هذا البيت

هذا جزاء من عصى * من فوقه وعصانيه

ثم أمر بضرب عنق الوزير الملعون وحرقه فقالت السيدة مريم يا أمير المؤمنين لا تنجس سيفك بدم هذا الملعون ثم جردت سيفها وضربته به فأطاحت رأسه عن جثته فذهب الى دار البوار ومأواه جهنم وبئس القرار فتعجب الخليفة من صلابة ساعدها وقوة جنانها ثم خلع على نور الدين خلعة سنية وأفرد لهما مكانا فى قصره هى ونور الدين ورتب لهما المرتبات والجوامك والعلوفات وأمر بان ينقل

اليهما جميع ما يحتاجان اليه من الملابس والمفارش والاوانى النفيسة وأقاما
فى بغداد مدة من الزمان وهما فى أرغد عيش وأهناه وبعد ذلك اشتاق نور الدين
الى أمه وأبيه فعرض الامر على الخليفة وطلب منه اذنا فى التوجه الى بلاده
وزيارة أقاربه ودعا بمريم وأحضرها بين يديه فاجازه بالتوجه وأتحفه بالهدايا
والتحف المثمنة وأوصى مريم ونور الدين ببعضهما ثم أمر بالمكاتيب الى أمراء مصر
المحروسة وعلمائها وكبرائها بالوصية على نور الدين هو ووالديه وجاريته واكرامهم
غاية الاكرام فلما وصلت الاخبار الى مصر فرح التاجر تاج الدين بعود ولده نور الدين
وكذلك أمه فرحت بذلك غاية الفرح وخرج للقائه الاكابر والامراء وأرباب
الدولة من أجل وصية الخليفة فلاقوا نور الدين وكان لهم يوم مشهود مليح عجيب
اجتمع فيه المحب والمحبوب واتصل الطالب بالمطلوب وصارت الولائم كل يوم
على واحد من الامراء وفرحوا بهم الفرح الزائد وأكرموهم الاكرام المتصاعد
فلما اجتمع نور الدين بوالدته ووالده فرحوا ببعضهم غاية الفرح وزال عنهم الهم
والترح وكذلك فرحوا بالسيدة مريم وأكرموها غاية الاكرام ووصلت اليهم
الهدايا والتحف من سائر الامراء والتجار العظام وصاروا كل يوم فى انشراح
جديد وسرور أعظم من سرور العيد ولم يزالوا فى فرح ولذات ونعم جزيلة
مطربات وأكل وشرب وفرح وسرور مدة من الزمان الى ان أتاهم هاذم اللذات
ومفرق الجماعات ومخرب الدور والقصور ومعمر بطون القبور فانتقلوا من
الدنيا بالممات وصاروا فى اعداد الاموات فسبحان الحى الذى لا يموت وبيده
مقاليد الملك والملكوت

حكاية الصعيدى وزوجته الافرنجية

ومما يحكى أيضا أن الامير شجاع الدين محمد امتولى القاهرة قال بتنا عند رجل من
بلاد الصعيد فضيفنا وأكرمنا وكان ذلك الرجل اسمر شديد السمرة وهو شيخ كبير وكان
له اولاد صغار بيض بياضهم مشرب بحمرة فقلنا يا فلان ما بال اولادك هؤلاء بيضا
وأنت شديد السمرة فقال هؤلاء امهم افرنجية اخذتها ولى معها حديث عجيب فقلنا
له اتحفنا به فقال نعم اعلموا انى قد كنت زرعت كتانا فى هذه البلدة وقلعته ونفضته
وصرفت عليه خمسمائة دينار ثم أردت بيعه فلم يجئ لى منه شئ اكثر من ذلك فقالوا
لى اذهب به الى عكا لعلك تربح فيه ربحا عظيما وكانت عكا ذلك الوقت فى يد الافرنج
فذهبت به الى عكا وبعت بعضه صبرا الى ستة أشهر فبينما أنا ابيع اذ مرت بى امرأة

افرنجية

الافرنجية وعادة نساء الافرنج أن تمشى فى السوق بلا نقاب فاتت لتشترى منى كماشا
فرأيت من جمالها ما بهر عقلى فبعت لها شيأ وتساهلت فى الثمن فاخذته وانصرفت
ثم عادت الى بعد ايام فبعت لها شيأ وتساهلت معها اكثر من المرة الاولى فكررت
مجيئها الى وعرفت انى أحبها وكان عادتها أن تمشى مع عجوز فقلت للعجوز التى معها
انى قد شغفت بحبها فهل تحتالين لى فى الاتصال بها فقالت أتحيل لك فى ذلك ولكن
هذا السر لا يخرج من بين ثلاثتنا أنا وأنت وهى ومع ذلك لا بد من أن تبذل مالا
فقلت لها اذا ذهبت روحى باجتماعى عليها ما هو كثير وأدرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز لما اجابت ذلك الرجل قالت له ولكن هذا
السر لا يخرج من بين ثلاثتنا أنا وأنت وهى ولا بد من أن تبذل مالا فقال لها اذا
ذهبت روحى فى اجتماعى عليها ما هو كثير واتفق الحال على أن يدفع لها خمسين
دينارا وتجىء اليه بها فجهز الخمسين دينارا وسلمها للعجوز فلما اخذت الخمسين دينارا
قالت له هيئ لها موضعا فى بيتك وهى تجىء اليك فى هذه الليلة ثم قال فمضيت
وجهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلاوى وكانت دارى مطلة على
البحر وكان ذلك فى زمن الصيف ففرشت على سطح الدار وجاءت الافرنجية فأكلنا
وشربنا وجن الليل فنمنا تحت السماء والقمر يضىء علينا وصرنا ننظر خيال النجوم
فى البحر فقلت فى نفسى اما تستحى من الله عز وجل وأنت غريب وتحت السماء وعلى
بحر وتعصى الله تعالى مع نصرانية وتستوجب عذاب النار اللهم انى اشهدك انى
قد عففت عن هذه النصرانية فى هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم انى نمت
الى الصبح فقامت فى السحر وهى غضبى ومضت الى مكانها ومشيت أنا الى حانوتى
فجلست فيه واذا هى قد عبرت على هى والعجوز وهى مغضبة وكأنها القمر فهلكت
وقلت فى نفسى من هو انت حتى تترك هذه الجارية هل أنت السرى السقطى أو بشر
الحافى او الجنيد البغدادى أو الفضيل بن عياض ثم لحقت العجوز وقلت لها ارجعى
الى بها فقالت العجوز وحق المسيح ما ترجع اليك الا بمائة دينار فقلت أعطيك مائة
دينار ثم اعطيتها المائة دينار وجاءت الى ثانى مرة فلما صارت عندى رجعت الى تلك
الفكرة فعففت عنها وتركتها لله تعالى ثم مضيت ومشيت الى موضعى ثم عبرت على
العجوز وهى غضبى فقلت لها ارجعى بها الى فقالت وحق المسيح ما بقيت تفرح بها

عندك الا بخمسمائة دينار وتموت كمدا فارتعدت لذلك وعزمت ان اغرم ثمن الكتان جميعه وافدى نفسى بذلك فما شعرت الا والمنادى ينادى ويقول يامعشر المسلمين ان الهدنة التى بيننا وبينكم قد انقضت وقد امهلنا من هنا من المسلمين جمعة ليقضوا اشغالهم وينصرفوا الى بلادهم فانقطعت عنى واخذت فى تحصيل ثمن الكتان الذى اشتراه منى الناس مؤجلا والمقايضة على مابقى منه واخذت معى بضاعة حسنة وخرجت من عكاء وانا فى قلبى من الافرنجية مافيه من شدة المحبة والعشق لانها أخذت قلبى ومالى ثم خرجت وسرت حتى وصلت الى دمشق وبعت البضاعة التى اخذتها من عكاء باقصى ثمن لانقطاع وصولها بسبب انقضاء مدة الهدنة ومن الله سبحانه وتعالى على بكسب جيد وصرت اتجر فى جوارى السبى ليذهب ما بقلبى من الافرنجية ولازمت التجارة فيهن فمضت على ثلاث سنوات وأنا بتلك الحالة وجرى للملك الناصر مع الافرنج ما جرى من الوقايع ونصره الله عليهم واسر جميع ملوكهم وفتح بلاد الساحل باذن الله تعالى فاتفق انه جاءنى رجل وطلب منى جارية للملك الناصر وكان عندى جارية حسناء فعرضتها عليه فاشتراها منى بمائة دينار فاوصلنى تسعين دينارا وبقى لى عشرة دنانير فلم يجدوها فى خزنته ذلك اليوم لانه أنفق الاموال جميعها فى حرب الافرنج فأخبروه بذلك فقال الملك امضوا به الى خزنة السبى وخيروه بين بنات الافرنج ليأخذ واحدة منهن فى العشرة دنانير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك الناصر لما قال خيروه فى واحدة منهن ليأخذها فى العشرة دنانير التى له اخذونى وتوجهوا بى الى خزنة السبى فنظرت ما فيها وتأملت فى جميع السبى فرأيت الجارية الافرنجية التى كنت تعلقت بها وعرفتها حق المعرفة وكانت امرأة فارس من فرسان الافرنج فقلت اعطونى هذه فاخذتها ومضيت الى خيمتى وقلت لها أتعرفيننى قالت لا قلت أنا صاحبك الذى كنت اتاجر فى الكتان وقد جرى لى معك ما جرى واخذت منى الذهب وقلت ما بقيت تنظرنى الا بخمسمائة دينار وقد اخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت هذا سر دينك الصحيح أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فاسلمت وحسن اسلامها فقلت فى نفسى والله لا افضى اليها الا بعد عتقها واطلاع القاضى فرحت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى وعقد لى عليها ثم بعد ذلك بت معها فحملت ثم رحل

العسكر

العسكر وأتينا دمشق فما كان الا ايام قلائل حتى أتى رسول الملك يطلب الاسارى والسبي باتفاق وقع بين الملوك فرد كل من كان أسيرا من النساء والرجال ولم يبق الا المرأة التى عندى فقالوا ان امرأة الفارس فلان لم تحضر وسألوا عنها وألحوا فى السؤال والكشف فاخبروا بانها عندى فطلبوها منى فحضرت وانا فى شدة الوله وقد تغير لونى فقالت لى مالك وما الذى اصابك فقلت جاء رسول الملك باخذ الاسارى جميعهم وطلبوك منى فقالت لا بأس عليك أوصلنى الى الملك وأنا اعرف الذى اقوله بين يديه قال فاخذتها واحضرتها قدام السلطان الملك الناصر ورسول ملك الافرنج جالس على يمينه وقلت هذه المرأة التى عندى فقال لها الملك الناصر والرسول أتروحين الى بلادك ام الى زوجك فقد فك الله أسرك أنت وغيرك فقالت للسلطان أنا قد اسلمت وحملت وها بطنى كما ترون وما بقيت الافرنج تنتفع بى فقال الرسول أيما أحب اليك أهذا المسلم او زوجك الفارس فلان فقالت له كما قالت للسلطان فقال الرسول لمن معه من الافرنج هل سمعتم كلامها قالوا نعم ثم قال لى الرسول خذ امرأتك وامض بها فمضيت بها ثم انه أرسل خلفى عاجلا وقال ان أمها أرسلت اليها معى وديعة وقالت ان بنتى أسيرة وهى عريانة ومرادى أن توصل اليها هذا الصندوق فخذه وسلمه اليها فاستلمت الصندوق ومضيت به الى الدار واعطيته لها ففتحته فرأت فيه قماشها بعينه ووجدت الصرتين الذهب والخمسين دينارا والمائة دينار فرأيت الجميع برباطى لم يتغير منها شئ فحمدت الله تعالى وهؤلاء الاولاد منها وهى تعيش الى الآن وهى التى عملت لكم هذا الطعام فتعجبنا من حكايته وما حصل له من الحظ والله اعلم

حكاية الشاب البغدادى مع جاريته التى اشتراها

ومما يحكى أيضا أنه كان فى قديم الزمان رجل ببغداد من أولاد أهل النعم ورث عن أبيه مالا جزيلا وكان يعشق جارية فاشتراها وكانت تحبه كما يحبها ولم يزل ينفق عليها الى أن ذهب جميع ماله ولم يبق منه شئ فطلب شيأ من اسباب المعاش يتعيش فيه فلم يقدر وكان ذلك الفتى فى ايام غناه يحضر مجالس العارفين بصناعة الغناء فبلغ فيها الغاية القصوى فاستشار بعض اخوانه فقال له أنا لا اعرف لك صنعة أحسن من أن تغنى أنت وجاريتك فتأخذ على ذلك المال الكثير وتأكل وتشرب فكره ذلك هو والجارية فقالت له جاريته قد رأيت لك رأيا قال وما هو قالت تبيعنى ونخلص من هذه الشدة أنا وأنت وأكون فى نعمة فان مثلى ما يشتريه الا ذو نعمة وبذلك

أكون سببا فى رجوعى اليك فاطلعها الى السوق فكان أول من رآها رجل
هاشمى من أهل البصرة وكان ذلك الرجل اديبا ظريفا كريم النفس فاشتراها بألف
وخمسمائة دينار قال ذلك الفتى صاحب الجارية فلما قبضت الثمن ندمت وبكيت
أنا والجارية وطلبت الاقالة فلم يرض فوضعت الدنانير فى الكيس وأنا لا أدرى أين
اذهب لان بيتى موحش منها وحصل لى من البكاء واللطم والنحيب مالم يحصل لى قط
فدخلت بعض المساجد وقعدت أبكى فيه واندهشت حتى صرت لا أعلم بنفسى فنمت
وتركت الكيس تحت رأسى كالمخدة فلم اشعر الا وانسان قد جذبه من تحت رأسى
ومضى يهرول فانتبهت فزعا مرعوبا فلم أجد الكيس فقمت أجرى خلفه واذا برجلى
مربوطة فى حبل فوقعت على وجهى وصرت أبكى والطم وقلت فى نفسى فارقتك
روحك وضاع مالك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن ذلك الفتى لما ضاع منه الكيس قال قلت فى نفسى
فارقتك روحك وضاع مالك وزاد بى الحال فجئت الى الدجلة وجعلت ثوبى على
وجهى وألقيت نفسى فى البحر ففطنت بى الحاضرون وقالوا ان ذلك لعظيم هم
حصل له فرموا ارواحهم خلفى واطلعونى وسألونى عن أمرى فاخبرتهم بما حصل لى
فتأسفوا لذلك ثم جاءنى شيخ منهم وقال قد ذهب مالك وكيف تتسبب فى ذهاب
روحك فتكون من أهل النار قم معى حتى أرى منزلك ففعلت ذلك فلما وصلنا الى
منزلى قعد عندى ساعة حتى سكن مابى فشكرته على ذلك ثم انصرف فلما خرج من
عندى كدت ان اقتل روحى فتذكرت الآخرة والنار فخرجت من بيتى هاربا الى
بعض الاصدقاء فاخبرته بما جرى لى فبكى رحمة لى واعطانى خمسين دينارا وقال
اقبل رأيي واخرج فى هذه الساعة من بغداد واجعل هذه نفقة لك الى أن يشتغل
قلبك عن حبها وتسلوها وأنت من أهل الانشاء والكتابة وخطك جيد
وادبك بارع فاقصد من شئت من العمال واطرح نفسك عليه لعل الله يجمعك
بجاريتك فسمعت منه وقد قوى عزمى وزال عنى بعض همى وعزمت على انى اقصد
ارض واسط لان لى بها اقارب فخرجت الى ساحل البحر فرأيت سفينة راسية
والبحرية ينقلون اليها أمتعة وقماشا فاخرا فسألتهم أن يأخذونى معهم فقالوا ان
هذه السفينة لرجل هاشمى لا يمكننا اخذك على هذه الصورة فرغبتهم فى الاجرة
فقالوا ان كان ولا بد فاقلع هذه الثياب الفاخرة التى عليك والبس ثياب الملاحين

واجلس معنا كانك واحد منا فرجعت واشتريت شيا من ثياب الملاحين ولبسته وجئت الى السفينة وكانت متوجهة الى البصرة فنزلت معهم فما كان الاساعة حتى رأيت جاريتي بعينها ومعها جارية ان يخدمانها فسكن ما كان عندى من الغيظ وقلت فى نفسى ها أنا أراها وأسمع غناءها الى البصرة فما اسرع أن جاء الهاشمى راكبا ومعه جماعة فنزلوا فى تلك السفينة وانحدرت بهم واخرج الطعام فأكل هو والجارية وأكل الباقون فى وسط السفينة ثم قال الهاشمى للجارية كم هذا التمنع عن الغناء ولزوم الحزن والبكاء ما أنت أول من فارق من يحب فعلمت ما كان عندها من أمرحبى ثم ضرب ساترا على الجارية فى جانب السفينة واستدعى الذين كانوا فى ناحيتى وجلس معهم خارج الستارة فسألت عنهم فاذاهم اخوته ثم أخرج لهم ما يحتاجون اليه من الخمر والنقل ولم يزالوا يحثون الجارية على الغناء الى أن استدعت بالعود واصلحته وأخذت تغنى فانشدت هذين البيتين

بان الخليط بمن أحب فأدلجوا * وعن السرى بمناى لم يتحرجوا
والصب بعد أن استقل ركابهم * جمر الغضى فى قلبه يتأجج

ثم غلبها البكاء ورمت العود وقطعت الغناء فتنغص القوم ووقعت أنا مغشيا على فظن القوم انى قد صرعت فصار بعضهم يقرأ فى اذنى ولم يزالوا يلاطفونها ويطلبون منها الغناء الى أن اصلحت العود وأخذت تغنى فانشدت

فوقفت أندب ظاعنين تحملوا * هم فى الفؤاد وان نأوا وترحلوا

وقالت أيضا

ووقفت بالاطلال اسأل عنهم * والدار قفر والمنازل بلقع

ثم وقعت مغشيا عليها وارتفع البكاء من الناس وصرخت أنا ووقعت مغشيا على وضج الملاحون منى فقال بعض غلمان الهاشمى كيف حملتم هذا المجنون ثم قال بعضهم لبعض اذا وصلتم الى بعض القرى فأخرجوه واريحونا منه فحصل لى من ذلك هم عظيم وعذاب أليم فتجلدت غاية التجلد وقلت فى نفسى لا حيلة لى فى الخلاص من أيديهم الا اذا اعلمتها بمكانى من السفينة لتمتنع من اخراجى ثم سرنا حتى وصلنا الى قرب ضيعة فقال صاحب السفينة اصعدوا بنا الشاطئ فطلع القوم وكان ذلك وقت المساء فقمت حتى صرت خلف الستارة واخذت العود وغيرت الطرق طريقة بعد طريقة وضربت على الطريقة التى قد تعلمتها منى ثم رجعت الى موضعى من السفينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الفتى قال ثم رجعت الى موضعى من السفينة و بعد ذلك نزل القوم من الشاطئ ورجعوا الى مواضعهم فى السفينة وقد انبسط القمر على البر والبحر فقال الهاشمى للجارية بالله عليك لا تنغصى علينا عيشنا فاخذت العود وجسته بيدها وشهقت فظنوا أن روحها قد خرجت ثم قالت والله ان أستاذى معنا فى هذه السفينة فقال الهاشمى والله لو كان معنا ماضيعته من معاشرتنا لانه ربما كان يخفف ما بك فننتفع بغنائك ولكن كونه فى السفينة أمر بعيد فقالت لا أقدر على ضرب العود وتقليب الاهوية ومولاى معنا فقال الهاشمى نسأل الملاحين فقالت افعل فسألهم وقال هل حملتم معكم أحدا فقالوا لا فخفت أن ينقطع السؤال فضحكت وقلت نعم أنا استاذها وعلمتها حين كنت سيدها فقالت والله ان هذا كلام مولاى فجاءنى الغلمان واخذونى الى الهاشمى فلما رآنى عرفنى فقال ويحك ما هذا الذى أنت فيه وما أصابك حتى صرت فى هذه الحالة فحكيت له ما جرى من أمرى وبكيت وعلا نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى الهاشمى هو واخوته بكاء شديدا رأفة بى ثم قال والله ما دنوت من هذه الجارية ولا وطئتها ولا سمعت لها غناء الى اليوم وأنا رجل قد وسع الله على وانما وردت بغداد لسماع الغناء وطلب ارزاقى من أمير المؤمنين وقد بلغت الامرين ولما اردت الرجوع الى وطنى قلت فى نفسى اسمع شيأ من غناء بغداد فاشتريت هذه الجارية ولم اعلم انكما على هذه الحالة فانا أشهد الله على أن هذه الجارية اذا وصلت الى البصرة اعتقها وازوجك اياها واجرى لكما ما يكفيكما وزيادة ولكن على شرط انى اذا أردت السماع يضرب لها ستارة وتغنى من خلف الستارة وأنت من جملة اخوانى وندمائى ففرحت بذلك ثم ان الهاشمى أدخل رأسه فى الستارة وقال لها أيرضيك ذلك فأخذت تدعو له وتشكره ثم استدعى بغلام له وقال له خذ بيد هذا الشاب وانزع ثيابه وألبسه ثيابا فاخرة وبخره وقدمه الينا فاخذنى الغلام وفعل بى ما أمره سيده وقدمنى اليه فوضع بين يدى الشراب مثل ما وضعه بين أيديهم ثم اندفعت الجارية تغنى بأحسن النغمات وتنشد هذه الابيات

عيرونى بأن سكبت دموعى * حين جاء الحبيب للتوديع
لم يذوقوا طعم الفراق ولاما * أحرقت لوعة الاسى من ضلوعى
انما يعرف الغرام كئيب * ساقط القلب بين تلك الربوع

قال فطرب القوم من ذلك طربا شديدا وزاد فرح الفتى بذلك حتى أخذ العود من الجارية وضرب به على أحسن النغمات وأنشد هذه الابيات

اسأل

أسأل العرف ان سألت كريما * لم يزل يعرف الغنى واليسارا
فسؤال الكريم يورث عزا * وسؤال اللئيم يورث عارا
واذا لم يكن من الذل بد * فالق بالذل ان سألت الكبارا
ليس اجلالك الكريم بذل * انما الذل أن تجل الصغارا

ففرح القوم بى وزاد فرحهم ولم يزالوا فى فرح وسرور وانا اغنى ساعة والجارية ساعة الى أن جئنا الى بعض السواحل فرست السفينة هنالك وصعد كل من فيها وصعدت انا أيضا وكنت سكران فقعدت أبول فغلبنى النوم فنمت ورجعت الركاب الى السفينة وانحدرت بهم ولم يعلموا بى لانهم كانوا سكارى وكنت دفعت النفقة الى الجارية ولم يبق معى شئ ووصلوا الى البصرة ولم انتبه الا من حر الشمس فقمت فى ذلك والتفت فما رأيت أحدا ونسيت ان أسأل الهاشمى عن اسمه وأين داره بالبصرة وبأى شئ يعرف وبقيت حيران وكأن ما كنت فيه من الفرح بلقاء الجارية منام ولم ازل متحيرا حتى اجتازت بى مركب عظيمة فنزلت فيها ودخلت البصرة وما كنت اعرف بها أحدا ولا أعرف بيت الهاشمى فجئت الى بقال وأخذت منه دواة وورقة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان البغدادى صاحب الجارية لما دخل البصرة وصار حيران وهو لا يعرف أحدا ولا يعرف دار الهاشمى قال فجئت الى بقال واخذت منه دواة وورقة وقعدت اكتب فاستحسن خطى ورأى ثوبى دنسا فسألنى عن أمرى فاخبرته أنى غريب فقير فقال اتقيم عندى ولك فى كل يوم نصف درهم واكلك وكسوتك وتضبط لى حساب دكانى فقلت له نعم واقمت عنده وضبطت أمره ودبرت له دخله وخرجه فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائدا وخرجه ناقصا فشكرنى على ذلك ثم انه جعل لى فى كل يوم درهما الى أن حال الحول فدعانى ان اتزوج بابنته ويشاركنى فى الدكان فاجبته الى ذلك ودخلت بزوجتى ولزمت الدكان الا أنى منكسر الخاطر والقلب ظاهر الحزن وكان البقال يشرب ويدعونى الى ذلك فأمتنع حزنا فكنت على تلك الحالة مدة سنتين فبينما أنا فى الدكان واذا بجماعة معهم طعام وشراب فسألت البقال عن القضية فقال هذا يوم المتنعمين يخرج فيه أهل الطرب واللعب والفتيان من ذوى النعمة الى شاطئ البحر يأكلون ويشربون بين الاشجار على نهر الابلة فدعتنى نفسى الى الفرجة على هذا الامر

وقلت فى نفسى لعلى اذا شاهدت هؤلاء الناس اجتمع بمن احب فقلت للبقال انى
اريد ذلك فقال شأنك والخروج معهم ثم جهزلى طعاما وشرابا وسرت حتى وصلت
الى نهر الابلة فاذا الناس منصرفون فاردت الانصراف معهم واذا بريس
السفينة التى كان فيها الهاشمى والجارية بعينه وهو سائر فى نهر الابلة فصحت عليهم
فعرفنى هو ومن معه واخذونى عندهم وقالوا لى هل أنت حى وعانقونى وسألونى
عن قصتى فاخبرتهم بها فقالوا اناظننا أنه قوى عليك السكر وغرقت فى الماء
فسألتهم عن حال الجارية فقالوا انها لما علمت بفقدك مزقت ثيابها واحرقت العود
واقبلت على اللطم والنحيب فلما رجعنا مع الهاشمى الى البصرة قلنا لها اتركى هذا
البكاء والحزن فقالت أنا ألبس السواد وأجعل لى قبرا فى جانب هذه الدار فاقيم عند
ذلك القبر واتوب عن الغناء فمكناها من ذلك وهى على تلك الحالة الى الآن ثم
أخذونى معهم فلما وصلت الى الدار رأيتها على تلك الحالة فلما رأتنى شهقت شهقة
عظيمة حتى ظننت انها ماتت فاعتنقتها عناقا طويلا ثم قال لى الهاشمى خذها فقلت
نعم ولكن اعتقها كما وعدتنى وزوجنى بها ففعل ذلك ودفع الينا أمتعة نفيسة وثيابا
كثيرة وفرشا وخمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما أردت اجراءه لكما فى كل شهر
ولكن بشرط المنادمة وسماع الجارية ثم اخلى لنا دارا وأمر بان ينقل اليها جميع
مانحتاج اليه فلما توجهت الى تلك الدار وجدتها قد عمرت بالفرش والقماش وحملت
اليها الجارية ثم انى جئت الى البقال وأخبرته بجميع ماحصل لى وسألته أن يجعلنى
فى حل من طلاق ابنته من غير ذنب ودفعت اليها مهرها ومايلزمنى وأقمت مع
الهاشمى على ذلك سنتين وصرت صاحب نعمة عظيمة وعادت لى حالتى التى كنت فيها
أنا والجارية فى بغداد وقد فرج الله الكريم عنا واسبغ جزيل النعم علينا وجعل
مآل صبرنا الى الظفر بالمراد فلله الحمد فى المبدا والمعاد والله اعلم

حكاية وردخان ابن الملك جليعاد

ومما يحكى أيضا انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك فى بلاد
الهند وكان ملكا عظيما طويل القامة حسن الصورة حسن الخلق كريم الطبائع
محسنا للفقراء محبا للرعية ولجميع أهل دولته وكان اسمه جليعاد وكان تحت يده
فى مملكته اثنان وسبعون ملكا وفى بلاده ثلثمائة وخمسون قاضيا وكان له سبعون
وزيرا وقد جعل على كل عشرة من عسكره رئيسا وكان أكبر وزرائه شخص يقال
له شماس وكان عمره اثنتين وعشرين سنة وكان حسن الخلق والطباع لطيفا فى كلامه

لبيبا

لبيبا فى جوابه حاذقا فى جميع أموره حكيما مدبرا ئبساما مع صغر سنه عارفا بكل حكمة وأدب وكان الملك يحبه محبة عظيمة ويميل اليه لمعرفته بالفصاحة والبلاغة وأحوال السياسة ولما أعطاه الله من الرحمة وخفض الجناح للرعية وكان ذلك الملك عادلا فى مملكته حافظا الرعيته مواصلا لكبيرهم وصغيرهم بالاحسان وما يليق بهم من الرعاية والعطايا والامان والطمأنينة مخففا للخراج عن كامل الرعية وكان محبا لهم كبيرا وصغيرا ومعاملا لهم بالاحسان اليهم والشفقة عليهم وأتى فى حسن سيرته بينهم بما لم يأت به أحد قبله ومع هذا كله لم يرزقه الله تعالى بولد فشق ذلك عليه وعلى أهل مملكته فاتفق أن الملك كان مضطجعا فى ليلة من الليالى وهو مشغول الفكر فى عاقبة أمر مملكته ثم غلب عليه النوم فرأى فى منامه كأنه يصب ماء فى أصل شجرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية لتسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك رأى فى منامه كأنه يصب ماء فى أصل شجرة وحول تلك الشجرة أشجار كثيرة واذا بنار قد خرجت من تلك الشجرة وأحرقت جميع ما كان حولها من الاشجار فعند ذلك انتبه الملك من منامه فزعا مرعوبا واستدعى أحد غلمانه وقال له اذهب بسرعة وائتنى بشماس الوزير عاجلا فذهب الغلام الى شماس وقال له ان الملك يدعوك فى هذه الساعة لانه انتبه من نومه مرعوبا فارسلنى اليك لتحضر عنده عاجلا فلما سمع شماس كلام الغلام قام من وقته وساعته وتوجه الى الملك ودخل عليه فرآه قاعدا على فراشه فسجد بين يديه داعيا له بدوام العز والنعم وقال له لا أحزنك الله أيها الملك ما الذى أقلقك فى هذه الليلة وما سبب طلبك اياى بسرعة فاذن له الملك بالجلوس فجلس وصار الملك يقص عليه ما رأى قائلا انى رأيت فى ليلتى هذه مناما أهالنى وهو كانى أصب ماء فى أصل شجرة وحول تلك الشجرة أشجار كثيرة فبينما أنا فى هذه الحالة واذا بنار قد خرجت من أصل تلك الشجرة وأحرقت جميع ما حولها من الاشجار ففزعت من ذلك وأخذنى الرعب فانتبهت عند ذلك وأرسلت دعوتك لكثرة معرفتك ولما أعلمه من اتساع علمك وغزارة فهمك فأطرق شماس رأسه ساعة ثم تبسم فقال له الملك ماذا رأيت يا شماس أصدقنى الخبر ولا تخف عنى شيأ فأجابه شماس وقال له أيها الملك ان الله تعالى خولك وأقر عينك وأمر هذه الرؤيا يؤول الى كل خير وهو ان الله تعالى يرزقك ولدا ذكرا يكون وارثا للملك عنك من بعد طول عمرك غير انه يكون فيه شئ لا أحب

تفسيره فى هذا الوقت لانه غير موافق لتفسيره ففرح الملك بذلك فرحا عظيما وزاد
سروره وذهب عنه فزعه وطابت نفسه وقال ان كان الامر كذلك من حسن تأويل
هذا المنام فكمل لى تأويله اذا جاء الوقت الموافق لكمال تأويله فالذى لا ينبغى تأويله
الآن ينبغى أن تؤوله لى اذا آن أوانه لاجل أن يكمل فرحى لانى لا أبتغى بذلك غير
رضا الله سبحانه وتعالى فلما رأى شماس من الملك انه مصمم على تمام تفسيره احتج
له بحجة دفع بها عن نفسه فعند ذلك دعا الملك بالمنجمين وجميع المعبرين للاحلام
الذين فى مملكته فحضروا جميعا بين يديه وقص عليهم ذلك المنام وقال لهم أريد
منكم أن تخبرونى بصحة تفسيره فتقدم واحد منهم وأخذ اذنا من الملك بالكلام
فلما أذن له قال اعلم أيها الملك ان وزيرك شماسا ليس بعاجز عن تفسير ذلك وانما هو
احتشم منك وسكن روعك ولم يظهر لك جميع التأويل بالكلية ولكن اذا أذنت لى
بالكلام تكلمت فقال له الملك تكلم أيها المفسر بلا احتشام واصدق فى كلامك
فقال المفسر اعلم أيها الملك انه يظهر منك غلام يكون وارثا الملك عنك بعد طول
حياتك ولكنه لا يسير فى الرعية بسيرك بل يخالف رسومك ويجور على رعيتك
ويصيبه ما أصاب الفار مع السنور فاستعاذ بالله تعالى فقال الملك وما حكاية السنور
والفار فقال المفسر أطال الله عمر الملك ان السنور وهو القط سرح ليلة من الليالى
الى شئ يفترسه فى بعض الغيطان فما وجد شيأ وضعف من شدة البرد والمطر اللذين
فى تلك الليلة فاخذ يحتال لنفسه بشئ فبينما هو دائر على تلك الحالة اذ رأى
وكرا فى أسفل شجرة فدنا منه وصار يشمشم ويدندن حتى أحس بان داخل
الوكر فارا فحاوله وهم بالدخول عليه لكى يأخذه فلما أحس به الفار أعطاه قفاه
وصار يزحف على يديه ورجليه لكى يسد باب الوكر عليه فعند ذلك صار السنور
يصوت صوتا ضعيفا ويقول له لم تفعل ذلك يا أخى وأنا ملتجئ اليك لتفعل معى رحمة
بان تقرنى فى وكرك هذه الليلة لانى ضعيف الحال من كبر سنى وذهاب قوتى
ولست أقدر على الحركة وقد توغلت فى هذا الغيط هذه الليلة وكم دعوت بالموت على
نفسى لكى أستريح وها أنا على بابك طريح من البرد والمطر وأسألك بالله من
صدقتك أن تأخذ بيدى وتدخلنى عندك وتؤوينى فى دهليز وكرك لانى غريب
ومسكين وقد قيل من آوى بمنزله غريبا مسكينا كان مأواه الجنة يوم الدين فأنت
يا أخى حقيق بان تكسب أجرى وتأذن لى فى أن أبيت عندك هذه الليلة الى
الصباح ثم أروح الى حال سبيلى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام
المباح

فلما

فلما كانت الليلة الاولى بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السنور لما قال للفار ائذن لي أن أبيت عندك هذه الليلة ثم أروح الى حال سبيلي فلما سمع الفار كلام السنور قال له كيف تدخل وكري وأنت لي عدو بالطبع ومعاشك من لحمي وأخاف أن تغدر بي لان ذلك من شيمتك لانه لا عهد لك وقد قيل لا ينبغي الامان للرجل الزاني على المرأة الحسناء ولا للفقير العائل على المال ولا للنار على الحطب وليس بواجب علي أن أستأمنك على نفسي وقد قيل عداوة الطبع كلما ضعف صاحبها كانت أقوى فاجاب السنور قائلا بأخمد صوت وأسوا حال ان الذي قلته من المواعظ حق ولست أنكر عليك ولكن أسألك الصفح عما مضى من العداوة الطبيعية التي بيني وبينك لانه قد قيل من صفح عن مخلوق مثله صفح خالقه عنه وقد كنت قبل ذلك عدوا لك وها أنا اليوم طالب صداقتك وقد قيل اذا أردت أن يكون عدوك لك صديقا فافعل معه خيرا وأنا يا أخي أعطيك عهد الله وميثاقه اني لا أضرك أبدا ومع هذا ليس لي قدرة على ذلك فثق بالله وافعل خيرا واقبل عهدي وميثاقي فقال الفار كيف أقبل عهد من تأسست العداوة بيني وبينه وعادته أن يغدر بي ولو كانت العداوة بيننا على شيء من الاشياء غير الدم لهان علي ذلك ولكنها عداوة طبيعية بين الارواح وقد قيل من استأمن عدوه على نفسه كان كمن أدخل يده في فم الافعى فقال السنور وهو ممتلئ غيظا قد ضاق صدري وضعفت نفسي وها أنا في النزع وعن قليل أموت على بابك ويبقى اثمي عليك لانك قادر على نجاتي مما أنا فيه وهذا آخر كلامي معك فحصل للفار خوف من الله تعالى ونزلت في قلبه الرحمة وقال في نفسه من أراد المعونة من الله تعالى على عدوه فليصنع معه رحمة وخيرا وأنا متوكل على الله في هذا الامر وأنقذ هذا السنور من هذا الهلاك لاكسب أجره فعند ذلك خرج الفار الى السنور وأدخله في وكره سحبا فاقام عنده الى ان اشتد واستراح وتعافى قليلا فصار يتأسف على ضعفه وذهاب قوته وقلة أصدقائه فصار الفار يترفق به ويأخذ بخاطره ويتقرب منه ويسعى حوله وأما السنور فانه زحف الى الوكر حتى ملك المخرج خوفا أن يخرج منه الفار فلما أراد الخروج قرب من السنور على عادته فلما صار قريبا منه قبض عليه وأخذه بين أظافيره وصار يعضه وينتره ويأخذه في فمه ويرفعه عن الارض ويرميه ويجري وراءه وينهشه ويعذبه فعند ذلك استغاث الفار وطلب الخلاص من الله وجعل يعاتب السنور ويقول أين العهد الذي عاهدتني به وأين أقسامك التي أقسمت بها أهذا جزائي منك وقد أدخلتك وكري واستأمنتك على نفسي ولكن

صدق من قال من أخذ عهدا من عدوه لا يبتغى لنفسه نجاة ومن قال من سلم نفسه
لعدوه كان مستوجبا لنفسه الهلاك ولكن توكلت على خالقى فهو الذى يخلصنى
منك فبينما هو على تلك الحالة مع السنور وهو يريد أن يهجم عليه ويفترسه واذا
برجل صياد معه كلاب جارحة معودة بالصيد فمر منهم كلب على باب الوكر فسمع فيه
معركة كبيرة فظن ان فيه ثعلبا يفترس شيأ فاندفع الكلب منحدرا ليصطاده
فصادف السنور فجذبه اليه فلما وقع السنور بين يدى الكلب التهى بنفسه وأطلق
الفار حيا ليس فيه جرح وأما هو فانه خرج به الكلب الجارح بعد ان قطع عصبه
ورماه ميتا وصدق فى حقهما قول من قال من رحم رحم آجلا ومن ظلم ظلم عاجلا
هذا ما جرى لهما أيها الملك فلذلك لا ينبغى لاحد أن ينقض عهد من استأمنه ومن
غدر وخان يحصل له مثل ما حصل للسنور لانه كما يدين الفتى يدان ومن يرجع الى
الخير ينل الثواب ولكن لا تحزن أيها الملك ولا يشق عليك ذلك لان ولدك بعد ظلمه
وعسفه ربما يعود الى حسن سيرتك وان هذا العالم الذى هو وزيرك شماس أحب
أن لا يكتم عليك شيأ فيما رمزه اليك وذلك رشد منه لانه قد قيل أكثر الناس
خوفا أوسعهم علما وأغبطهم خيرا فاذعن الملك عند ذلك وأمر لهم باكرام جزيل
ثم صرفهم وقام ودخل مكانه وصار يتفكر فى عاقبة أمره فلما كان الليل أفضى الى
بعض نسائه وكانت أكرمهن عنده وأحبهن اليه فواقعها فلما مضى لها نحو أربعة
أشهر تحرك الحمل فى بطنها ففرحت بذلك فرحا شديدا وأعلمت الملك بذلك فقال
صدقت رؤياى والله المستعان ثم انه أنزلها أحسن المنازل وأكرمها غاية الاكرام
وأعطاها انعاما جزيلا وخولها بشئ كثير وبعد ذلك دعا ببعض الغلمان
وأرسله ليحضر شماسا فلما حضر حدثه الملك بما صار من حمل زوجته وهو فرحان
قائلا قد صدقت رؤياى واتصل رجائى فلعل ذلك الحمل يكون ولدا ذكرا ويكون وارثا
الملكى فما تقول يا شماس فى ذلك فسكت شماس ولم ينطق بجواب فقال له الملك مالى
أراك لا تفرح لفرحى ولا ترد لى جوابا يا ترى هل أنت كاره لهذا الامر يا شماس فسجد
عند ذلك شماس بين يدى الملك وقال أيها الملك أطال الله عمرك ما الذى ينفع
المستظل بشجرة اذا كانت النار تخرج منها وما لذة شارب الخمر الصافى اذا حصل له
بها الشرق وما فائدة الناهل من الماء العذب البارد اذا غرق فيه وانما أنا عبد لله
ولك أيها الملك ولكن قد قيل ثلاثة أشياء لا ينبغى للعاقل أن يتكلم فى شأنها الا اذا
تمت المسافر حتى يرجع من سفره والذى فى الحرب حتى يقهر عدوه والمرأة الحامل
حتى تضع حملها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما

فلما كانت الليلة الثانية بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير شماس لما قال للملك ثلاثة أشياء لا ينبغى للعاقل أن يتكلم فى شأنها الا اذا تمت قال له بعد ذلك فاعلم أيها الملك ان المتكلم فى شأن شئ لم يتم مثل الناسك المدفوق على رأسه السمن فقال له الملك وكيف حكاية الناسك وماجرى له فقال له أيها الملك انه كان انسان عند شريف من أشراف بعض المدن وكان للناسك جراية فى كل يوم من رزق ذلك الشريف وهى ثلاثة أرغفة مع قليل من السمن والعسل وكان السمن فى ذلك البلد غاليا وكان الناسك يجمع الذى يجىء اليه فى جرة عنده حتى ملأها وعلقها فوق رأسه خوفا واحتراسا فبينما هو ذات ليلة من الليالى جالس على فراشه وعصاه فى يده اذ عرض له فكر فى أمر السمن وغلائه فقال فى نفسه ينبغى أن أبيع هذا السمن الذى عندى جميعه وأشترى بثمنه نعجة وأشارك عليها أحدا من الفلاحين فانها فى أول عام تلد ذكرا وأنثى وثانى عام تلد أنثى وذكرا ولاتزال هذه الغنم تتوالد ذكورا واناثا حتى تصير شيأ كثيرا وأقسم حصتى بعد ذلك وأبيع فيها ماشئت وأشترى الارض الفلانية وأنشى فيها غيطا وأبنى فيها قصرا عظيما وأقنى ثيابا وملبوسا وأشترى عبيدا وجوارى وأتزوج بنت التاجر الفلانى وأعمل عرسا ماصار مثله قط وأذبح الذبائح وأعمل الاطعمة الفاخرة والحلويات والملبسات وغيرها وأجمع فيه أهل الملاعب والفنون وآلات السماع وأجهز الازهار والمشمومات وأصناف الرياحين وأدعو الاغنياء والفقراء والعلماء والرؤساء وأرباب الدولة وكل من طلب شيأ أحضرته اليه وأجهز أنواع المآكل والمشارب وأطلق مناديا ينادى من يطلب شيأ يناله وبعد ذلك أدخل على عروسى بعد جلائها وأتمتع بحسنها وجمالها وآكل وأشرب وأطرب وأقول لنفسى قد بلغت منائى وأستريح من النسك والعبادة وبعد ذلك تحمل زوجتى وتلد غلاما ذكرا فافرح به وأعمل له الولائم وأربيه فى الدلال وأعلمه الحكمة والادب والحساب وأشهر اسمه بين الناس وأفتخر به عند أرباب المجالس وآمره بالمعروف فلا يخالفنى وأنهاه عن الفاحشة والمنكر وأوصيه بالتقوى وفعل الخير وأعطيه العطايا الحسنة السنية فان رأيته لزم الطاعة زدته عطايا صالحة وان رأيته مال الى المعصية أنزل عليه بهذه العصا ورفعها ليضرب بها ولده فاصابت جرة السمن التى فوق رأسه فكسرتها فعند ذلك نزلت بشقافتها عليه وساح السمن على رأسه وعلى ثيابه وعلى لحيته وصار عبرة فلاجل ذلك أيها الملك لا ينبغى

للانسان أن يتكلم على شئ قبل أن يصير فقال له الملك لقد صدقت فيما قلت أيها
الوزير أنت لكونك بالصدق نطقت وبالخير أشرت ولقد صارت رتبتك عندى على
ما تحب ولم تزل مقربا فسجد شماس لله وللملك ودعا له بدوام النعم وقال له أدام الله
أيامك وأعلى شانك واعلم انى لست أكتم عنك شيأ لا فى السر ولا فى العلانية
ورضاك رضاى وغضبك غضبى وليس لى فرح الا بفرحك ولا يمكننى أن أبيت
وأنت ساخط علىّ لانّ الله تعالى رزقنى بكل خير باكرامك اياى فاسأل الله تعالى
أن يحرسك بملائكته ويحسن ثوابك عند لقائه فابتهج الملك عند ذلك ثم قام شماس
وانصرف من عند الملك ثم بعد مدة وضعت زوجة الملك غلاما ذكرا فنهض المبشرون
الى الملك وبشروه بغلامه ففرح بذلك فرحا شديدا وشكر الله شكرا جزيلا وقال الحمد
لله الذى رزقنى ولدا بعد اليأس وهو الشفوق الرؤف على عباده ثم ان الملك كتب
الى سائر أهل مملكته ليعلمهم بالخبر ويدعوهم الى منزله فحضر له الامراء والرؤساء
والعلماء وأرباب الدولة الذين تحت أمره هذا ما كان من أمر الملك وأما ما كان
من أمر ولده فانه قد دقت له البشائر والافراح فى سائر المملكة وأقبل أهلها الى
الحضور من سائر الاقطار وأقبل أهل العلوم والفلسفة والادباء والحكماء ودخلوا
جميعهم الى الملك ووصل كل منهم الى حد مقامه ثم أشار الى الوزراء السبعة
الكبار الذين رئيسهم شماس أن يتكلم كل واحد منهم على قدر ما عنده من الحكمة
فى شأن ما هو بصدده فابتدأ رئيسهم الوزير شماس واستأذن الملك فى الكلام فاذن
له فقال الحمد لله الذى أنشأنا من العدم الى الوجود المنعم على عباده الملوك أهل
العدل والانصاف بما أولاهم من الملك والعمل الصالح وبما أجراه على أيديهم
لرعيتهم من الرزق وخصوصا ملكنا الذى أحيا به موات بلادنا بما أسداه الله علينا
من النعم ورزقنا من سلامته برخاء العيش والطمانينة والعدل فأىّ ملك يصنع باهل
مملكته ما صنع هذا الملك بنا من القيام بمصالحنا وأداء حقوقنا وانصاف بعضنا
من بعض وقلّة الغفلة عنا وردّ مظالمنا ومن فضل الله على الناس أن يكون ملكهم
متعهدا لامورهم وحافظا لهم من عدوّهم لان العدوّ غاية قصده أن يقهر عدوّه
وأن يملكه فى يده وكثير من الناس يقدمون أولادهم الى الملوك خدما فيصيرون
عندهم بمنزلة العبيد لاجل أن يمنعوا عنهم الاعداء وأما نحن فلم يطأ بلادنا أعداء
فى زمن ملكنا لهذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى التى لم يقدر الواصفون
على وصفها وانما هى فوق ذلك وأنت أيها الملك حقيق بانك أهل لهذه النعمة
العظيمة ونحن تحت كنفك وفى ظل جناحك أحسن الله ثوابك وأدام بقاءك

لاننا

لانا كنا قبل ذلك نجد فى الطلب من الله تعالى أن يمن علينا بالاجابة ويقبل لنا ويعطيك ولدا صالحا تقر به عينك والله سبحانه وتعالى قد تقبل منا واستجاب دعانا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد التسعماية

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير شماس قال للملك ان الله تعالى قد تقبل منا واستجاب دعاءنا وآتانا الفرج القريب مثل ما آتى بعض السمك فى غدير الماء فقال الملك وما حكاية السمك وكيف ذلك فقال شماس اعلم أيها الملك انه كان فى بعض الاماكن غدير ماء وكان فيه بعض سمكات فعرض لذلك الغدير انه قل ماؤه وصار ينضم بعضه الى بعض ولم يبق من الماء ما يسعها فكادت أن تهلك وقالت ما عسى أن يكون من أمرنا وكيف نحتال ومن نستشيره فى نجاتنا فقامت سمكة منهن وكانت أكبرهن عقلا وسنا وقالت ما لنا حيلة فى خلاصنا الا الطلب من الله ولكن نلتمس الرأى من السرطان فانه أكبرنا فهلموا بنا اليه لننظر ما يكون من رأيه لانه أكثر منا معرفة بحقائق الكلام فاستحسنوا رأيها وجاؤا بأجمعهم الى السرطان فوجدوه رابضا فى موضعه وليس عنده علم ولا خبر عما هم فيه فسلموا عليه وقالوا له يا سيدنا أما يعنيك أمرنا وأنت حاكمنا ورئيسنا فاجابهم السرطان قائلا وعليكم السلام ما الذى بكم وما تريدون فقصوا عليه قصتهم وما دهاهم من أمر نقص الماء وانه متى نشف حصل لهم الهلاك ثم قالوا له وقد جئناك منتظرين رأيك وما يكون فيه النجاة لانك كبيرنا وأعرف منا فعند ذلك أطرق رأسه مليا ثم قال لا شك أن عندكم نقص عقل ليأسكم من رحمة الله تعالى وكفالته بارزاق خلائقه جميعا ألم تعلموا ان الله سبحانه وتعالى يرزق عباده بغير حساب وقدر أرزاقهم قبل أن يخلق شيأ من الاشياء وجعل لكل شخص عمرا محدودا ورزقا مقسوما بقدرته الالهية فكيف نحمل هم شئ هو فى الغيب مسطور والرأى عندى أنه لم يكن أحسن من الطلب من الله تعالى فينبغى ان كل واحد منا يصلح سريرته مع ربه فى سره وعلانيته ويدعو الله أن يخلصنا وينقذنا من الشدائد لان الله تعالى لا يخيب رجاء من توكل عليه ولا يرد طلب من توسل اليه فاذا أصلحنا أحوالنا استقامت أمورنا وحصل لنا كل خير ونعمة واذا جاء الشتاء وغمر أرضنا بدعاء صالحنا فلا يهدم الخير الذى بناه فالرأى أن نصبر وننتظر ما يفعله الله بنا فان كان يحصل لنا موت على العادة استرحنا وان كان يحصل لنا ما يوجب الهروب هربنا ورحلنا من أرضنا الى حيث يريد الله فاجاب

السمك جميعه من فم واحد صدقت ياسيدنا جزاك الله عنا خيرا وتوجه كل واحد منهم
الى موضعه فما مضى الا أيام قلائل وأتاهم الله بمطر شديد حتى ملأ محل الغدير زيادة
عما كان أولا وهكذا نحن أيها الملك كنا يائسين من أن يكون لك ولد وحيث
من الله علينا وعليك بهذا الولد المبارك فنسأل الله تعالى أن يجعله ولدا مباركا
وأن يقر به عينك ويجعله خليفة صالحة ويرزقنا منه مثل ما رزقنا منك فان الله
تعالى لا يخيب من قصده ولا ينبغى لاحد أن يقطع رجاءه من رحمة الله ثم قام الوزير
الثانى وسلم على الملك فاجابه الملك قائلا وعليكم السلام فقال ذلك الوزير ان الملك
لا يسمى ملكا الا اذا أعطى وعدل وحكم وأكرم وأحسن سيرته مع رعيته باقامة
الشرائع والسنن المألوفة بين الناس وانصف بعضهم من بعض وحقن دماءهم وكف
الاذى عنهم ويكون موصوفا بعدم الغفلة عن فقرائهم واسعاف أعلاهم وأدناهم
واعطائهم الحق الواجب لهم حتى يصيروا جميعا داعين له ممتثلين لامره لانه لاشك
ان الملك الذى بهذه الصفة محبوب عند الرعية مكتسب من الدنيا علاها ومن
الآخرة شرفها ورضا خالقها ونحن معاشر العبيد معترفون لك أيها الملك بان
جميع ما وصفناه عندك كما قيل خير الامور أن يكون ملك الرعية عادلا وحكيمها
ماهرا وعالمها خبيرا عاملا بعلمه ونحن الآن متنعمون بهذه السعادة وكنا قبل ذلك
قد وقعنا فى اليأس من حصول ولد لك يرث ملكك ولكن الله جل اسمه لم يخيب
رجاءك وقبل دعاءك لحسن ظنك به وتسليم أمرك اليه فنعم الرجاء رجاؤك وقد صار
فيك ما صار للغراب والحية فقال الملك وكيف ذلك وما حكاية الغراب والحية فقال
الوزير اعلم أيها الملك انه كان غراب ساكنا فى شجرة هو وزوجته فى أرغد عيش الى
ان بلغا زمان تفريخهما وكان زمن القيظ فخرجت حية من وكرها وقصدت تلك
الشجرة وتعلقت بفروعها الى ان صعدت الى عش الغراب وربضت فيه ومكثت مدة
أيام الصيف وصار الغراب مطرودا لا يجد له فرصة ولا موضعا يرقد فيه فلما انقضت
أيام الحر ذهبت الحية الى موضعها فقال الغراب لزوجته نشكر الله تعالى الذى
نجانا وخلصنا من هذه الآفة ولو كنا حرمنا من الزاد فى هذه السنة لان الله تعالى
لا يقطع رجاءنا فنشكره على ما من علينا من السلامة وصحة أبداننا وليس لنا اتكال
الا عليه واذا أراد الله وعشنا الى العام القابل عوض الله علينا نتاجنا فلما كان
وقت تفريخهما خرجت الحية من موضعها وقصدت الشجرة فبينما هى متعلقة
ببعض أغصانها وهى قاصدة عش الغراب على العادة واذا بحدأة قد انقضت عليها
وضربتها فى رأسها فخدشتها فعند ذلك سقطت الحية على الارض مغشيا عليها وطلع

عليها

عليها النمل فأكلها وصار الغراب مع زوجته فى سلامة وطمأنينة وفرخا اولادا كثيرة وشكرا الله على سلامتهما وعلى حصول الاولاد ونحن أيها الملك يجب علينا شكر الله على ما أنعم به عليك وعلينا بهذا المولود المبارك السعيد بعد اليأس وقطع الرجاء أحسن الله ثوابك وعاقبة أمرك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير الثانى لما فرغ من كلامه ختمه بقوله أحسن الله ثوابك وعاقبة أمرك ثم قام الوزير الثالث وقال أبشر أيها الملك العادل بالخير العاجل والثواب الآجل لان كل من تحبه أهل الارض تحبه أهل السماء والله تعالى قسم لك المحبة وجعلها فى قلوب أهل مملكتك فله الشكر وله الحمد منا ومنك لكى يزيد نعمته عليك وعلينا بك واعلم أيها الملك ان الانسان لا يستطيع شيأ الا بأمر الله تعالى وانه هو المعطى وكل خير عند شخص اليه ينتهى قسم النعم على عبيده كما يحب فنهم من اعطاه مواهب كثيرة ومنهم من شغله بتحصيل القوت ومنهم من جعله رئيسا ومنهم من جعله زاهدا فى الدنيا راغبا اليه لانه هو الذى قال أنا الضار النافع أشفى وأمرض وأغنى وأفقر وأميت وأحيي وبيدى كل شئ والىّ المصير فواجب على جميع الناس شكره وأنت أيها الملك من السعداء الابرار كما قيل ان اسعد الابرار من جمع الله له بين خيرى الدنيا والآخرة ويقنع بما قسم الله له ويشكره على ما اقامه ومن تعدى وطلب غير ما قدر الله له وعليه يشبه حمار الوحش والثعلب قال الملك وما حديثهما قال الوزير اعلم أيها الملك أن ثعلبا كان يخرج كل يوم من وطنه ويسعى على رزقه فبينما هو ذات يوم فى بعض الجبال واذا بالنهار قد انقضى وقصد الرجوع فاجتمع على ثعلب رآه ماشيا وصار كل منهما يحكى لصاحبه حكايته مع ما افترسه فقال أحدهما انى بالامس وقعت فى حمار وحش وكنت جائعا وكان لى ثلاثة أيام ما أكلت ففرحت بذلك وشكرت الله تعالى الذى سخره لى ثم انى عمدت الى قلبه فاكلته وشبعت ثم رجعت الى وطنى ومضى على ثلاثة أيام لم أجد شيأ آكله ومع ذلك انا شبعان الى الآن فلما سمع الثعلب الحكاية حسده على شبعه وقال فى نفسه لا بد لى من اكل قلب حمار الوحش فترك الاكل اياما حتى انهزل وأشرف على الموت وقصر سعيه واجتهاده وربض فى وطنه فبينما هو فى وطنه ذات يوم من الايام واذا بصيادين ماشيين قاصدين الصيد فوقع لهما حمار وحش

فأقاما النهار كله فى اثره طاردا ثم أن بعضهما رماه بسهم مشعب فاصابه ودخل فى جوفه واتصل بقلبه فقتله مقابل وكر الثعلب المذكور فأدركه الصيادان فوجداه ميتا فاخرجا السهم الذى اصابه فى قلبه فلم يخرج الا العود وبقى السهم مشعبا فى بطن حمار الوحش فلما كان المساء خرج الثعلب من وطنه وهو يتضجر من الضعف والجوع فرأى حمار الوحش على بابه طريحا ففرح فرحا شديدا حتى كاد أن يطير من الفرح فقال الحمد لله الذى يسر لى شهوتى من غير تعب لانى كنت لا اؤمل انى أصيب حمار وحش ولا غيره ولعل الله اوقع هذا وساقه الى فى موضعى ثم وثب عليه وشق بطنه وادخل رأسه وصار يجول بفمه فى امعائه الى أن وجد القلب فالتقمه بفمه وابتلعه فلما صار داخل حلقه اشتبك شعب السهم فى عظم رقبته ولم يقدر على ادخاله فى بطنه ولا على اخراجه من حلقه وايقن بالهلاك فلهذا أيها الملك ينبغى للانسان أن يرضى بما قسمه الله له ويشكر نعمه عليه ولا يقطع رجاءه من مولاه وها أنت أيها الملك بحسن نيتك واسداء معروفك رزقك الله ولدا بعد اليأس فنسأل الله تعالى أن يرزقه عمرا طويلا وسعادة دائمة ويجعله خلفا مباركا موفيا بعهدك من بعدك بعد طول عمرك ثم قام الوزير الرابع وقال ان الملك اذا كان فهيما عالما بابواب الحكمة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير الرابع لما قام وقال ان الملك اذا كان فهيما عالما بابواب الحكمة والاحكام والسياسة مع صلاح النية والعدل فى الرعية واكرام من يجب اكرامه وتوقير من يجب توقيره والعفو عند القدرة فيما لا بد منه ورعاية الرؤساء والمرؤسين والتخفيف عنهم والانعام عليهم وستر عوراتهم والوفاء بعهدهم كان حقيقا بالسعادة الدنيوية والاخروية فان ذلك مما يعيذه منهم ويعينه على ثبات ملكه ونصرته على اعدائه وبلوغ مأموله مع زيادة نعمة الله عليه وتوفيقه لشكره والفوز بعنايته وان الملك اذا كان بخلاف ذلك فانه لم يزل فى مصائب وبلايا هو وأهل مملكته لكون جوره على الغريب والقريب ويصير فيه ما صار لابن الملك السائح فقال الملك وكيف كان ذلك فقال الوزير اعلم أيها الملك انه كان فى بلاد الغرب ملك جائر فى حكمه ظالم غاشم عاسف مضيع لرعاية رعيته ومن يدخل فى مملكته فكان لا يدخل فى مملكته أحد الا وتأخذ عماله منه أربعة اخماس ماله ويبقون له الخمس لا غير فقدر الله انه كان له ولد سعيد موفق فلما رأى احوال الدنيا

غير مستقيمة تركها وخرج سائحا عابد الله تعالى من صغره ورفض الدنيا ومافيها وخرج فى طاعة الله تعالى يسرح فى البرارى والقفار ويدخل المدن ففى بعض الايام دخل تلك المدينة فلما وقف على المحافظين اخذوه وفتشوه فلم يروا معه شيأ سوى ثوبين أحدهما جديد والآخر عتيق فنزعوا منه الجديد وتركوا له العتيق بعد الاهانة والتحقير فصار يشكو ويقول ويحكم أيها الظالمون أنا رجل فقير وسائح وماعسى أن ينفعكم من هذا الثوب واذا لم تعطوه لى ذهبت للملك وشكوتكم اليه فاجابوه قائلين اننا فعلنا ذلك بأمر الملك فما بدالك أن تفعله فافعله فصار السائح يمشى الى أن وصل الى بلاد الملك وأراد الدخول فنعه الحجاب فرجع وقال فى نفسه مالى الا أنى ارصده حتى يخرج واشكو اليه حالى وما اصابنى فبينما هو على تلك الحالة ينتظر خروج الملك اذ سمع أحد الاجناد يخبر عنه فاخذ يتقدم قليلا قليلا حتى وقف قبال الباب فما شعر الا والملك خارج فعارضه السائح ودعاله بالنصر واخبره بما وقع له من المحافظين وشكا اليه حاله واخبره انه رجل من أهل الله رفض الدنيا وخرج طالبا رضا الله تعالى فصار سائحا فى الارض وكل من وفد عليه من الناس أحسن اليه بما أمكنه وصار يدخل كل مدينة وكل قرية وهو على هذه الحالة ثم قال فلما دخلت هذه المدينة ترجيت أن يفعل بى أهلها مثل مايفعل بغيرى من السائحين فعارضنى اتباعك ونزعوا أحد ثوابى واوجعونى ضربا فانظر فى شأنى وخذ بيدى وخلص لى ثوبى وأنا لا أقيم بهذه المدينة ساعة واحدة فاجابه الملك الظالم قائلا من اشار عليك بدخولك هذه المدينة وأنت غير عالم بما يفعل ملكها فقال بعد ان آخذ ثوبى افعل بى مرادك فلما سمع ذلك الملك الظالم من السائح هذا الكلام حصل عنده تغير مزاج فقال أيها الجاهل نزعنا عنك ثوبك لكى تذل وحيث وقع منك مثل هذا الصياح عندى فانا انزع نفسك منك ثم أمر بسجنه فلما دخل السجن جعل يندم على ماوقع منه من الجواب وعنف نفسه حيث لم يترك ذلك ويفوز بروحه فلما كان نصف الليل قام وصلى صلاة مطولة وقال يا الله انك أنت الحكم العدل تعلم بحالى وما انطوى عليه أمرى مع هذا الملك الجائر وأنا عبدك المظلوم اسألك من فيض رحمتك أن تنقذنى من يد هذا الملك الظالم وتحل به نقمتك لانك لاتغفل عن ظلم كل ظالم فان كنت تعلم انه ظلمنى فاحلل نقمتك عليه فى هذه الليلة وأنزل به عذابك لان حكمك عدل وأنت غياث كل ملهوف يامن له القدرة والعظمة الى آخر الدهر فلما سمع السجان دعاء هذا المسكين صار جميع مافيه من الاعضاء مرعوبا فبينما هو كذلك واذا بنار قادت فى القصر الذى فيه الملك فاحرقت جميع مافيه حتى

باب السجن ولم يخلص سوى السجان والسائح فانطلق السائح وسار هو والسجان ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى غير تلك المدينة واما مدينة الملك الظالم فانها احترقت عن آخرها بسبب جور ملكها واما نحن أيها الملك السعيد فانمسى ونصبح الاونحن داعون لك وشاكرون الله تعالى على فضله بوجودك مطمئنين بعدلك وحسن سيرتك وكان عندنا غم كثير لعدم ولدلك يرث ملكك خوفا من أن يصير علينا ملك غيرك من بعدك والآن قد أنعم الله بكرمه علينا وازال عنا الغم وأتانا بالسرور بوجود هذا الغلام المبارك فنسأل الله تعالى أن يجعله خليفة صالحة ويرزقه العز والسعادة الباقية والخير الدائم ثم قام الوزير الخامس وقال تبارك الله العظيم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير الخامس قال تبارك الله العظيم مانح العطايا الصالحة والمواهب السنية وبعد فانا تحققنا أن الله ينعم على من يشكره ويحافظ على دينه وأنت أيها الملك السعيد الموصوف بهذه المناقب الجليلة والعدل والانصاف بين رعيتك بما يرضى الله تعالى فلاجل ذلك أعلى الله شأنك وأسعد ايامك ووهب لك هذه العطية الصالحة التي هى هذا الولد السعيد بعد اليأس وصار لنا بذلك الفرح الدائم والسرور الذى لا ينقطع لاننا قبل ذلك كنا فى هم شديد وغم زائد بسبب عدم ولدلك وفى افكار فيما أنت منطوعليه من عدلك ورأفتك بنا وخوفا أن يقضى الله عليك بالموت ولم يكن لك من يخلفك ويرث الملك من بعدك فيختلف رأينا ويقع بيننا الشقاق ويصير بيننا ما صار للغراب فقال الملك وما حكاية الغراب فاجابه الوزير قائلا اعلم أيها الملك السعيد انه كان فى بعض البرارى واد متسع وكان به انهار وأشجار واثمار وبه اطيار تسبح الله الواحد القهار خالق الليل والنهار وكان من جملة الطيور غربان وكانوا فى اطيب عيش وكان المقدم عليهم والحاكم بينهم غراب رؤف بهم شفوق عليهم وكانوا معه فى أمان وطمأنينة ومن حسن تصريفهم فيما بينهم لم يكن أحد من الطيور يقدر عليهم فاتفق ان مقدمهم توفى وجاءه الامر المحتوم على سائر الخلق فحزنوا عليه حزنا شديدا ومن زيادة حزنهم أنه لم يكن فيهم أحد مثله يقوم مقامه فاجتمعوا جميعا واتمروا فيما بينهم على من يقوم عليهم بحيث يكون صالحا فطائفة منهم اختاروا غرابا وقالوا ان هذا يصلح أن يكون ملكا علينا وآخرون اختلفوا فيه ولم يريدوه فوقع بينهم الشقاق والجدال وعظمت الفتنة بينهم

وبعد

وبعد ذلك حصل بينهم توافق وتعاهدوا على أن يناموا تلك الليلة ولا يبكر أحد الى السروح فى طلب المعيشة غدا بل يصبرون جميعا الى الصباح وعند طلوع الفجر يكونون مجتمعين فى موضع واحد ثم ينظرون الى كل طير يسبق فى الطيران وقالوا انه هو الذى يكون مختارا عندنا للملك فنجعله ملكا علينا ونوليه أمرنا فرضوا كلهم بذلك وعاهد بعضهم بعضا واتفقوا على هذا العهد فبينما هم على ذلك الحال اذ طلع باز فقالوا له يا أبا الخير نحن اخترناك واليا علينا لتنظر فى أمرنا فرضى الباز بما قالوه وقال لهم ان شاء الله تعالى سيكون لكم منى خير عظيم ثم انهم بعد ما ولوه عليهم صار كل يوم اذا سرح وسرح الغربان يستفرد بأحدهم ويضربه ويأكل دماغه وعينيه ويترك الباقى ولم يزل يفعل معهم هكذا حتى فطنوا به فرأوا غالبهم قد هلك فأيقنوا بالهلاك وقال بعضهم لبعض كيف نصنع وقد هلك اكثرنا وما انتبهنا حتى هلك اكابرنا فينبغى لنا أن نحفظ لانفسنا فلما اصبحوا نفروا منه وتفرقوا من حوله ونحن الآن نخشى أن يقع لنا مثل هذا ويصير علينا ملك غيرك ولكن قد من الله علينا بهذه النعمة ووجهك الينا ونحن الآن واثقون بالصلاح وجمع الشمل والأمن والامانة والسلامة فى الوطن فتبارك الله العظيم وله الحمد والشكر والثناء الجميل وبارك الله للملك ولنا معشر الرعية ورزقنا واياه السعادة العظمى وجعله سعيد الوقت قائم الجد ثم قام الوزير السادس وقال هنالك الله أيها الملك باحسن الهناء فى الدنيا والآخرة فقد تقدم من قول المتقدمين ان من صلى وصام وقام بحق الوالدين وعدل فى حكمه لقى ربه وهو راض عنه وقد وليت علينا فعدلت فكنت فى ذلك سعيد الحركات فنسأل الله تعالى أن يجزل ثوابك ويأجرك على احسانك وقد سمعت ما قال هذا العالم فيما نخوف من حرمان حظنا بعدم الملك أو بوجود ملك آخر لا يكون نظيره فيعظم اختلافنا بعده ويقع البلاء فى الاختلاف واذا كان الامر على ما ذكرنا فالواجب علينا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء لعله يهب للملك ولدا سعيدا ويجعله وارثا للملك بعده ثم بعد ذلك ربما كان الذى يحبه الانسان من الدنيا ويشتهيه مجهول العاقبة له وحينئذ لا ينبغى للانسان أن يسأل ربه أمرا لا يدرى عاقبته لانه ربما كان ضرر ذلك أقرب اليه من نفعه فيكون هلاكه فى مطلوبه ويصيبه مثل ما اصاب الحاوى وزوجته واولاده وأهل بيته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير السادس لما قال للملك ان الانسان لا ينبغى له أن يسأل ربه شيأ لا يدرى عاقبته لانه ربما كان ضرر ذلك أقرب اليه من نفعه فيكون هلاكه فى مطلوبه ويصيبه ما أصاب الحاوى واولاده وزوجته وأهل بيته فقال الملك وما حكاية الحاوى واولاده وزوجته وأهل بيته فقال الوزير اعلم أيها الملك انه كان انسان حاويا وكان يربى الحيات وهذه كانت صنعته وكان عنده سلة كبيرة فيها ثلاث حيات لم يعلم بها أهل بيته وكان كل يوم يخرج يدور بها فى المدينة ويتسبب بها لتحصيل رزقه ورزق عياله ويرجع عند المساء فى بيته ويضع الاحناش فى السلة سرا وعند الصباح يأخذها ويدور بها فى المدينة فكان هذا دأبه على الدوام ولم يعلم أهل بيته بما فى السلة فاتفق انه لما عاد الحاوى الى بيته على عادته سألته زوجته وقالت له ما فى هذه السلة فقال لها الحاوى وما مرادك منها أليس الزاد عندكم كثيرا زائدا فاقنعى بما قسم الله لك ولا تسألى عن غيره فسكتت عنه تلك المرأة وصارت تقول فى نفسها لا بدلى أن افتش هذه السلة واعرف ما فيها وصممت على ذلك واعلمت اولادها واكدت عليهم ان يسألوا والدهم عن تلك السلة ويلحوا عليه فى السؤال لاجل أن يخبرهم فعند ذلك تعلق خاطر الاولاد بان فيها شيأ يؤكل فصار الاولاد كل يوم يطلبون من أبيهم أن يريهم ما فى السلة وكان أبوهم يدافعهم ويراضيهم وينهاهم عن هذا السؤال فمضت لهم مدة وهم على ذلك الحال وأمهم تحثهم على ذلك ثم اتفقوا مع امها على أنهم لا يذوقون طعاما ولا يشربون شرابا لوالدهم حتى يبلغهم طلبتهم ويفتح لهم السلة فبينما هم كذلك ذات ليلة اذ حضر الحاوى ومعه شئ كثير من الاكل والشرب فقعد ودعاهم ليأكلوا معه فابوا من الحضور اليه وبينوا له الغيظ فجعل يلاطفهم بالكلام الحسن ويقول لهم انظروا ماذا تريدون حتى اجئ به اليكم اكلا أو شربا أو ملبوسا فقالوا له يا والدنا ما نريد منك الا فتح هذه السلة لننظر ما فيها والا قتلنا أنفسنا فقال لهم يا أولادى ليس لكم فيها خير وانما فتحها ضرر لكم فعند ذلك ازدادوا غيظا فلما رآهم على هذه الحالة اخذ يهددهم ويشير اليهم بالضرب ان لم يرجعوا عن تلك الحالة فلم يزدادوا الا غيظا ورغبة فى السؤال فعند ذلك غضب عليهم واخذ عصا ليضربهم بها فهربوا من قدامه فى الدار وكانت السلة حاضرة لم يخفها الحاوى فى مكان فخلت المرأة الرجل مشغولا بالاولاد وفتحت السلة بسرعة لكى تنظر ما فيها واذا بالحيات قد خرجوا من السلة ولدغوا المرأة أولا فقتلوها ثم داروا فى الدار وأهلكوا الكبار والصغار ما عدا الحاوى فترك الحاوى الدار وخرج فلما تحققت ذلك أيها الملك السعيد علمت أن

الانسان

للانسان ليس له أن يتمنى شيأ لم يرده الله تعالى بل يطيب نفسا بما قدره
الله تعالى واراده وها أنت أيها الملك مع غزارة علمك وجودة فهمك اقرّ الله
عينك بحضور ولدك بعد الياس وطيب قلبك ونحن نسأل الله تعالى أن يجعله
من الخلفاء العادلين المرضيين لله تعالى والرعية ثم قام الوزير السابع وقال
أيها الملك انى قد علمت وتحققت ما ذكره لك اخوتى هؤلاء الوزراء العلماء
الحكماء وما تكلموا به فى حضرتك أيها الملك وما وصفوه من عدلك وحسن سيرتك
وما تميزت به عمن سواك من الملوك حيث فضلوك عنهم وذلك من بعض الواجب
علينا أيها الملك وأما أنا فاقول الحمد لله الذى ولاك نعمته واعطاك صلاح الملك
برحمته واعانك وايانا على أن نزيده شكرا وما ذاك الا بوجودك وما دمت فينا
لم نتخوف جورا ولا نبغى ظلما ولا يستطيع أحد أن يستطيل علينا مع ضعفنا وقد
قيل انّ أحسن الرعايا من كان ملكهم عادلا وشرّهم من كان ملكهم جائرا وقيل
أيضا السكنى مع الاسود الكواسر ولا السكنى مع السلطان الجائر فالحمد لله تعالى
على ذلك حمدا دائما حيث أنعم علينا بوجودك ورزقك هذا الولد المبارك بعد الياس
والطعن فى السن لان أجل العطايا فى الدنيا الولد الصالح وقد قيل من لا ولد له
لا عاقبة له ولا ذكر وأنت بقويم عدلك وحسن ظنك بالله تعالى أعطيت هذا الولد
السعيد فجاءك هذا الولد المبارك منة من الله تعالى علينا وعليك بحسن سيرتك
وجميل صبرك وصار فيك ذلك مثل ما صار فى العنكبوت والريح فقال الملك وما حكاية
العنكبوت والريح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد انّ الملك قال للوزير وما حكاية العنكبوت والريح
فقال الوزير اعلم أيها الملك ان عنكبوتة تعلقت فى باب منيع عال وعملت لها بيتا
وسكنت فيه بامان وكانت تشكر الله تعالى الذى يسر لها هذا المكان وآمن خوفها من
الهوام فمكثت على هذا الحال مدة من الزمان وهى شاكرة لله على راحتها وتصال
رزقها فامتحنها خالقها بأن أخرجها لينظر شكرها وصبرها فارسل اليها ريحا عاصفا
شرقيا فحملها ببيتها ورماها فى البحر فجرتها الامواج الى البرّ فعند ذلك شكرت الله
تعالى على سلامتها وجعلت تعاتب الريح قائلة لها أيتها الريح لم فعلت بى ذلك
وما الذى حصل لك من الخير فى نقلى من مكانى الى هنا وقد كنت آمنة مطمئنة فى بيتى
بأعلى ذلك الباب فقال لها الريح انتهى عن العتاب فانى سأرجع بك وأوصلك الى

مكانك كما كنت أولا فلبثت العنكبوتة صابرة على ذلك راجية أن ترجع
الى مكانها حتى ذهبت ريح الشمال ولم ترجع بها وهبت ريح الجنوب فمرت بها
واختطفتها وطارت بها الى جهة ذلك البيت فلما مرت به عرفته فتعلقت به ونحن
نسأل الله الذى أثاب الملك على وحدته وصبره ورزقه هذا الغلام بعد يأسه وكبر
سنه ولم يخرجه من هذه الدنيا حتى رزقه قرة عين ووهب له ما وهب من الملك
والسلطان فرحم رعيته وأولاهم نعمته فقال الملك الحمد لله فوق كل حمد والشكر له
فوق كل شكر لا اله الا هو خالق كل شئ الذى عرفنا بنور آثاره جلال عظمته
يؤتى الملك والسلطان من يشاء من عباده فى بلاده لانه ينتخب منهم من يشاء ليجعله
خليفة ووكيلا على خلقه ويأمره فيهم بالعدل والانصاف واقامة الشرائع والسنن
والعمل بالحق والاستقامة فى أمورهم على ما أحب وأحبوا فمن عمل منهم بما أمر
الله كان لحظه مصيبا ولامر ربه مطيعا فيكفيه هول دنياه ويحسن جزاءه فى أخراه
أنه لا يضيع أجر المحسنين ومن عمل منهم بغير ما أمر الله أخطأ خطأ بليغا وعصى
ربه وآثر دنياه على أخراه فليس له فى الدنيا مآثر ولا فى الآخرة نصيب لان الله
لا يمهل على أهل الجور والفساد ولا يهمل أحدا من العباد وقد ذكر وزراؤنا
هؤلاء أن من عدلنا بينهم وحسن تصرفنا معهم أنعم الله علينا وعليهم بالتوفيق لشكره
المستوجب لمزيد انعامه وكل واحد منهم قال ما ألهمه الله فى ذلك وبالغوا
فى الشكر لله تعالى والثناء عليه بسبب نعمته وفضله وأنا أشكر الله لانى انما أنا عبد
مأمور وقلبى بيده ولسانى تابع له راض بما حكم علىّ وعليهم باىّ شئ صار وقد قال
كل واحد منهم ما خطر بباله من امر هذا الغلام وذكروا ما كان من تجدد النعمة
علينا حين بلغت من السن حدا يغلب معه اليأس وضعف اليقين والحمد لله الذى
نجانا من الحرمان واختلاف الحكام كاختلاف الليل والنهار وقد كان ذلك انعاما
عظيما عليهم وعلينا فنحمد الله تعالى الذى رزقنا هذا الغلام سميعا مطيعا وجعله
وارثا من الخلافة محلا رفيعا نسأله من كرمه وحلمه أن يجعله سعيد الحركات
موفقا للخيرات حتى يصيره ملكا وسلطانا على رعيته بالعدل والانصاف حافظا
لهم من هلكات الاعتساف بمنه وكرمه وجوده فلما فرغ الملك من كلامه قام
الحكماء والعلماء وسجدوا لله وشكروا الملك وقبلوا يديه وانصرف كل واحد منهم
الى بيته فعند ذلك دخل الملك بيته وأبصر الغلام ودعا له وسماه وردخان فلما مضى له
من العمر اثنتا عشرة سنة أراد الملك أن يعلمه العلوم فبنى له قصرا فى وسط المدينة
وبنى فيه ثلثمائة وستين مقصورة وجعل الغلام فيه ورتب له ثلاثة من الحكماء
والعلماء

والعلماء وأمرهم أن لا يغفلوا عن تعليمه ليلا ولا نهارا وأن يجلسوا معه فى كل مقصورة يوما ويحرصوا على أن لا يكون علم الا ويعلمونه اياه حتى يصير بجميع العلوم عارفا ويكتبون على باب كل مقصورة ما يعلمونه له فيها من أصناف العلوم ويرفعون اليه فى كل سبعة أيام ما عرفه من العلوم ثم ان العلماء أقبلوا على الغلام وصاروا لا يفترون عن تعليمه ليلا ولا نهارا ولا يؤخرون عنه شيأ مما عندهم من العلوم فظهر للغلام من ذكاء العقل وجودة الفهم وقبول العلم ما لم يظهر لاحد قبله وجعلوا يرفعون للملك فى كل أسبوع مقدار ما تعلمه ولده وأتقنه فكان الملك يستظهر من ذلك علما حسنا وأدبا جميلا وقال العلماء ما رأينا قط من أعطى فهما مثل هذا الغلام فبارك الله لك فيه ومتعك بحياته فلما أتم الغلام مدة اثنتى عشرة سنة حفظ من كل علم أحسنه وفاق جميع العلماء والحكماء الذين فى زمانه فاتى به العلماء الى الملك والده وقالوا له أقر الله عينك أيها الملك بهذا الولد السعيد وقد أتيناك به بعد أن تعلم كل علم حتى لم يكن أحد من علماء الوقت وحكمائه بلغ ما بلغه ففرح الملك بذلك فرحا شديدا وزاد فى شكر الله تعالى وخر ساجدا لله عز وجل وقال الحمد لله على نعمه التى لا تحصى ثم دعا بشماس الوزير وقال له اعلم يا شماس أن العلماء قد أتونى وأخبرونى أن ابنى هذا قد تعلم كل علم ولم يبق من العلوم علم الا وقد علموه له حتى فاق من تقدمه فى ذلك فما تقول يا شماس فسجد عند ذلك لله عز وجل وقبل يدى الملك وقال أبت الياقوتة ولو كانت فى الجبل الاصم الا أن تكون مضيئة كالسراج وابنك هذا جوهرة فما منعه حداثته من أن يكون حكيما والحمد لله على ما أولاه وأنا ان شاء الله تعالى فى غد أسأله وأستنطقه بما عنده فى مجمع أجمعه له من خواص العلماء والامراء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك جليعاد لما سمع كلام شماس أمر جهابذة العلماء وأذكياء الفضلاء ومهرة الحكماء أن يحضروا الى قصر الملك فى غد فحضروا جميعا فلما اجتمعوا على باب الملك أذن لهم بالدخول ثم حضر شماس الوزير وقبل يدى ابن الملك فقام ابن الملك وسجد لشماس فقال له شماس ليس يجب على شبل الاسد أن يسجد لاحد من الوحوش ولا ينبغى أن يقترن النور بالظلام قال الغلام ان شبل الاسد لما رأى وزير الملك سجد له فعند ذلك قال شماس أخبرنى ما الدائم المطلق وما كوناه وما الدائم من كونيه قال الغلام أما الدائم المطلق فهو الله عز وجل

لانه أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء وأما كوناه فالدنيا والآخرة وأما الدائم من
كونيه فهو نعيم الآخرة قال شماس صدقت فيما قلت وقبلته منك غيرانى أحب
أن تخبرنى من أين علمت ان أحد الكونين هو الدنيا وثانيهما هو الآخرة قال الغلام
لان الدنيا خلقت ولم يكن من شئ كائن فآل أمرها الى الكون الاول غيرانها
عرض سريع الزوال مستوجب الجزاء على الاعمال وذلك يستدعى اعادة الفانى
فالآخرة هى الكون الثانى قال شماس صدقت فيما قلت وقبلته منك غيرانى أحب
أن تخبرنى من أين علمت ان نعيم الآخرة هو الدائم من الكونين قال الغلام علمت
ذلك من انهادار الجزاء على الاعمال التى أعدها الباقى بلا زوال قال شماس أخبرنى
أى أهل الدنيا أحمد عملا قال الغلام من يؤثر آخرته على دنياه قال شماس ومن
الذى يؤثر آخرته على دنياه فقال الغلام من كان يعلم أنه فى دار منقطعة وأنه ما خلق
الا للفناء وأنه بعد الفناء يحاسب وانه لو كان فى هذه الدنيا أحد مخلد أبدا لا يؤثر
الدنيا على الآخرة قال شماس أخبرنى هل تستقيم آخرة بغير دنيا قال الغلام من لم
يكن له دنيا فلا آخرة له ولكن رأيت الدنيا وأهلها والمعاد الذى هم صائرون اليه
كمثل أهل هؤلاء الضياع الذين ابتنى لهم أمير بيتا ضيقا وأدخلهم فيه وأمرهم بعمل
يعملونه وضرب لكل واحد منهم أجلا ووكل به شخصا فمن عمل منهم ما أمر به
أخرجه الشخص الموكل به من ذلك الضيق ومن لم يعمل ما أمر به وقد انقضى
الاجل المضروب له عوقب فبينما هم كذلك اذ رشح لهم من شقوق البيت عسل فلما
اكلوا من العسل وذاقوا طعمه وحلاوته توانوا فى العمل الذى أمروا به ونبذوه وراء
ظهورهم وصبروا على ما هم فيه من الضيق والغم مع ما علموا من تلك العقوبة التى هم
صائرون اليها وقنعوا بتلك الحلاوة اليسيرة وصار الموكل لا يدع أحدا منهم
اذا جاء أجله الا ويخرجه من ذلك البيت فعرفنا ان الدنيا دار تحير فيها الابصار
وضرب لاهلها فيها الآجال فمن وجد الحلاوة القليلة التى تكون فى الدنيا وأشغل
نفسه بها كان من الهالكين حيث آثر أمر دنياه على آخرته ومن يؤثر أمر آخرته على
دنياه ولم يلتفت الى تلك الحلاوة القليلة كان من الفائزين قال شماس قد سمعت
ما ذكرت من أمر الدنيا والآخرة وقبلت ذلك منك ولكنى قدر أيتهما مسلطين
على الانسان فلا بد له من ارضائهما معا وهما مختلفان فان أقبل العبد على طلب
المعيشة فذلك اضرار بروحه فى المعاد وان أقبل على الآخرة كان ذلك اضرارا
بجسده وليس له سبيل الى ارضاء المتخالفين معا قال الغلام انه من حصل المعيشة
فى الدنيا تقوبه على الآخرة فانى رأيت أمر الدنيا والآخرة مثل ملكين عادل

وجائر

وجائر وكانت أرض الملك الجائر ذات أشجار وأثمار ونبات وكان ذلك الملك لايدع
أحدا من التجار الا أخذ ماله وتجارته وهم صابرون على ذلك لما يصيبون من خصب
تلك الارض فى المعيشة وأما الملك العادل فانه بعث رجلا من أهل أرضه وأعطاه
مالا وافرا وأمره أن ينطلق به الى أرض الملك الجائر ليبتاع به جواهر منها فانطلق
ذلك الرجل بالمال حتى دخل تلك الارض فقيل للملك انه جاء الى أرضك رجل تاجر
ومعه مال كثير يريد أن يبتاع به جواهر منها فأرسل اليه وأحضره وقال له من
أنت ومن أين أتيت ومن جاءك الى أرضى وما حاجتك فقال له انى من أرض كذا
وكذا وان ملك تلك الارض أعطانى مالا وأمرنى أن أبتاع له به جواهر من هذه
الارض فامتثلت أمره وجئت فقال له الملك ويحك أما علمت صنعى بأهل أرضى من
انى آخذ مالهم فى كل يوم فكيف تأتينى بمالك وها أنت مقيم فى أرضى منذ كذا
وكذا فقال له التاجر ان المال ليس لى منه شئ وانما هو أمانة تحت يدى حتى
أوصله الى صاحبه فقال له انى لست بتاركك تأخذ معيشتك من أرضى حتى
تفدى نفسك بهذا المال جميعه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام
المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك الجائر قال للتاجر الذى يريد أن يشترى
الجواهر من أرضه لايمكن أن تأخذ معاشا من أرضى حتى تفدى نفسك بهذا المال
أو تهلك فقال الرجل فى نفسه قد وقعت بين ملكين وقد علمت ان جور هذا الملك
عام على كل من أقام بارضه فان لم أرضه كان هلاكى وذهاب المال لا بد منهما ولم
أصب حاجتى وان أعطيته جميع المال كان هلاكى عند الملك صاحب المال لا بد منه
وليس لى حيلة سوى أن أعطيه من هذا المال جزأ يسيرا وأرضيه به وأدفع عن نفسى
وعن هذا المال الهلاك وأصيب من خصب هذه الارض قوت نفسى حتى أبتاع
ما أريد من الجواهر وأكون قد أرضيته بما أعطيته وآخذ نصيبى من أرضه هذه
وأتوجه الى صاحب المال بحاجته فانى أرجو من عدله وتجاوزه مالا أخاف معه
عقوبة فيما أخذه هذا الملك من المال خصوصا اذا كان يسيرا ثم ان التاجر دعا للملك
وقال له أيها الملك أنا أفتدى نفسى وهذا المال بجزء صغير من منذ دخلت أرضك
حتى أخرج منها فقبل الملك منه ذلك وخلى سبيله سنة فاشترى الرجل بماله جميعه
جواهر وانطلق الى صاحبه فالملك العادل مثال للآخرة والجواهر التى بارض

الملك الجائر مثال للحسنات والعمل الصالح والرجل صاحب المال مثال لمن طلب
الدنيا والمال الذى معه مثال لحياة الانسان فلما رأيت ذلك علمت انه ينبغى لمن
يطلب المعيشة فى الدنيا أن لا يخلى يوما عن طلب الآخرة فيكون قد أرضى الدنيا
بما ناله من خصب الارض وأرضى الآخرة بما يصرف من حياته فى طلبها قال
شماس فاخبرنى هل الجسد والروح سواء فى الثواب والعقاب أو انما يختص بالعقاب
صاحب الشهوات وفاعل الخطيئات قال الغلام قد يكون الميل الى الشهوات
والخطيئات موجبا للثواب بحبس النفس عنها والتوبة منها والامر بيد من يفعل
ما يشاء وبضدها تتميز الاشياء على ان المعاش لا بد منه للجسد ولا جسد الا بالروح
وطهارة الروح باخلاص النية فى الدنيا والالتفات الى ما ينفع فى الآخرة فهما
فرسا رهان ورضيعا لبان ومشتركان فى الاعمال وباعتبار النية تفصيل الاجمال
وكذلك الجسد والروح مشتركان فى الاعمال وفى الثواب والعقاب وذلك مثل
الاعمى والمقعد اللذين أخذهما رجل صاحب بستان وأدخلهما بستانه وأمرهما
أن لا يفسدا فيه ولا يصنعا فيه أمرا يضر به فلما طابت أثمار البستان قال المقعد
للاعمى ويحك انى أرى أثمارا طيبة وقد اشتهيتها ولست أقدر على القيام اليها لآكل
منها فقم أنت لانك صحيح الرجلين واتتنا منها بما نأكل فقال الاعمى ويحك قد
ذكرتها الى وقد كنت عنها غافلا ولست أقدر على ذلك لانى لست أبصرها فما الحيلة
فى تحصيل ذلك فبينما هما كذلك اذ أتاهما الناظر على البستان وكان رجلا عالما
فقال له المقعد ويحك يا ناظر انا قد اشتهينا شيأ من هذه الثمار ونحن كما ترى أنا مقعد
وصاحبى هذا أعمى لا يبصر شيأ فما حيلتنا فقال لهما الناظر ويحكما ألستما تعلمان
ما عاهدكما عليه صاحب البستان من انكما لا تتعرضا لشئ مما يؤثر فيه الفساد
فانتهيا ولا تفعلا فقالا له لا بد لنا من أن نصيب من هذه الثمار ما نأكله فاخبرنا بما
عندك من الحيلة فلما لم ينتهيا عن رأيهما قال لهما الحيلة فى ذلك أن يقوم الاعمى
ويحملك أيها المقعد على ظهره ويدنيك من الشجرة التى تعجبك أثمارها حتى اذا
أدناك منها تجنى أنت ما أصبت من الثمار فقام الاعمى وحمل المقعد وجعل المقعد
يهديه الى السبيل حتى أدناه الى شجرة فصار المقعد يأخذ منها ما أحب ولم يزل ذلك
دأبهما حتى أفسدا ما فى البستان من الشجر واذا بصاحب البستان قد جاء وقال
لهما ويحكما ما هذه الفعال ألم أعاهدكما على أن لا تفسدا فى هذا البستان فقالا له قد
علمت اننا لم نقدر أن نصل الى شئ من الاشياء لان أحدنا مقعد لا يقوم والآخر
أعمى لا يبصر ما بين يديه فما ذنبنا فقال لهما صاحب البستان لعلكما تظنان انى

لست

لست أدرى كيف صنعتما وكيف أفسدتما فى بستانى كأنى بك أيها الاعمى قد
قمت وحملت المقعد على ظهرك وصار يهديك السبيل حتى أوصلته الى الشجر ثم انه
أخذهما وعاقبهما عقوبة شديدة وأخرجهما من البستان فالاعمى مثال للجسد لانه
لا يبصر الا بالنفس والمقعد مثال للنفس التى لا حركة لها الا بالجسد وأما البستان
فانه مثال للعمل الذى يجازى به العبد والناظر مثال للعقل الذى يأمر بالخير وينهى
عن الشر فالجسد والروح مشترك كان فى الثواب والعقاب قال له شماس صدقت
وقد قبلت قولك هذا فاخبرنى أى العلماء عندك أحمد قال الغلام من كان بالله عالما
وينفعه علمه قال شماس ومن ذلك قال الغلام من يلتمس رضا ربه ويتجنب سخطه
قال فايهم أفضل قال الغلام من كان بالله أعلم قال شماس فمن أشدهم اختيارا قال
من كان على العمل بالعلم صبارا قال شماس أخبرنى من أرقهم قلبا قال أكثرهم
استعدادا للموت وذكرا وأقلهم أملا لان من أدخل على نفسه طوارق الموت كان
مثل الذى ينظر فى المرآة الصافية فانه يعرف الحقيقة ولا تزداد المرآة الا صفاء
وبريقا قال شماس أى الكنوز أحسن قال كنوز السماء قال فاى كنوز السماء
أحسن قال تعظيم الله وتحميده قال فاى كنوز الارض أفضل قال اصطناع
المعروف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير شماس لما قال لابن الملك أى كنوز الارض
أفضل قال له اصطناع المعروف قال صدقت وقد قبلت قولك هذا فاخبرنى عن
الثلاثة المختلفة العلم والرأى والذهن وعن الذى يجمع بينهما قال الغلام انما العلم من
التعلم وأما الرأى فانه من التجارب وأما الذهن فانه من التفكر وثباتهم واجتماعهم
فى العقل فمن اجتمعت فيه هذه الثلاث خصال كان كاملا ومن جمع اليهن تقوى الله
كان مصيبا قال شماس صدقت وقد قبلت منك ذلك فاخبرنى عن العالم العليم ذى
الرأى السديد والفطنة الوقادة والذهن الفائق الرائق هل يغيره الهوى والشهوة
عن هذه الحالات التى ذكرت قال الغلام ان هاتين الخصلتين اذا دخلتا على الرجل
غيرتا علمه وفهمه ورأيه وذهنه وكان مثل العقاب الكاسر الذى عن القنص محاذر
المقيم فى جو السماء لفرط حذقه فبينما هو كذلك اذ نظر رجلا صيادا قد نصب شركه فلما
فرغ الرجل من نصب الشرك وضع فيه قطعة لحم فعند ذلك أبصر العقاب القطعة
اللحم فغلب عليه الهوى والشهوة حتى نسى ما شاهد من الشرك ومن سوء الحال

لكل من وقع من الطير فانقض من جو السماء حتى وقع على القطعة اللحم فاشتبك
في الشرك فلما جاء الصياد رأى العقاب في شركه فتعجب عجبا شديدا وقال أنا نصبت
شركي ليقع فيه حمام أو نحوه من الطيور الضعيفة فكيف وقع فيه هذا العقاب
وقد قيل ان الرجل العاقل اذا حمله الهوى والشهوة على أمر يتدبر عاقبة ذلك
الامر بعقله فيمتنع عما حسناه ويقهر بعقله شهوته وهواه فاذا حمله الهوى والشهوة
على أمر ينبغي أن يجعل عقله مثل الفارس الماهر في فروسيته اذا ركب الفرس
الارعن فانه يجذبه باللجام الشديد حتى يستقيم ويمضي معه على ما يريد وأما من كان
سفيها لا علم له ولا رأى عنده والامور مشتبهة عليه والهوى والشهوة مسلطان عليه
فانه يعمل بشهوته وهواه فيكون من الهالكين ولا يكون في الناس أسوأ حالا
منه قال شماس صدقت فيما قلت وقد قبلت ذلك منك فاخبرني متى يكون العلم
نافعا والعقل لوبال الهوى والشهوة دافعا قال الغلام اذا صرفهما صاحبهما
في طلب الآخرة لان العقل والعلم كليهما نافعان ولكن ليس ينبغي لصاحبهما
أن يصرفهما في طلب الدنيا الا بقدر ما يصيب به قوته منها ويدفع عن نفسه شرها
ويصرفهما في عمل الآخرة قال فاخبرني ما أحق أن يلزم الانسان ويشغل به قلبه
قال العمل الصالح قال فاذا فعل الرجل ذلك شغله عن معاشه فكيف يفعل في المعيشة
التي لا بد له منها قال الغلام ان نهاره أربعة وعشرون ساعة فينبغي له أن يجعل
منها جزأ واحدا في طلب المعيشة وجزأ واحدا للدعة والراحة ويصرف الباقي
في طلب العلم لان الانسان اذا كان عاقلا وليس عنده علم فانما هو كالارض الجدبة
التي ليس فيها موضع للعمل والغرس والنبات فاذا لم تهيأ للعمل وتغرس لا ينفع فيها
ثمر واذا هيئت للعمل وغرست أنبتت ثمرا حسنا كذلك الانسان بغير علم لا نفع به
حتى يغرس فيه العلم فاذا غرس فيه العلم أثمر قال شماس فاخبرني عن العلم بغير
عقل ما شأنه قال كعلم البهيمة التي تعلمت أوان مطعمها ومشربها وأوان يقظتها ولا
عقل لها قال شماس قد أوجزت في الاجابة عن ذلك ولكن قد قبلت منك هذا
الكلام فاخبرني كيف ينبغي أن أتوقى السلطان قال الغلام لا تجعل له عليك سبيلا
قال وكيف أستطيع أن لا أجعل له علي سبيلا وهو مسلط علي وزمام أمري بيده
قال الغلام انما سلطانه عليك بحقوقه التي قبلك فاذا أعطيته حقه فلا سلطان له
عليك قال شماس ما حق الملك على الوزير قال النصيحة والاجتهاد في السر
والعلانية والرأي السديد وكتم سره وأن لا يخفي عنه شيأ مما هو حقيق بالاطلاع
عليه وقلة الغفلة عما قلده اياه من قضاء حوائجه وطلب رضاه بكل وجه واجتناب

سخطه عليه قال شماس فاخبرني ما الذي يفعله الوزير مع الملك قال الغلام اذا كنت وزير الملك وأحببت أن تسلم منه فليكن سمعك وكلامك له فوق ما يؤمّله منك ولكن طلبك منه الحاجة على قدر منزلتك عنده واحذر أن تنزل نفسك منزلة لم يرك لها أهلا فيكون ذلك منك مثل الجراءة عليه فاذا اغتررت بحلمه ونزلت نفسك منزلة لم يرك لها أهلا تكون مثل الصياد الذي يصطاد الوحوش فيسلخ جلودها لحاجته اليها ويطرح لحومها فجعل الاسد يأتي الى ذلك المكان فيأكل من تلك الجيفة فلما كثر تردده الى ذلك المحل استأنس بالصياد وألفه وأقبل الصياد يرمي اليه ويمسح بيده على ظهره وهو يلعب بذيله فعندما رأى الصياد سكون الاسد له واستئناسه به وتذلله اليه قال في نفسه ان هذا الاسد قد خضع الي وملكته وما أرى الا اني أركبه وأسلخ جلده مثل غيره من الوحوش فتجاسر الصياد ووثب على ظهر الاسد وطمع فيه فلما رأى الاسد ما صنع الصياد غضب غضبا شديدا ثم رفع يده وضرب الصياد فدخلت مخالبه في امعائه ثم طرحه تحت قوائمه ومزقه تمزيقا فمن ذلك علمت انه ينبغي للوزير أن يكون عند الملك على حسب ما يرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رأيه فيتغير الملك عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الغلام ابن الملك جليعاد قال لشماس الوزير ينبغي للوزير أن يكون عند الملك على حسب ما يرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رأيه فيتغير الملك عليه قال شماس فاخبرني ما الذي يتزين به الوزير عند الملك قال الغلام أداء الامانة التي فوض اليه أمرها من النصيحة وسداد الرأي وتنفيذه لاوامره قال له شماس اما ما ذكرت من أن حق الملك على الوزير أن يجتنب سخطه ويفعل ما يقتضي رضاه ويهتم بما قلده اياه فانه أمر واجب ولكن أخبرني ما الحيلة اذا كان الملك انما رضاه بالجور وارتكاب الظلم والعسف فما حيلة الوزير اذا هو ابتلي بعشرة ذلك الملك الجائر فانه ان اراد أن يصرفه عن هواه وشهوته ورأيه لا يقدر على ذلك وان هو تابعه على هواه وحسن له رأيه حمل وزر ذلك وصار للرعية عدوا فما تقول في هذا فاجاب الغلام قائلا ان ما ذكرت أيها الوزير من الوزر والاثم انما هو اذا تابعه على ما ارتكبه من الخطا ولكن يجب على الوزير اذا شاوره الملك في مثل هذا أن يبين له طريق العدل والانصاف ويحذره من الجور والاعتساف ويعرفه حسن السيرة في الرعية ويرغبه فيما في ذلك من الثواب ويحذره

عما يلزمه من العقاب فان مال وعطف الى كلامه حصل المراد والافلاحيلة له الا بمفارقته اياه بطريقة لطيفة لان فى المفارقة لكل واحد منهما الراحة قال الوزير فاخبرنى ما حق الملك على الرعية وما حق الرعية على الملك قال الذى يأمرهم به يعملونه بنية خالصة ويطيعونه فيما يرضيه ويرضى الله ورسوله وحق الرعية على الملك حفظ أموالهم وصون حريمهم كما أن للملك على الرعية السمع والطاعة وبذل الانفس دونه واعطاءه واجب حقه وحسن الثناء عليه بما أولاهم من عدله واحسانه قال شماس قد بينت لى ماسألتك عنه من حق الملك والرعية فاخبرنى هل بقى للرعية شئ على الملك غير ماقلت قال الغلام نعم حق الرعية على الملك أوجب من حق الملك على الرعية وهو أن ضياع حقهم عليه اضر من ضياع حقه عليهم لانه لا يكون هلاك الملك وزوال ملكه ونعمته الا من ضياع حق الرعية فمن تولى ملكا يجب عليه أن يلازم ثلاثة أشياء وهى اصلاح الدين واصلاح الرعية واصلاح السياسة فبملازمة هذه الثلاثة يدوم ملكه قال فاخبرنى كيف ينبغى أن يستقيم فى اصلاح الرعية قال باداء حقهم واقامة سننهم واستعمال العلماء والحكماء لتعليمهم وانصاف بعضهم من بعض وحقن دمائهم والكف عن أموالهم وتخفيف الثقل عنهم وتقوية جيوشهم قال فاخبرنى ما حق الوزير على الملك قال الغلام ليس على الملك حق لاحد من الناس أوجب من الحق الواجب عليه للوزير لثلاث خصال الاولى للذى يصيبه معه عند خطأ الرأى والانتفاع العام للملك والرعية عند سداد الرأى والثانية ليعلم الناس حسن منزلة الوزير عند الملك فتنظر اليه الرعية بعين الاجلال والتوقير وخفض الجناح والثالثة أن الوزير اذا شاهد ذلك من الملك والرعية دفع عنهم ما يكرهونه ووفى لهم بما يحبونه قال شماس قد سمعت جميع ما قلته لى من صفات الملك والوزير والرعية وقبلته منك فاخبرنى ما ينبغى لحفظ اللسان عن الكذب والسفاهة وسب العرض والافراط فى الكلام قال الغلام ينبغى للانسان أن لا يتكلم الا بالخير والحسنات ولا ينطق فى شأن ما لا يعنيه ويترك النميمة ولا ينقل عن أحد حديثا سمعه منه لعدوه ولا يطالب لصديقه ولا لعدوه ضرورة عند سلطانه ولا يعبأ بمن يرتجى خيره ويتقى شره الا الله تعالى لانه هو الضار النافع على الحقيقة ولا يذكر لاحد عيبا ولا يتكلم بجهل لئلا يلزمه الوزر والاثم من الله والبغض بين الناس واعلم أن الكلام مثل السهم اذا انفذ لا يقدر أحد على رده وليحذر أن يودع سره عند من يفشيه فربما يقع فى ضرر افشائه بعد أن يكون على ثقة من الكتمان وأن يكون مخفيا لسره من صديقه اكثر من اخفائه عن عدوه

فان كتمان السر عند جميع الناس من اداء الامانة قال شماس فاخبرني عن حسن الخلق مع الاهل والاقارب قال الغلام انه لا راحة لابن آدم الا بحسن الخلق ولكن ينبغي أن يصرف الى الاهل ما يستحقونه والى اخوانه ما يجب لهم قال فاخبرني ما الذي يجب أن يصرفه الى الاهل قال أما الذي يصرفه للوالدين فخفض الجناح وحلاوة اللسان ولين الجانب والاكرام والوقار وأما الذي يصرفه للاخوان فالنصيحة وبذل المال ومساعدتهم على اسبابهم والفرح لفرحهم والاغضاء عما يقع منهم من الهفوات فاذا عرفوا منه ذلك قابلوه باعز ما عندهم من النصيحة وبذلوا الانفس دونه فاذا كنت من أخيك على ثقة فابذل له ودك وكن مساعدا له على جميع أموره وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام ابن الملك جليعاد لما سأله الوزير شماس عن المسائل المتقدمة ورد له أجوبتها قال له الوزير شماس اني أرى الاخوان صنفين اخوان ثقة واخوان معاشرة أما اخوان الثقة فانه يجب لهم ما وصفت فاسألك عن غيرهم من اخوان المعاشرة قال الغلام أما اخوان المعاشرة فانك تصيب منهم لذة وحسن خلق وحلاوة لفظ وحسن معاشرة فلا تقطع منهم لذاتك بل ابذل لهم مثل ما يبذلونه لك وعاملهم بمثل ما يعاملونك به من طلاقة الوجه وعذوبة اللسان فيطيب عيشك ويكون كلامك مقبولا عندهم قال شماس قد عرفنا هذه الامور كلها فاخبرني عن الارزاق المقدرة للخلق من الخالق هل هي مقسومة بين الناس والحيوان لكل واحد رزق الى تمام أجله واذا كان الامر كذلك ما الذي يحمل طالب المعيشة على ارتكاب المشقة في طلب ما عرف انه ان كان مقدرا له فلا بد من حصوله وان لم يرتكب مشقة السعي وان لم يكن مقدرا له فلا يتحصل له ولو سعى اليه غاية السعي فهل يترك السعي ويكون على ربه متوكلا ولجسده ونفسه مريحا قال الغلام انا قد رأينا أن لكل أحد رزقا مقسوما وأجلا محتوما ولكن لكل رزق طريق واسباب فصاحب الطلب يصيب في طلبه الراحة بترك الطلب ومع ذلك لا بد من طلب الرزق غير أن الطالب على ضربين اما أن يصيب واما أن يحرم فراحة المصيب في الحالتين اصابة رزقه وكون عاقبة طلبه حميدة وراحة المحروم في ثلاث خصال الاستعداد لطلب رزقه والتنزه عن أن يكون كلا على الناس والخروج عن عهدة الملامة قال شماس أخبرني عن باب طلب المعيشة قال الغلام

يستحل الانسان ما أحله الله ويحرم ما حرمه الله عز وجل وانقطع بينهما الكلام لما
وصلا الى هذا الحد ثم قام شماس هو ومن حضر من العلماء وسجدوا للغلام وعظموه
وبجلوه وضمه أبوه الى صدره ثم بعد ذلك أجلسه على سرير الملك وقال الحمد لله الذى
رزقنى ولدا تقر به عيناى فى حياتى ثم قال الغلام لشماس ومن حضر من العلماء أيها
العالم صاحب المسائل الروحانية ان لم يكن فتح الله على من العلم الا بشئ قليل فانى
قد فهمت قصدك فى قبولك منى ما أتيت به جوابا عما سألتنى سواء كنت فيه مصيبا
أو مخطئا ولعلك صفحت عن خطئه وأنا أريد أن سألك عن شئ عجز عنه رأيى وضاق
منه ذرعى وكل عن وصفه لسانى لانه اشكل على اشكال الماء الصافى
فى الاناء الاسود فاحب منك أن تشرحه لى حتى لا يكون شئ منه مبهما على مثلى
فيما يستقبل مثل ابهامه على فيما مضى لان الله كما جعل الحياة بالماء والقوة بالطعام
وشفاء المريض بمداواة الطبيب جعل شفاء الجاهل بعلم العالم فانصت الى كلامى
قال شماس أيها المضئ العقل صاحب المسائل الصالحة ومن شهد له العلماء كلهم
بالفضل لحسن تفضيلك للاشياء وتقسيمك اياها وحسن اصابتك فى اجابتك عما
سألتك عنه قد علمت انك لست تسألنى عن شئ الا وأنت فى تأويله اصوب رأيا
وأصدق مقالا لان الله قد آتاك من العلم ما لم يؤت أحدا من الناس فاخبرنى عن هذه
الاشياء التى تريد أن تسألنى عنها قال الغلام أخبرنى عن الخالق جلت قدرته من
أى الاشياء خلق الخلق ولم يكن قبل ذلك شئ وليس يرى فى هذه الدنيا شئ الا وهو
مخلوق من شئ والبارى تبارك وتعالى قادر على أن يخلق الاشياء من لا شئ ولكن
اقتضت ارادته مع كمال القدرة والعظمة أنه لم يخلق شيأ الا من شئ قال الوزير شماس
أما صناع الآلات من الفخار وغيره من الصنائع لا يقدرون على ابتداع شئ الا من
شئ اذ هم مخلوقون وأما الخالق الذى صنع العالم بهذه الصنعة العجيبة فان شئت
أن تعرف قدرته تبارك وتعالى على ايجاد الاشياء فأطل الفكر فى اصناف الخلق
فانك ستجد آيات وعلامات دالة على كمال قدرته وانه قادر على أن يخلق الاشياء من
لا شئ بل أوجدها بعد العدم المحض لان العناصر التى هى مادة الاشياء كانت عدما
محضا وقد أوضحت لك ذلك حتى لا تكون فى شك منه ويبين لك ذلك اية الليل والنهار
فانهما يتعاقبان حتى اذا ذهب النهار وجاء الليل خفى علينا النهار ولم نعرف له مقرا
واذا ذهب الليل بظلمته ووحشته جاء النهار ولم نعرف لليل مقرا واذا اشرقت علينا
الشمس لا نعرف أين يطوى نورها واذا غربت لم نعرف مستقر غروبها وامثال ذلك
من افعال الخالق عز اسمه وجلت قدرته كثير مما يحير افكار الاذكياء من الخلائق

قال

قال الغلام ايها العالم انك عرفتني من قدرة الخالق مالا يستطاع انكاره ولكن أخبرني كيف ايجاده لخلقه قال شماس انما الخلق مخلوقة بكلمته التي هي موجودة قبل الدهر وبها خلق جميع الاشياء قال الغلام ان الله تعاظم اسمه وارتفعت قدرته انما اراد ايجاد الخلق قبل وجودهم قال شماس وبارادته خلقهم بكلمته فلولا أن له نطقا وأظهر كلمة لم تكن الخليقة موجودة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام لما سأل شماسا عن المسائل المتقدمة اجابه عنها ثم قال له يا بني انه لا يخبرك أحد من الناس بغير ما قلته الا بتحريف الكلام الوارد في الشرائع عن موضعه وصرف الحقائق عن وجوهها ومن ذلك قولهم ان الكلمة لها استطاعة اعوذ بالله من هذه العقيدة بل قولنا في الله عز وجل انه خلق الخلق بكلمته معناه انه تعالى واحد في ذاته وصفاته وليس معناه أن كلمة الله لها قدرة بل القدرة صفة لله كما أن الكلام وغيره من صفات الكمال صفات لله تعالى شأنه وعز سلطانه فلا يوصف هو دون كلمته ولا توصف كلمته دونه فالله جل ثناؤه خلق بكلمته جميع خلقه وبغير كلمته لم يخلق شيا وانما خلق الاشياء بكلمته الحق فبالحق نحن مخلوقون قال الغلام قد فهمت من أمر الخالق وعزة كلمته ماذكرت وقبلت ذلك منك بفهم ولكني سمعتك تقول انما خلق الخلق بكلمته الحق والحق ضد الباطل فمن أين عرض الباطل وكيف يمكن عروضه للحق حتى يشتبه به ويلتبس على المخلوقين فيحتاجون الى الفصل بينهما وهل الخالق عز وجل محب لهذا الباطل أم مبغض له فان قلت انه محب للحق وبه خلق خلقه ومبغض للباطل فمن أين دخل هذا الذي يبغضه الخالق على ما يحبه وهو الحق قال شماس ان الله لما خلق الانسان بالحق ولم يكن الانسان محتاجا الى توبة حتى دخل الباطل على الحق الذي هو مخلوق به بسبب الاستطاعة التي جعلها الله في الانسان وهي الارادة والميل المسمى بالكسب فلما دخل الباطل على الحق بهذا الاعتبار التبس الباطل بالحق بسبب ارادة الانسان واستطاعته والكسب الذي هو الجزء الاختياري مع ضعف طبيعة الانسان فخلق الله له التوبة لتصرف عنه ذلك الباطل وتثبته على الحق وخلق له العقوبة ان هو اقام على ملابسة الباطل قال الغلام فاخبرني ما سبب عروض هذا الباطل للحق حتى التبس به وكيف وجبت العقوبة على الانسان حتى احتاج الى

التوبة قال شماس ان الله لما خلق الانسان بالحق جعله محبا له ولم يكن له عقوبة ولا توبة واستمر كذلك حتى ركب الله فيه النفس التى هى من كمال الانسانية مع ما هى مطبوعة عليه من الميل الى الشهوات فنشأ من ذلك عروض الباطل والتباسه بالحق الذى خلق الانسان به وطبع على حبه فلما صار الانسان الى هذه الغاية زاغ عن الحق بالمعصية ومن زاغ عن الحق انما يقع فى الباطل قال الغلام ان الحق انما دخل عليه الباطل بالمعصية والمخالفة قال شماس وهو كذلك لان الله يحب الانسان ومن زيادة محبته له خلق الانسان محتاجا اليه وذلك هو الحق بعينه ولكن ربما استرخى الانسان عن ذلك بسبب ميل النفس الى الشهوات ومال الى الخلاف فصار الى ذلك الباطل بالمعصية التى بها عصى ربه فاستوجب العقوبة وبازاحة الباطل عنه بتوبته ورجوعه الى محبة الحق استوجب الثواب قال الغلام أخبرنى عن مبدا المخالفة مع أن الخلق مرجعهم جميعا الى آدم وقد خلقه الله بالحق فكيف جلب المعصية لنفسه ثم قرنت معصيته بالتوبة بعد تركيب النفس فيه ليكون عاقبته الثواب أو العقاب ونحن نرى بعض الخلق مقيما على المخالفة مائلا الى ما لا يحبه مخالفا لمقتضى أصل خلقته من حب الحق مستوجبا السخط ربه عليه ونرى بعضهم مقيما على رضا خالقه وطاعته مستوجبا للرحمة والثواب فما سبب الاختلاف الحاصل بينهم قال شماس ان اول نزول هذه المعصية بالخلق انما كان بسبب ابليس الذى كان أشرف ما خلق الله جل اسمه من الملائكة والانس والجن وكان مطبوعا على المحبة لا يعرف غيرها فلما انفرد بهذا الامر داخله العجب والعظمة والتجبر والتكبر عن الايمان والطاعة لامر خالقه فجعله الله دون الخلائق جميعهم وأخرجه من المحبة وصير مثواه الى نفسه فى المعصية فحين علم ان الله جل اسمه لا يحب المعصية ورأى آدم وما هو فيه من ذلك الحق والمحبة والطاعة لخالقه داخله الحسد فاستعمل الحيلة فى صرفه لآدم عن الحق ليكون مشتركا معه فى الباطل فلزم آدم العقوبة لميله الى المعصية التى زينها له عدوه وانقياده الى هواه حيث خالف وصية ربه بسبب عروض الباطل ولما علم الخالق جل ثناؤه وتقدست اسماؤه ضعف الانسان وسرعة ميله الى عدوه وتركه الحق جعل له الخالق برحمته التوبة لينهض بها من ورطة الميل الى المعصية ويحمل سلاح التوبة فيقهر به عدوه ابليس وجنوده ويرجع الى الحق الذى هو مطبوع عليه فلما نظر ابليس ان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه قد جعل له امدا ممتدا بادر الى الانسان بالمحاربة وادخل عليه الحيل ليخرجه من نعمة ربه ويجعله شريكا له فى السخط الذى استوجبه هو

وجنوده

وجنوده فجعل الله جل ثناؤه للانسان استطاعة للتوبة وامره أن يلزم الحق ويداوم
عليه ونهاه عن المعصية والخلاف وألهمه ان له على الارض عدوا محاربا لا يفتر عنه
ليله ولا نهاره فبذلك استحق الانسان ثوابا ان لازم الحق الذي جبلت طبيعته على
حبه وعقابا ان غلبته نفسه ومالت به الى الشهوات وأدرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام لما سأل شماسا عن المسائل المتقدمة
وأجابه عنها قال له بعد ذلك أخبرني بأي قوة استطاع الخلق أن يخالفوا خالقهم وهو
في غاية العظمة كما وصفت مع أنه لا يقهره شيء ولا يخرج عن ارادته ألا ترى انه قادر
على صرف خلقه عن هذه المعصية والزامهم المحبة دائما قال شماس ان الله تعالى
جل اسمه عادل منصف رؤف باهل محبته قد بين لهم طريق الخير ومنحهم الاستطاعة
والقدرة على فعل ما أرادوا من الخير فان عملوا بخلاف ذلك صاروا في الهلاك
والمعصية قال الغلام اذا كان الخالق هو الذي منحهم الاستطاعة وهم بسببها
قادرون على فعل ما أرادوا فلاي شيء لم يحل بينهم وبين ما يريدون من الباطل حتى
يردهم الى الحق قال شماس ذلك لعظيم رحمته وباهر حكمته لانه كما سبق منه لابليس
السخط ولم يرحمه كذلك سبقت منه لآدم الرحمة بالتوبة فرضي عنه بعد سخطه عليه
قال الغلام هذا هو الحق بعينه لانه هو المجازي لكل أحد على عمله وليس خالق غير
الله له القدرة على كل شيء ثم قال الغلام هل خلق الله ما يحب وما لا يحب أو انما خلق
ما يحب لا غيره قال شماس قد خلق كل شيء ولم يرض الا ما يحب قال الغلام ما بال
هذين الشيئين أحدهما يرضي الله ويوجب الثواب لصاحبه والآخر يغضب الله
فيحل العذاب لصاحبه قال شماس بين لي هذين الامرين وفهمنيهما حتى اتكلم
في شأنهما قال الغلام هما الخير والشر المركبان في الجسم والروح قال شماس
أيها العاقل أراك قد علمت أن الخير والشر من الاعمال التي يعملها الجسد والروح
فسمي الخير منهما خيرا لكونه فيه رضا الله وسمي الشر شرا لكونه فيه سخط الله
وقد وجب عليك أن تعرف الله وترضيه بفعل الخير لانه أمرنا بذلك ونهانا عن فعل
الشر قال الغلام اني أرى هذين الشيئين اعني الخير والشر انما يعملهما الحواس
الخمس المعروفة في جسد الانسان وهي محل الذوق الناشئ عنه الكلام والسمع
والبصر والشم واللمس فأحب أن تعرفني هل هذه الحواس الخمس خلقت للخير

جميعا أم للشر قال شماس افهم أيها الانسان بيان ما سألت عنه وهو الحجة الواضحة
وضعها في ذهنك وأشربها قلبك وهو أن الخالق تبارك وتعالى خلق الانسان بالحق
وطبعه على حبه ولم يصدر عنه مخلوق الا بالقدرة العلية المؤثرة في كل حادث
ولا ينسب تبارك وتعالى الا الى الحكم بالعدل والانصاف والاحسان وقد خلق
الانسان لمحبته وركب فيه النفس المطبوعة على الميل الى الشهوات وجعل له
الاستطاعة وجعل هذه الحواس الخمس سببا للنعيم أو الجحيم قال الغلام وكيف ذلك
قال شماس لانه خلق اللسان للنطق واليدين للعمل والرجلين للمشى والبصر للنظر
والاذنين للسماع وقد أعطى كل واحدة من هذه الحواس استطاعة وهيجها على
العمل والحركة وأمر كل واحدة منها أن لا تعمل الا برضاه والذى يرضيه من النطق
الصدق وترك ما هو ضده الذى هو الكذب ومما يرضيه من البصر صرف النظر الى
ما يحبه الله وترك ضده وهو صرف النظر الى ما يكرهه الله كالنظر الى الشهوات
ومما يرضيه من السمع أن لا يستمع الا الى الحق كالموعظة وما فى كتب الله وترك ضده
وهو أن يسمع ما يوجب سخط الله ومما يرضيه من اليدين أن لا يقبضا ما خولهما
الله بل يصرفاه على وجه يرضيه وترك ضده وهو الامساك أو صرف ما خولهما الله
فى معصية ومما يرضيه من الرجلين أن يكون سعيهما فى الخير كقصد التعليم وترك
ضده وهو أن يمشيا فى غير سبيل الله وما سوى ذلك من الشهوات التى يعملها
الانسان فانه يصدر من الجسد بأمر الروح ثم الشهوة التى تصدر من الجسد نوعان
شهوة التناسل وشهوة البطن فالذى يرضى الله من شهوة التناسل أنها لا تكون
الا حلالا ويسخطه أن تكون حراما وأما شهوة البطن فالاكل والشرب والذى يرضى
الله من ذلك أن لا يتعاطى منه كل أحد الا ما أحله الله له قليلا كان أو كثيرا ويحمد
الله ويشكره والذى يغضب الله منه أن يتناول ما ليس له بحق وما سوى ذلك من هذه
الاحكام باطل وقد علمت ان الله خلق كل شئ ولا يرضى الا بالخير وأمر كل عضو
من اعضاء الجسد ان يفعل ما أوجبه عليه لانه هو العليم الحكيم قال الغلام فاخبرنى
هل سبق فى علم الله جلت قدرته أن آدم يأكل من الشجرة التى نهاه الله عنها
حتى كان من أمره ما كان وبذلك خرج من الطاعة الى المعصية قال شماس نعم أيها
العالم قد سبق ذلك فى علم الله تعالى قبل أن يخلق آدم وبيان ذلك ودليله ما تقدم له
من التحذير عن الاكل واعلامه بانه اذا أكل منها يكون عاصيا وذلك من
طريق العدل والانصاف لئلا يكون لآدم حجة يحتج بها على ربه فلما أن سقط فى الورطة
والهفوة وعظمت عليه المعيرة والمعتبة جرى ذلك فى نسله من بعده فبعث الله تعالى

الانبياء والرسل واعطاهم كتباً فأعلمونا بالشرائع وبينوا لنا ما فيها من المواعظ والاحكام وفصلوه لنا واوضحوا لنا السبيل الموصل وبينوا لنا ما يجب أن نفعله وما يجب أن نتركه فنحن مسلطون بالاستطاعة فمن عمل بهذه الحدود فقد أصاب وربح ومن تعدى هذه الحدود وعمل بغير هذه الوصايا فقد خالف وخسر فى الدارين وهذه سبيل الخير والشر فقد علمت أن الله قادر على جميع الاشياء وما خلق الشهوات لنا الا برضاه وارادته وأمرنا أن نأخذها على وجه الحلال لتكون لنا خيراً واذا استعملناها على وجه الحرام فانها تكون لنا شراً فما اصابنا من حسنة فمن الله تعالى وما أصابنا من سيئة فمن أنفسنا معاشر المخلوقين لا من الخالق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الغلام ابن الملك جليعاد لما سأل الوزير شماسا عن هذه المسائل ورد له أجوبتها قال له ما وصفته لى مما ينسب الى الله تعالى ومما ينسب الى خلقه قد فهمته فأخبرنى عن هذا الامر الذى حير عقلى فرط التعجب منه فانى تعجبت من ولد آدم وغفلتهم عن الآخرة وتركهم الذكرى لها ومحبتهم للدنيا وقد علموا أنهم يتركونها ويخرجون منها وهم صاغرون قال شماس نعم فان الذى تراه من تغيرها وغدرها بأهلها دليل أنه لا يدوم لصاحب النعيم نعيمه ولا لصاحب البلاء بلاؤه فليس يأمن صاحبها تغيرها وان كان قادراً عليها ومغتبطاً بها فلا بد أن يتغير حاله ويسرع اليه الانتقال وليس الانسان منها على ثقة ولا ينتفع بما هو فيه من زخرفها وحيث عرفنا ذلك عرفنا أن اسوأ الناس حالاً من اغتربها وسهى عن الآخرة وأن ذلك النعيم الذى قد أصابه لا يعادل ذلك الخوف والمشقة والأهوال التى تحصل له بعد الانتقال منها وعلمنا أنه لو كان العبد يعلم ما يصيبه عند حضور الموت وفراقه ما هو فيه من اللذات والنعيم لرفض الدنيا وما فيها وتيقنا أن الآخرة خير لنا وأنفع قال الغلام أيها العالم قد زالت هذه الظلمة التى كانت على قلبى بمصباحك المضىء وارشدتنى الى السبيل التى سلكتها من اتباع الحق واعطيتنى سراجاً أنظر به فعند ذلك قام أحد الحكماء الذين كانوا بالحضرة وقال انه اذا كان زمان الربيع فلا بد أن يطلب الارنب مع الفيل مرعى وقد سمعت منكما من المسائل والتفاسير ما لم أرانى اسمعه ابداً فدعانى ذلك الى أن أسألكما عن شئ فاخبرانى ما خير مواهب الدنيا قال الغلام صحة الجسم ورزق حلال وولد صالح قال فاخبرانى

ما الكبير وما الصغير قال الغلام أما الكبير فهو ماء نزله اصغر منه وأما الصغير فهو
ماء صبر لا كبر منه قال فاخبرني ما الاربعة أشياء التي تجتمع الخلائق فيها قال الغلام
تجتمع الخلائق في الطعام والشراب ولذة النوم وشهوة النساء وفي سكرات الموت
قال فما الثلاثة أشياء التي لا يقدر أحد على تنحية القباحة عنها قال الغلام الحماقة
وخسة الطبع والكذب قال فأي الكذب أحسن مع انه كله قبيح قال الغلام الكذب
الذي يضع عن صاحبه الضرر ويجر نفعا قال وأي الصدق قبيح وان كان كله حسنا
قال الغلام كبر الانسان بما عنده واعجابه به قال وما أقبح القبيح قال الغلام اذا
اعجب الانسان بما ليس عنده قال فأي الرجال أحمق قال الغلام من كان ليس له همة
الا في شيء يضعه في بطنه قال شماس أيها الملك أنت ملكنا ولكن نحب أن تعهد
لولدك بالملك من بعدك ونحن الخول والرعية فعند ذلك حث الملك من حضر من العلماء
والناس على أن ما سمعوه منه يحفظونه ويعملون به وأمرهم أن يمتثلوا أمر ابنه فانه
جعله ولي عهده من بعده ليكون خليفة على ملك والده واخذ العهد على جميع أهل
مملكته من العلماء والشجعان والشيوخ والصبيان وبقية الناس أن لا يخالفوا
عليه ولا ينكثوا عليه أمره فلما أتى على ابن الملك سبع عشرة سنة مرض الملك مرضا
شديدا حتى أشرف على الموت فلما أيقن الملك أن الموت قد نزل به قال لاهله هذا داء
الموت قد نزل بي فادعوا الي أقاربي وولدي واجمعوا الي أهل مملكتي حتى لا يبقى منهم
أحد الا ويحضر فخرجوا ونادوا الناس القريبين وجهروا بالنداء للناس البعيدين
حتى حضروا بأجمعهم ودخلوا على الملك ثم قالوا له كيف أنت أيها الملك وكيف
ترى لنفسك من مرضك هذا قال لهم الملك ان مرضي هذا هو الذي فيه القاضية
وقد نفذ السهم بما قدره الله تعالى علي وأنا الآن في آخر يوم من أيام الدنيا وأول
يوم من أيام الآخرة ثم قال لابنه ادن مني فدنا منه الغلام وهو يبكي بكاء شديدا حتى
كاد أن يبل فراشه والملك قد دمعت عيناه وبكى كل من حضر ثم قال الملك لولده
لا تبك يا ابني فاني لست باول من جرى له هذا المحتوم لانه جار على جميع ما خلقه
الله فاتق الله واعمل خيرا يسبقك الى الموضع الذي تقصده جميع الخلائق ولا تطع
الهوى واشغل نفسك بذكر الله في قيامك وقعودك ويقظتك ونومك واجعل
الحق نصب عينك وهذا آخر كلامي معك والسلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك جلعاد لما أوصى ولده بهذه الوصية وعهد
له بالملك من بعده قال الغلام لأبيه قد علمت يا أبتى انى لم أزل لك مطيعا ولوصيتك
حافظا ولامرك منفذا ولرضاك طالبا وأنت لى نعم الاب فكيف أخرج بعد موتك
عما ترضى به وأنت بعد حسن تربيتى مفارق لى ولا أقدر على رد ذلك على فاذا حفظت
وصيتك صرت بها سعيدا وصار لى النصيب الاكبر فقال له الملك وهو فى غاية
الاستغراق من سكرات الموت يا بنى الزم عشر خصال ينفعك الله بها فى الدنيا
والآخرة وهن اذا اغتظت فاكظم غيظك واذا بليت فاصبر واذا نطقت فاصدق
واذا وعدت فأوف واذا حكمت فاعدل واذا قدرت فاعف واكرم قوادك واصفح
عن أعدائك وابذل معروفك لعدوك وكف أذاك عنه والزم أيضا عشر خصال
أخرى ينفعك الله بها فى أهل مملكتك وهى اذا قسمت فاعدل واذا عاقبت بحق
فلا تجر واذا عاهدت فاوف بعهدك واقبل النصح واترك اللجاجة وألزم الرعية
بالاستقامة على الشرائع والسنن الحميدة وكن حاكما عادلا بين الناس حتى يحبك
كبيرهم وصغيرهم ويخافك عاتيهم ومفسدهم ثم قال للحاضرين من العلماء
والامراء الذين كانوا حاضرين عهده لولده بالملك من بعده اياكم ومخالفة أمر
ملككم وترك الاستماع لكبيركم فان فى ذلك هلاكا لارضكم وتفريقا لجمعكم وضررا
لابدانكم وتلفا لاموالكم فتشمت بكم أعداؤكم وها أنتم علمتم ما عاهدتمونى عليه
فهكذا يكون عهدكم مع هذا الغلام والميثاق الذى بينى وبينكم يكون أيضا بينكم
وبينه وعليكم بالسمع والطاعة لامره لان فى ذلك صلاح احوالكم واثبتوا معه على
ما كنتم معى فتستقيم أموركم ويحسن حالكم وها هو ذا ملككم وولى نعمتكم
والسلام ثم بعد هذا اشتدت به سكرات الموت واتجم لسانه فضم ابنه اليه وقبله
وشكر الله ثم قضى نحبه وطلعت روحه فناح عليه جميع رعيته وأهل مملكته ثم انهم
كفنوه ودفنوه باكرام وتبجيل واعظام ثم رجعوا والغلام معهم فألبسوه حلة الملك
وتوجوه بتاج والده وألبسوه الخاتم فى اصبعه وأجلسوه على سرير الملك فسار
الغلام فيهم بسيرة أبيه من الحكم والعدل والاحسان مدة يسيرة ثم تعرضت له
الدنيا وجذبته بشهواتها فاستغنم لذاتها وأقبل على زخارف أمورها وترك ما كان
قلده أبوه من المواثيق ونبذ الطاعة لوالده وأهمل مملكته ومشى فيما فيه هلاكه
واشتد به حب النساء فصار لا يسمع بامرأة حسناء الا ويرسل اليها ويتزوج بها فجمع
من النساء عددا أكثر مما جمع سليمان بن داود ملك بنى اسرائيل وصار يختلى كل
يوم بطائفة منهن ويستمر مع من يختلى بهن شهرا كاملا لا يخرج من عندهن

لا يسأل عن مملكته ولا عن حكمه ولا ينظر فى مظلمة من يشكو اليه من رعيته واذا
كاتبوه فلا يرد لهم جوابا فلما رأوا منه ذلك وعاينوا ما هو منطو عليه من ترك النظر
فى أمورهم واهماله لامور دولته وأمور رعيته تحققوا انهم عن قليل يحل بهم البلاء
فشق ذلك عليهم وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون فقال بعضهم لبعض امشوا بنا
الى شماس كبير وزرائه نقص عليه أمرنا ونعرفه ما يكون من أمر هذا الملك لينصحه
والا فعن قليل يحل بنا البلاء فان هذا الملك قد أدهشته الدنيا بلذاتها وختنته
بأشطانها فقاموا وأتوا شماسا وقالوا له أيها العالم الحكيم ان هذا الملك قد
أدهشته الدنيا بلذاتها وختنته بأشطانها فاقبل على الباطل وسعى فى فساد
مملكته وبفساد المملكة تفسد العامة ويصير أمرنا الى الهلاك وسببه انا نمكث
شهرا وأياما لا نراه ولا يبرز الينا من عنده أمر لا للوزير ولا لغيره ولا يمكن أن ترتفع
اليه حاجة ولا ينظر فى حكومة ولا يتعهد حال أحد من رعيته لغفلته عنهم وانا قد
أتينا اليك لنخبرك بحقيقة الامور لانك أكبرنا وأكمل منا وليس ينبغى أن يكون
بلاء فى أرض أنت مقيم بها لانك أقدر أحد على اصلاح هذا الملك فانطلق وكلمه لعله
يقبل كلامك ويرجع الى الله فقام شماس ومضى الى حيث اجتمع بمن يمكنه الوصول
اليه وقال له أيها الولد الجيد أسألك أن تستأذن لى فى الدخول للملك لان عندى
أمرا أريد أن أنظر وجهه وأخبره به وأسمع ما يجيبنى به عنه فاجاب الغلام قائلا
والله يا سيدى من منذ شهر لم يأذن لاحد فى الدخول عليه ولا أنا فطول هذه المدة
ما رأيت له وجها ولكن أدلك على من يستأذنه لك وهو انك تتعلق بالوصيف الفلانى
الذى يقوم على رأسه ويأخذ له الطعام من المطبخ فاذا خرج الى المطبخ ليأخذ الطعام
اسأله عما بدا لك فانه يفعل لك ما تريد فانطلق شماس الى باب المطبخ وجلس قليلا
واذا بالوصيف قد أقبل وأراد الدخول فى المطبخ فكلمه شماس قائلا له يا بنى أحب
أن أجتمع بالملك لاخبره بكلام يخصه فمن فضلك اذا فرغ من غدائه وطابت نفسه
ان تكلمه لى وتأخذ لى منه اذنا بالدخول عليه لكى أكلمه بما يليق به فقال الوصيف
سمعا وطاعة فلما أخذ الوصيف الطعام وتوجه به الى الملك وأكل منه وطابت نفسه
قال له الوصيف ان شماسا واقف بالباب يريد منك الاذن فى الدخول عليك ليعلمك
بامور تختص بك ففزع الملك وارتاب من ذلك وأمر الوصيف بادخاله عليه وأدرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد التسعمائة

قالت

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما أمر الوصيف بادخال شماس عليه خرج
الوصيف الى شماس ودعاه الى الدخول فلما دخل على الملك خر لله ساجدا وقبل
يدي الملك ودعا له فقال الملك ما أصابك يا شماس حتى طلبت الدخول علي فقال ان
لي مدة لم أر وجه سيدي الملك وقد اشتقت اليك كثيرا فها أنا شاهدت طلعتك وجئت
اليك بكلام أذكره لك أيها الملك المؤيد بكل نعمة فقال له قل ما بدا لك فقال شماس
اعلم أيها الملك ان الله تعالى رزقك من العلم والحكمة على حداثة سنك مالم يرزقه
أحدا من الملوك قبلك وان الله تمم لك ذلك بالملك وان الله يحب انك لا تخرج عما
خولك اياه الى غيره بسبب عصيانك فلا تحاربه بذخائرك بل ينبغي أن تكون لوصاياه
حافظا ولاموره طائعا لاني قد رأيتك منذ أيام قلائل نسيت أباك ووصيته ورفضت
عهده وأضعت نصحه وكلامه وزهدت عدله وأحكامه ولم تذكر نعمة الله عليك ولم
تقيدها بشكره قال الملك وكيف ذلك وما سببه قال شماس سببه انك تركت تعهد
أمور مملكتك وما قلدك الله اياه من أمور رعيتك وأقبلت على النفس فيما حسنته لك
من قليل شهوات الدنيا وقد قيل ان اصلاح الملك والدين والرعية مما ينبغي للملك أن
يحافظ عليه والرأي عندي أيها الملك أن تحسن النظر في عاقبتك فانك تجد السبيل
الواضح الذي فيه النجاة ولا تقبل على اللذة القليلة الفانية الموصلة الى ورطة الهلاك
فيصيبك ما أصاب صياد السمك فقال له الملك وكيف كان ذلك قال شماس
قد بلغني ان صيادا قد أتى الى نهر ليصطاد منه على عادته فلما وصل الى النهر ومشى
على الجسر أبصر سمكة عظيمة فقال في نفسه ليس لي حاجة بالمقام هاهنا فانا أمشي
وأتبع هذه السمكة الى حيث تذهب حتى آخذها وهي تغنيني عن الصيد مدة أيام
فتعرى من ثيابه ونزل خلف السمكة فاخذه جريان الماء الى ان ظفر بالسمكة وقبض
عليها ثم التفت فوجد نفسه بعيدا عن الشاطئ فلما رأى ما قد صنع به جريان الماء
لم يترك السمكة ويرجع بل خاطر بنفسه وقبض عليها بيديه وترك جسده سابحا مع
جريان الماء فما زال يسحبه الماء الى ان رماه في وسط دوامة لا يدخلها أحد ويخلص
منها فصار يصيح ويقول أنقذوا الغريق فأتاه ناس من الحافظين على البحر وقالوا له
ما شانك وما دهاك حتى ألقيت نفسك في هذا الخطر العظيم فقال لهم أنا الذي تركت
السبيل الواضح الذي فيه النجاة وأقبلت على الهوى والهلكة فقالوا يا هذا كيف
تركت سبيل النجاة وأدخلت نفسك في هذه الهلكة وأنت تعرف من قديم انه
ما دخل ههنا أحد وسلم فما الذي منعك عن رمي ما في يدك ونجاة نفسك فكنت
تنقذ روحك ولا تقع في هذا الهلاك الذي لا نجاة منه والآن ليس أحد منا ينقذك

من هذه الهلكة فقطع الرجل الرجاء من حياته وفقد ما كان بيده مما حملته نفسه
عليه وهلك هلاكا عظيما وما ضربت لك أيها الملك هذا المثل الا لاجل أن تدع هذا
الامر الحقير الذي فيه اللهو عن مصالحك وتنظر فيما أنت متقلد من سياسة
رعيتك والقيام بنظام ملكك حتى لا يرى أحد فيك عيبا قال الملك فما الذي تأمرني
به قال شماس اذا كان في غد وأنت بخير وعافية فأئذن للناس في الدخول عليك
وانظر في أحوالهم واعتذر اليهم ثم عدهم من نفسك بالخير وحسن السيرة فقال
الملك يا شماس انك تكلمت بالصواب واني فاعل ما نصحتني به في غد ان شاء الله
تعالى فخرج شماس من عنده وأعلم الناس بكل ما ذكره له فلما أصبح الصباح خرج
الملك من حجابه وأذن للناس في الدخول عليه وصار يعتذر اليهم ووعدهم انه يصنع
لهم ما يحبون فرضوا بذلك وانصرفوا وسار كل واحد الى منزله ثم ان بعض نساء
الملك وكانت أحبهن اليه وأكرمهن عنده قد دخلت عليه فرأته متغير اللون متفكرا
في أموره بسبب ما سمعه من كبير وزرائه فقالت له ما لي أراك أيها الملك قلق
النفس هل تشتكي شيأ فقال لها لا وانما استغرقتني اللذات عن شؤوني فما لي ولهذه
الغفلة عن أحوالي وعن أحوال رعيتي وان استمريت على ذلك فعن قليل يخرج
ملكي عن يدي فاجابته قائلة اني أراك أيها الملك مع عمالك ووزرائك مغشوشا
فانهم انما يريدون نكايتك وكيدك حتى لا تحصل لك من ملكك هذه اللذة ولا تغنم
نعيما ولا راحة بل يريدون أن تقضي عمرك في دفاع المشقة عنهم حتى ان عمرك يفني
بالنصب والتعب وتكون مثل الذي قتل نفسه لاصلاح غيره أو تكون مثل الفتى
واللصوص فقال الملك وكيف كان ذلك فقالت ذكروا ان سبعة من اللصوص خرجوا
ذات يوم يسرقون على عادتهم فمروا على بستان فيه جوز رطب فدخلوا ذلك
البستان واذا هم بولد صغير واقف بينهم فقالوا له يا فتى هل لك أن تدخل معنا هذا
البستان وتطلع هذه الشجرة وتأكل من جوزها كفايتك وترمي لنا منها جوزا
فاجابهم الفتى الى ذلك ودخل معهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الفتى لما أجاب اللصوص ودخل معهم قال بعضهم
لبعض انظروا الى أخفنا وأصغرنا فأصعدوه فقالوا ما نرى فينا ألطف من هذا الفتى
فلما أصعدوه قالوا يا فتى لا تلمس من الشجرة شيأ لئلا يراك أحد فيؤذيك فقال الفتى

وكيف

وكيف أفعل فقالوا له اقعد في وسطها وحرك كل غصن منها تحريكا قويا حتى يتناثر
ما فيه فنلتقطه واذا فرغ ما فيها ونزلت الينا تأخذ نصيبك مما التقطناه فلما صعد الفتى
على الشجرة صار يحرك كل غصن وحده والجوز يتناثر منه واللصوص يجمعونه
فبينما هم كذلك واذا بصاحب الشجرة واقف عندهم وهم على ذلك الحال فقال لهم
ما لكم ولهذه الشجرة فقالوا له لم نأخذ منها شيئا غير اننا مررنا بها فرأينا هذا الولد
فوقها فاعتقدنا انه صاحبها فطلبنا منه أن يطعمنا منها فهز بعض الاغصان حتى
انتثر منها الجوز ونحن ما لنا ذنب فقال صاحب الشجرة للغلام فما تقول أنت فقال
كذب هؤلاء ولكن أنا أقول لك الحق وهو اننا أتينا جميعا الى هنا فأمروني بالصعود
على هذه الشجرة لاهز الاغصان كي ينتثر عليهم الجوز فامتثلت أمرهم فقال صاحب
الشجرة لقد ألقيت نفسك في بلاء عظيم وهل انتفعت بأكل شيء منها فقال الغلام
ما أكلت منها شيئا فقال له صاحب الشجرة لقد علمت الآن حماقتك وجهلك وهو أنك
سعيت في تلف نفسك لاصلاح غيرك ثم قال للصوص ما لي عليكم سبيل امضوا الى
حال سبيلكم وقبض على الولد وعاقبه وهكذا وزراؤك وأهل دولتك يريدون أن
يهلكوك لاصلاح أمرهم ويفعلون بك مثل ما فعل اللصوص بالفتى فقال الملك
حقا ما قلته ولقد صدقت في خبرك فأنا لا أخرج اليهم ولا أترك لذاتي ثم بات مع زوجته
في أرغد عيش الى ان أصبح الصباح فلما أصبح الصباح قام الوزير وجمع أرباب الدولة
مع من حضر معهم من الرعية ثم جاؤا الى باب الملك مستبشرين فرحين فلم يفتح لهم
الباب ولم يخرج اليهم ولم يأذن لهم بالدخول عليه فلما يئسوا من ذلك قالوا لشماس
أيها الوزير الفاضل والحكيم الكامل أما ترى حال هذا الصبي الصغير السن القليل
العقل الذي قد جمع الى ذنوبه الكذب فانظر وعده لك كيف أخلفه ولم يوف بما
وعدوه هذا ذنب يجب أن تضيفه الى ذنوبه ولكن نرجو أن تدخل اليه ثانيا وتنظر
ما السبب في تأخيره ومنعه عن الخروج فانا غير منكرين على طباعه الذميمة مثل هذا
الامر فانه بلغ غاية القساوة ثم ان شماسا توجه اليه ودخل عليه وقال السلام عليك
أيها الملك ما لي أراك قد أقبلت على شيء يسير من اللذة وتركت الامر الكبير
الذي ينبغي الاعتناء به وكنت مثل الذي له ناقة وهو منطو على لبنها فالهاه حسن
لبنها عن ضبط زمامها فأقبل يوما على حلبها ولم يعتن بزمامها فلما أحست الناقة
بترك الزمام جذبت نفسها وطلبت الفضاء فصار الرجل فاقد اللبن والناقة مع
ان ضرر ما لقيه أكثر من نفعه فانظر أيها الملك فيما فيه صلاح نفسك ورعيتك
فانه ليس ينبغي للرجل أن يديم الجلوس على باب المطبخ من أجل حاجته الى الطعام

ولا ينبغى له أن يكثر الجلوس مع النساء من أجل ميله اليهن وكما ان الرجل يكتفى من الطعام مايدفع ألم الجوع ومن الشراب مايدفع ألم العطش كذلك ينبغى للرجل العاقل أن يكتفى من هذه الاربعة والعشرين ساعة بساعتين مع النساء فى كل نهار ويصرف الباقى فى مصالح نفسه وفى مصالح رعيته ولا يطيل المكث مع النساء ولا الخلوة بهن أكثر من ساعتين فان ذلك فيه مضرة لعقله وبدنه لانهن لا يأمرن بخير ولا يرشدن اليه ولا ينبغى أن يقبل منهن قولا ولا فعلا وقد بلغنى ان ناسا كثيرة هلكوا بسبب نسائهم فمنهم رجل هلك من اجتماعه بزوجته لكونه أطاعها فيما أمرته فقال الملك وكيف كان ذلك قال شماس زعموا ان رجلا كان له زوجة وكان يحبها وكانت مكرمة عنده وكان يسمع قولها ويعمل برأيها وكان له بستان غرسه بيده جديدا فكان يأتى اليه فى كل يوم ليصلحه ويسقيه فقالت له زوجته يوما من الايام أى شئ غرست فى بستانك فقال لها كل ماتحبينه وتريدينه وها أنا مجتهد فى اصلاحه وسقيه فقالت له هل لك أن تأخذنى وتفرجنى فيه حتى أراه وأدعو لك دعوة صالحة فان دعائى مستجاب فقال نعم امهلينى حتى آتى اليك فى غد وآخذك فلما أصبح الرجل أخذ زوجته معه وتوجه بها الى البستان ودخلا فيه وفى حال دخولهما نظر اليهما اثنان من الشباب على بعد فقال بعضهما لبعض ان هذا الرجل زان وان هذه المرأة زانية وما دخلا هذا البستان الا ليزنيا فيه فتبعاهما لينظرا مايكون من أمرهما فأما الشابان فانهما وقفا على جانب البستان وأما الرجل وزوجته فانهما لما دخلا البستان واستقرا فيه قال الرجل لزوجته ادعى لى الدعوة التى وعدتنى بها فقالت لا أدعو لك حتى تقوم بحاجتى التى تبتغيها النساء من الرجال فقال لها ويحك أيتها المرأة أما كان منى فى البيت كفاية وههنا أخاف على نفسى من الفضيحة وربما أشغلتنى عن مصالحى أما تخافين أن يرانا أحد قالت فلا نبالى من ذلك لاننا لم نرتكب فاحشة ولا حراما وأما سقى هذا البستان ففيه مهلة وأنت قادر على سقيه فى أى وقت أردت ولم تقبل منه عذرا ولا حجة وألحت عليه فى طلب النكاح فعند ذلك قام ونام معها فعندما أبصرهما الشابان المذكوران وثبا عليهما وأمسكاهما وقالا لهما لانطلقكما لانكما من الزناة وان لم نواقع المرأة نرفع أمركما الى الحاكم فقال لهما الرجل ويحكما ان هذه زوجتى وأنا صاحب البستان فلم يسمعا له كلاما بل نهضا الى المرأة فعند ذلك صاحت واستغاثت بزوجها قائلة له لاتدع الرجال يفضحونى فاقبل نحوهما وهو يستغيث فرجع اليه واحد منهما وضربه بخنجره فقتله وأتيا المرأة وفضحاها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت

من الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب لما قتل زوج المرأة رجع الشاب الى المرأة وفضحها وانما قلنا لك هذا أيها الملك لتعلم انه ليس ينبغي للرجل أن يسمع من امرأة كلاما ولا يطيعها فى أمر ولا يقبل لها رأيا فى مشورة فاياك أن تلبس ثوب الجهل بعد ثوب الحكمة والعلم أو تتبع الرأى الفاسد بعد معرفتك للرأى الرشيد النافع فلا تتبع لذة يسيرة مصيرها الى الفساد ومآلها الى الخسران الزائد الشديد فلما سمع الملك ذلك من شماس قال له أنا فى غد أخرج اليهم ان شاء الله تعالى فخرج شماس الى الحاضرين من كبراء المملكة وأعلمهم بما قال الملك فبلغ المرأة ما قاله شماس فدخلت على الملك وقالت له انما الرعية عبيد للملك والآن رأيت انك أيها الملك عبد لرعيتك بحيث تهابهم وتخاف شرهم وهم انما يريدون أن يختبروا باطنك فان وجدوك ضعيفا تهاونوا بك وان وجدوك شجاعا هابوك وكذلك يفعل وزراء السوء بملكهم لان حيلهم كثيرة وقد أوضحت لك حقيقة كيدهم فان وافقتهم على ما يريدون أخرجوك من أمرك الى مرادهم ولم يزالوا ينقلونك من أمر الى أمر حتى يوقعوك فى الهلكة ويكون مثلك مثل التاجر واللصوص فقال الملك وكيف كان ذلك قالت بلغني انه كان تاجر له مال كثير فانطلق بتجارة ليبيعها فى بعض المدن فلما انتهى الى مدينة اكترى له بها منزلا ونزل فيه فنظره لصوص كانوا يراقبون التجار لسرقة متاعهم فانطلقوا الى منزل ذلك التاجر واحتالوا فى الدخول عليه فلم يجدوا لهم سبيلا الى ذلك فقال لهم رئيسهم أنا أكفيكم أمره ثم انه انطلق فلبس ثياب الاطباء وجعل على عاتقه جرابا فيه شئ من الدواء وأقبل ينادى من يحتاج الى طبيب حتى وصل الى منزل ذلك التاجر فرآه جالسا على غدائه فقال له أتريد طبيبا فقال له لست محتاجا الى طبيب ولكن اقعد وكل معى فقعد اللص مقابله وجعل يأكل معه وكان ذلك التاجر جيد الاكل فقال اللص فى نفسه لقد وجدت فرصتى ثم التفت الى التاجر وقال له لقد وجب على نصيحتك لما حصل لى من احسانك وليس يمكن أن أخفى عليك نصيحة وهو انى أراك رجلا كثير الاكل وهذا سببه مرض فى معدتك فان لم تبادر بالسعى على دوائك والا آل أمرك الى الهلاك فقال التاجر ان جسمى صحيح ومعدتى سريعة الهضم وان كنت جيد الاكل فليس بيدنى مرض ولله الحمد والشكر فقال له اللص انما ذلك بحسب ما يظهر

لك والا فقد عرفت ان في باطنك مرضا خفيا فان أنت أطعتني فداويت نفسك فقال التاجر وأين أجد من يعرف دوائي فقال له اللص انما المداوي هو الله ولكن الطبيب مثلي يعالج المريض على قدر امكانه فقال له التاجر أرني الآن دوائي وأعطني منه شيأ فاعطاه سفوفا فيه صبر كثير وقال له استعمل هذا في هذه الليلة فاخذه منه ولما كان الليل تعاطى منه شيأ فرآه صبرا كريه الطعم فلم ينكر منه شيأ فلما تعاطاه وجد منه خفة في تلك الليلة فلما كانت الليلة الثانية جاء اللص ومعه دواء فيه صبر أكثر من الاول فاعطاه منه شيأ فلما تعاطاه أسهله تلك الليلة ولكنه صبر على ذلك ولم ينكره فلما رأى اللص ان التاجر اعتنى بقوله واستأمنه على نفسه وتحقق انه لا يخالفه انطلق وجاءه بدواء قاتل وأعطاه له فاخذه منه التاجر وشربه فعندما شرب ذلك الدواء نزل ما كان في باطنه وتقطعت أمعاؤه وأصبح ميتا فقام اللصوص وأخذوا جميع ما كان للتاجر وانى أيها الملك ما قلت لك هذا الا لاجل انك لا تقبل من هذا المخادع كلاما فيلحقك أمور تهلك بها نفسك فقال الملك صدقت فانا لا أخرج اليهم فلما أصبح الصباح اجتمع الناس وجاؤا الى باب الملك وقعدوا أكثر النهار حتى يئسوا من خروجه ثم رجعوا الى شماس وقالوا له أيها الفيلسوف الحكيم الماهر أما ترى هذا الولد الجاهل لا يزداد الا كذبا علينا وان اخراج الملك من يده واستبداله غيره به فيه الصواب فتنتظم بذلك أحوالنا وتستقيم أمورنا ولكن ادخل اليه ثالثا واعلمه انه لا يمنعنا من القيام عليه ونزع الملك منه الا احسان والده الينا وما أخذه علينا من العهود والمواثيق ونحن مجتمعون في غد عن آخرنا بسلاحنا ونهدم باب هذا الحصن فان خرج الينا وصنع لنا ما نحب فلا بأس والا دخلنا عليه وقتلناه وجعلنا الملك في يد غيره فانطلق الوزير شماس ودخل على الملك وقال له أيها الملك المنهمك في شهواته ولهوه ما هذا الذي تصنعه بنفسك فيا هل ترى من يغريك على هذا فان كنت أنت الجاني على نفسك فقد زال ما نعهده لك من الصلاحية والحكمة والفصاحة فليت شعري من الذي حولك ونقلك من العلم الى الجهل ومن الوفاء الى الجفاء ومن اللين الى القسوة ومن قبولك مني الى اعراضك عني فكيف أنصحك ثلاث مرات ولا تقبل نصيحتي وأشير عليك بالصواب وتخالف مشورتي فاخبرني ما هذه الغفلة وما هذا اللهو ومن أغراك عليه اعلم ان أهل مملكتك قد تواعدوا على انهم يدخلون عليك ويقتلونك ويعطون ملكك لغيرك فهل لك قوة على جميعهم والنجاة من أيديهم أو تقدر على حياة نفسك بعد قتلها فان كنت أعطيت هذا كله أمنت من قبله فلا حاجة لك بكلامي

وان

وان كانت حاجتك الى الدنيا والملك فأفق لنفسك واضبط ملكك وأظهر للناس قوة بأسك وأعلمهم باعذارك فانهم يريدون انتزاع ما فى يدك وتسليمه الى غيرك وقد عزموا على العصيان والمخالفة وصار دليل ذلك ما يعلمونه من صغر سنك ومن انكبابك على اللهو والشهوات فان الحجارة اذا طال مكثها فى الماء متى أخرجت منه وضرب بعضها بعضا انقدحت منها النار والآن رعيتك خلق كثير وهم يتوازرون عليك ويريدون نقل الملك منك الى غيرك ويبلغون فيك ما يريدونه من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير شماس قال للملك ويبلغون فيك ما يريدون من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب فقال الملك وكيف كان ذلك قال زعموا ان جماعة من الثعالب خرجوا ذات يوم يطلبون ما يأكلون فبينما هم يجولون فى طلب ذلك واذا هم بجمل ميت فقالوا فى أنفسهم قد وجدنا ما نعيش به زمانا طويلا ولكن نخاف أن يبغى بعضنا على بعض ويميل القوى بقوته على الضعيف فيهلك الضعيف منا فينبغى لنا أن نطلب حكما يحكم بيننا ونجعل له نصيبا فلا يكون للقوى سلاطة على الضعيف فبينما هم يتشاورون فى شأن ذلك واذا بذئب أقبل عليهم فقال بعضهم لبعض ان أصاب رأيكم فاجعلوا هذا الذئب حكما بيننا لانه أقوى الناس وأبوه سابقا كان سلطانا علينا ونحن نرجو من الله أن يعدل بيننا ثم انهم توجهوا اليه وأخبروه بما صار اليه رأيهم وقالوا لقد حكمناك بيننا لاجل أن تعطى كل واحد منا ما يقوته فى كل يوم على قدر حاجته لئلا يبغى قوينا على ضعيفنا فيهلك بعضنا بعضا فاجابهم الذئب الى قولهم وتعاطى أمورهم وقسم عليهم فى ذلك اليوم ما كفاهم فلما كان من الغد قال الذئب فى نفسه ان قسمة هذا الجمل بين هؤلاء العاجزين لا يعود على منها شىء الا الجزء الذى جعلوه لى وان أكلته وحدى فهم لا يستطيعون لى ضررا مع انهم غنم لى ولاهل بيتى فمن الذى يمنعنى عن أخذه لنفسى ولعل الله سببه لى بغير جميلة فالاحسن لى أن أختص به دونهم ومن هذا الوقت لا أعطيهم شيأ فلما أصبح الثعالب جاؤا اليه على العادة يطلبون منه قوتهم فقالوا له يا أبا سرحان أعطنا مؤنة يومنا فاجابهم قائلا ما بقى عندى شىء أعطيه لكم فذهبوا من عنده على أسوا حال ثم قالوا ان الله أوقعنا فى هم عظيم مع هذا الخائن الخبيث الذى لا يتقى الله ولا يخافه وليس لنا حول ولا قوة ثم قال بعضهم لبعض انما حمله على

هذا الامر ضرورة الجوع فدعوه اليوم يأكل حتى يشبع وفى غد نذهب اليه فلما
أصبحوا توجهوا اليه وقالوا له يا أبا سرحان انما وليناك علينا لاجل أن تدفع لكل
واحد منا قوته وتنصف الضعيف من القوى واذا فرغ تجتهد لنا فى تحصيل غيره
ونصير دائما تحت كنفك ورعايتك وقد مسنا الجوع ولنا يومان ما أكلنا فأعطنا
مؤنتنا وأنت فى حل من جميع ما تتصرف فيه من دون ذلك فلم يرد عليهم جوابا بل
ازداد قسوة فراجعوه فلم يرجع فقال بعضهم لبعض ليس لنا حيلة الا اننا ننطلق الى
الاسد ونرمى أنفسنا عليه ونجعل له الجمل فان أحسن لنا بشىء منه كان من فضله
والا فهو أحق به من هذا الخبيث ثم انطلقوا الى الاسد وأخبروه بما حصل لهم مع
الذئب ثم قالوا له نحن عبيدك وقد جئناك مستجيرين بك لتخلصنا من هذا الذئب
ونصير لك عبيدا فلما سمع الاسد كلام الثعالب أخذته الحمية وغار لله تعالى ومضى
معهم الى الذئب فلما رأى الذئب الاسد مقبلا طلب الفرار من قدامه فجرى الاسد
خلفه وقبض عليه ومزقه قطعا ومكن الثعالب من فريستهم فمن هذا عرفنا أنه
لا ينبغى لاحد من الملوك ان يتهاون فى أمر رعيته فاقبل نصيحتى وصدق القول
الذى قلته لك واعلم ان أباك قبل وفاته قد أوصاك بقبول النصيحة وهذا آخر كلامى
معك والسلام فقال الملك انى سامع منك وفى غد ان شاء الله تعالى أطلع اليهم
فخرج شماس من عنده وأخبرهم بأن الملك قبل نصيحته ووعده أنه فى غد يخرج
اليهم فلما سمعت زوجة الملك ذلك الكلام منقولا عن شماس وتحققت انه لابد من
خروج الملك الى الرعية أقبلت على الملك مسرعة وقالت له ما أكثر تعجبى من اذعانك
وطاعتك لعبيدك اما تعلم ان وزراءك هؤلاء عبيدك فلاى شىء رفعتهم هذه الرفعة
العظيمة حتى أوهمتهم انهم هم الذين أعطوك هذا الملك ورفعوك هذه الرفعة وانهم
أعطوك العطايا مع انهم لم يقدروا أن يفعلوا معك أدنى مكروه فكان من حقك عدم
الخضوع لهم بل من حقهم الخضوع لك وتنفيذ أمورك فكيف تكون مرعوبا منهم
هذا الرعب العظيم وقد قيل اذا لم يكن قلبك مثل الحديد لا تصلح أن تكون ملكا
وهؤلاء غرهم حلمك حتى تجاسروا عليك ونبذوا طاعتك مع انه ينبغى أن يكونوا
مقهورين على طاعتك مجبورين على الانقياد اليك فان أنت سارعت لقبول
كلامهم وأهملتهم على ما هم فيه وقضيت لهم أدنى حاجة على غير مرادك ثقلوا عليك
وطمعوا فيك وتصير لهم هذه عادة فان أطعتنى لا ترفع لاحد منهم شأنا ولا تقبل لاحد
منهم كلاما ولا تطمعهم فى التجاسر عليك فتصير مثل الراعى واللص فقال لها الملك
وكيف كان ذلك قالت زعموا أنه كان رجل راعى غنم وكان محافظا على رعايتها

فأتاه

فأتاه لص ذات ليلة يريد أن يسرق من غنمه شيأ فرآه محافظا عليها لا ينام ليلا
ولا يغفل نهارا فصار يحاوله طول ليله فلم يظفر منه بشئ فلما أعيته الحيلة انطلق الى
البرية واصطاد أسدا وسلخ جلده وحشاه تبنا ثم أتى به ونصبه على محل عال فى البرية
بحيث يراه الراعى ويحققه ثم أقبل اللص على الراعى وقال له ان هذا الاسد قد
أرسلنى اليك يطلب عشاءه من هذه الغنم فقال له الراعى وأين الاسد فقال له اللص
ارفع بصرك ها هو واقف فرفع الراعى رأسه فرأى صورة الاسد فلما رآها ظن انها
أسد حقيقة ففزع منها فزعا شديدا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام
المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الراعى لما رأى صورة الاسد ظن انها أسد حقيقة
ففزع منها فزعا شديدا وأخذه الرعب وقال للص يا أخى خذ ما شئت ليس عندى
مخالفة فأخذ اللص من الغنم حاجته وازداد طمعه فى الراعى بسبب شدة خوفه
فصار كل قليل يأتى اليه ويرعبه ويقول له ان الاسد يحتاج الى كذا وقصده أن يفعل
كذا وقصده أن يفعل كذا ثم يأخذ من الغنم كفايته ولم يزل اللص مع الراعى على
هذه الحالة حتى أفنى غالب الغنم وانما قلت لك هذا الكلام أيها الملك لئلا يغتر
كبراء دولتك هؤلاء بحلمك ولين جانبك فيطمعوا فيك والرأى السديد أن يكون
موتهم أقرب مما يفعلونه بك فقبل الملك قولها وقال انى قبلت منك هذه النصيحة
ولست مطيعا لمشورتهم ولا خارجا اليهم فلما أصبح الصباح اجتمع الوزراء وأكابر
الدولة ووجهاء الناس وحمل كل واحد منهم سلاحه معه وتوجهوا الى بيت الملك
ليهجموا عليه ويقتلوه ويولوا غيره فلما وصلوا الى بيت الملك سألوا البواب أن يفتح
لهم الباب فلم يفتح لهم فارسلوا ليحضروا نارا فيحرقوا بها الابواب ثم يدخلوا فسمع
البواب منهم هذا الكلام فانطلق بسرعة وأعلم الملك ان الخلق مجتمعون على الباب
وقال له انهم سألونى أن أفتح لهم فأبيت فارسلوا ليحضروا نارا فيحرقوا بها الابواب
ثم يدخلوا عليك ويقتلوك فماذا تأمرنى فقال الملك فى نفسه انى وقعت فى الهلكة
العظيمة ثم أرسل خلف المرأة فحضرت فقال ان شماسا لم يخبرنى بشئ الا وقد وجدته
صحيحا وقد حضر الخاص والعام من الناس يريدون قتلى وقتلكم ولما لم يفتح
لهم البواب أرسلوا ليحضروا النار فيحرقوا الابواب فيحترق البيت ونحن داخله
فماذا تشيرين علينا فقالت له المرأة لا بأس عليك ولا يهولنك أمرهم فان هذا زمان

يقوم فيه السفهاء على ملوكهم فقال لها الملك فما تشيرين به على لافعله وما الحيلة
فى هذا الامر فقالت له الرأى عندى انك تعصب رأسك بعصابة وتظهر انك مريض
ثم ترسل الى الوزير شماس فيحضر اليك ويرى حالك الذى أنت فيه فاذا احضر فقل له
قد أردت الخروج الى الناس فى هذا اليوم فمنعنى هذا المرض فاخرج الى الناس
وأخبرهم بما أنا فيه وأخبرهم انى فى غد أخرج اليهم وأقضى حوايجهم وانظر فى
أحوالهم ليطمئنوا ويسكن غيظهم واذا أصبحت فاستدع بعشرة من عبيد أبيك
يكونون من أهل البأس والقوة وتكون آمنا على نفسك منهم ويكونون سامعين
لقولك طائعين لامرك كاتمين لسرك حافظين لودك ثم أوقفهم على رأسك وأمرهم
أن لا يمكنوا أحدا من الدخول عليك الا واحدا بعد واحد فاذا دخل واحد فقل
لهم خذوه واقتلوه واذا اتفقوا معك على ذلك فأصبح ناصبا كرسيك فى ديوانك
وافتح بابك فانهم اذا رأوك فتحت الباب طابت نفوسهم وأتوك بقلب سليم واستأذنوا
فى الدخول عليك فائذن لهم فى الدخول واحدا بعد واحد كما قلت لك وافعل بهم
مرادك ولكن ينبغى أن تبدأ بقتل شماس الكبير أولهم فانه هو الوزير الاعظم
وهو صاحب الامر فاقتله أولا ثم بعد ذلك اقتل الجميع واحدا بعد واحد ولا تبق
منهم من تعرف أنه ينكث لك عهدا وكذلك كل من تخاف صولته فانك اذا فعلت
بهم ذلك فانهم لا يبقى لهم قوة عليك وتستريح منهم الراحة الكلية ويصفو لك الملك
وتعمل ما تحب واعلم انه لا حيلة لك أنفع من هذه الحيلة فقال لها الملك ان رأيك
هذا سديد وأمرك فيه رشيد فلا بد ان اعمل ما ذكرت ثم أمر بعصابة فشد بها رأسه
وتضاعف وأرسل الى شماس فلما حضر بين يديه قال له يا شماس قد علمت انى لك محب
ولرأيك مطيع وأنت لى كالاخ والوالد دون كل أحد وتعرف انى أقبل منك جميع
ما أمرتنى به وقد كنت أمرتنى بالخروج الى الرعية والجلوس لاحكامهم وتحققت
انها نصيحة منك لنا وقد أردت الخروج اليهم بالامس فعرض لى هذا المرض ولست
أستطيع الجلوس وقد بلغنى أن أهل المملكة متنغصون من عدم خروجى اليهم
وهموا أن يفعلوا بى ما لا يليق من شرهم فانهم غير عالمين بما أنا فيه من المرض فاخرج
اليهم وأعلمهم بحالى وما أنا فيه واعتذر اليهم عنى فانى تابع لما يقولون وفاعل ما
يحبون فأصلح لهم هذا الامر واضمن لهم عنى ذلك فانك نصيح لى ولوالدى من قبلى
وعادتك الاصلاح بين الناس وان شاء الله تعالى فى غد اخرج اليهم ولعل مرضى
يزول عنى فى هذه الليلة ببركة صالح نيتى وما أضمرته لهم من الخير فى سريرتى
فسجد شماس لله ودعا للملك وقبل يديه وفرح بذلك وخرج الى الناس وأخبرهم

بما

بما سمعه من الملك ونهاهم عما أرادوه وأعلمهم بالعذر وسبب امتناع الملك
عن الخروج وأخبرهم انه وعده فى غد بالخروج اليهم وانه يصنع لهم ما يحبون
فانصرفوا عند ذلك الى منازلهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام
المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن شماسا خرج الى الدولة وقال لهم ان الملك فى غد
يخرج اليكم ويصنع لكم ما تحبون فانصرفوا الى منازلهم هذا ما كان من
أمرهم وأما ما كان من أمر الملك فانه بعث الى العشرة عبيد الجبابرة الذين اختارهم
من جبابرة أبيه وكانوا ذوى عزم جليد وبأس شديد وقال لهم قد علمتم ما كان لكم
عند والدى من الحظوة ورفعة الشان والاحسان اليكم مع لطفه بكم واكرامه اياكم
فأنا أنزلكم بعده عندى فى درجة أرفع من تلك الدرجة وسأعرفكم سبب ذلك
وأنتم فى أمان الله منى ولكن أسالكم عن مسئلة هل تكونون معى فيها طائعين
لامرى فيما أقوله لكم كاتمين لسرى عن جميع الناس ولكم منى الاحسان فوق
ما تريدون حيث امتثلتم أمرى فأجابه العشرة من فم واحد وكلام متوارد قائلين
جميع ما تأمرنا به يا سيدنا نحن به عاملون ولا نخرج عما تشير به علينا مطلقا وأنت
ولى أمرنا فقال لهم أحسن الله لكم فانا الآن أعرفكم سبب اختصاصكم لمزيد
الاكرام عندى هو انكم قد علمتم ما كان يفعله أبى بأهل مملكته من الاكرام وما
عاهدهم عليه من أمرى واقرارهم له بانهم لا ينكثون لى عهدا ولا يخالفون أمرى
وقد نظرتم ما كان منهم بالامس حيث اجتمعوا جميعا حولى يريدون قتلى وأنا اريد
أن اصنع بهم امرا وذلك انى نظرت ما كان منهم بالامس فرأيت انه لا يزجرهم عن
مثله الا نكالهم فلا بد أن أوكلكم بقتل من اشير لكم بقتله سرا حتى أدفع الشر
والبلاء عن بلادى بقتل اكابرهم ورؤسائهم وطريقة ذلك انى اقعد فى هذا المقعد
فى هذه المقصورة فى غد وآذن لهم بالدخول علىّ واحدا بعد واحد وان يدخلوا
من باب ويخرجوا من آخر فقفوا أنتم العشرة بين يدىّ فاهمين لاشارتى وكل ما
يدخل واحد فخذوه وادخلوا به هذا البيت واقتلوه واخفوا جثته فقالوا سمعا
لقولك وطاعة لامرك فعند ذلك احسن اليهم وصرفهم وبات فلما اصبح طلبهم وأمر
بنصب السرير ثم لبس ثياب الملك وأخذ فى يده كتاب القضاء وأمر بفتح الباب ففتح
وأوقف العشرة عبيد بين يديه ونادى المنادى من كان له حكومة فليحضر الى

بساط الملك فاتى الوزراء والقواد والحجاب ووقف كل واحد فى مرتبته ثم أمر
بالدخول واحدا بعد واحد فدخل شماس الوزير أولا كما هى عادة الوزير الاكبر فلما
دخل واستقر قدام الملك لم يشعر الا والعشرة عبيد محتاطون به واخذوه وأدخلوه
البيت وقتلوه واقبلوا على باقى الوزراء ثم العلماء ثم الصلحاء فصاروا يقتلونهم واحدا
بعد واحد حتى فرغوا من الجميع ثم دعا بالجلادين وأمرهم بحط السيف فيمن بقى
من اهل الشجاعة وقوة الباس فلم يتركوا أحدا ممن يعرفون ان له شهامة الا قتلوه
ولم يتركوا الا السفلة الناس ورعاعهم ثم طردوهم ولحق كل واحد منهم باهله ثم بعد
ذلك اختلى الملك بلذاته وأعطى نفسه شهواتها واتبع البغى والجور والظلم حتى
سبق من تقدمه من أهل الشر وكانت بلاد هذا الملك معدن الذهب والفضة
والياقوت والجواهر وجميع من حوله من الملوك يحسدونه على هذه المملكة
ويتوقعون له البلاء فقال فى نفسه بعض الملوك المجاورين له انى ظفرت بما كنت
أريد من اخذ هذه المملكة من يد هذا الولد الجاهل بسبب ما حصل من قتله لاكابر
دولته واهل الشجاعة والنجدة الذين كانوا فى ارضه فهذا هو وقت الفرصة وانتزاع
ما فى يده لكونه صغيرا ولا دراية له بالحرب ولا رأى له ولم يبق عنده من يرشده ولا
يعضده فانا اليوم افتح معه باب الشر وهو انى أكتب له كتابا وأعبث به فيه وابكته
على ما حصل منه وأنظر ما يكون من جوابه فكتب له مكتوبا مضمونه بسم الله
الرحمن الرحيم اما بعد فقد بلغنى ما فعلت بوزرائك وعلمائك وجبابرتك وما أوقعت
نفسك فيه من البلاء حتى لم يبق لك طاقة ولا قوة على دفع من يصول عليك حين
طغيت وافسدت وان الله قد أعطانى النصر عليك وظفرنى بك فاسمع كلامى وامتثل
أمرى وابن لى قصرا منيعا فى وسط البحر وان لم تقدر على ذلك فاخرج من بلادك
وفز بنفسك فانى باعث اليك من أقصى الهند اثنى عشر كردوسا كل كردوس اثنا
عشر ألف مقاتل فيدخلون بلادك وينهبون اموالك ويقتلون رجالك ويسبون
حريمك وأجعل قائدهم بديعا وزيرى وآمره أن يرسخ عليها محاصرا الى أن يملكها
وقد أمرت هذا الغلام المرسل اليك انه لا يقيم عندك غير ثلاثة أيام فان امتثلت
أمرى نجوت والا أرسلت اليك ما ذكرته لك ثم ختم الكتاب وأعطاه للرسول فسار
به حتى وصل الى تلك المدينة ودخل على الملك وأعطاه الكتاب فلما قرأه الملك ضعفت
قوته وضاق صدره والتبس عليه أمره وتحقق الهلاك ولم يجد من يستشيره ولا من
يستعين به ولا من ينجده فقام ودخل على زوجته وهو متغير اللون فقالت له ما شأنك
أيها الملك فقال لها الست اليوم بملك ولكنى عبد للملك ثم فتح الكتاب وقرأه عليها فلما

سمعته اخذت فى البكاء والنحيب وشقت ثيابها فقال لها الملك هل عندك شئ من
الرأى والحيلة فى هذا الامر العسير فقالت له وما عند النساء من الحيلة فى الحروب
والنساء لاقوة لهن ولا رأى لهن وانما القوة والرأى والحيلة للرجال فى مثل هذا
الامر فلما سمع الملك منها ذلك الكلام حصل له غاية الندم والتأسف والكآبة على
مافرط منه فى حق جماعته ورؤساء دولته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك لما سمع من زوجته ذلك الكلام حصل له غاية
الندم والتأسف على مافرط منه من قتل وزرائه واشراف رعيته وتمنى الموت لنفسه
قبل أن يرد عليه مثل هذا الخبر الفظيع ثم قال لنسائه لقد وقع لى منكن ما وقع
للدراج مع السلاحف فقلن له وكيف كان ذلك فقال الملك زعموا ان سلاحفا كانت
فى جزيرة من الجزائر وكانت تلك الجزيرة ذات اشجار واثمار وانهار فاتفق ان دراجا
اجتاز بها يوما وقد أصابه الحر والتعب فلما أضر به ذلك حط من طيرانه فى تلك
الجزيرة التى بها تلك السلاحف فلما رأى السلاحف التجأ اليها ونزل عندها وكانت
السلاحف ترعى فى جهات الجزيرة ثم ترجع الى مكانها فلما رجعت من مسارحها الى
مكانها رأت الدراج فيه فلما رأته أعجبها وزينه الله لها فسبحت خالقها وأحبت هذا
الدراج حبا شديدا وفرحت به ثم قال بعضها لبعض لاشك ان هذا من أحسن
الطيور فصارت كلها تلاطفه وتجنح اليه فلما رأى منها عين المحبة مال اليها واستأنس
بها وصار يطير الى أى جهة أراد وعند المساء يرجع الى المبيت عندها فاذا أصبح
الصباح يطير الى حيث أراد وصارت هذه عادته واستمر على هذا الحال مدة من الزمان
فلما رأت السلاحف ان غيابه عنها يوحشها وتحققت انها لاتراه الا فى الليل واذا
أصبح طار مبادرا ولا تشعر به مع زيادة حبها له قال بعضها لبعض ان هذا الدراج
قد أحببناه وصار لنا صديقا وما بقى لنا قدرة على فراقه فما يكون من الحيلة الموصلة
الى اقامته عندنا دائما لانه اذا طار يغيب عنا النهار كله ولا نراه الا فى الليل فاشارت
عليها واحدة قائلة استريحوا يا أخواتى وأنا أجعله لا يفارقنا طرفة عين فقال لها
الجميع ان فعلت ذلك صرنا لك كلنا عبيدا فلما حضر الدراج من مسرحه وجلس بينها
تقربت منه السلحفاة المحتالة ودعت له وهنته بالسلامة وقالت له ياسيدى اعلم ان
الله قد رزقك منا المحبة وكذلك اودع قلبك محبتنا وصرت لنا فى هذا القفر أنيسا

واحسن اوقات المحبين اذا كانوا مجتمعين والبلاء العظيم فى البعد والفراق ولكنك
تتركنا عند طلوع الفجر ولم تعد الينا الا عند الغروب فيصير عندنا وحشة زائدة وقد
شق علينا ذلك كثيرا ونحن فى وجد عظيم بهذا السبب فقال لها الدراج نعم انا عندى
محبة لكن واشتياق عظيم اليكن زيادة على ما عندكن وفراقكن ليس سهلا عندى
ولكن ما بيدى حيلة فى ذلك لكونى طيرا باجنحة فلا يمكننى المقام معكن دائما لان
هذا ليس من طبعى فان الطير ذا الاجنحة ليس له مستقر الا فى الليل لاجل النوم
واذا اصبح طار وسرح فى أى موضع أعجبه فقالت له السحلفة صدقت ولكن ذو
الاجنحة فى غالب الاوقات لا راحة له لكونه لا يناله من الخير ربع ما يحصل له من
المشقة وغاية المقصود للشخص الرفاهية والراحة ونحن قد جعل الله بيننا وبينك
المحبة والالفة ونخشى عليك ممن يصطادك من أعدائك فتهلك ونحرم من رؤية
وجهك فاجابها الدراج قائلا صدقت ولكن ما عندك من الرأى والحيلة فى أمرى
فقالت له الرأى عندى ان تنتف سواعدك التى تسرع بطيرانك وتقعد عندنا
مستريحا وتأكل من أكلنا وتشرب من شربنا فى هذه المسرحة الكثيرة الاشجار
اليانعة الاثمار ونقيم نحن وأنت فى هذا الموضع المخصب ويتمتع كل منا بصاحبه فمال
الدراج الى قولها وقصد الراحة لنفسه ثم نتف ريشه واحدة بعد واحدة حكم
ما استحسنه من رأى السحلفة واستقر عندهن عائشا معهن ورضى باللذة اليسيرة
والطرب الزائل فبينما هم على تلك الحالة واذا بابن عرس قد مر عليه فرمقه بعينه
وتأمله فرآه مقصوص الجناح لا يستطيع النهوض فلما رآه على تلك الحالة فرح به
فرحا شديدا وقال فى نفسه ان هذا الدراج سمين اللحم قليل الريش ثم دنا منه ابن
عرس وافترسه فصاح الدراج وطلب النجدة من السحالف فلم يجدنه بل تباعدن
عنه وانكمشن فى بعضهن لما رأين ابن عرس قابضا عليه وحيث رأين ابن عرس
يعذبه خنقهن البكاء عليه فقال لهن الدراج هل عندكن شئ غير البكاء فقلن له
يا أخانا ليس لنا قوة ولا طاقة ولا حيلة فى أمر ابن عرس فحزن الدراج عند ذلك وقطع
الرجاء من حياة نفسه وقال لهن ليس لكن ذنب انما الذنب لى حيث أطعتكم
ونتفت أجنحتى التى أطير بها فانا استحق الهلاك لطاوعتى لكن ولا الوم كن فى شئ
وانا الآن لا الوم كن أيتها النساء بل الوم نفسى أؤدبها حيث لم تتذكر انكن سبب
الهفوة التى حصلت من أبينا آدم ولاجلها اخرج من الجنة ونسيت انكن اصل كل
شر فأطعتكن بجهلى وخطا رأيى وسوء تدبيرى وقتلت وزرائى وحكام مملكتى الذين
كانوا الى نصحاء فى كل الامور وكانوا عزتى وقوتى على كل أمر أهمنى فانا الآن لم

أجد عوضا عنهم ولا أرى أحدا يقوم مقامهم وقد وقعت فى الهلاك العظيم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك لام نفسه وقال أنا الذى اطعت كن بجهلى وقتلت وزرائى ولم أجد عوضا عنهم يقوم مقامهم وان لم يفتح الله على بمن له رأى سديد يرشدنى الى مافيه خلاصى وقعت فى الهلكة العظيمة ثم انه قام ودخل مرقده بعد ان نعى الوزراء والحكماء قائلا ياليت هؤلاء الاسود عندى فى هذا الوقت ولو ساعة واحدة حتى اعتذر اليهم وانظرهم واشكو اليهم امرى وما حل بى بعدهم ولم يزل غريقا فى بحر الهم طول نهاره لا يأكل ولا يشرب فلما جن الليل قام وغير لباسه ولبس ثيابا رديئة وتنكر وخرج يسوح فى المدينة لعله يسمع من أحد كلمة يرتاح بها فبينماهو يطوف فى الشوارع واذاهو بغلامين مختليين بانفسهما جالسين بجانب حائط وهما مستويان فى السن عمر كل واحد منهما اثنتا عشرة سنة فسمعهما يتحدثان مع بعضهما فدنا منهما الملك بحيث يسمع كلامهما ويفهمه فسمع واحدا منهما يقول للآخر اسمع يا اخى ما حكاه لى والدى ليلة أمس من أجل ما وقع له فى زرعه ويبسه قبل اوانه بسبب عدم المطر وكثرة البلاء الحاصل فى هذه المدينة فقال له الآخر أتعرف ماسبب هذا البلاء قال له لا فان كنت تعرفه أنت فاذكره لى فاجابه قائلا نعم أعرفه وأخبرك به اعلم أن بعض اصحاب والدى قال لى ان ملكنا قد قتل وزراءه وعظماء دولته من غير ذنب جنوه بل من أجل حبه للنساء وميله اليهن وان الوزراء نهوه عن ذلك فلم ينته وأمر بقتلهم طاعة لنسائه حتى انه قتل شماسا والدى وزيره ووزير والده من قبله وكان صاحب مشورته ولكن سوف تنظر ما يفعل الله به بسبب ذنوبهم فينتقم لهم منه فقال الغلام وما عسى أن يفعل الله به بعد هلاكهم قال له اعلم أن ملك الهند الاقصى قد استخف بملكنا وبعث اليه كتابا يوبخه فيه ويقول له ابن لى قصرا فى وسط البحر وان لم تفعل ذلك فانا أرسل اليك اثنى عشر كردوسا كل كردوس فيه اثنا عشر ألف مقاتل واجعل قائد هذه العساكر بديعا وزيرى فيأخذ ملكك ويقتل رجالك ويسبيك مع حريمك فلما جاءه رسول ملك الهند الاقصى بهذا الكتاب امهله ثلاثة أيام واعلم يا أخى أن ذلك الملك جبار عنيد ذو قوة وبأس شديد وفى مملكته خلق كثيرون لم يحتل ملكنا فيما يمنعه منه وقع فى الهلكة وبعد هلاك ملكنا يأخذ هذا الملك ارزاقنا ويقتل رجالنا ويسبى حريمنا فلما سمع الملك منهما هذا الكلام زاد اضطرابا

ومال اليهما وقال فى نفسه ان هذا الغلام لحكيم لكونه أخبر عن شئ لم يبلغه منى فان الكتاب الذى جاء من ملك أقصى الهند عندى والسر معى ولم يطلع أحد على هذا الخبر غيرى فكيف علم هذا الغلام به ولكن انا اتجئ اليه واكلمه واسأل الله أن يكون خلاصنا الديه ثم ان الملك دنا من الغلام بلطف وقال له أيها الولد الحبيب ما هذا الذى ذكرته من أجل ملكنا فانه قد اساء كل الاساءة فى قتل وزرائه وكبراء دولته لكنه فى الحقيقة قد اساء نفسه ورعيته وانت صدقت فما قلته ولكن عرفنى أيها الولد من أين عرفت ان ملك الهند الاقصى كتب الى ملكنا كتابا وبخه فيه وقال له هذا الكلام الصعب الذى قلته قال له الغلام قد علمت هذا من قول القدماء انه ليس يخفى على الله خافية والخلق من بنى آدم فيهم روحانية تظهر لهم الاسرار الخفية فقال له صدقت ياولدى لكن هل للملك حيلة او تدبير يدفع به عن نفسه وعن مملكته هذا البلاء العظيم فاجاب الغلام قائلا نعم اذا ارسل الملك الى وسالنى ماذا يصنعه ليدفع به عدوه وينجو من كيده أخبرته بما فيه نجاته بقوة الله تعالى قال له الملك ومن يعلم الملك بذلك حتى يرسل اليك ويدعوك فاجابه قائلا انى سمعت عنه انه يفتش على أهل الخبرة والرأى الرشيد واذا أرسل الى سرت معهم اليه وعرفته بما فيه صلاحه ودفع البلاء عنه وان أهمل هذا الامر العسير واشتغل بلهوه مع نسائه واردت انى أعلمه بما فيه نجاته وتوجهت اليه من تلقاء نفسى فانه يأمر بقتلى مثل اولئك الوزراء وتكون معرفتى به سبب الهلاك لى وتستقل الناس بى ويستنقصون عقلى واكون من مضمون قول من قال من كان علمه أكثر من عقله هلك ذلك العالم بجهله فلما سمع الملك كلام الغلام تحقق حكمته وتبين فضيلته وتيقن أن النجاة تحصل له ولرعيته على يديه فعند ذلك أعاد الملك الكلام على الغلام وقال له من أين أنت وأين بيتك فقال له الغلام ان هذه الحائط توصل الى بيتنا فتعهد الملك ذلك المكان ثم انه ودع الغلام ورجع الى مملكته مسرورا فلما استقر فى بيته لبس ثيابه ودعا بالطعام والشراب ومنع عنه النساء واكل وشرب وشكر الله تعالى وطلب منه النجاة والمعونة والمغفرة والعفو عما فعل بعلماء دولته ورؤسائهم ثم تاب الى الله توبة خالصة وافترض على نفسه الصوم والصلاة الكثيرة بالنذر ودعا باحد غلمانه الخواص ووصف له مكان الغلام وأمره أن ينطلق اليه ويحضره بين يديه برفق فمضى ذلك العبد الى الغلام وقال له ان الملك يدعوك لخير يصل اليك من قبله ويسألك سؤالا ثم تعود فى خير الى منزلك فاجاب الغلام قائلا وما حاجة الملك التى دعانى من أجلها قال له الخادم ان حاجة مولاى التى دعاك من أجلها هى سؤال وجواب فقال له الغلام ألف سمع

والف

وألف طاعة لامر الملك ثم سار معه حتى وصل الى الملك فلما صار بين يديه سجد لله ودعا
للملك بعد أن سلم عليه فرد الملك عليه السلام وأمره بالجلوس فجلس وادرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام لما جاء الى الملك وسلم عليه أمره بالجلوس
فجلس فقال له هل تعرف من تكلم معك بالامس قال الغلام نعم قال له فاين هو فاجابه
بقوله هو الذي يكلمني في هذا الوقت فقال له الملك لقد صدقت أيها الحبيب ثم أمر
الملك بوضع كرسي في جانب كرسيه واجلسه عليه وأمر باحضار أكل وشرب ثم امتزجا
في الحديث الى ان قال الملك للغلام انك أيها الوزير حدثتني بالامس حديثا وذكرت
فيه ان معك حيلة تدفع بها عنا كيد ملك الهند فما هي الحيلة وكيف التدبير
في دفع شره عنا فاخبرني لكي أجعلك اول من يتكلم معي في الملك واصطفيك وزيرا لي
وأكون تابعا لرأيك في كل ما اشرت به علي وأجيزك جائزة سنية فقال له الغلام
جائزتك لك أيها الملك والمشورة والتدبير عند نسائك اللاتي أشرن عليك بقتل والدي
شماس مع بقية الوزراء فلما سمع الملك منه ذلك خجل وتنهد وقال أيها الولد الحبيب
وهل شماس والدك كما ذكرت فاجابه الغلام قائلا ان شماسا والدي حقا وأنا ولده
صدقا فعند ذلك خشع الملك ودمعت عيناه واستغفر الله وقال أيها الغلام اني فعلت
ذلك بجهلي وسوء تدبير النساء وكيدهن عظيم ولكن اسألك ان تكون مسامحا لي
واني جاعلك في موضع أبيك وأعلى مقاما من مقامه واذا زالت هذه النقمة النازلة
بنا طوقتك بطوق الذهب واركبتك أعز مركوب وأمرت المنادي أن ينادي
قدامك قائلا هذا الولد العزيز صاحب الكرسي الثاني بعد الملك واما ما ذكرت
من أمر النساء فاني اضمرت الانتقام منهن وجعلته في الوقت الذي يريده الله تعالى
فاخبرني بما عندك من التدبير ليطمئن قلبي فاجابه الغلام قائلا اعطني عهدا انك
لا تخالف رأيي فيما اذكره لك وان أكون مما اخشاه في امان فقال له الملك هذا عهد الله
بيني وبينك اني لا اخرج عن كلامك وانك عندي صاحب المشورة ومهما امرتني
به فعلته والشاهد بيني وبينك على ما أقول هو الله تعالى فعند ذلك انشرح صدر
الغلام واتسع عنده مجال الكلام فقال أيها الملك ان التدبير والحيلة عندي
انك تنتظر الوقت الذي يحضر لك فيه الساعي طالب الجواب بعد المهلة التي أمهلته
اياها فاذا حضر بين يديك وطلب الجواب ادفعه عنك وأمهله الى يوم آخر فعند ذلك

يعتذر اليك بان ملكه حدد عليه أياما معلومة ويراجعك فى كلامك فاطرحه وأمهله
الى يوم آخر ولا تعين له ذلك اليوم فيخرج من عند لغضبان ويتوجه الى وسط المدينة
ويتكلم جهرا بين الناس ويقول يا أهل المدينة انى ساعى ملك الهند الاقصى وهو
صاحب بأس شديد وعزم يلين الحديد وقد ارسلنى بكتاب الى ملك هذه المدينة
وحدد لى أياما وقال لى ان لم تحضر عقب الايام التى حددتها لك حلت بك نقمتى وها
انا جئت الى ملك هذه المدينة واعطيته الكتاب فلما قرأه أمهلنى ثلاثة أيام
ثم يعطينى جواب ذلك الكتاب فاجبته الى ذلك لطفا به ورعاية لخاطره وقد مضت
الثلاثة أيام وأتيت أطلب منه الجواب فامهلنى الى يوم آخر وأنا ليس عندى صبر
فها انا منطلق الى سيدى ملك الهند الاقصى وأخبره بما وقع لى وأنتم أيها القوم
شاهدون بينى وبينه فعند ذلك يبلغك كلامه فأرسل اليه وأحضره بين يديك وكلمه
بلطف وقل له أيها الساعى لاتلاف نفسه ما الذى حملك على ملامتنا بين رعيتنا
لقد استحققت منا التلف عاجلا ولكن قالت القدماء العفو من شيم الكرام واعلم
ان تأخير الجواب عنك ليس عجزا منا وانما هو لزيادة اشغالنا وقلة تفرغنا لكتابة
جواب ملككم ثم اطلب الكتاب واقرأه ثانيا وبعد ان تفرغ من قراءته أكثر
من الضحك وقل له هل معك كتاب غير هذا الكتاب فنكتب جوابه أيضا فيقول
لك ليس معى كتاب غير هذا الكتاب فأعد عليه القول ثانيا وثالثا فيقول لك ليس
معى غيره أصلا فقل له ان ملككم هذا معدوم العقل حيث ذكر فى هذا الكتاب
كلاما يريد به تقويم نفوسنا لاجل ان نتوجه بعسكرنا اليه فنغزو بلاده ونأخذ
مملكته ولكن لانؤاخذه فى هذه المرة على اساءة ادبه بهذا المكتوب لانه قاصر
العقل ضعيف الحزم فالمناسب لمقدرتنا ان ننذره اولا ونحذره من أن يعود لمثل
هذه الهذيانات فان خاطر بنفسه وعاد الى مثلها استحق البلاء عاجلا واظن ان
الملك الذى أرسلك جاهل أحمق غير مفتكر فى العواقب وليس له وزير عاقل سديد
الرأى يستشيره ولو كان عاقلا لاستشار وزيرا قبل ان يرسل الينا مثل هذا الكلام
السخرية ولكن له عندى جواب مثل كتابه وأزيد وأنا ادفع كتابه لبعض صبيان
المكتب ليجيبه ثم أرسل الى واطلبنى فاذا حضرت بين يديك فائذن لى بقراءة
الكتاب ورد جوابه فعند ذلك انشرح صدر الملك واستحسن رأى الغلام
واعجبته حيلته فانعم عليه وخوله رتبة والده وصرفه مسرورا فلما انقضت الثلاثة
أيام التى جعلها مهلة للساعى جاء الساعى ودخل على الملك وطلب الجواب فامهله
الملك الى يوم آخر فخرج الساعى الى آخر البساط وتكلم بكلام غير لائق مثل ما قال

الغلام

الغلام ثم خرج الى السوق وقال يا أهل هذه المدينة انى رسول ملك الهند الاقصى الى ملككم جئته برسالة وهو عاطلني في جوابها وقد انقضت المدة التى حددها لى ملكنا ولم يبق لملككم عذر فانتم تكونون شهداء على ذلك فلما بلغ الملك هذا الكلام ارسل الى ذلك الساعي وأحضره بين يديه وقال له أيها الساعي فى اتلاف نفسه ألست ناقلا كتابا من ملك الى ملك وبينهما اسرار فكيف تخرج بين الناس وتظهر اسرار الملوك على العامة لقد استحقيت منا القصاص ولكن نحن نتحمل ذلك لاجل عود جوابك لهذا الملك الاحمق والانسب ان لا يرد له جوابا عنا الا اقل صبيان المكتب ودعا بحضور ذلك الغلام فحضر ولما دخل على الملك والساعي حاضر سجد لله ودعا للملك بدوام العز والبقاء فعند ذلك رمى الملك الكتاب للغلام وقال له اقرأ هذا الكتاب واكتب جوابه بسرعة فاخذ الغلام الكتاب وقرأه وتبسم بالضحك وقال للملك هل ارسلت خلفى لاجل جواب هذا الكتاب فقال له نعم فاجاب بمزيد السمع والطاعة وأخرج الدواة والقرطاس وكتب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الغلام لما أخذ الكتاب وقرأه اخرج فى الوقت دواة وقرطاسا وكتب بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من فاز بالامان ورحمة الرحمن اما بعد فانى اعلمك أيها المدعو ملكا كبيرا اسما لا رسما انه قد وصل الينا كتابك وقرأناه وفهمنا ما فيه من الخرافات وغريب الهذيانات فتحققنا جهلك وبغيك علينا وقد مددت يديك الى ما لا تقدر عليه ولولا ان الرأفة أخذتنا على خلق الله والرعية لما تأخرنا عنك وأما رسولك فانه خرج الى السوق ونشر اخبار كتابك على الخاص والعام فاستحق منا القصاص ولكن ابقيناه رحمة منا له لكونه معذورا معك ولم نترك قصاصه وقارالك فاما ما ذكرته فى كتابك من قتلي لوزرائي وعلمائي وكبراء مملكتي فان ذلك حق ولكن لسبب قام عندي وما قتلت من العلماء واحدا الا وعندي من جنسه ألف أعلم منه وأفهم وأعقل وليس عندي طفل الا وهو ممتلئ من العلوم وعندي عوضا عن كل واحد من المقتولين من فضلاء نوعه ما لا اقدر ان أحصيه وكل واحد من عسكري يقاوم كردوسا من عسكرك واما من جهة المال فان عندي معمل الذهب والفضة واما المعادن فانها عندي كقطع الحجارة واما أهل مملكتي فانى لا اقدر ان اصف لك حسنهم وجمالهم وغناهم فكيف تجاسرت علينا

وقالت لنا ابن لى قصرا فى وسط البحر فان هذا امر عجيب ولعله ناشىء عن خسافة عقلك
لانه لو كان لك عقل لكنت فحصت عن دفعات الامواج وحركات الرياح وانا ابنى لك
القصر واما زعمك انك تظفر بى فحاش لله من ذلك كيف يخفى علينا مثلك ويظفر بملكنا
بل ان الله تعالى يظفرنى بك لكونك متعديا وباغيا على بغير حق فاعلم انك قد
استوجبت العذاب من الله ومنى ولكن انا اخاف الله فيك وفى رعيتك ولا اركب
عليك الا بعد النذارة فان كنت تخشى الله فعجل لى بارسال خراج هذه السنة
والا لا ارجع عن الركوب عليك ومعى ألف ألف ومائة ألف مقاتل كلهم جبابرة
بافيال فأسردهم حول وزيرنا وآمره أن يقيم على محاصرتك ثلاث سنوات تطير
الثلاثة أيام التى أمهلتها القاصد لك واتملك مملكتك بحيث لا اقتل منها أحدا غير
نفسك ولا اسبى منها غير حريمك ثم صور الغلام فى المكتوب صورته وكتب بجانبها
ان هذا الجواب كتبه أصغر أولاد الكتاب ثم ختمه وسلمه الى الملك فأعطاه الملك للساعى
فأخذه الساعى وقبل يدى الملك ومضى من عنده شاكرا الله تعالى وللملك على حمله
عليه وانطلق وهو يتعجب مما رأى من حذق الغلام فلما وصل الى ملكه وكان
دخوله عليه فى اليوم الثالث بعد الثلاثة أيام المحدودة له وكان الملك فى ذلك الوقت
ناصب الديوان بسبب تأخير الساعى عن المدة المحدودة له فلما دخل عليه سجد بين
يديه ثم أعطاه الكتاب فأخذه وسأل الساعى عن سبب ابطائه وعن احوال الملك
وردخان فقص عليه القصة وحكى له جميع ما نظره بعينه وسمعه باذنه فاندهش عقل
الملك وقال للساعى ويحك ما هذه الاخبار التى تخبرنى بها عن مثل هذا الملك فاجابه
الساعى قائلا أيها الملك العزيز ها انا بين يديك فافتح الكتاب واقرأه يظهر لك الصدق
من الكذب فعند ذلك فتح الملك الكتاب وقرأه ونظر فيه صورة الغلام الذى كتبه
فايقن بزوال ملكه وتحير فيما يكون من أمره ثم التفت الى وزرائه وعظماء دولته
وأخبرهم بما جرى وقرأ عليهم الكتاب فارتاعوا لذلك وارتعبوا رعبا عظيما وصاروا
يسكنون روع الملك بكلام من ظاهر اللسان وقلوبهم تتمزق من الخفقان ثم ان بديعا
الوزير الكبير قال اعلم أيها الملك ان الذى يقوله اخوتى من الوزراء لا فائدة فيه
والرأى عندى انك تكتب لهذا الملك كتابا وتعتذر اليه فيه وتقول له أنا محب لك
ولوالدك من قبلك وما أرسلنا اليك الساعى بهذا الكتاب الا على طريق الامتحان لك
لننظر عزائمك وما عندك من الشجاعة والامور العلمية والعملية والرموز الخفية
وما أنت منطو عليه من الكمالات الكلية ونسأل الله تعالى أن يبارك لك فى مملكتك
ويشيد حصون مدينتك ويزيد فى سلطانك حيثما كنت حافظا لنفسك فتتم أمور
رعيتك

ويعيشك وارسله له مع ساع آخر فقال الملك والله العظيم ان فى هذا العجب عظيما كيف يكون هذا الملك عظيما معتد للحرب بعد قتله لعلماء مملكته واصحاب رأيه ورؤساء جنده وتكون مملكته عامرة بعد ذلك ويخرج منها هذه القوة العظيمة وأعجب من هذا ان صغار مكاتبها يردون عن ملكها مثل هذا الجواب لكن أنا بسوء طمعى اشعلت هذه النار علىّ وعلى أهل مملكتى ولا أدرى من يطفئها الا رأى وزيرى هذا ثم انه جهز هدية ثمينة وخدما وحشما كثيرة وكتب كتابا مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد أيها الملك العزيز وردخان ولد الاخ العزيز جليعاد رحمه الله وابقاك لقد حضر لنا جواب كتابنا فقرأناه وفهمنا ما فيه فرأينا فيه ما يسرنا وهذا غاية طلبنا لك من الله ونسأله ان يعلى شأنك ويشيد اركان مملكتك وينصرك على اعدائك الذين يريدون بك السوء واعلم أيها الملك ان أباك كان لى اخا وبيني وبينه عهود ومواثيق مدة حياته وما كان يرى منا الا خيرا وكنا نحن كذلك لا نرى منه الا خيرا ولما توفى وجلست أنت على كرسى مملكته حصل عندنا غاية الفرح والسرور ولما بلغنا ما فعلت بوزرائك واكابر دولتك خشينا أن يصل خبر ذلك الى ملك غيرنا فيطمع فيك وكنا نظن انك فى غفلة عن مصالحك وحفظ حصونك مهملا لامور مملكتك فكاتبناك بما ننبهك به فلما رأيناك قد رددت إلينا مثل هذا الجواب اطمأن قلبنا عليك متعك الله بمملكتك وجعلك معانا على شأنك والسلام ثم جهز له الهدية وارسلها اليه مع مائة فارس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان ملك الهند الاقصى لما جهز الهدية الى الملك وردخان ارسلها له مع مائة فارس فساروا الى ان أقبلوا على الملك وردخان وسلموا عليه ثم أعطوه الكتاب فقرأه وفهم معناه ثم أنزل رئيس المائة فارس فى محل يصلح له واكرمه وقبل الهدية منه وشاع خبرها عند الناس وفرح الملك بذلك فرحا شديدا ثم أرسل الى الغلام ابن شماس وأحضره بين يديه واكرمه وأرسل الى رئيس المائة فارس ثم طلب الكتاب الذى أحضره من ملكه وأعطاه للغلام ففتحه وقرأه فسر الملك بذلك سرورا كبيرا وصار يعاتب رئيس المائة فارس وهو يقبل يديه ويعتذر اليه ويدعو له بدوام البقاء وخلود النعم عليه فشكره الملك على ذلك واكرمه اكراما زائدا وأعطاه وأعطى جميع من معه ما يليق بهم وجهز معهم هدايا وأمر الغلام أن يكتب رد الجواب فعند ذلك كتب الغلام الجواب وأحسن الخطاب وأوجز فى باب الصلح

وذكر أدب الرسول ومن معه من الفرسان فلما تم الكتاب عرضه على الملك فقال
له الملك اقرأه أيها الولد العزيز لكي نعرف ما كتب فيه فعند ذلك قرأه الغلام
بحضرة المائة فارس فاعجب الملك هو وكل من حضر نظامه ومعناه ثم ختمه الملك
وسلمه الى رئيس المائة فارس وصرفه وأرسل معه من عسكره طائفة توصلهم
الى أطراف بلادهم هذا ما كان من أمر الملك والغلام واما ما كان من أمر رئيس
المائة فانه اندهش عقله مما رآه من أمر الغلام ومعرفته وشكر الله تعالى على
قضاء مصلحته بسرعة وعلى قبول الصلح ثم انه سار الى ان وصل الى ملك أقصى الهند
وقدم اليه الهدايا والتحف واوصل اليه العطايا وناوله الكتاب وأخبره بما نظر
ففرح الملك بذلك فرحا شديدا وشكر الله تعالى واكرم رئيس المائة فارس وشكر همته
على فعله ورفع درجته وصار من ذلك الوقت فى امن وأمان وطمأنينة وزيادة
انشراح هذا ما كان من أمر ملك أقصى الهند وأما ما كان من أمر الملك
وردخان فانه استقام مع الله ورجع عن طريقته الرديئة وتاب الى الله توبة خالصة
عما كان فيه وترك النساء جملة ومال بكليته الى صلاح مملكته والنظر بخوف الله
الى رعيته وجعل ولد شماس وزيرا عوضا عن والده وصاحب الرأى المقدم عنده
فى المملكة وكاتم السره وأمر بزينة مدينته سبعة أيام وكذلك بقية المدائن
وفرحت الرعية بذلك وزال الخوف والرعب عنهم واستبشروا بالعدل والانصاف
وابتهلوا بالدعاء للملك والوزير الذى أزال عنه وعنهم هذا الغم وبعد ذلك قال الملك
للوزير ما الرأى عندك فى اتقان المملكة واصلاح الرعية ورجوعها الى ما كانت
عليه اولا من وجود الرؤساء والمدبرين فعند ذلك أجابه الوزير قائلا أيها الملك العزيز
الشان الرأى عندى انك قبل كل شئ تبتدئ بقطع أمر المعاصى من قلبك وتترك
ما كنت فيه من اللهو والعسف والاشتغال بالنساء لانك ان رجعت الى أصل
المعاصى تكون الضلالة الثانية أشد من الاولى فقال الملك وما هى أصل المعاصى
التى ينبغى ان اقلع عنها فاجابه ذلك الوزير الصغير السن الكبير العقل قائلا أيها الملك
الكبير اعلم ان أصل المعصية اتباع هوى النساء والميل اليهن وقبول رأيهن وتدبيرهن
لان محبتهن تغير العقول الصافية وتفسد الطباع السليمة والشاهد على قولى
من دلائل واضحة لو تفكرت فيها وتتبعت وقائعها بامعان النظر لوجدت لك ناصحا
من نفسك واستغنيت عن قولى جملة فلا تشغل قلبك بذكرهن واقطع من ذهنك
رسمهن لان الله تعالى أمر بعدم الاكثار منهن على يد نبيه موسى حتى قال بعض
الملوك من الحكماء لولده يا ولدى اذا استقمت فى الملك من بعدى فلا تستكثر من النساء

لئلا

لئلا يضل قلبك ويفسد رايك وبالجملة فالاستكثار منهن يفضى الى حين وحين يفضى الى فساد الرأى والبرهان على ذلك ما جرى لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام الذى خصه الله بالعلم والحكمة والملك العظيم ولم يعط أحدا من الملوك التى تقدمت مثل ما أعطاه فكانت النساء سببا لهفوة والده ومثل هذا كثير أيها الملك وانما ذكرت لك سليمان لتعرف انه ليس لاحد أن يملك مثل ما ملك حتى أطاعه جميع ملوك الارض واعلم أيها الملك ان محبة النساء أصل كل شر وليس لاحداهن رأى فينبغى للانسان أن يقتصر منهن على قدر الضرورة ولا يميل اليهن كل الميل فان ذلك يوقعه فى الفساد والهلكة فان أطعت قولى أيها الملك استقامت لك جميع أمورك وان تركته ندمت حيث لا ينفعك الندم فاجابه الملك قائلا لقد تركت ما كنت فيه من فرط الميل اليهن وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك وردخان لما قال لوزيره انى قد تركت ما كنت فيه من الميل اليهن واعرضت عن الاشتغال بالنساء جميعا ولكن ماذا اصنع فيهن جزاء على ما فعلن لان قتل شماس والدك كان من كيدهن ولم يكن ذلك مرادى ولا عرفت كيف جرى لى فى عقلى حتى وافقتهن على قتله ثم تأوه وصاح قائلا وا أسفاه على فقد وزيرى وسداد رأيه وحسن تدبيره وعلى فقد نظرائه من الوزراء ورؤساء المملكة وحسن آرائهم الرشيدة فاجابه الوزير قائلا اعلم أيها الملك أن الذنب ليس للنساء وحدهن لانهن مثل بضاعة مستحسنة تميل اليها شهوات الناظرين فمن اشتهى واشترى باعوه ومن لم يشتر لم يجبره احد على الشراء ولكن الذنب لمن اشترى وخصوصا اذا كان عارفا بمضرة تلك البضاعة وقد حذرتك ووالدى من قبلى كان يحذرك ولم تقبل منه نصيحة فأجابه الملك انى أوجبت على نفسى الذنب كما قلت أيها الوزير ولا عذر لى الا التقادير الالهية فقال الوزير اعلم أيها الملك أن الله تعالى خلقنا وخلق لنا استطاعة وجعل لنا ارادة واختيارا فان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل ولم يأمرنا الله بفعل ضر لئلا يلزمنا ذنب فيجب علينا حساب فيما يكون فعله صوابا لانه تعالى لا يأمرنا الا بالخير على سائر الاحوال وانما ينهانا عن الشر ولكن نحن بارادتنا نفعل ما نفعله صوابا كان أو خطأ فقال له الملك صدقت وانما كان خطئى من ميلى الى الشهوات وقد حذرت نفسى من ذلك مرارا وحذرنى والدك شماس

مرارا فغلبت نفسى على عقلى فهل عندك شئ يمنعنى عن ارتكاب هذا الخطا حتى
يكون عقلى غالبا على شهوات نفسى فأجاب الوزير نعم انى أرى شيأ يمنعك من ارتكاب
هذا الخطا وهو انك تنزع عنك ثوب الجهل وتلبس ثوب العدل وتعصى هواك وتطع
مولاك وترجع الى سيرة الملك العادل أبيك وتعمل مايجب عليك من حقوق الله
تعالى وحقوق رعيتك وتحافظ على دينك وعلى رعيتك وعلى سياسة نفسك وعلى
عدم قتل رعيتك وتنظر فى عواقب الامور وتنزل عن الظلم والجور والبغى والفساد
وتستعمل العدل والانصاف والخضوع وتمتثل أوامر الله تعالى وتلازم الشفقة
على خليقته الذين استخلفك عليهم وتواظب على مايوجب دعاءهم لك لانك اذا دام
لك ذلك صفا وقتك وعفا الله برحمته عنك وجعلك مهابا عند كل من يراك وتتلاشى
اعداؤك ويهزم الله تعالى جيوشهم وتصير عند الله مقبولا وعند خلقه مهابا محبوبا
فقال له الملك لقد أحييت فؤادى ونورت قلبى بكلامك الحلو وجليت عين بصيرتى
بعد العمى وأنا عازم على أن أفعل جميع ماذكرته لى بمعونة الله تعالى وأترك ما كنت
عليه من البغى والشهوات وأخرج نفسى من الضيق الى السعة ومن الخوف الى
الامن وينبغى أن تكون بذلك فرحا مسرورا لانى صرت لك ابنا مع كبر سنى وصرت
أنت لى والدا حبيبا على صغر سنك وصار من الواجب على بذل المجهود فيما تأمرنى
به وأنا اشكر فضل الله تعالى وفضلك فان الله تعالى أولانى بك من النعم وحسن
الهداية وسداد الرأى مايدفع همى وغمى وقد حصلت سلامة رعيتى على يديك
بشرف معرفتك وحسن تدبيرك فانت الآن مدبر الملك لا تشرف عليك بسوى
الجلوس على الكرسى وكل ماتفعله جائز على ولا اراد لكلمتك وان كنت صغير
السن لانك كبير العقل كثير المعرفة فأشكر الله الذى يسرك لى حتى هديتنى الى سبيل
الاستقامة بعد الاعوجاج المهلك قال الوزير أيها الملك السعيد اعلم انه لافضل لى
عليك فى بذل النصيحة لك لان قولى وفعلى من بعض مايلزمنى حيث كنت غريس
نعمتك وليس هكذا أنا وحدى بل والدى من قبلى مغمور بجزيل نعمتك فنحن الجميع
مقرون بجميلك وفضلك فكيف لانقر بذلك وانت ايها الملك راعينا وحاكمنا ومحارب
عنا أعداءنا ومتولى حفظنا وحارسنا وباذل جهدك فى سلامتنا ولو بذلنا
أرواحنا فى طاعتك لم نقم بواجب شكرك ولكن نتضرع الى الله تعالى الذى ولاك
علينا وحكمك فينا ونسأله أن يهب لك العمر الطويل ويمنحك النجاح فى جميع اعمالك
ولايمتحنك بمحنة فى زمانك ويبلغك مرادك ويجعلك مهابا الى حين مماتك ويبسط
بالكرم سواعدك حتى تقود كل عالم وتقهر كل معاند ويوجد بك فى مملكتك كل عالم

وشجاع

وشجاع وينزع منها كل جاهل وجبان ويرفع عن رعيتك الغلاء والبلاء ويزرع بينهم الالفة والمحبة ويمتعك من الدنيا بفلاحها ومن الآخرة بصلاحها بمنه وكرمه وخفي لطفه آمين انه على كل شيء قدير وليس عليه أمر عسير واليه المرجع والمصير فلما سمع الملك منه هذا الدعاء حصل عنده غاية الفرح ومال اليه كل الميل وقال له اعلم أيها الوزير أنك صرت عندي في مقام الاخ والولد والوالد وليس يفصلني منك الا الموت وجميع ما تملكه يدي لك التصرف فيه وان لم يكن لي خلف تجلس على تختي عوضا عني فانت أولى من جميع أهل مملكتي فأوليك ملكي بحضرة أكابر مملكتي واجعلك ولي عهدي من بعدي ان شاء الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد أن الملك وردخان قال لابن شماس الوزير سوف استخلفك عني واجعلك ولي عهدي من بعدي واشهد على ذلك اكابر مملكتي بعون الله تعالى ثم بعد ذلك دعا بكاتبه فحضر بين يديه فامره أن يكتب الى سائر كبراء دولته بالحضور اليه واجهر بالنداء في مدينته للحاضرين من الخاص والعام وأمر أن يجتمع الامراء والقواد والحجاب وسائر أرباب الخدم الى حضرة الملك وكذلك العلماء والحكماء وعمل الملك ديوانا عظيما وسماطا لم يعمل مثله قط وعزم جميع الناس من الخاص والعام فاجتمع الجميع على حظ وأكل وشرب مدة شهر وبعد ذلك كسا جميع حاشيته وفقراء مملكته واعطى العلماء عطايا وافرة ثم اختار جملة من العلماء والحكماء بمعرفة ابن شماس وادخلهم عليه وأمره أن ينتخب منهم سبعة ليجعلهم وزراء من تحت كلمته ويكون هو الرئيس عليهم فعند ذلك اختار الغلام ابن شماس منهم أكبرهم سنا واكملهم عقلا وأكثرهم دراية واسرعهم حفظا ورأى من بهذه الصفات ستة اشخاص فقدمهم الى الملك والبسهم ثياب الوزراء وكلمهم قائلا أنتم تكونون وزرائي تحت طاعة ابن شماس وجميع ما يقوله لكم أو يأمركم به وزيري هذا ابن شماس لا تخرجوا عنه أبدا ولو كان هو أصغركم سنا لانه أكبركم عقلا ثم ان الملك أجلسهم على كراسي مزركشة على عادة الوزراء واجرى اليهم الارزاق والنفقات ثم أمرهم أن ينتخبوا من اكابر الدولة الذين اجتمعوا عنده في الوليمة من يصلح لخدمة المملكة من الاجناد ليجعل منهم رؤساء الوف ورؤساء مئين ورؤساء عشرات ورتب لهم المرتبات واجرى اليهم الارزاق على عادة الكبراء

ففعلوا ذلك فى أسرع وقت وأمرهم أيضا أن ينعموا على بقية من حضر بالانعامات الجزيلة وان يصرفوا كل واحد الى أرضه بعز واكرام وامر عماله بالعدل فى الرعية واوصاهم بالشفقة على الفقراء والاغنياء وأمر باسعافهم من الخزنة على قدر درجاتهم فدعا له الوزراء بدوام العز والبقاء ثم انه أمر بزينة المدينة ثلاثة أيام شكر الله تعالى على ما حصل له من التوفيق هذا ما كان من أمر الملك ووزيره ابن شماس فى ترتيب المملكة وأمرائها وعمالها واما ما كان من أمر النساء المحظيات من السرارى وغيرهن اللاتى كن سببا لقتل الوزراء وفساد المملكة بحيلهن وخداعهن فانه لما انصرف جميع من كان فى الديوان من المدينة والقرى الى محله واستقامت أمورهم أمر الملك بالوزير الصغير السن الكبير العقل الذى هو ابن شماس أن يحضر بقية الوزراء فلما حضروا جميعا بين يدى الملك اختلى بهم وقال لهم اعلموا أيها الوزراء انى كنت حائدا عن الطريق المستقيم مستغرقا فى الجهل معرضا عن النصيحة ناقضا للعهود والمواثيق مخالفا لاهل النصح وسبب ذلك كله ملاعبة هؤلاء النساء وخداعهن اياى وزخرفة كلامهن وباطلهن لى وقبولى لذلك لانى كنت أظن ان كلامهن نصح بسبب عذوبته ولينه فاذا هو سم قاتل والآن قد تقرر عندى انهن لم يردن لى الا الهلاك والتلف فقد استحققن العقوبة والجزاء منى على جهة العدل حتى اجعلهن عبرة لمن اعتبر لكن فالرأى السديد فى اهلاكهن فاجابه الوزير ابن شماس قائلا أيها الملك العظيم الشان انى قلت لك اولا ان الذنب ليس مختصا بالنساء وحدهن بل هو مشترك بينهن وبين الرجال الذين يطيعونهن لكن النساء يستوجبن الجزاء على كل حال لامرين الاول تنفيذ قولك لكونك الملك الاعظم والثانى تجاسرهن عليك وخداعهن لك ودخولهن فيما لا يعنيهن وما لا يصلحن للتكلم فيه فهن أحق بالهلاك ولكن كفاهن ما هو نازل بهن ومن الآن اجعلهن بمنزلة الخدم والامر اليك فى ذلك وغيره ثم ان بعض الوزراء أشار على الملك بما قاله ابن شماس وبعض الوزراء تقدم الى الملك وسجد له وقال أدام الله أيام الملك ان كان لابد أن تفعل بهن فعلة لهلاكهن فافعل ما أقوله لك فقال الملك ما الذى تقوله لى فقال له أن تأمر احدى محاظيك بأن تأخذ النساء اللاتى خدعنك وتدخلهن البيت الذى حصل فيه قتل الوزراء والحكماء وتسجنهن هناك وتأمر أن يعطى لهن قليل من الطعام والشراب بقدر ما يمسك ابدانهن ولا يؤذن اليهن فى الخروج من ذلك الموضع أصلا وكل من ماتت بنفسها تبقى بينهن على حالها الى أن يمتن عن آخرهن وهذا اقل جزائهن لانهن كن سببا لهذه الفتنة العظيمة بل واصل جميع البلايا والفتن التى

وقعت

وقعت فى الزمان وصدق عليهن قول القائل ان من حفر بئر الاخيه وقع فيه ولو طالت سلامته فقبل الملك رأيه وفعل كما قال له وارسل خلف أربع مخطيات جبارات وسلم اليهن النساء وأمرهن أن يدخلنهن محل القتلى و يسجنهن فيه واجرى لهن طعاما دنيئا قليلا وشرابا بارد دنيئا قليلا فكان من أمرهن انهن حزن حزنا عظيما وندمن على مافرط منهن وتأسفن تاسفا كثيرا واعطاهن الله جزاءهن فى الدنيا من الخزى واعد لهن العذاب فى الآخرة ولم يزلن فى ذلك الموضع المظلم المنتن الرائحة وفى كل يوم تموت ناس منهن حتى هلكن عن آخرهن وشاع خبر هذه الواقعة فى جميع البلاد والاقطار وهذا ما انتهى اليه أمر الملك ووزرائه ورعيته والحمد لله مفنى الامم ومحيى الرمم المستحق للتجليل والاعظام والتقديس على الدوام

(حكاية ابى قير وابى صير)

ومما يحكى أيضا ان رجلين كانا فى مدينة الاسكندرية وكان أحدهما صباغا واسمه ابو قير وكان الثانى مزينا واسمه أبو صير وكانا جارين لبعضهما فى السوق وكان دكان المزين فى جانب دكان الصباغ وكان الصباغ نصابا كذابا صاحب شر قوى كانما صدغه منحوت من الجلمود أو مشتق من عتبة كنيسة اليهود لا يستحى من عيبة يفعلها بين الناس وكان من عادته انه اذا أعطاه أحد قماشا ليصبغه يطلب منه الكراء اولا ويوهمه انه يشترى به أجزاء ليصبغ بها فيعطيه الكراء مقدما فاذا أخذه منه يصرفه على أكل وشرب ثم يبيع القماش الذى أخذه بعد ذهاب صاحبه ويصرف ثمنه فى الاكل والشرب وغير ذلك ولا يأكل الا طيبا من أفخر المأكول ولا يشرب الا من أجود ما يذهب العقول فاذا أتاه صاحب القماش يقول له فى غد تجىء الى من قبل الشمس فتلقى حاجتك مصبوغة فيروح صاحب الحاجة و يقول فى نفسه يوم من يوم قريب ثم يأتيه فى ثانى يوم على الميعاد فيقول له تعال فى غد فانى أمس ما كنت فاضيا لانه كان عندى ضيوف فقمت بواجبهم حتى راحوا وفى غد قبل الشمس تعال خذ قماشك مصبوغا فيروح ويأتيه فى ثالث يوم فيقول له انى كنت أمس معذورا لان زوجتى ولدت بالليل وطول النهار وأنا أقضى مصالح ولكن فى غد من كل وبد تعال خذ حاجتك مصبوغة فيأتى له على الميعاد فيطلع له بحيلة أخرى من حيث كان ويحلف له وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الصباغ صار كلما أتى له صاحب الشىء يطلع له بحيلة

من حيث كان ويحلف له ولم يزل يوعده ويخلف اذا جاءه حتى يقلق الزبون ويقول له كم تقول لى فى غد أعطنى حاجتى فانى لا أريد صبغها فيقول والله يا أخى أنا مستحى منك ولكن أخبرك بالصحيح والله يؤذى كل من يؤذى الناس فى أمتعتهم فيقول له أخبرنى ماذا حصل فيقول اما حاجتك فانى صبغتها صبغا ليس له نظير ونشرتها على الحبل فسرقت ولا أدرى من سرقها فان كان صاحب الحاجة من أهل الخير يقل له يعوض الله على وان كان من أهل الشر يستمر معه فى هتيكة وجرسة ولا يحصل منه شيأ ولو اشتكاه الى الحاكم ولم يزل يفعل هذه الفعال حتى شاع ذكره بين الناس وصار الناس يحذر بعضهم بعضا من أبى قير ويضربون به الامثال وامتنعوا عنه جميعا وصار لا يقع معه الا الجاهل بحاله ومع ذلك لا بد له كل يوم من جرسة وهتيكة مع خلق الله فحصل له كساد بهذا السبب فصار يأتى الى دكان جاره المزين أبى صير ويقعد فى داخلها قصاد المصبغة وينظر الى باب المصبغة فان رأى أحدا جاهلا بحاله واقفا على باب المصبغة ومعه شئ يريد صبغه يقوم من دكان المزين ويقول له مالك يا هذا فيقول له خذ اصبغ لى هذا الشئ فيقول له أى لون تطلبه لانه مع هذه الخصال الذميمة كان يخرج من يده أن يصبغ سائر الالوان ولكنه لم يصدق مع أحد أبدا والشقاوة غالبة عليه ثم يأخذ الحاجة منه ويقول له هات الكراء قدام وفى غد تعال خذها فيعطيه الاجرة ويروح وبعد ان يتوجه صاحب الشئ الى حال سبيله يأخذ هو ذلك الشئ ويذهب الى السوق فيبيعه ويشترى بثمنه اللحم والخضار والدخان والفاكهة وما يحتاج اليه واذا رأى أحدا واقفا على الدكان من الذين أعطوه حاجة ليصبغها فلا يظهر اليه ولا يريه نفسه ودام على هذه الحالة سنين فاتفق له فى يوم من الايام انه أخذ حاجة من رجل جبار ثم باعها وصرف ثمنها وصار صاحبها يجئ اليه فى كل يوم فلم يره فى الدكان لانه متى رأى أحدا له عنده شئ يهرب منه فى دكان المزين أبى صير فلما لم يجده ذلك الجبار فى دكانه واعياه ذلك ذهب الى القاضى وأتاه برسول من طرفه وسمر باب الدكان بحضرة جماعة من المسلمين وختمها لانه لم ير فيها غير بعض مواجير مكسورة ولم يجد فيها شيأ يقوم مقام حاجته ثم أخذ الرسول المفتاح وقال للجيران قولوا له يجئ بحاجة هذا الرجل ويأتى ليأخذ مفتاح دكانه ثم ذهب الرجل والرسول الى حالهما فقال أبو صير لابى قير ما داهيتك فان كل من جاءك بحاجة تعدمه اياها اين راحت حاجة هذا الرجل الجبار قال يا جارى انها سرقت منى قال أبو صير عجائب كل من أعطاك حاجة يسرقها منك لص هل أنت معاد جميع اللصوص ولكن أظن انك تكذب فأخبرنى بقصتك قال يا جارى ما أحد سرق منى شيأ

قال

قال أبو صير وما تفعل فى متاع الناس فقال له كل من أعطانى حاجة أبيعها واصرف ثمنها قال له أبو صير ايحل لك هذا من الله قال له أبو قير انما أفعل هذا من الفقر لان صنعتى كاسدة وأنا فقير وليس عندى شئ ثم صار يذكر له الكساد وقلة السبب وصار أبو صير يذكر له كساد صنعته أيضا ويقول أنا اسطى ليس لى نظير فى هذه المدينة ولكن لا يحلق عندى أحد لكونى رجلا فقيرا وكرهت هذه الصنعة يا أخى فقال له أبو قير الصباغ وأنا أيضا كرهت صنعتى من الكساد ولكن يا أخى ما الداعى لاقامتنا فى هذه البلدة فانا وأنت نسافر منها نتفرج فى بلاد الناس وصنعتنا فى أيدينا رائجة فى جميع البلاد فاذا سافرنا نشم الهواء ونرتاح من هذا الهم العظيم ولا زال أبو قير يحسن السفر لابى صير حتى رغب فى الارتحال ثم انهما اتفقا على السفر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا قير لا زال يحسن السفر لابى صير حتى رغب فى الارتحال ثم انهما اتفقا على السفر وفرح أبو قير بان أبا صير رغب فى أن يسافر وانشد قول الشاعر

تغرب عن الاوطان فى طلب العلا * وسافر ففى الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد
وان قيل فى الاسفار غم وكربة * وتشتيت شمل وارتكاب شدائد
فموت الفتى خير له من حياته * بدار هوان بين واش وحاسد

وحين عزما على السفر قال أبو قير لابى صير يا جارى نحن صرنا اخوين ولا فرق بيننا فينبغى اننا نقرأ الفاتحة على ان عمالنا يكتسب ويطعم بطالنا ومهما فضل نضعه فى صندوق فاذا رجعنا الى الاسكندرية نقسمه بيننا بالحق والانصاف قال أبو صير وهو كذلك وقرأ الفاتحة على ان العمال يكتسب ويطعم البطال ثم ان أبا صير قفل الدكان وأعطى المفاتيح اصحابها وأبو قير ترك المفتاح عند رسول القاضى وترك الدكان مقفولة مختومة واخذا مصالحهما واصبحا مسافرين ونزلا فى غليون فى البحر المالح وسافرا فى ذلك النهار وحصل لهما اسعاف ومن تمام سعد المزين ان جميع من كان فى الغليون لم يكن معهم أحد من المزينين وكان فيه مائة وعشرون رجلا غير الريس والبحرية ولما حلوا قلوع الغليون قام المزين وقال للصباغ يا أخى هذا بحر نحتاج فيه الى الاكل والشرب وليس معنا الا قليل زاد وربما يقول لى أحد تعال

يا مزين احلق لى فاحلق له برغيف أو بنصف فضة أو بشربة ماء فانتفع بذلك أنا وأنت فقال له الصباغ لا بأس ثم حط رأسه ونام وقام المزين وأخذ عدته والطاسة ووضع على كتفه خرقة تغنى عن الفوطة لانه فقير وشق بين الركاب فقال له واحد تعال يا أسطى احلق لى فحلق له فلما حلق لذلك الرجل أعطاه نصف فضة فقال له المزين يا أخى ليس لى حاجة بهذا النصف الفضة ولو كنت أعطيتنى رغيفا كان ابرك لى فى هذا البحر لان لى رفيقا وزادنا شئ قليل فاعطاه رغيفا وقطعة جبن وملأ له الطاسة ماء حلوا فاخذ ذلك وأتى الى أبى قير وقال له خذ هذا الرغيف وكله بالجبن واشرب ما فى الطاسة فاخذ ذلك منه واكل وشرب ثم ان أبا صير المزين بعد ذلك حمل عدته واخذ الخرقة على كتفه والطاسة فى يده وشق فى الغليون بين الركاب فحلق لانسان برغيفين ولآخر بقطعة جبن ووقع عليه الطلب وصار كل من يقول له احلق لى يا أسطى يشرط عليه رغيفين ونصف فضة وليس فى الغليون مزين غيره فما جاء المغرب حتى جمع ثلاثين رغيفا وثلاثين نصف فضة وصار عنده جبن وزيتون وبطارخ وصار كلما يطلب حاجة يعطونه اياها حتى صار عنده شئ كثير وحلق للقبطان وشكاله قلة الزاد فى السفر فقال له القبطان مرحبا بك هات رفيقك فى كل ليلة وتعشيا عندى ولا تحملا هما مادمتما مسافرين معنا ثم رجع الى الصباغ فرآه لم يزل نائما فايقظه فلما أفاق أبو قير رأى عند رأسه شيأ كثيرا من عيش وجبن وزيتون وبطارخ فقال له من اين لك ذلك فقال من فيض الله تعالى فاراد أن يأكل فقال له أبو صير لا تأكل يا أخى من هذا واتركه ينفعنا فى وقت آخر واعلم انى حلقت للقبطان وشكوت اليه قلة الزوادة فقال لى مرحبا بك هات رفيقك كل ليلة وتعشيا عندى فاول عشائنا عند القبطان فى هذه الليلة فقال له أبو قير أنا دايخ من البحر ولا أقدر أن أقوم من مكانى فدعنى أتعشى من هذا الشئ ورح أنت وحدك عند القبطان فقال له لا بأس بذلك ثم جلس يتفرج عليه وهو يأكل فرآه يقطع اللقمة كما يقطع الحجار من الجبل ويبتلعها ابتلاع الفيل الذى له أيام ما أكل ويلتهم اللقمة قبل ازدراد التى قبلها ويحملق عينيه فيما بين يديه حملقة الغول وينفخ نفخ الثور الجائع على التبن والفول واذا بنوتى جاء وقال يا أسطى يقول لك القبطان هات رفيقك وتعال للعشاء فقال أبو صير لابى قير أتقوم بنا فقال له أنا لا أقدر على المشى فراح المزين وحده فرأى القبطان جالسا وقدامه سفرة فيها عشرون لونا أو أكثر وهو وجماعته ينتظرون المزين ورفيقه فلما رآه القبطان قال له اين رفيقك فقال له يا سيدى انه دايخ من البحر فقال له القبطان لا بأس عليه ستزول عنه الدوخة تعال أنت تعش معنا فانى كنت فى انتظارك ثم ان القبطان عزل

صحن كباب وحطّ فيه من كل لون فصار يكفي عشرة وبعد أن تعشى المزين قال القبطان خذ هذا الصحن معك الى رفيقك فأخذه أبو صير وأتى الى أبي قير فرآه يطحن بانيابه فيما عنده من الاكل مثل الجمل ويلحق اللقمة باللقمة على عجل فقال له أبو صير اما قلت لك لا تأكل فان القبطان خيره كثير فانظر أي شيء بعث اليك لما أخبرته بانك دايخ فقال له هات فناوله الصحن فاخذه منه وهو ملهوف عليه وعلى غيره من الاكل مثل الكلب الكاشر أو السبع الكاسر أو الرخ اذا انقض على الحمام أو الذي كاد أن يموت من الجوع ورأى شيأ من الطعام وصار يأكل فتركه أبو صير وراح الى القبطان وشرب القهوة هناك ثم رجع الى أبي قير فرآه قد أكل جميع ما في الصحن ورماه فارغا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان أبا صير لما رجع الى أبي قير رآه قد أكل ما في الصحن ورماه فارغا فأخذه وأوصله الى بعض اتباع القبطان ورجع الى أبي قير ونام الى الصباح فلما كان ثاني الايام صار أبو صير يحلق وكلما جاءه شيء يعطيه لابي قير وأبو قير يأكل ويشرب وهو قاعد لا يقوم الا لازالة الضرورة وكل ليلة يأتي له بصحن ملآن من عند القبطان واستمرا على هذه الحالة عشرين يوما حتى رسا الغليون على مينة مدينة فطلعا من الغليون ودخلا تلك المدينة وأخذا لهما حجرة في خان وفرشها أبو صير واشترى جميع ما يحتاجان اليه وجاء بلحم وطبخه وأبو قير نائم من حين دخل الحجرة ولم يستيقظ حتى ايقظه أبو صير ووضع السفرة بين يديه فلما افاق أكل وبعد ذلك قال له لا تؤاخذني فاني دايخ ثم نام واستمرا على هذه الحالة أربعين يوما وكل يوم يحمل المزين العدة ويدور في المدينة فيعمل بالذي فيه النصيب ويرجع فيجد أبا قير نائما فينبهه وحين ينتبه يقبل على الاكل بلهفة فيأكل أكل من لا يشبع ولا يقنع ثم ينام ولم يزل كذلك مدة أربعين يوما اخرى وكلما يقول له أبو صير أجلس ارتاح واخرج تفسح في المدينة فانها فرجة وبهجة وليس لها نظير في المدائن يقول له أبو قير الصباغ لا تؤاخذني فاني دايخ فلا يرضى أبو صير المزين أن يكدر خاطره ولا يسمعه كلمة تؤذيه وفي اليوم الحادي والاربعين مرض المزين ولم يقدر أن يسرح فسخر بواب الخان فقضى لهما حاجتهما وأتى لهما بما يأكلان وما يشربان كل ذلك وأبو قير يأكل وينام ومازال المزين يسخر بواب الخان في قضاء حاجته مدة أربعة أيام وبعد ذلك اشتد المرض على المزين حتى غاب عن الوجود من

شدة مرضه وأمّا أبو قير فانه احرقه الجوع فقام وفتش فى ثياب أبى صير فرأى معه مقدارا من الدراهم فاخذه وقفل باب الحجرة على أبى صير وهو ضى ولم يعلم أحدا وكان البواب فى السوق فلم يره حين خروجه ثم ان أبا قير عمد الى السوق وكسا نفسه ثيابا نفيسة وصار يدور فى المدينة ويتفرج فرآها مدينة ما وجد مثلها فى المدائن وجميع ملبوسها أبيض وازرق من غير زيادة فاتى الى صباغ فرأى جميع ما فى دكانه ازرق فأخرج له محرمة وقال له يا معلم خذ هذه المحرمة واصبغها وخذ أجرتك فقال له ان أجرة صبغ هذه عشرون درهما فقال له نحن نصبغ هذه فى بلادنا بدرهمين فقال رح اصبغها فى بلادكم وأمّا أنا فلا اصبغها الا بعشرين درهما لا تنقص عن هذا القدر شيأ فقال له أبو قير اى لون تريد صبغها قال له الصباغ زرقاء قال له أبو قير أنا مرادى أن تصبغها الى حمراء قال له لا أدرى صباغ الاحمر قال خضراء قال لا أدرى صباغ الاخضر قال صفراء قال له لا أدرى صباغ الاصفر وصار أبو قير يعدّ له الالوان لونا بعد لون فقال له الصباغ نحن فى بلادنا أربعون معلما لا يزيدون واحدا ولا ينقصون واحدا واذا مات منا واحد نعلم ولده وان لم يخلف ولدا نبقى ناقصين واحدا والذى له ولدان نعلم واحدا منهما فان مات علمنا اخاه وصنعتنا هذه مضبوطة ولا نعرف أن نصبغ غير الازرق من غير زيادة فقال له أبو قير الصباغ اعلم انى أنا صباغ وأعرف أن اصبغ سائر الالوان ومرادى أن تخدمنى عندك بالاجرة وأنا اعلمك جميع الالوان لاجل أن تفتخر بها على كل طائفة الصباغين فقال له نحن لا نقبل غريبا يدخل فى صنعتنا أبدا فقال له واذا فتحت لى مصبغة وحدى قال له لا يمكنك ذلك أبدا فتركه وتوجه الى الثانى فقال له كما قال له الاول ولم يزل ينتقل من صباغ الى صباغ حتى طاف على الاربعين معلما فلم يقبلوه لا أجيرا ولا معلما فتوجه الى شيخ الصباغين وأخبره فقال له اننا لا نقبل غريبا يدخل فى صنعتنا فحصل عند أبى قير غيظ عظيم وطلع يشكو الى ملك تلك المدينة وقال له يا ملك الزمان أنا غريب وصنعتى الصباغة وجرى لى مع الصباغين ما هو كذا وكذا وأنا أصبغ الاحمر ألوانا مختلفة كوردى وعنابى والاخضر ألوانا مختلفة كزرعى وفستقى وزيتى وجناح الدرة والاسود ألوانا مختلفة كفحمى وكحلى والاصفر ألوانا مختلفة كنارنجى وليمونى وصار يذكر له سائر الالوان ثم قال يا ملك الزمان كل الصباغين الذين فى مدينتك لا يخرج من ايديهم أن يصبغوا شيأ من هذه الالوان ولا يعرفون الا صبغ الازرق ولم يقبلونى أن أكون عندهم معلما ولا أجيرا فقال له الملك قد صدقت فى ذلك ولكن أنا افتح لك مصبغة واعطيك رأس مال وما عليك منهم وكل من تعرض لك شنقته على باب دكانه ثم أمر

البنايين

البنايين وقال لهم امضوا مع هذا المعلم وشقوا أنتم واياه فى المدينة وأىّ مكان اعجبه فاخرجوا اصاحبه منه سواء كان دكانا أو خانا أو غير ذلك وابنوا له مصبغة على مراده ومهما أمركم به فافعلوه ولا تخالفوه فيما يقول ثم انّ الملك ألبسه بدلة مليحة واعطاه ألف دينار وقال له اصرفها على نفسك حتى تتم البناية واعطاه مملوكين من أجل الخدمة وحصانا بعدّة مزركشة فلبس البدلة وركب الحصان وصار كانه أمير واخلى له الملك بيتا وأمر بفرشه ففرشوه له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد انّ الملك أخلى بيتا لابى قير وامر بفرشه ففرشوه له وسكن فيه وركب فى ثانى يوم وشق فى المدينة والمهندسون قدامه ولم يزل يتامّل حتى اعجبه مكان فقال هذا المكان طيب فاخرجوا اصاحبه منه واحضروه الى الملك فاعطاه ثمن مكانه زيادة على ما يرضيه ودارت فيه البناية وصار أبو قير يقول للبنايين ابنوا كذا وكذا وافعلوا كذا وكذا حتى بنوا له مصبغة ليس لها نظير ثم حضر الى الملك وأخبره بان المصبغة تم بناؤها وانما تحتاج لثمن الصباغ من أجل ادارتها فقال له الملك خذ هذه الاربعة آلاف دينار واجعلها رأس مال وارنى ثمرة مصبغتك فاخذها ومضى الى السوق فرأى النيلة كثيرة وليس لها ثمن فاشترى جميع ما يحتاج اليه من حوايج الصباغ ثم انّ الملك ارسل اليه خمسمائة شقة من القماش فدور الصبغ فيها وصبغها من سائر الالوان ثم نشرها قدام باب المصبغة فلما مرّ الناس عليها رأوا شيأ عجيبا عمرهم ما رأوا مثله فازدحمت الخلائق على باب المصبغة وصاروا يتفرجون ويسألونه ويقولون له يا معلم ما اسم هذه الالوان فيقول لهم هذا أحمر وهذا أصفر وهذا أخضر ويذكر لهم اسامى الالوان فصاروا ياتونه بشئ من القماش ويقولون له اصبغ لنا مثل هذا وهذا وخذ ما تطلب ولما فرغ من صباغ قماش الملك اخذه وطلع به الى الديوان فلما رأى الملك ذلك الصباغ فرح به وأنعم عليه انعاما زائدا وصار جميع العسكر يأتون اليه بالقماش ويقولون له اصبغ لنا هكذا فيصبغ لهم على اغراضهم ويرمون عليه الذهب والفضة ثم انه شاع ذكره وسميت مصبغته مصبغة السلطان ودخل عليه الخير من كل باب وجميع الصباغين لم يقدر أحد منهم أن يتكلم معه وانما كانوا ياتونه ويقبلون يديه ويعتذرون اليه مما سبق منهم فى حقه ويعرضون أنفسهم عليه ويقولون له اجعلنا خدما عندك فلم يرض أن

يقبل واحدا منهم وصار عنده عبيد وجوار وجمع مالا كثيرا هذا ما كان من أمر أبي قير وأما ما كان من أمر أبي صير فانه لما قفل عليه أبو قير باب الحجرة بعد أن أخذ دراهمه راح وخلاه وهو مريض غائب عن الوجود فصار مرميا في تلك الحجرة والباب مقفول عليه واستمر كذلك ثلاثة أيام فانتبه بواب الخان الى باب الحجرة فرآه مقفولا ولم ير أحدا من هذين الاثنين الى المغرب ولم يعلم لهما خبرا فقال في نفسه لعلهما سافرا ولم يدفعا أجرة الحجرة أو ماتا أو ما خبرهما ثم انه أتى الى باب الحجرة فرآه مقفولا وسمع انين المزين في داخلها ورأى المفتاح في الضبة ففتح الباب ودخل فرأى المزين يئن فقال له لا باس عليك أين رفيقك فقال له والله اني ما أفقت من مرضي الا في هذا اليوم وصرت انادي وما أحد يرد علي جوابا بالله عليك يا أخي أن تنظر الكيس تحت رأسي وتأخذ منه خمسة انصاف وتشتري لي بها شيأ أقتات به فاني في غاية الجوع فمد يده واخذ الكيس فرآه فارغا فقال للمزين ان الكيس فارغ ما فيه شئ فعرف أبو صير المزين ان أبا قير أخذ ما فيه وهرب فقال له اما رأيت رفيقي فقال له من مدة ثلاثة أيام ما رأيته وما كنت أظن الا انك سافرت أنت واياه فقال له المزين ما سافرنا وانما طمع في فلوسي فاخذها وهرب حين رآني مريضا ثم انه بكى وانتحب فقال له بواب الخان لا بأس عليك وهو يلقى فعله من الله ثم ان بواب الخان راح وطبخ له شوربة وغرف له صحنا وأعطاه اياه ولم يزل يتعهده مدة شهرين وهو يكلفه من كيسه حتى عرق وشفاه الله من المرض الذي كان به ثم قام على اقدامه وقال لبواب الخان ان اقدرني الله تعالى جازيتك على ما فعلت معي من الخير ولكن لا يجازي الا الله من فضله فقال له بواب الخان الحمد لله على العافية أنا ما فعلت معك ذلك الا ابتغاء وجه الله الكريم ثم ان المزين خرج من الخان وشق في الاسواق فاتت به المقادير الى السوق الذي فيه مصبغة أبي قير فرأى الاقمشة ملونة بالصباغ منشورة في باب المصبغة والخلائق مزدحمة يتفرجون عليها فسأل رجلا من أهل المدينة وقال له ما هذا المكان ومالي أرى الناس مزدحمين فقال له المسؤل ان هذه مصبغة السلطان التي انشاها الرجل غريب اسمه أبو قير وكلما صبغ ثوبا نجتمع عليه ونتفرج على صبغه لان بلادنا ما فيها صباغون يعرفون صبغ هذه الالوان وجرى له مع الصباغين الذين في البلد ما جرى واخبره بما جرى بين أبي قير وبين الصباغين وانه شكاهم الى السلطان فاخذ بيده وبنى له هذه المصبغة واعطاه كذا وكذا وأخبره بكل ما جرى ففرح أبو صير وقال في نفسه الحمد لله الذي فتح عليه وصار معلما والرجل معذور لعله التهى عنك بالصنعة ونسيك ولكن أنت عملت معه

معروفا

معروفا واكرمته وهو بطال فتى رآك فرح بك واكرمك فى نظير ما اكرمته ثم انه تقدم
الى جهة باب المصبغة فرأى اباقير جالسا على مرتبة عالية فوق مصطبة فى باب
المصبغة وعليه بدلة من ملابس الملوك وقدامه أربعة عبيد وأربعة مماليك بيض
لابسين افخر الملابس ورأى الصنايعية عشرة عبيد واقفين يشتغلون لانه حين
اشتراهم علمهم صنعة الصباغة وهو قاعد بين المخدات كأنه وزير أعظم أو ملك افخم
لا يعمل شيأ بيده وانما يقول لهم افعلوا كذا وكذا فوقف أبو صير قدامه وهو يظن
انه اذا رآه يفرح به ويسلم عليه ويكرمه ويأخذ بخاطره فلما وقعت العين فى العين
قال له أبو قير يا خبيث كم مرة وأنا أقول لك لا تقف فى باب هذا الدولاب هل مرادك
أن تفضحنى مع الناس يا حرامى امسكوه فجرت خلفه العبيد وقبضوا عليه وقام
أبو قير على حيله وأخذ عصا وقال ارموه فرموه فضربه على ظهره مائة ثم قلبوه
فضربه على بطنه مائة وقال يا خبيث يا خائن ان نظرتك بعد هذا اليوم واقفا على باب
هذه المصبغة أرسلتك الى الملك فى الحال فيسلمك الى الوالى ليرمى عنقك امش لا بارك
الله لك فذهب من عنده مكسور الخاطر بسبب ما حصل له من الضرب والترذيل
فقال الحاضرون لابى قير الصباغ أى شئ عمل هذا الرجل فقال لهم انه حرامى
يسرق اقمشة الناس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان أباقير ضرب أبا صير وطرده وقال للناس ان هذا
حرامى يسرق أقمشة الناس فانه سرق منى كم مرة من القماش وأنا أقول فى نفسى
سامحه الله فانه رجل فقير ولم ارض أن اشوش عليه وأعطى الناس ثمن أقمشتهم وانهاه
بلطف فلم ينته فان رجع مرة غير هذه المرة أرسلته الى الملك فيقتله ويريح الناس
من أذاه فصار الناس يشتمونه بعد ذهابه هذا ما كان من أمر أبى قير وأما ما كان
من أمر أبى صير فانه رجع الى الخان وجلس يتفكر فيما فعل به أبو قير ولم يزل جالسا
حتى برد عليه الضرب ثم خرج وشق فى اسواق المدينة فخطر بباله انه يدخل الحمام
فسأل رجلا من أهل المدينة وقال له يا أخى من أين طريق الحمام فقال له وما يكون
الحمام فقال له موضع تغتسل فيه الناس ويزيلون ما عليهم من الاوساخ وهو من
اطيب طيبات الدنيا فقال له عليك بالبحر قال أنا مرادى الحمام قال له نحن لم نعرف
الحمام كيف يكون فاننا كلنا نروح الى البحر حتى الملك اذا أراد أن يغتسل فانه يروح
الى البحر فلما علم أبو صير أن المدينة لم يكن فيها حمام وأهلها لا تعرف الحمام

ولا كيفيته مضى الى ديوان الملك ودخل عليه وقبل الارض بين يديه ودعا له وقال له
أنا رجل غريب البلاد وصنعتي حمامي فدخلت مدينتك واردت الذهاب الى الحمام
فما رأيت فيها ولا حماما واحدا والمدينة التي تكون بهذه الصفة الجميلة كيف تكون
من غير حمام مع انه من أحسن نعيم الدنيا فقال له الملك أي شيء يكون الحمام فصار
يحكي له أوصاف الحمام وقال له لا تكون مدينتك مدينة كاملة الا اذا كان بها حمام
فقال له الملك مرحبا بك وألبسه بدلة ليس لها نظير واعطاه حصانا وعبدين ثم أنعم
عليه بأربع جوار ومملوكين وهيأ له دارا مفروشة واكرمه اكثر من الصباغ وأرسل
معه البنائين وقال لهم الموضع الذي يعجبه ابنوا له فيه حماما فأخذهم وشق بهم
في وسط المدينة حتى اعجبه مكان فاشار لهم عليه فدوروا فيه البناية وصار يرشدهم
الى كيفيته حتى بنوا له حماما ليس له نظير ثم أمرهم بنقشه فنقشوه نقشا عجيبا حتى
صار بهجة للناظرين ثم طلع الى الملك وأخبره بفراغ بناء الحمام ونقشه وقال له انه
لم يكن ناقصا غير الفرش فاعطاه الملك عشرة آلاف دينار فاخذها وفرش الحمام
وصف فيه الفوط على الحبال وصار كل من مر على باب الحمام يشخص له ويحتار
فكره في نقشه وازدحمت الخلائق على ذلك الشيء الذي ما رأوا مثله في عمرهم وصاروا
يتفرجون عليه ويقولون أي شيء هذا فيقول لهم أبو صير هذا حمام فيتعجبون منه
ثم انه سخن الماء ودور الحمام وعمل سلسبيلا في الفسقية يأخذ عقل كل من رآه من
أهل المدينة وطلب من الملك عشرة مماليك دون البلوغ فاعطاه عشرة مماليك
مثل الاقمار فصار يكبسهم ويقول لهم افعلوا مع الزباين هكذا ثم اطلق البخور
وأرسل مناديا ينادي في المدينة ويقول يا خلق الله عليكم بالحمام فانه يسمى حمام
السلطان فاقبلت عليه الخلائق وجعل يأمر المماليك أن يغسلوا اجساد الناس
وصارت الناس ينزلون المغطس ويطلعون وبعد طلوعهم يجلسون في الليوان
والمماليك تكبسهم مثل ما علمهم أبو صير واستمر الناس يدخلون الحمام ويقضون
حاجتهم منه ثم يخرجون بلا أجرة مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع عزم الملك الى
الحمام فركب هو واكابر دولته وتوجهوا الى الحمام فقلع ودخل فدخل أبو صير
وكيس الملك وأخرج من جسده الوسخ مثل الفتايل وصار يريه له ففرح الملك وصار
لو ضع يده على بدنه صوت من النعومة والنظافة وبعد أن غسل جسده مزج له ماء
الورد بماء المغطس فنزل الملك في المغطس ثم خرج وجسده قد ترطب فحصل له نشاط
عمره ما رآه ثم بعد ذلك أجلسه في الليوان وصارت المماليك يكبسونه والمباخر
تفوح بالعود والند فقال الملك يا معلم اهذا هو الحمام قال نعم فقال له وحياة رأسي
ان

ان مدينتى ما صارت مدينة الا بهذا الحمام ثم قال له أنت تأخذ على كل رأس أى
شئ أجرة قال أبو صير الذى تأمر لى به آخذه فأمر له بألف دينار وقال له كل من
اغتسل عندك خذ منه ألف دينار فقال له العفو يا ملك الزمان ان الناس ليسوا
سواء بل فيهم الغنى وفيهم الفقير واذا أخذت من كل واحد ألف دينار يبطل الحمام
فان الفقير لا يقدر على الالف دينار قال الملك وكيف تفعل فى الاجرة قال أجعل
الاجرة بالمروءة فكل من يقدر على شئ وسمحت به نفسه يعطيه فنأخذ من كل انسان
على قدر حاله فان الامر اذا كان كذلك تأتى الينا الخلائق والذى يكون غنيا يعطى
على قدر مقامه والذى يكون فقيرا يعطى على قدر ما تسمح به نفسه فاذا كان
الامر كذلك يدور الحمام ويبقى له شأن عظيم وأما الالف دينار فانها عطية الملك
ولا يقدر عليها كل أحد فصدق عليه اكابر الدولة وقالوا هذا هو الحق يا ملك الزمان
أتحسب أن الناس كلهم مثلك أيها الملك العزيز قال الملك ان كلامكم صحيح ولكن
هذا رجل غريب فقير واكرامه واجب علينا فانه عمل فى مدينتنا هذا الحمام الذى
عمرنا ما رأينا مثله ولا تزينت مدينتنا وصار لها شأن الا به فاذا أكرمناه بزيادة
الاجر ما هو كثير فقالوا اذا كنت تكرمه فاكرمه من مالك واكرام الفقير من الملك
بقلة أجرة الحمام لاجل أن تدعو لك الرعية وأما الالف دينار فنحن اكابر دولتك
ولا تسمح أنفسنا باعطائها فكيف تسمح بذلك نفوس الفقراء فقال الملك يا اكابر
دولتى كل منكم يعطيه فى هذه المرة مائة دينار ومملوكا وجارية وعبدا فقالوا
نعم نعطيه ذلك ولكن بعد هذا اليوم كل من دخل لا يعطيه الا ما تسمح به نفسه فقال
لا بأس بذلك فجعلت الاكابر يعطيه كل واحد منهم مائة دينار وجارية ومملوكا وعبدا
وكان عدد الاكابر الذين اغتسلوا مع الملك فى هذا اليوم أربعمائة نفس وأدرك شهر
زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه كان عدد الاكابر الذين اغتسلوا مع الملك
فى ذلك اليوم أربعمائة نفس فصار جملة ما أعطوه من الدنانير أربعين ألف دينار
ومن المماليك أربعمائة مملوك ومن العبيد أربعمائة عبد ومن الجوارى أربعمائة
جارية وناهيك بهذه العطية وأعطاه الملك عشرة آلاف دينار وعشرة مماليك
وعشر جوار وعشرة عبيد فتقدم أبو صير وقبل الارض بين ايادى الملك وقال له
أيها الملك السعيد صاحب الرأى الرشيد أى مكان يسعنى بهذه المماليك والجوارى

والعبيد فقال له الملك أنا ما أمرت دولتي بذلك الا لاجل أن تجمع لك مقدارا عظيما
من المال لانك ربما تفكرت بلادك وعيالك واشتقت اليهم واردت السفر الى
أوطانك فتكون أخذت من بلادنا مقدارا جسيما من المال تستعين به على وقتك
فى بلادك قال يا ملك الزمان أعزك الله ان هذه المماليك والجوارى والعبيد الكثيرة
شأن الملوك ولو كنت أمرت لى بمال نقد لكان خيرا لى من هذا الجيش فانهم يأكلون
ويشربون ويلبسون ومهما حصلته من المال لا يكفيهم فى الانفاق عليهم فضحك
الملك وقال والله انك قد صدقت فانهم صاروا عسكرا جرارا وأنت ليس لك مقدرة
على الانفاق عليهم ولكن أتبيعهم لى كل واحد بمائة دينار فقال بعتك اياهم بهذا
الثمن فارسل الملك الى الخازندار ليحضر له المال فاحضره وأعطاه ثمن الجميع
بالتمام والكمال ثم بعد ذلك أنعم بهم على أصحابهم وقال كل من يعرف عبده أو جاريته
أو مملوكه فليأخذه فانهم هدية منى اليكم فامتثلوا أمر الملك وأخذ كل واحد
منهم ما يخصه فقال له أبو صير أراحك الله يا ملك الزمان كما أرحتنى من هؤلاء
الغيلان الذين لا يقدر أن يشبعهم الا الله فضحك الملك من كلامه وصدق عليه ثم
أخذ أكابر دولته وذهب من الحمام الى سرايته وبات تلك الليلة أبو صير وهو يصرد
الذهب ويضعه فى الاكياس ويختم عليه وكان عنده عشرون عبدا وعشرون
مملوكا وأربع جوار برسم الخدمة فلما أصبح الصباح فتح الحمام وأرسل مناديا ينادى
ويقول كل من دخل الحمام واغتسل فانه يعطى ما تسمح به نفسه وما تقتضيه
مروءته وقعد أبو صير عند الصندوق وهجمت عليه الزباين وصار كل من طلع
يحط الذى يهون عليه فما أمسى المساء حتى امتلأ الصندوق من خير الله تعالى ثم ان
الملكة طلبت دخول الحمام فلما بلغ أبا صير ذلك قسم النهار من اجلها قسمين وجعل
من الفجر الى الظهر قسم الرجال ومن الظهر الى الغروب قسم النساء ولما أتت
الملكة أوقف جارية خلف الصندوق وكان علم أربع جوار البلانة حتى صرن بلانات
ماهرات فلما أعجبها ذلك وانشرح صدرها حطت ألف دينار وشاع ذكره فى المدينة
وصار كل من دخل يكرمه سواء كان غنيا أو فقيرا فدخل عليه الخير من كل باب
وتعرف باعوان الملك وصار له أصحاب وأحباب وصار الملك يأتى اليه فى الجمعة يوما
ويعطيه ألف دينار وبقية أيام الجمعة للاكابر والفقراء وصار يأخذ بخاطر الناس
ويلاطفهم غاية الملاطفة فاتفق أن قبطان الملك دخل عليه فى الحمام يوما من الايام
فقلع أبو صير ودخل معه وصار يكبسه ولاطفه ملاطفة زائدة ولما خرج من الحمام
عمل له الشربات والقهوة فلما أراد أن يعطيه شيأ حلف أنه لا يأخذ منه شيأ فحمل

القبطان جماعته لما رأى من مزيد لطفه به واحسانه اليه وصار متحيرا فيما يهديه
الى ذلك الحمامى فى نظير اكرامه له هذا ما كان من أمر أبى صير وأما ما كان من أمر
أبى قير فانه سمع جميع الخلائق يلهجون بذكر الحمام وكل منهم يقول ان هذا الحمام
نعيم الدنيا بلا شك ان شاء الله يا فلان تدخل بنا غدا هذا الحمام النفيس فقال أبو
قير فى نفسه لا بد أن أروح مثل الناس وأنظر هذا الحمام الذى أخذ عقول الناس
ثم انه لبس أفخر ما كان عنده من الملابس وركب بغلة وأخذ معه أربعة عبيد وأربعة
مماليك يمشون خلفه وقدامه وتوجه الى الحمام ثم انه نزل فى باب الحمام فلما صار
عند الباب شم رائحة العود الند ورأى ناسا داخلين وناسا خارجين ورأى
المصاطب ملآنة من الاكابر والاصاغر فدخل الدهليز فرآه أبو صير فقام اليه وفرح
به فقال له أبو قير هل هذا شرط أولاد الحلال وأنا فتحت لى مصبغة وبقيت معلم البلد
وتعرفت بالملك وصرت فى سعادة وسيادة وأنت لا تأتى عندى ولا تسأل عنى ولا تقول
أين رفيقى وأنا عجزت وأنا افتش عليك وأبعث عبيدى ومماليكى يفتشون عليك
فى الخانات وفى سائر الاماكن فلا يعرفون طريقك ولا أحد يخبرهم بخبرك فقال
له أبو صير أما جئت اليك وجعلتنى لصا وضربتنى وهتكتنى بين الناس فاغتم أبو
قير وقال أى شىء هذا الكلام هل هو أنت الذى ضربتك فقال له أبو صير نعم هو أنا
فحلف له أبو قير ألف يمين انه ما عرفه وقال انما كان واحد شبيهك يأتى فى كل يوم
ويسرق قماش الناس فظننت انك هو وصار يتندم ويضرب كفا على كف ويقول
لا حول ولا قوة الا بالله العظيم قد أسأنا ولكن يا ليتك عرفتنى بنفسك وقلت
أنا فلان فالعيب عندك لكونك لم تعرفنى بنفسك خصوصا وأنا مدهوش من كثرة
الاشغال فقال له أبو صير سامحك الله يا رفيقى وهذا الشىء كان مقدرا فى الغيب
والجبر على الله ادخل اقلع ثيابك واغتسل وانبسط فقال له بالله عليك أن تسامحنى
يا أخى فقال له ابرأ الله ذمتك وسامحك فانه كان أمرا مقدرا على فى الازل ثم قال له
أبو قير ومن أين لك هذه السيادة فقال له الذى فتح عليك فتح على فانى طلعت الى
الملك وأخبرته بشأن الحمام فأمر ببنائه فقال له أبو قير وكما انك معرفة الملك فانا
الآخر معرفته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا قير لما تعاتب هو وأبو صير قال له كما أنت معرفة
الملك أنا الآخر معرفته وان شاء الله تعالى أنا أخليه يحبك ويكرمك زيادة على هذا

الاكرام من أجلى فانه لم يعرف أنك رفيقى فأنا أعرفه بانك رفيقى وأوصيه عليك
فقال له ما أحتاج الى وصية فان المحن موجود وقد أحبنى الملك هو وجميع دولته
وأعطانى كذا وكذا وأخبره بالخبر ثم قال له اقلع ثيابك خلف الصندوق وادخل
الحمام وأنا ادخل معك لاجل أن اكيسك فخلع ماعليه ودخل الحمام ودخل معه
أبو صير وكيسه وصبنه وألبسه واشتغل به حتى خرج فلما خرج أحضر له الغداء
والشربات وصار جميع الناس يتعجبون من كثرة اكرامه له ثم بعد ذلك أراد أبو قير
أن يعطيه شيأ فحلف أنه لا يأخذ منه شيأ وقال له استح من هذا الامر وأنت رفيقى
وليس بيننا فرق ثم ان أبا قير قال لابى صير يارفيقى والله ان هذا الحمام عظيم ولكن
صنعتك فيه ناقصة فقال له وما نقصها قال له الدواء الذى هو عقد الزرنيخ والجير
الذى يزيل الشعر بسهولة فاعمل هذا الدواء فاذا أتى الملك فقدمه اليه وعلمه كيف
يسقط به الشعر فيحبك حبا شديدا ويكرمك فقال له صدقت ان شاء الله أصنع ذلك
ثم ان أبا قير خرج وركب بغلته وذهب الى الملك ودخل عليه وقال له أنا ناصح لك
ياملك الزمان فقال له وما نصيحتك فقال بلغنى خبر وهو انك بنيت حماما قال نعم قد
أتانى رجل غريب فانشأته له كما انشأت لك هذه المصبغة وهو حمام عظيم وقد تزينت
مدينتى به وصار يذكر له محاسن ذلك الحمام فقال له أبو قير وهل دخلته قال نعم قال
الحمد لله الذى نجاك من شر هذا الخبيث عدو الدين وهو الحمامى فقال له الملك
وما شأنه قال أبو قير اعلم ياملك الزمان أنك ان دخلته بعد هذا اليوم فانك تهلك فقال
له لاى شئ فقال له ان الحمامى عدوك وعدو الدين فانه ما حملك على انشاء هذا
الحمام الالان مراده أن يدخل عليك فيه السم فانه صنع لك شيأ واذا دخلته يأتيك
به ويقول لك هذا دواء كل من دهن به تحته يرمى الشعر منه بسهولة وليس هو بدواء
بل هو داء عظيم وسم قاتل وان هذا الخبيث قد وعده سلطان النصارى أنه ان قتلك
يفك له زوجته واولاده من الاسر فان زوجته واولاده مأسورون عند سلطان
النصارى وكنت مأسورا معه فى بلادهم ولكن أنا فتحت مصبغة وصبغت لهم ألوانا
فاستعطفوا على قلب الملك فقال لى الملك اى شئ تطلب فطلبت منه العتق فاعتقنى
وجئت الى هذه المدينة ورأيته فى الحمام فسألته وقلت له كيف كان خلاصك
وخلاص زوجتك واولادك فقال لم أزل أنا وزوجتى واولادى مأسورين حتى ان
ملك النصارى عمل ديوانا فحضرت فى جملة من حضر وكنت واقفا من جملة الناس
فسمعتهم فتحوا مذاكرة الملوك الى أن ذكروا ملك هذه المدينة فتأوه ملك النصارى
وقال ماقهرنى فى الدنيا الاملك المدينة الفلانية فكل من تحيل لى على قتله فانى

اعطيه

أعطيه كل ما يتمنى فتقدّمت أنا اليه وقلت له اذا تحيلت لك على قتله هل تعتقنى أنا وزوجتى واولادى فقال لى نعم أعتقكم واعطيك كل ما تتمنى ثم انى اتفقت أنا واياه على ذلك وارسلنى فى غليون الى هذه المدينة وطلعت الى هذا الملك فبنى لى هذا الحمام وما بقى الا أن اقتله واروح الى ملك النصارى وافدى اولادى وزوجتى واتمنى عليه فقلت وما الحيلة التى دبرتها فى قتله حتى تقتله قال لى هى حيلة سهلة أسهل ما يكون فانه يأتى الىّ فى هذا الحمام وقد اصطنعت له شيأ فيه سم فاذا جاء أقول له خذ هذا الدواء وادهن به تحتك فانه يسقط الشعر فيأخذه ويدهن به تحته فيلعب السم فيه يوما وليلة حتى يسرى الى قلبه فيهلكه والسلام فلما سمعت منه هذا الكلام خفت عليك لان خيرك علىّ وقد أخبرتك بذلك فلما سمع الملك هذا الكلام غضب غضبا شديدا وقال للصباغ اكتم هذا السرّ ثم طلب الرواح الى الحمام حتى يقطع الشك باليقين فلما دخل الملك الحمام تعرى أبو صير على جرى عادته وتقيد بالملك وكيسه وبعد ذلك قال له يا ملك الزمان انى عملت دواء لتنظيف الشعر التحتانى فقال أحضره لى فأحضره بين يديه فرأى رائحته كريهة فصح عنده انه سم فغضب وصاح على الاعوان وقال أمسكوه فقبض عليه الاعوان وخرج الملك وهو ممتزج بالغضب ولا أحد يعرف سبب غضبه ومن شدة غضب الملك لم يخبر أحد ولم يتجاسر أحد على أن يسأله ثم انه لبس وطلع الديوان ثم أحضر أبا صير بين يديه وهو مكتف ثم طلب القبطان فحضر فلما حضر القبطان قال له الملك خذ هذا الخبيث وحطه فى زكيبة وحط فى الزكيبة قنطارين جيرا من غير طفى واربط فمها عليه هو والجير ثم ضعها فى الزورق وتعال تحت قصرى فترانى جالسا فى شباكه وقل لى هل ارميه فأقول لك ارمه فاذا قلت لك ذلك فارمه حتى ينطفى الجير عليه لاجل أن يموت غريقا حريقا فقال سمعا وطاعة ثم أخذه من قدام الملك الى جزيرة قصاد قصر الملك وقال لابى صير يا هذا أنا جئت عندك مرّة واحدة فى الحمام فأكرمتنى وقمت بواجبى وانبسطت منك كثيرا وحلفت انك لم تأخذ منى أجرة وأنا قد احببتك محبة شديدة فاخبرنى ما قضيتك مع الملك وأى شئ صنعت معه من المكاره حتى غضب عليك وأمر أن تموت هذه الميتة الرديئة فقال له والله ما عملت شيأ وليس عندى علم بذنب فعلته معه يستوجب هذا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان القبطان لما سأل أبا صير عن سبب غضب الملك عليه قال له والله يا أخى ما عملت معه شيأ قبيحا يستوجب هذا فقال له القبطان ان لك عند الملك مقاما عظيما ما ناله أحد قبلك وكل ذى نعمة محسود فلعل أحدا حسدك على هذه النعمة ورمى فى حقك بعض كلام عند الملك حتى ان الملك غضب عليك هذا الغضب ولكن مرحبا بك وما عليك من بأس فكما أنك أكرمتنى من غير معرفة بينى وبينك فانا أخلصك ولكن اذا خلصتك تقيم عندى فى هذه الجزيرة حتى يسافر من هذه المدينة غليون الى ناحية بلادك فارسلك معه فقبل أبو صير يد القبطان وشكره على ذلك ثم انه أحضر الجير ووضعه فى زكيبة ووضع فيها حجرا كبيرا قدر الرجل وقال توكلت على الله ثم ان القبطان أعطى أبا صير شبكة وقال له ارم هذه الشبكة فى البحر لعلك تصطاد شيأ من السمك لان سمك مطبخ الملك مرتب على فى كل يوم وقد اشتغلت عن الصيد بهذه المصيبة التى أصابتك فاخاف أن تأتى غلمان الطباخ ليطلبوا السمك فلم يجدوه فاذا كنت تصطاد شيأ فانهم يجدونه حتى أروح أعمل الحيلة تحت القصر وأجعل انى رميتك فقال له أبو صير أنا أصطاد ورح أنت والله يعينك فوضع الزكيبة فى الزورق وسار الى أن وصل تحت القصر فرأى الملك جالسا فى الشباك فقال يا ملك الزمان هل أرميه فقال له ارمه وأشار بيده واذا بشئ برق ثم سقط فى البحر واذا بالذى سقط فى البحر خاتم الملك وكان مرصودا بحيث اذا غضب الملك على أحد وأراد قتله يشير عليه باليد اليمنى التى فيها الخاتم فيخرج من الخاتم بارقة فتصيب الذى يشير عليه فتقع رأسه من بين كتفيه وما أطاعته العساكر ولا قهر الجبابرة الا بسبب هذا الخاتم فلما وقع الخاتم من اصبعه كتم أمره ولم يقدر أن يقول خاتمى وقع فى البحر خوفا من العسكر أن يقوموا عليه فيقتلوه فسكت هذا ما كان من أمر الملك وأما ما كان من أمر أبى صير فانه بعد ذهاب القبطان أخذ الشبكة وطرحها فى البحر وسحبها فطلعت ملآنة سمكا ثم طرحها ثانيا فطلعت ملآنة سمكا أيضا ولم يزل يطرحها وهى تطلع ملآنة سمكا حتى صار قدامه كوم كبير من السمك فقال فى نفسه والله ان لى مدة طويلة ما أكلت من السمك ثم انه نقى له سمكة كبيرة سمينة وقال لما يأتى القبطان أقول له يقلى لى هذه السمكة لاتغذى بها ثم انه ذبحها بسكين كانت معه فعلقت السكين فى نخشوشها فرأى خاتم الملك فيه لانها كانت ابتلعته ثم ساقتها القدرة الى تلك الجزيرة ووقعت فى الشبكة فاخذ الخاتم ولبسه فى خنصره وهو لا يعلم ما فيه من الخواص واذا بغلامين من خدام الطباخ أتيا لطلب السمك فلما صارا عند أبى صير

قالا يارجل أين راح القبطان فقال لا أدرى وأشار بيده اليمنى واذا برأسى الغلامين
وقعا من بين أكتافهما حين أشار اليهما وقال لا أدرى فتعجب أبو صير من ذلك وجعل
يقول ياترى من قتلهما وصعبا عليه وصار يتفكر فى ذلك واذا بالقبطان أقبل فرأى
كوما كبيرا من السمك ورأى الاثنين مقتولين ورأى الخاتم فى اصبع أبى صير
فقال له يا أخى لا تحرك يدك التى فيها الخاتم فانك ان حركتها قتلتنى فتعجب من قوله
لا تحرك يدك التى فيها الخاتم لانك ان حركتها قتلتنى فلما وصل له القبطان قال من
قتل هذين الغلامين قال له أبو صير والله يا أخى لا أدرى قال صدقت ولكن
اخبرنى عن هذا الخاتم من أين وصل اليك قال رأيته فى نخشوش هذه السمكة قال
صدقت فانى رأيته نازلا يبرق من قصر الملك حتى سقط فى البحر وقت ان أشار اليك
وقال لى ارمه فانه لما أشار رميت الزكيبة وكان سقط من اصبعه ووقع فى البحر
فابتلعته هذه السمكة وساقها الله اليك حتى اصطدتها فهذا نصيبك ولكن هل تعرف
خواص هذا الخاتم قال أبو صير لا أدرى له خواصا فقال القبطان اعلم ان عسكر
ملكنا ما أطاعوه الا خوفا من هذا الخاتم لانه مرصود فاذا غضب الملك على أحد
وأراد قتله يشير به عليه فتقع رأسه من بين كتفيه فان بارقة تخرج من هذا الخاتم
ويتصل شعاعها بالمغضوب عليه فيموت لوقته فلما سمع أبو صير هذا الكلام فرح فرحا
شديدا وقال للقبطان ردنى الى المدينة فقال له القبطان أردك فانى ما بقيت أخاف
عليك من الملك فانك متى أشرت بيدك وأضمرت على قتله فان رأسه تقع بين يديك
ولو كنت تطلب قتل الملك وجميع العسكر فانك تقتلهم من غير عاقة ثم أنزله
فى الزورق وتوجه به الى المدينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام
المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن القبطان لما أنزل أبا صير فى الزورق توجه به الى
المدينة فلما وصل اليها طلع الى قصر الملك ثم دخل الديوان فرأى الملك جالسا والعسكر
بين يديه وهو فى غم عظيم من شأن الخاتم ولم يقدر أن يخبر أحدا من العسكر
بضياع الخاتم فلما رآه الملك قال أما رميناك فى البحر كيف فعلت حتى خرجت منه
فقال له يا ملك الزمان لما أمرت برميى فى البحر أخذنى قبطانك وسار بى الى جزيرة
وسألنى عن سبب غضبك على وقال لى أى شئ صنعت مع الملك حتى أمر بموتك
فقلت له والله ما أعلم انى عملت معه شيأ قبيحا فقال لى ان لك مقاما عظيما عند الملك

فلعل أحدا حسدك ورمى فيك كلاما عند الملك حتى غضب عليك ولكن أنا جئتك في حمامك فاكرمتني في نظير اكرامك اياى في حمامك أنا أخلصك وأرسلك الى بلادك ثم حط في الزورق حجرا عوضا عنى ورماه في البحر ولكن حين أشرت له على وقع الخاتم من يدك في البحر فابتلعته سمكة وكنت أنا في الجزيرة أصطاد سمكا فطلعت تلك السمكة في جملة السمك فاخذتها وأردت أن أشويها فلما فتحت جوفها رأيت الخاتم فيه فاخذته وجعلته في اصبعي فاتاني اثنان من خدام المطبخ وطلبا السمك فأشرت اليهما وأنا لا أدرى خاصية الخاتم فوقعت رؤسهما ثم أتى القبطان فعرف الخاتم وهو في اصبعي وأخبرني برصده فاتيت به اليك لانك عملت معى معروفا وأكرمتني غاية الاكرام وما عملته معى من الجميل لم يضع عندى وهذا خاتمك فخذه وان كنت فعلت معك شيأ يوجب القتل فعرفني بذنبي واقتلني وأنت في حل من دمى ثم خلع الخاتم من اصبعه وناوله للملك فلما رأى الملك ما فعل أبو صير من الاحسان أخذ الخاتم منه وتختم به وردت له روحه وقام على أقدامه واعتنق أبا صير وقال يا رجل أنت من خواص أولاد الحلال فلا تؤاخذني وسامحني عما صدر مني في حقك ولو كان أحد غيرك ملك هذا الخاتم ما كان أعطاني اياه فقال يا ملك الزمان ان أردت أن أسامحك فعرفني بذنبي الذى أوجب غضبك على حيث أمرت بقتلي فقال له والله انه ثبت عندى انك بريء وليس لك ذنب في شيء حيث فعلت هذا الجميل وانما الصباغ قد قال لى كذا وكذا وأخبره بما قاله الصباغ فقال أبو صير والله يا ملك الزمان أنا لا أعرف ملك النصارى ولا عمرى رحت بلاد النصارى ولا خطر ببالى انى أقتلك ولكن هذا الصباغ كان رفيقي وجارى في مدينة اسكندرية وضاق بنا العيش هناك فخرجنا منها لضيق المعاش وقرأنا مع بعضنا فاتحة على ان العامل يطعم البطال وجرى لى معه كذا وكذا وأخبره بجميع ما قد جرى له مع أبي قير الصباغ وكيف أخذ دراهمه وفاته ضعيفا في الحجرة التي في الخان وان بواب الخان كان ينفق عليه وهو مريض حتى شفاه الله ثم طلع وسرح في المدينة بعدته على العادة فبينما هو في الطريق اذ رأى مصبغة عليها الازدحام فنظر في باب المصبغة فرأى أبا قير جالسا على مصطبة هناك فدخل ليسلم عليه فوقع له منه ما وقع من الضرب والاساءة وادعى عليه انه حرامي وضربه ضربا مؤلما وأخبر الملك بجميع ما جرى له من أوله الى آخره ثم قال يا ملك الزمان هو الذى قال لى اعمل الدواء وقدمه للملك فان الحمام كامل في جميع الامور الا أن هذا الدواء مفقود منه واعلم يا ملك الزمان ان هذا الدواء لا يضر ونحن نصنعه في بلادنا وهو من لوازم الحمام وأنا كنت نسيته فلما أتاني الصباغ وأكرمته

ذكرني

ذكرني به وقال لي اعمل الدواء وأرسل يا ملك الزمان هات بواب الخان الفلاني وصنايعية المصبغة واسأل الجميع عما أخبرتك به فأرسل الملك الى بواب الخان والى صنايعية المصبغة فلما حضر الجميع سألهم فاخبروه بالواقع فارسل الى الصباغ وقال هاتوه حافيا مكشوف الرأس مكتفا وكان الصباغ جالسا في بيته مسرورا بقتل أبي صير فلم يشعر الا وأعوان الملك هجموا عليه والضرب في قفاه ثم كتفوه وحضروا به قدام الملك فرأى أبا صير جالسا في جنب الملك وبواب الخان وصنايعية المصبغة واقفين أمامه فقال له بواب الخان أما هذا رفيقك الذي سرقت دراهمه وتركته عندي في الحجرة ضعيفا وفعلت معه ما هو كذا وكذا وقال له صنايعية المصبغة أما هذا الذي أمرتنا بالقبض عليه وضربناه فتبين للملك قباحة أبي قير وانه يستحق ما هو أشد من تشديد منكر ونكير فقال الملك خذوه وجرسوه في المدينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملك لما سمع كلام بواب الخان وصنايعية المصبغة تحقق خبث أبي قير فاقام عليه النكير وقال لاعوانه خذوه وجرسوه في المدينة وحطوه في زكيبة وارموه في البحر فقال أبو صير يا ملك الزمان شفعني فيه فاني سامحته من جميع ما فعل بي فقال الملك ان كنت سامحته في حقك فانا لا يمكن أن أسامحه في حقي ثم صاح وقال خذوه فأخذوه وجرسوه وبعد ذلك وضعوه في زكيبة ووضعوا معه الجير ورموه في البحر فمات غريقا حريقا وقال الملك يا أبا صير تمن على تعط فقال له تمنيت عليك أن ترسلني الى بلادي فاني ما بقي لي رغبة في القعود ههنا فأعطاه شيأ كثيرا زيادة على ماله ونواله ومواهبه ثم أنعم عليه بغليون مشحون بالخيرات وكان بحريته مماليك فوهبهم له أيضا بعد أن عرض عليه أن يجعله وزيرا فما رضي ثم ودع الملك وسافر وجميع ما في الغليون ملكه حتى النواتية مماليكه ومازال سائرا حتى وصل الى أرض اسكندرية ورسوا على جانب اسكندرية وخرجوا الى البر فرأى مملوك من مماليكه زكيبة في جانب البر فقال يا سيدي ان في جنب شاطئ البحر زكيبة كبيرة ثقيلة وفمها مربوط ولا أدري ما فيها فأتى ابو صير وفتحها فرأى فيها أبا قير قد دفعه البحر الى جهة اسكندرية فاخرجه ودفنه بالقرب من اسكندرية وعمل له مزارا ووقف عليه أوقافا وكتب على باب الضريح هذه الابيات

المرء يعرف في الأنام بفعله * وفعائل الحر الكريم كأصله

لا تستغيب فتستغاب فربما * من قال شيأ قيل فيه بمثله
وتجنب الفحشاء لا تنطق بها * ما دمت فى جد الكلام وهزله
فالكلب ان حفظ المكارم يقتنى * وغدا الوزير مسلسلا من جهله
والبحر تعلو فوقه جيف الفلا * والدر منبوذ بأسفل رمله
ما كان عصفور يزاحم باشقا * الا لطيشته وخفة عقله
فى الجو مكتوب على صحف الهوى * من يفعل المعروف فاز بمثله
اياك تجنى سكرا من حنظل * فالشئ يرجع فى المذاق لأصله

ثم ان أبا صير أقام مدة وتوفاه الله فدفنوه بجوار قبر رفيقه أبى قير ومن أجل ذلك سمى هذا المكان بابى قير وأبى صير واشتهر الآن بانه أبو قير وهذا ما بلغنا من حكايتهما فسبحان الباقى على الدوام وبارادته تصرف الليالى والايام

حكاية عبد الله البرى مع عبد الله البحرى

ومما يحكى أيضا انه كان رجل صياد اسمه عبد الله وكان كثير العيال وله تسعة أولاد وأمهم وكان فقيرا جدا لا يملك الا الشبكة وكان يروح كل يوم الى البحر ليصطاد فاذا اصطاد قليلا يبيعه وينفقه على أولاده بقدر ما رزقه الله وان اصطاد كثيرا يطبخ طبخة طيبة ويأخذ فاكهة ولم يزل يصرف حتى لا يبقى معه شئ ويقول فى نفسه رزق غد يأتى فى غد فلما وضعت زوجته صاروا عشرة أشخاص وكان الرجل فى ذلك اليوم لا يملك شيأ أبدا فقالت له زوجته يا سيدى انظر لى شيأ أتقوت به فقال لها ها أنا سارح على بركة الله تعالى الى البحر فى هذا اليوم على بخت هذا المولود الجديد حتى ننظر سعده فقالت له توكل على الله فاخذ الشبكة وتوجه الى البحر ثم انه رمى الشبكة على بخت ذلك الطفل الصغير وقال اللهم اجعل رزقه يسيرا غير عسير وكثيرا غير قليل وصبر عليها مدة ثم سحبها فخرجت ممتلئة عفشا ورملا وحصا وحشيشا ولم ير فيها شيأ من السمك لا كثيرا ولا قليلا فرماها ثانى مرة وصبر عليها ثم سحبها فلم ير فيها سمكا فرمى ثالثا ورابعا وخامسا فلم يطلع فيها سمك فانتقل الى مكان آخر وجعل يطلب رزقه من الله تعالى ولم يزل على هذه الحالة الى آخر النهار فلم يصطد ولا صيرة فتعجب فى نفسه وقال هل هذا المولود خلقه الله من غير رزق فهذا لا يكون أبدا لان الذى شق الاشداق تكفل لها بالارزاق فالله تعالى كريم رزاق ثم انه حمل الشبكة ورجع مكسور الخاطر وقلبه مشغول بعياله فانه تركهم بغير أكل ولا سيما وزوجته نفساء ولا زال يمشى وهو يقول فى نفسه كيف العمل وماذا أقول للاولاد فى هذه الليلة ثم انه وصل قدام

فرن

فرن خبازفرأى عليه زحمة وكان وقت غلاء وفى تلك الايام لا يوجد عند الناس من المؤنة الا قليل والناس يعرضون الفلوس على الخباز ولا ينتبه لاحد منهم من كثرة الزحام فوقف ينظر ويشم رائحة العيش السخن فصارت نفسه تشتهيه من الجوع فنظر اليه الخباز وصاح عليه وقال تعال يا صياد فتقدم اليه فقال له أتريد عيشا فسكت فقال له تكلم ولا تستحى فالله كريم ان لم يكن معك دراهم فانا أعطيك وأصبر عليك حتى يجيئك الخير فقال له والله يا معلم ما معى دراهم لكن اعطنى عيشا كفاية عيالى وأرهن عندك هذه الشبكة الى غد فقال له يا مسكين ان هذه الشبكة دكانك وباب رزقك فاذا رهنتها بأى شئ تصطاد فاخبرنى بالقدر الذى يكفيك قال بعشرة أنصاف فضة فاعطاه خبزا بعشرة انصاف ثم أعطاه عشرة أنصاف فضة وقال له خذ هذه العشرة أنصاف واطبخ لك بها طبخة فيبقى عندك عشرون نصف فضة وفى غد هات لى بها سمكا وان لم يحصل لك شئ تعال خذ عيشك وعشرة أنصاف وأنا أصبر عليك حتى يأتيك الخير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخباز قال للصياد خذ ما تحتاج اليه وأنا أصبر عليك حتى يأتيك الخير وبعد ذلك هات لى بما أستحقه عندك سمكا فقال له آجرك الله تعالى وجزاك عنى كل خير ثم أخذ العيش والعشرة أنصاف فضة وراح مسرورا واشترى له ما تيسر ودخل على زوجته فرآها قاعدة تأخذ بخاطر الاولاد وهم يبكون من الجوع وتقول لهم فى هذا الوقت يأتى أبوكم بما تأكلونه فلما دخل عليهم حط لهم العيش فأكلوا وأخبر زوجته بما حصل له فقالت له الله كريم وفى ثانى يوم حمل شبكته وخرج من داره وهو يقول أسألك يا رب أن ترزقنى فى هذا اليوم بما يبيض وجهى مع الخباز فلما وصل الى البحر صار يطرح الشبكة ويجذبها فلم يخرج فيها سمك ولم يزل كذلك الى آخر النهار ولم يحصل شيأ فرجع وهو فى غم عظيم وكان طريق بيته على فرن الخباز فقال فى نفسه من أين أروح الى دارى ولكن اسرع خطوى حتى لا يرانى الخباز فلما وصل الى فرن الخباز رأى زحمة فاسرع فى المشى من حيائه من الخباز حتى لا يراه واذا بالخباز وقع بصره عليه فصاح وقال يا صياد تعال خذ عيشك ومصروفك فانك نسيت قال لا والله ما نسيت وانما استحيت منك فانى لم أصطد سمكا فى هذا اليوم فقال له لا تستحى أما قلت لك على مهلك حتى يأتيك الخير ثم أعطاه العيش والعشرة أنصاف وراح الى زوجته وأخبرها بالخبر فقالت له الله كريم ان شاء

الله يأتيك الخير وتوفيه حقه ولم يزل على هذه الحالة مدة أربعين يوما وهو فى كل يوم
يروح الى البحر من طلوع الشمس الى غروبها ويرجع بلا سمك ويأخذ عيشا ومصروفا
من الخباز ولم يذكر له السمك يوما من الايام ولم يمهله مثل الناس بل يعطيه العشرة
أنصاف والعيش وكلما يقول له يا أخى حاسبنى يقول له رح ما هذا وقت الحساب حتى
يأتيك الخير فأحاسبك فيدعو له ويذهب من عنده شاكرا له وفى اليوم الحادى
والاربعين قال لامرأته مرادى أن أقطع هذه الشبكة وأرتاح من هذه العيشة
فقالت له لأى شئ قال لها كأن رزقى انقطع من البحر فالى متى هذا الحال والله انى
ذبت حياء من الخباز فأنا ما بقيت أروح الى البحر حتى لا أجوز على فرنه فانه ليس لى
طريق الا على فرنه وكلما جزت عليه ينادينى ويعطينى العيش والعشرة أنصاف والى متى
وأنا أتداين منه قالت له الحمد لله تعالى الذى عطف قلبه عليك فيعطيك القوت وأى
شئ تكره من هذا قال بقى له على قدر عظيم من الدراهم ولا بد أنه يطلب حقه قالت
له زوجته هل آذاك بكلام قال لا ولم يرض أن يحاسبنى ويقول لى حتى يأتيك الخير
قالت فاذا طالبك قل له حتى يأتى الخير الذى نرتجيه أنا وأنت فقال لها متى يجئ
الخير الذى نرتجيه قالت الله كريم قال صدقت ثم حمل شبكته وتوجه الى البحر وهو
يقول يا رب ارزقنى ولو بسمكة واحدة حتى أهديها الى الخباز ثم انه رمى الشبكة
فى البحر ثم سحبها فوجدها ثقيلة فما زال يعالج فيها حتى تعب تعبا شديدا فلما
أخرجها رأى فيها حمارا ميتا منفوخا ورائحته كريهة فسئمت نفسه ثم خلصه من
الشبكة وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قد عجزت وأنا أقول لهذه المرأة
ما بقى لى رزق فى البحر دعينى أترك هذه الصنعة وهى تقول لى الله كريم سيأتيك الخير
فهل هذا الحمار الميت هو الخير ثم انه حصل له غم شديد وتوجه الى مكان آخر ليبعد
عن رائحة الحمار وأخذ الشبكة ورماها وصبر عليها ساعة زمانية ثم جذبها فرآها
ثقيلة فلم يزل يعالج فيها حتى خرج الدم من كفيه فلما أخرج الشبكة رأى فيها آدميا
فظن أنه عفريت من عفاريت السيد سليمان الذين كان يحبسهم فى قماقم النحاس
ويرميهم فى البحر فلما انكسر القمقم من طول السنين خرج منه ذلك العفريت وطلع فى
الشبكة فهرب منه وصار يقول الامان الامان يا عفريت سليمان فصاح عليه الآدمى
من داخل الشبكة وقال تعال يا صياد لا تهرب منى فانى آدمى مثلك خلصنى لتنال
أجرى فلما سمع كلامه الصياد اطمأن قلبه وجاءه وقال له أما أنت عفريت من الجن
قال لا انما أنا انسى مؤمن بالله ورسوله قال له ومن رماك فى البحر قال له أنا من
أولاد البحر كنت دائرا فرميت على الشبكة ونحن أقوام مطيعون لاحكام الله

ونشفق

ونشفق على خلق الله تعالى ولولا انى أخاف وأخشى أن أكون من العاصين لقطعت شبكتك ولكن رضيت بما قدر الله على وأنت اذا خلصتنى تصير مالكالى وأنا أصير أسيرك فهل لك أن تعتقنى ابتغاء وجه الله تعالى وتعاهدنى وتبقى صاحبى أجيئك كل يوم فى هذا المكان وأنت تأتينى وتجىء لى معك بهدية من ثمار البر فان عندكم عنبا وتينا وبطيخا وخوخا ورمانا وغير ذلك وكل شئ تجىء به الى مقبول منك ونحن عندنا مرجان ولؤلؤ وزبرجد وزمرد وياقوت وجواهر فانا أملا لك المشنة التى تجىء لى فيها بالفاكهة معادن من جواهر البحر فما تقول يا أخى فى هذا الكلام قال له الصياد الفاتحة بينى وبينك على هذا الكلام فقرأ كل منهما الفاتحة وخلصه من الشبكة ثم قال له الصياد ما اسمك قال اسمى عبد الله البحرى فاذا أتيت الى هذا المكان ولم ترنى فناد وقل أين أنت يا عبد الله يا بحرى فاكون عندك فى الحال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن عبد الله البحرى قال له اذا أتيت الى هذا المكان ولم ترنى فناد وقل أين أنت يا عبد الله يا بحرى فاكون عندك فى الحال وأنت ما اسمك فقال الصياد اسمى عبد الله قال أنت عبد الله البرى وأنا عبد الله البحرى فقف هنا حتى أروح وآتيك بهدية فقال له سمعا وطاعة فراح عبد الله البحرى فى البحر فعند ذلك ندم عبد الله البرى على كونه خلصه من الشبكة وقال فى نفسه من أين أعرف انه يرجع الى وانما هو ضحك على حتى خلصته ولو أبقيته كنت أفرج عليه الناس فى المدينة وآخذ عليه الدراهم وأدخل به بيوت الاكابر فصار يتندم على اطلاقه ويقول لنفسه راح صيدك من يدك فبينما هو يتأسف على خلاصه من يده واذا بعبد الله البحرى رجع اليه ويداه مملوءتان لؤلؤا ومرجانا وزمردا وياقوتا وجواهر وقال له خذ يا أخى ولا تؤاخذنى فانه ما عندى مشنة كنت أملؤها لك فعند ذلك فرح عبد الله البرى وأخذ منه الجواهر وقال له كل يوم تأتى الى هذا المكان قبل طلوع الشمس ثم ودعه وانصرف ودخل البحر وأما الصياد فانه دخل المدينة وهو فرحان ولم يزل ماشيا حتى وصل الى فرن الخباز وقال له يا أخى قد أتانا الخير فحاسبنى قال له ما نحتاج الى حساب ان كان معك شئ فاعطنى وان لم يكن معك شئ فخذ عيشك ومصروفك وروح الى أن يأتيك الخير فقال له يا صاحبى قد أتانى الخير من فيض الله وقد بقى لك عندى جملة كثيرة ولكن خذ هذا وكبش له كبشة من لؤلؤ ومرجان

وياقوت وجواهر وكانت تلك الكبشة نصف مامعه فاعطاها للخباز وقال له اعطني
شيأ من المعاملة أصرفه في هذا اليوم حتى أبيع هذه المعادن فاعطاه كل
ما كان تحت يده من الدراهم وجميع ما في المشنة التي كانت عنده من الخبز وفرح
الخباز بتلك المعادن وقال للصياد أنا عبدك وخدامك وحمل جميع العيش الذي
عنده على رأسه ومشى خلفه الى البيت فاعطى العيش لزوجته وأولاده ثم راح الى
السوق وجاء باللحم والخضار وسائر أصناف الفاكهة وترك الفرن وأقام طول ذلك
اليوم وهو يتعاطى خدمة عبد الله البري ويقضي له مصالحه فقال له الصياد يا أخي
أتعبت نفسك قال له الخباز هذا واجب علي لاني صرت خدامك واحسانك قد
أغمرني فقال له أنت صاحب الاحسان علي في الضيق والغلاء وبات معه تلك
الليلة على أكل طيب ثم ان الخباز صار صديقا للصياد وأخبر زوجته بوقعته مع عبد
الله البحري ففرحت وقالت له اكتم سرك لئلا تتسلط عليك الحكام فقال لها ان
كتمت سري عن جميع الناس فلا اكتمه عن الخباز ثم انه أصبح في ثاني يوم وكان
قد ملأ مشنة فاكهة من سائر الاصناف في وقت المساء ثم حملها قبل الشمس وتوجه
الى البحر وحطها على جنب الشاطئ وقال أين أنت يا عبد الله يا بحري واذا به يقول
له لبيك وخرج اليه فقدم له الفاكهة فحملها ونزل بها وغطس في البحر وغاب ساعة
زمانية ثم خرج ومعه المشنة ملآنة من جميع أصناف المعادن والجواهر فحملها عبد
الله البري على رأسه وذهب بها فلما وصل الى فرن الخباز قال له يا سيدي قد خبزت
لك أربعين كف شريك وأرسلتها الى بيتك وها أنا أخبز العيش الخاص فمتى خلص
أوصله الى البيت واروح واجي لك بالخضار واللحم فكبش له من المشنة ثلاث
كبشات واعطاه اياها وتوجه الى البيت وحط المشنة واخذ من كل صنف من
اصناف الجواهر جوهرة نفيسة ثم ذهب الى سوق الجواهر ووقف على دكان شيخ
السوق وقال اشتر مني هذه الجواهر فقال له ارني اياها فاراه اياها فقال له هل عندك
غير هذا قال عندي مشنة ممتلئة قال له أين بيتك قال له في الحارة الفلانية فاخذ منه
الجواهر وقال لاتباعه امسكوه فانه هو الحرامي الذي سرق مصاغ الملكة زوجة
السلطان ثم أمرهم أن يضربوه فضربوه وكتفوه وقام الشيخ هو وجميع أهل سوق
الجواهر وصاروا يقولون مسكنا الحرامي و بعضهم يقول ما سرق متاع فلان
الا هذا الخبيث وبعضهم يقول ما سرق جميع ما في بيت فلان الا هو وبعضهم يقول
كذا وبعضهم يقول كذا كل ذلك وهو ساكت ولم يرد على أحد منهم جوابا ولم يبد له
خطابا حتى أوقفوه قدام الملك فقال الشيخ يا ملك الزمان لما سرق عقد الملكة رسلت

أعلمنا

اعلمتنا وطلبت منا وقوع الغريم فاجتهدت أنا من دون الناس وأوقعت لك الغريم
وها هو بين يديك وهذه الجواهر خلصناها من يده فقال الملك للطواشي خذ هذه
المعادن وارها للملكة وقل لها هل هذا متاعك الذي ضاع من عندك فأخذها
الطواشي ودخل بها قدام الملكة فلما رأتها تعجبت منها وأرسلت تقول للملك انى
رأيت عقدي في مكاني وهذا ما هو متاعي ولكن هذه الجواهر أحسن من جواهر
عقدي فلا تظلم الرجل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زوجة الملك لما أرسلت تقول له هذا ما هو متاعي
ولكن هذه الجواهر أحسن من جواهر عقدي فلا تظلم الرجل وان كان يبيعها فاشترها
منه لبنتك أم السعود لتضعها لها في عقد فلما رجع الطواشي وأخبر الملك بما قالته
الملكة لعن شيخ الجوهرية هو وجماعته لعنة عاد وثمود فقالوا يا ملك الزمان انا كنا
نعرف أن هذا الرجل صياد فقير فاستكثرنا ذلك عليه وقد ظننا انه سرقها فقال
يا قبحاء أتستكثرون النعمة على مؤمن فلاي شئ لم تسألوه ربما رزقه الله تعالى بها
من حيث لا يحتسب فكيف تجعلونه حراميا وتفضحونه بين العالم اخرجوا لا بارك
الله فيكم فخرجوا وهم خائفون هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر الملك
فانه قال يا رجل بارك الله لك فيما أنعم به عليك وعليك الامان ولكن أخبرني بالصحيح
من أين لك هذه الجواهر فاني ملك ولم يوجد عندي مثلها فقال يا ملك الزمان أنا
عندي مشنة ممتلئة منها وهو ان الامر كذا وكذا وأخبره بصحبته لعبد الله
البحري وقال له انه قد صار بيني وبينه عهد على انني كل يوم املأ له المشنة فاكهة
وهو يملؤها لي من هذه الجواهر فقال له يا رجل هذا نصيبك ولكن المال يحتاج
الى الجاه فانا ادفع عنك تسلط الناس عليك في هذه الايام ولكن ربما عزلت أو مت
وتولى غيري فانه يقتلك من أجل حب الدنيا والطمع فرادى أن ازوجك ابنتي
وأجعلك وزيري وأوصي لك بالملك من بعدي حتى لا يطمع فيك أحد بعد موتي ثم ان
الملك قال خذوا هذا الرجل وادخلوه الحمام فاخذوه وغسلوا جسده وألبسوه ثيابا
من ثياب الملوك واخرجوه قدام الملك فجعله وزيرا له وأرسل السعاة وأصحاب
النوبة وجميع نساء الاكابر الى بيته فألبسوا زوجته ملابس نساء الملوك هي
واولادها واركبوها في تختروان ومشت قدامها جميع نساء الاكابر والعساكر
والسعاة وأصحاب النوبة وأتوا بها الى بيت الملك والطفل الصغير في حضنها وأدخلوا

أولادها الكبار على الملك فأكرمهم واخذهم على حجره وأجلسهم فى جانبه وهم تسعة
أولاد ذكور وكان الملك معدوم الذرية ما رزق غير تلك البنت التى اسمها أم السعود
وأما الملكة فانها اكرمت زوجة عبد الله البرى وأنعمت عليها وجعلتها وزيرة
عندها وأمر الملك بكتب كتاب عبد الله البرى على ابنته وجعل مهرها جميع ما كان
عنده من الجواهر والمعادن وفتحوا باب الفرح وأمر الملك أن ينادى بزينة المدينة
من أجل فرح ابنته وفى اليوم الثانى بعد أن دخل على بنت الملك وازال بكارتها طل
الملك من الشباك فرأى عبد الله حاملا على رأسه مشنة ممتلئة فاكهة فقال له ما هذا
الذى معك يا نسيبى والى أين تذهب فقال الى صاحبى عبد الله البحرى فقال له
يا نسيبى ما هذا وقت الرواح الى صاحبك فقال اخاف ان اخلف معه الميعاد فيعدنى
كذابا ويقول لى ان الدنيا ألهتك عنى قال صدقت رح الى صاحبك اعانك الله فمشى
فى البلد وهو متوجه الى صاحبه وكانت الناس قد عرفته فصار يسمع الناس يقولون
هذا نسيب الملك رايح يبدل الاثمار بالجواهر والذى يكون جاهلا به ولا يعرفه
يقول يا رجل بكم الرطل تعال بعنى فيقول له انتظرنى حتى ارجع اليك ولا يغم أحدا
ثم راح واجتمع بعبد الله البحرى واعطاه الفاكهة وابدلها له بالجواهر ولم يزل على
هذه الحالة وفى كل يوم يمر على فرن الخباز فيراه مقفولا ودام على ذلك مدة عشرة
أيام فلما لم ير الخباز ورأى فرنه مقفولا قال فى نفسه ان هذا شئ عجيب يا ترى أين راح
الخباز ثم انه سأل جاره فقال له يا أخى أين جارك الخباز فما فعل الله به قال يا سيدى
انه مريض لا يخرج من بيته قال له أين بيته قال له فى الحارة الفلانية فعمد اليه
وسأل عنه فلما طرق الباب طل الخباز من الطاقة فرأى صاحبه الصياد وعلى رأسه
مشنة ممتلئة فنزل اليه وفتح له الباب ورمى روحه عليه وعانقه وقال له كيف حالك
يا صاحبى فانى كل يوم أمر على الفرن فاراه مقفولا ثم سألت جارك فاخبرنى انك
مريض فسألت عن البيت لاجل ان اراك فقال له الخباز جزاك الله عنى كل خير
فليس بى مرض وانما بلغنى أن الملك اخذك لان بعض الناس كذب عليك وادعى انك
حرامى فخفت أنا وقفلت الفرن واختفيت قال صدقت ثم انه أخبره بقضيته وما وقع
له مع الملك وشيخ سوق الجواهر وقال له ان الملك قد زوجنى ابنته وجعلنى وزيره ثم
قال له خذ ما فى المشنة نصيبك ولا تخف ثم خرج من عنده بعد أن اذهب عنه الخوف
وراح الى الملك بالمشنة فارغة فقال له الملك يا نسيبى كأنك ما اجتمعت برفيقك عبد
الله البحرى فى هذا اليوم فقال رحت له والذى أعطاه لى اعطيته الى صاحبى
الخباز فان له على جميلا قال من يكون هذا الخباز قال انه رجل صاحب معروف

وجرى

وجرى لى معه فى أيام الفقر ماهو كذا وكذا ولم يهملنى يوما ولا كسر خاطرى قال الملك ما اسمه قال اسمه عبد الله الخباز وانا اسمى عبد الله البرى وصاحبى اسمه عبد الله البحرى قال الملك وانا اسمى عبد الله وعبيد الله كلهم اخوان فارسل الى صاحبك الخباز هاته لنجعله وزير ميسرة فارسل اليه فلما حضر بين يدى الملك ألبسه بدلة وزير وجعله وزير الميسرة وجعل عبد الله البرى وزير الميمنة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك جعل عبد الله البرى نسيبه ووزير الميمنة وعبد الله الخباز وزير الميسرة واستمر عبد الله على تلك الحالة سنة كاملة وهو فى كل يوم يأخذ المشنة ممتلئة فاكهة ويرجع بها ممتلئة جواهر ومعادن ولما فرغت الفواكه من البساتين صار يأخذ زبيبا ولوزا وبندقا وجوزا وتينا وغير ذلك وجميع ما يأخذه له يقبله منه ويرد له المشنة ممتلئة جواهر على عادته فاتفق يوما من الايام انه أخذ المشنة ممتلئة نقلا على عادته فاخذها منه وجلس عبد الله البرى على الشاطئ وجلس عبد الله البحرى فى الما قرب الشاطئ وصارا يتحدثان مع بعضهما ويتداولان الكلام بينهما حتى انجرا الى ذكر المقابر فقال البحرى يا أخى انهم يقولون ان النبى صلى الله عليه وسلم مدفون عندكم فى البر فهل تعرف قبره قال نعم قال له فى أى مكان هو قال له فى مدينة يقال لها طيبة قال وهل تزوره الناس أهل البر قال نعم قال هنيأ لكم يا أهل البر بزيارة هذا النبى الكريم الرؤف الرحيم الذى من زاره استوجب شفاعته وهل أنت زرته يا أخى قال لا لانى كنت فقيرا ولا أجد ما أنفقه فى الطريق وما استغنيت الامن حين عرفتك وتصدقت على بهذا الخير ولكن قد وجبت على زيارته بعد أن احج بيت الله الحرام وما منعنى من ذلك الا محبتك فانى لا أقدر أن افارقك يوما واحدا فقال له وهل تقدم محبتى على زيارة قبر محمد صلى الله عليه وسلم الذى يشفع فيك يوم العرض على الله وينجيك من النار وتدخل الجنة بشفاعته وهل من أجل حب الدنيا تترك زيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فقال لا والله ان زيارته مقدمة عندى على كل شئ ولكن اريد منك اجازة ان أزوره فى هذا العام قال اعطيتك الاجازة بزيارته واذا وقفت على قبره فاقرئه منى السلام وعندى امانة فادخل معى فى البحر حتى آخذك الى مدينتى وادخلك بيتى واضيفك وأعطيك الامانة لتضعها على قبر النبى صلى الله عليه وسلم

وقل له يا رسول الله ان عبد الله البحرى يقرئك السلام وقد أهدى اليك هذه الهدية وهو يرجو منك الشفاعة من النار فقال له عبد الله البرى يا أخى أنت خلقت فى الماء ومسكنك الماء وهو لا يضرك فهل اذا خرجت منه الى البر يحصل لك ضرر قال نعم ينشف بدنى وتهب على نسمات البر فاموت قال له وأنا كذلك خلقت فى البر ومسكنى البر فاذا دخلت البحر يدخل الماء فى جوفى ويخنقنى فاموت قال له لا تخف من ذلك فانى آتيك بدهن تدهن به جسمك فلا يضرك الماء ولو كنت تقضى بقية عمرك وأنت دائر فى البحر وتنام وتقوم فى البحر ولا يضرك شئ قال اذا كان الامر كذلك فلا بأس هات لى الدهان حتى اجربه قال وهو كذلك ثم اخذ المشنة ونزل فى البحر وغاب قليلا ثم رجع ومعه شحم مثل شحم البقر لونه اصفر كاون الذهب ورائحته زكية فقال له عبد الله البرى ما هذا يا أخى فقال له هذا شحم كبد صنف من اصناف السمك يقال له الدندان وهو أعظم اصناف السمك خلقة وهو أشد اعدائنا علينا وصورته أكبر صورة توجد عندكم من دواب البر ولو رأى الجمل أو الفيل لابتلعه فقال له يا أخى وما يأكل هذا المشؤم فقال له يأكل من دواب البحر أما سمعت انه يقال فى المثل مثل سمك البحر القوى يأكل الضعيف قال صدقت ولكن هل عندكم من هذا الدندان فى البحر كثير قال عندنا شئ لا يحصيه الا الله تعالى قال عبد الله البرى انى اخاف اذا نزلت معك أن يصادفنى هذا النوع فيأكلنى قال له عبد الله البحرى لا تخف فانه متى رآك عرف انك ابن آدم فيخاف منك ويهرب ولا يخاف من أحد فى البحر مثل ما يخاف من ابن آدم لانه متى أكل ابن آدم مات من وقته وساعته فان شحم ابن آدم سم قاتل لهذا النوع ونحن ما نجمع شحم كبده الا بواسطة ابن آدم اذا وقع فى البحر غريقا فانه تتغير صورته وربما تمزق لحمه فيأكله الدندان لظنه انه من حيوان البحر فيموت فنعثر به ميتا فنأخذ شحم كبده وندهن به أجسامنا وندور فى البحر فاى مكان كان فيه ابن آدم اذا كان فيه مائة أو مائتان أو ألف أو أكثر من ذلك النوع وسمعوا صيحة ابن آدم فان الجميع يموتون لوقتهم من صيحته مرة واحدة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن عبد الله البحرى قال لعبد الله البرى واذا سمع ألف من هذا النوع أو أكثر من ابن آدم صيحة واحدة يموتون لوقتهم ولا يقدر أحد

أحد منهم أن ينتقل من مكانه فقال عبد الله البرى توكلت على الله ثم قلع ما كان
عليه من الملبوس وحفر فى شاطئ البحر ودفن ثيابه وبعد ذلك دهن جسمه من فرقه
الى قدمه بهذا الدهن ثم نزل فى الماء وغطس وفتح عينيه فلم يضره الماء فمشى يمينا
وشمالا ثم جعل ان شاء يعلو وان شاء ينزل الى القرار ورأى ماء البحر مخيما عليه
مثل الخيمة ولا يضره فقال له عبد الله البحرى ماذا ترى يا أخى قال له أرى خيرا
يا أخى وقد صدقت فيما قلت فان الماء ما ضرنى قال له اتبعنى فتبعه ولا زالا يمشيان
من مكان الى مكان وهو يرى أمامه وعن يمينه وعن شماله جبالا من الماء فصار
يتفرج عليها وعلى أصناف السمك وهى تلعب فى البحر البعض كبير والبعض
صغير وفيه شئ يشبه الجاموس وشئ يشبه البقر وشئ يشبه الكلاب وشئ يشبه
الآدميين وكل نوع قربا منه يهرب حين يرى عبد الله البرى فقال للبحرى يا أخى
مالى أرى كل نوع قربنا منه يهرب منا فقال له مخافة منك لان جميع ما خلقه الله
يخاف من ابن آدم ولا زال يتفرج على عجائب البحر حتى وصلا الى جبل عال فمشى
عبد الله البرى بجانب ذلك الجبل فلم يشعر الا وصيحة عظيمة فالتفت فرأى شيأ أسود
منحدرا عليه من ذلك الجبل وهو قدر الجمل أو أكبر وصار يصيح فقال له ما هذا
يا أخى قال له البحرى هذا الدندان فانه نازل فى طلبى مراده أن يأكلنى فصح عليه
يا أخى قبل أن يصل الينا فيخطفنى ويأكلنى فصاح عليه عبد الله البرى واذا هو
وقع ميتا فلما رآه ميتا قال سبحان الله وبحمده أنا لا ضربته بسيف ولا بسكين
كيف هذه العظمة التى فيها هذا المخلوق ولم يحمل صيحتى بل مات فقال له عبد الله
البحرى لا تعجب فوالله يا أخى لو كان من هذا النوع ألف أو ألفان لم يحملوا صيحة
ابن آدم ثم مشيا الى مدينة فرأيا أهلها جميعا بنات وليس فيهن ذكور فقال يا أخى
ما هذه المدينة وما هذه البنات فقال له هذه مدينة البنات لان أهلها من بنات البحر
قال هل فيهن ذكور قال لا قال وكيف يحبلن ويلدن من غير ذكور قال ان ملك
البحر ينفيهم الى هذه المدينة وهن لا يحبلن ولا يلدن وانما كل واحدة غضب عليها
من بنات البحر يرسلها الى هذه المدينة ولا تقدر أن تخرج منها فان خرجت منها
فكل من يراها من دواب البحر يأكلها وأما غير هذه المدينة ففيه رجال وبنات قال له
هل فى البحر مدن غير هذه المدينة قال له كثير قال وهل عليكم سلطان فى البحر قال له نعم
قال له يا أخى انى رأيت فى البحر عجائب كثيرة قال له وأى شئ رأيت من العجائب
أما سمعت صاحب المثل يقول عجائب البحر أكثر من عجائب البر قال صدقت ثم انه
صار يتفرج على هذه البنات فرأى لهن وجوها مثل الاقمار وشعورا مثل شعور

النساء ولكن لهن أيادى وأرجل فى بطونهن ولهن أذناب مثل أذناب السمك ثم انه
فرجه على أهل تلك المدينة وخرج به ومشى قدامه الى مدينة أخرى فرآها ممتلئة
خلائق اناثا وذكورا صورهم مثل صور البنات ولهم أذناب ولكن ليس عندهم
بيع ولا شراء مثل أهل البر وليسوا لابسين بل الكل عرايا مكشوفون العورة
فقال له يا أخى انى أرى الاناث والذكور مكشوفين العورة فقال له لان أهل البحر
لا قماش عندهم فقال له يا أخى كيف يصنعون اذا تزوجوا فقال له هم لا يتزوجون
بل كل من أعجبته أنثى يقضى مراده منها قال له ان هذا شئ حرام ولاى شئ لا يخطبها
ويمهرها ويقيم لها فرحا ويتزوجها بما يرضى الله ورسوله قال له ليس كلنا ملة واحدة فان
فينا مسلمين موحدين وفينا نصارى ويهود وغير ذلك والذى يتزوج منا خصوص
المسلمين فقال أنتم عريانون ولا عندكم بيع ولا شراء فاى شئ يكون مهر نسائكم هل
تعطونهن جواهر ومعادن قال له ان الجواهر أحجار ليس لها عندنا قيمة وانما الذى
يريد أن يتزوج يجعلون عليه شيأ معلوما من أصناف السمك يصطاده قدر ألف
أو ألفين أو أكثر أو أقل بحسب ما يحصل عليه الاتفاق بينه وبين أبى الزوجة فحين
يحضر المطلوب تجتمع أهل العريس وأهل العروسة ويأكلون الوليمة ثم يدخلونه
على زوجته وبعد ذلك يصطاد من السمك ويطعمها واذا عجز تصطاد هى وتطعمه
قال وان زنى بعضهم ببعض كيف يكون الحال قال ان الذى يثبت عليه هذا الامر
ان كان أنثى ينفوها الى مدينة البنات فاذا كانت حاملا من الزنا فانهم يتركونها
الى ان تلد فان ولدت بنتا ينفوها معها وتسمى زانية بنت زانية ولم تزل بنتا حتى تموت
وان كان المولود ذكرا فانهم يأخذونه الى الملك سلطان البحر فيقتله فتعجب عبد الله
البرى من ذلك ثم ان عبد الله البحرى أخذه الى مدينة أخرى وبعدها أخرى وهكذا
وما زال يفرجه حتى فرجه على ثمانين مدينة وكل مدينة يرى أهلها لا يشبهون أهل
غيرها من المدن فقال له يا أخى هل بقى فى البحر مدائن قال وأى شئ رأيت من مدائن
البحر وعجائبه وحق النبى الكريم الرؤف الرحيم لو كنت فرجتك ألف عام
كل يوم على ألف مدينة وأريتك فى كل مدينة ألف أعجوبة ما أريتك قيراطا من أربعة
وعشرين قيراطا من مدائن البحر وعجائبه وانما فرجتك على ديارنا وأرضنا لا غير
فقال له يا أخى حيث كان الامر كذلك يكفينى ما تفرجت عليه فانى سئمت من
أكل السمك ومضى لى فى صحبتك ثمانون يوما وأنت لا تطعمنى صباحا ومساء الا سمكا
طريا لا مشويا ولا مطبوخا فقال له أى شئ يكون المطبوخ والمشوى قال له عبد الله
البرى نحن نشوى السمك فى النار ونطبخه ونجعله أصنافا ونصنع منه أنواعا كثيرة

فقال

فقال له البحرى ومن أين تأتى لنا النار فنحن لا نعرف المشوى ولا المطبوخ ولا غير
ذلك فقال له البرى نحن نقليه بالزيت والشيرج فقال له البحرى ومن أين لنا الزيت
والشيرج ونحن فى هذا البحر لا نعرف شيأ مما ذكرته قال صدقت ولكن يا أخى قد
فرجتنى على مدائن كثيرة ولم تفرجنى على مدينتك قال له أما مدينتى فاننا فتناها
بمسافة وهى قريبة من البر الذى أتينا منه وانما تركت مدينتى وجئت بك الى هنا لانى
قصدت أن أفرجك على مدائن البحر قال له يكفينى ما تفرجت عليه ومرادى
أن تفرجنى على مدينتك قال له وهو كذلك ثم رجع به الى مدينته فلما وصل اليها قال
له هذه مدينتى فرآها مدينة صغيرة من المدائن التى تفرج عليها ثم دخل المدينة ومعه
عبد الله البحرى الى ان وصل الى مغارة قال له هذا بيتى وكل بيوت هذه المدينة
كذلك مغارات كبار وصغار فى الجبال وكذلك جميع مدائن البحر على هذه الصفة
فان كل من أراد أن يصنع له بيتا يروح الى الملك ويقول له مرادى أن أتخذ بيتا فى
المكان الفلانى فيرسل الملك معه طائفة من السمك يسمون النقارين ويجعل كراهم
شيأ معلوما من السمك ولهم مناقير تفتت الحجر الجلمود فيأتون الى الجبل الذى أراده
صاحب البيت وينقرون فيه البيت وصاحب البيت يصطاد لهم من السمك ويلقمهم
حتى تتم المغارة فيذهبون وصاحب البيت يسكنه وجميع أهل البحر على هذه الحالة
لا يتعاملون مع بعضهم ولا يخدمون بعضهم الا بالسمك وكلهم سمك ثم قال له ادخل
فدخل فقال عبد الله البحرى يا بنتى واذا بنته أقبلت عليه ولها وجه مدور مثل
القمر ولها شعر طويل وردف ثقيل وطرف كحيل وخصر نحيل لكنها عريانة
ولها ذنب فلما رأت عبد الله البرى مع أبيها قالت له يا أبى ما هذا الازعر الذى جئت
به معك فقال لها يا بنتى هذا صاحبى البرى الذى كنت أجىء لك من عنده بالفاكهة
البرية تعالى سلمى عليه فتقدمت وسلمت عليه بلسان فصيح وكلام بليغ فقال لها
أبوها هاتى زاد الضيفنا الذى حلت علينا بقدومه البركة فجاءت له بسمكتين كبيرتين
كل واحدة منهما مثل الخروف فقال له كل فأكل غصبا عنه من الجوع لانه سئم
من أكل السمك وليس عندهم شىء غير السمك فما مضى حصة الا وامرأة عبد الله
البحرى أقبلت وهى جميلة الصورة ومعها ولدان كل ولد فى يده فرخ سمك يقرش فيه كما
يقرش الانسان فى الخيارة فلما رأت عبد الله البرى مع زوجها قالت أى شىء هذا
الازعر وتقدم الولدان وأختهما وأمهم وصاروا ينظرون الى دبر عبد الله البرى
ويقولون اى والله انه أزعر ويضحكون عليه فقال له عبد الله البرى يا أخى هل أنت
جئت بى لتجعلنى سخرية لاولادك وزوجتك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله البري قال لعبد الله البحري يا أخي هل أنت جئت بي لتجعلني سخرية لاولادك وزوجتك فقال له عبد الله البحري العفو يا أخي فان الذي لاذنب له غير موجود عندنا واذا وجد واحد من غير ذنب يأخذه السلطان ليضحك عليه ولكن يا أخي لا تؤاخذ هؤلاء الاولاد الصغار والمرأة فان عقولهم ناقصة ثم صرخ عبد الله البحري على عياله وقال لهم اسكتوا فخافوا وسكتوا وجعل يأخذ بخاطره فبينما هو يتحدث معه واذا بعشرة أشخاص كبار شداد غلاظ أقبلوا عليه وقالوا يا عبد الله انه بلغ الملك ان عندك أزعر من زعر البر فقال لهم نعم وهو هذا الرجل فانه صاحبي أتاني ضيفا ومرادي أن أرجعه الى البر قالوا له اننا لا نقدر أن نروح الا به فان كان مرادك كلاما فقم وخذه واحضر به قدام الملك والذي تقوله لنا قله للملك فقال عبد الله البحري يا أخي العذر واضح ولا يمكننا مخالفة الملك ولكن امض معي للملك وأنا أسعى في خلاصك منه ان شاء الله ولا تخف فانه متى رآك عرف انك من أولاد البر ومتى علم انك بري فلا بد انه يكرمك ويردك الى البر فقال عبد الله البري الرأي رأيك فانا أتوكل على الله وأمشي معك ثم أخذه ومضى به الى ان وصل الى الملك فلما رآه الملك ضحك وقال مرحبا بالازعر وصار كل من كان حول الملك يضحك عليه ويقول اي والله انه أزعر فتقدم عبد الله البحري الى الملك وأخبره باحواله وقال له هذا من أولاد البر وصاحبي وهو لا يعيش عندنا الا انه لا يحب أكل السمك الا مقليا أو مطبوخا والمراد انك تأذن لي في أن أرده الى البر فقال له الملك حيث كان الامر كذلك وانه لا يعيش عندنا فقد أذنت لك في أن ترده الى مكانه بعد الضيافة ثم ان الملك قال هاتوا له الضيافة فأتوا له بسمك أشكالا وألوانا فاكل امتثالا لامر الملك ثم قال له الملك تمن علي فقال عبد الله البري أتمنى عليك أن تعطيني جواهر فقال خذوه الى دار الجواهر ودعوه ينقي ما يحتاج اليه فاخذه صاحبه الى دار الجواهر ونقى على قدر ما أراد ثم رجع به الى مدينته وأخرج له صرة وقال له خذ هذه أمانة واوصلها الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاخذها وهو لا يعلم ما فيها ثم خرج معه ليوصله الى البر فرأى في طريقه غناء وفرحا وسماطا ممدودا من السمك والناس يأكلون ويغنون وهم في فرح عظيم فقال عبد الله البري لعبد الله البحري ما لهؤلاء الناس في فرح عظيم هل عندهم عرس فقال البحري ليس

عندهم عرس وانما مات عندهم ميت فقال له هل أنتم اذا مات عندكم ميت تفرحون له وتغنون وتاكلون قال نعم وأنتم يا أهل البر ماذا تفعلون قال البرى اذا مات عندنا ميت نحزن عليه ونبكى والنساء يلطمن وجوههن ويشققن جيوبهن حزنا على من مات فحملق عبد الله البحرى عينيه فى عبد الله البرى وقال له هات الامانة فاعطاها له ثم أخرجه الى البر وقال له قد قطعت صحبتك وودك فبعد هذا اليوم لا تراني ولا أراك فقال له لماذا هذا الكلام فقال له أما أنتم يا أهل البر أمانة الله فقال البرى نعم قال فكيف لا يهون عليكم أن الله يأخذ أمانته بل تبكون عليها وكيف أعطيك أمانة النبى صلى الله عليه وسلم وأنتم اذا أتاكم المولود تفرحون به مع أن الله تعالى يضع فيه الروح أمانة فاذا أخذها كيف تصعب عليكم وتبكون وتحزنون فما لنا فى رفقتكم حاجة ثم تركه وراح الى البحر ثم ان عبد الله البرى لبس حوايجه وأخذ جواهره وتوجه الى الملك فتلقاه باشتياق وفرح به وقال له كيف أنت يا نسيبى وما سبب غيابك عنى هذه المدة فاخبره بقصته وما رآه من العجائب فى البحر فتعجب الملك من ذلك ثم أخبره بما قاله عبد الله البحرى فقال له أنت الذى أخطأت فى اخبارك له بهذا الخبر ثم انه استمر مدة من الزمان وهو يروح الى جانب البحر ويصيح على عبد الله البحرى فلم يرد عليه ولم يأت اليه فقطع عبد الله البرى الرجاء منه وأقام هو والملك نسيبه وأهلهما فى أسر حال وحسن أعمال حتى أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات وماتوا جميعا فسبحان الحى الذى لا يموت ذى الملك والملكوت وهو على كل شئ قدير وبعباده لطيف خبير

(من نوادر هرون الرشيد مع الشاب العمانى)

ومما يحكى أيضا ان الخليفة هرون الرشيد أرق ذات ليلة أرقا شديدا فاستدعى مسرورا الخضر فقال له ائتنى بجعفر بسرعة فمضى وأحضره فلما وقف بين يديه قال يا جعفر انه قد اعترانى فى هذه الليلة أرق منع عنى النوم ولا أعلم ما يزيله عنى قال يا أمير المؤمنين قد قالت الحكماء النظر الى المرآة ودخول الحمام واستماع الغناء يزيل الهم والفكر فقال يا جعفر انى قد فعلت هذا كله فلم يزل عنى شيأ وأنا أقسم بآبائى الطاهرين ان لم تتسبب فيما يزيل عنى ذلك لاضربن عنقك قال يا أمير المؤمنين هل تفعل ما أشير به عليك قال وما الذى تشير به على قال أن تنزل بنا فى زورق ونتحدر به فى بحر الدجلة مع الماء الى محل يسمى قرن الصراط لعلنا نسمع ما لم نسمع أو ننظر ما لم ننظر فانه قد قيل تفريج الهم بواحد من ثلاثة أمور أن يرى

الانسان مالم يكن رآه أو يسمع مالم يكن سمعه أو يطأ أرضا لم يكن وطئها فلعل ذلك
يكون سببا لزوال القلق عنك يا أمير المؤمنين فعند ذلك قام الرشيد من موضعه
وصحبته جعفر وأخوه الفضل وأبو اسحق النديم وأبو نواس وأبو دلف ومسرور
السياف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما قام من موضعه وصحبته جعفر وباقي
جماعته دخلوا حجرة الثياب ولبسوا كلهم ملابس التجار وتوجهوا الى الدجلة
ونزلوا في زورق مزركش بالذهب وانحدروا مع الماء حتى وصلوا الى الموضع الذي
يريدونه فسمعوا صوت جارية تغني على العود وتنشد هذه الابيات

أقول له وقد حضر العقار * وقد غنى على الايك الهزار
الى كم ذا التأني عن سرور * أفق ما العمر الا مستعار
فخذها من يدى ظبي غرير * بجفنيه فتور وانكسار
زرعت بخده وردا طريا * فاثمر في السوالف جلنار
وتحسب موضع التخميش فيه * رمادا خامدا والخد نار
يقول لي العذول تسل عنه * فما عذرى وقد نم العذار

فلما سمع الخليفة هذا الصوت قال يا جعفر ما أحسن هذا الصوت قال جعفر يا مولانا
ما طرق سمعي أطيب ولا أحسن من هذا الغناء ولكن يا سيدى ان السماع من وراء
جدار نصف سماع فكيف بالسماع من خلف ستر فقال انهض بنا يا جعفر حتى
نتطفل على صاحب هذه الدار لعلنا نرى المغنية عيانا قال جعفر سمعا وطاعة
فصعدوا من المركب واستأذنوا في الدخول واذا بشاب مليح المنظر عذب الكلام
فصيح اللسان قد خرج اليهم وقال أهلا وسهلا يا سادتي المنعمين على ادخلوا بالرحب
والسعة فدخلوا وهو بين أيديهم فرأوا الدار باربعة أوجه وسقفها بالذهب
وحيطانها منقوشة باللازورد وفيها ايوان به سدلة جميلة وعليها مائة جارية كأنهن
أقمار فصاح عليهن فنزلن عن أسرتهن ثم التفت رب المنزل الى جعفر وقال يا سيدى
أنا ما أعرف منكم الجليل من الاجل بسم الله ليتفضل منكم من هو أعلى في الصدر
ويجلس اخوانه كل واحد في مرتبته فجلس كل واحد في منزلته وقام مسرور
في الخدمة بين أيديهم ثم قال لهم صاحب المنزل يا أضيافي عن اذنكم هل أحضر
لكم شيأ من المأكول قالوا له نعم فأمر الجوارى باحضار الطعام فاقبل أربع

جوار

جوار مشدودات الاوساط بين أيديهن مائدة وعليها من غرائب الالوان مما درج وطار وسبح فى البحار من قطا وسمان وأفراخ وحمام ومكتوب على حواشى السفرة من الاشعار ما يناسب المجلس فأكلوا على قدر كفايتهم ثم غسلوا أيديهم فقال الشاب يا سادتى ان كان لكم حاجة فأخبرونا بها حتى نتشرف بقضائها قالوا نعم فاننا ما جئنا منزلك الا لاجل صوت سمعناه من وراء حائط دارك فاشتهينا أن نسمعه ونعرف صاحبته فان رأيت أن تنعم علينا بذلك كان من مكارم أخلاقك ثم نعود من حيث جئنا فقال مرحبا بكم ثم التفت الى جارية سوداء وقال احضرى سيدتك فلانة فذهبت الجارية ثم جاءت ومعها كرسى فوضعته ثم ذهبت ثانيا وأتت ومعها جارية كأنها البدر فى تمامه فجلست على الكرسى ثم ان الجارية السوداء ناولتها خرقة من أطلس فاخرجت منها عودا مرصعا بالجواهر واليواقيت وملاويه من الذهب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما أقبلت جلست على الكرسى وأخرجت العود من الخريطة واذا هو مرصع بالجواهر واليواقيت وملاويه من الذهب فشدت أوتاره لنغمات المزاهر وهى كما قال فيها وفى عودها الشاعر

حضنته كالام الشفيقة بابنها * فى حجرها وجلت عليه ملاويه
ما حركت يدها اليمين لجسه * الا وأصلحت اليسار ملاويه

ثم ضمت العود الى صدرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وجست أوتاره فاستغاث كما يستغيث الصبى بامه ثم ضربت عليه وجعلت تنشد هذه الابيات

عاد الزمان بمن أحب فأعتبا * يا صاحبى فأدر كؤسك واشربا
من خمرة ما مازجت قلب امرئ * الا وأصبح بالمسرة مطربا
قام النسيم بحملها فى كأسها * أرأيت بدر التم يحمل كوكبا
كم ليلة سامرت فيها بدرها * من فوق دجلة قد أضاء الغيهبا
والبدر يجنح للغروب كأنما * قد مد فوق الماء سيفا مذهبا

فلما فرغت من شعرها بكت بكاء شديدا وصاح كل من فى الدار من البكاء حتى كادوا أن يهلكوا وما منهم أحد الا وغاب عن وجوده ومزق أثوابه ولطم على وجهه لحسن غنائها فقال الرشيد ان غناء هذه الجارية يدل على انها عاشقة مفارقة فقال سيدها انها ثاكلة لامها وأبيها فقال الرشيد ما هذا بكاء من فقد أباه وأمه وانما

هو شجو من فقد محبوبه وطرب الرشيد من غنائها وقال لابى اسحق والله ما رأيت
مثلها فقال أبو اسحق يا سيدى انى لاعجب منها غاية العجب ولا أملك نفسى من الطرب
وكان الرشيد مع ذلك كله ينظر الى صاحب الدار ويتامل فى محاسنه وظرف شمائله
فرأى فى وجهه اصفرارا فالتفت اليه وقال له يا فتى فقال لبيك يا سيدى هل تعلم من
نحن قال لا فقال له جعفر أتحب أن نخبرك عن كل واحد باسمه فقال نعم فقال
جعفر هذا أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين وذكر له بقية أسماء الجماعة وبعد
ذلك قال الرشيد أشتهى أن تخبرنى عن هذا الاصفرار الذى فى وجهك هل هو
مكتسب أو أصلى من حين ولادتك قال يا أمير المؤمنين ان حديثى غريب وأمرى
عجيب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر قال أعلمنى به لعل
شفاءك يكون على يدى قال يا أمير المؤمنين أوزعنى سمعك وأخل لى ذرعك قال هات
فحدثنى فقد شوقتنى الى سماعه فقال اعلم يا أمير المؤمنين انى رجل تاجر من تجار
البحر وأصلى من مدينة عمان وكان أبى تاجرا كثير المال وكان له ثلاثون مركبا تعمل
فى البحر أجرتها فى كل عام ثلاثون ألف دينار وكان رجلا كريما وعلمنى الخط وجميع
ما يحتاج اليه الشخص فلما حضرته الوفاة دعانى وأوصانى بما جرت به العادة ثم
توفاه الله تعالى الى رحمته وأبقى الله أمير المؤمنين وكان لابى شركاء يتجرون فى ماله
ويسافرون فى البحر فاتفق فى بعض الايام انى كنت قاعدا فى منزلى مع جماعة
من التجار اذ دخل على غلام من غلمانى وقال يا سيدى ان بالباب رجلا يطلب الاذن
فى الدخول عليك فاذنت له فدخل وهو حامل على رأسه شيأ مغطى فوضعه بين يدى
وكشفه فاذا فيه فواكه بغير أوان وملح وطرائف ليست فى بلادنا فشكرته على
ذلك واعطيته مائة دينار وانصرف شاكرا ثم فرقت ذلك على كل من كان حاضرا
من الاصحاب ثم سألت التجار من اين هذا فقالوا انه من البصرة وأثنوا عليه
وصاروا يصفون حسن البصرة وأجمعوا على أنه ليس فى البلاد أحسن من بغداد
ومن أهلها وصاروا يصفون بغداد وحسن اخلاق أهلها وطيب هوائها وحسن
تركيبها فاشتاقت نفسى اليها وتعلقت آمالى برؤيتها فقمت وبعت العقارات
والاملاك وبعت المراكب بمائة ألف دينار وبعت العبيد والجوارى وجمعت مالى
فصار ألف ألف دينار غير الجواهر والمعادن واكتريت مركبا وشحنتها بأموالى
وسائر متاعى وسافرت بها أياما وليالى حتى جئت الى البصرة فاقمت بها مدة
ثم استأجرت سفينة وأنزلت مالى فيها وسرنا منحدرين أياما قلائل حتى وصلنا الى
بغداد فسألت اين تسكن التجار واى موضع أطيب للسكان فقالوا فى حارة الكرخ

فجئت

جئت اليها واستأجرت دارا فى درب يسمى درب الزعفران ونقلت جميع مالى الى تلك الدار واقمت فيها مدة ثم توجهت فى بعض الايام الى الفرجة ومعى شى من المال وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فاتيت الى جامع يسمى جامع المنصور تقام فيه الجمعة وبعد أن خلصنا من الصلاة خرجت مع الناس الى موضع يسمى قرن الصراط فرأيت فى ذلك المكان موضعا عاليا جميلا وله روشن مطل على الشاطئ وهناك شباك فذهبت فى جملة الناس الى ذلك المكان فرأيت شيخا جالسا وعليه ثياب جميلة وتفوح منه رائحة طيبة وقد سرح لحيته فافترقت على صدره فرقتين كانها قضب من لجين وحوله أربع جوارى وخمسة غلمان فقلت لشخص ما اسم هذا الشيخ وما صنعته فقال هذا طاهر بن العلاء وهو صاحب الفتيان كل من دخل عنده يأكل ويشرب وينظر الى الملاح فقلت له والله ان لى زمانا وأنا ادور على مثل هذا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال والله ان لى زمانا وأنا ادور على مثل هذا ثم قال فتقدمت اليه يا أمير المؤمنين وسلمت عليه وقلت له يا سيدى ان لى عندك حاجة فقال ما حاجتك قلت اشتهى ان أكون ضيفك فى هذه الليلة فقال حبا وكرامة ثم قال يا ولدى عندى جوار كثيرة منهن من ليلتها بعشرة دنانير ومنهن من ليلتها باربعين دينارا ومنهن من ليلتها باكثر فاختر من تريد فقلت اختار التى ليلتها بعشرة دنانير ثم وزنت له ثلثمائة دينار عن شهر فسلمنى لغلام فاخذنى ذلك الغلام وذهب بى الى حمام فى القصر وخدمنى خدمة حسنة فخرجت من الحمام واتى بى الى مقصورة وطرق الباب فخرجت له جارية فقال لها خذى ضيفك فتلقتنى بالرحب والسعة ضاحكة مستبشرة وأدخلتنى دارا عجيبة مزركشة بالذهب فتأملت فى تلك الجارية فرأيتها كالبدر ليلة تمامه وفى خدمتها جاريتان كانهما كوكبان ثم اجلستنى وجلست بجانبى ثم اشارت الى الجوارى فاتين بمائدة فيها من أنواع اللحوم من دجاج وسمان وقطا وحمام فأكلنا حتى اكتفينا ومارأيت فى عمرى الذ من ذلك الطعام فلما اكلنا رفعت تلك المائدة واحضرت مائدة الشراب والمشموم والحلوى والفواكه واقمت عندها شهرا على هذا الحال فلما فرغ الشهر دخلت الحمام وجئت الى الشيخ وقلت له يا سيدى أريد التى ليلتها بعشرين دينارا فقال زن الذهب فمضيت وأحضرت الذهب فوزنت له ستمائة دينار عن شهر فنادى غلاما وقال له خذ سيدك فاخذنى

وادخلنى الحمام فلما خرجت أتى بى الى باب مقصورة وطرقه فخرجت منه جارية فقال لها خذى ضيفك فتلقتنى بحسن ملتقى واذا حولها أربع جوار ثم أمرت باحضار الطعام فحضرت مائدة عليها من سائر الاطعمة فأكلت ولما فرغت من الاكل ورفعت المائدة أخذت العود وغنت بهذه الابيات

ايا نفحات المسك من ارض بابل * بحق غرامى أن تؤدى رسائلى
عهدت بها تيك الاراضى منازلا * لاحبابنا اكرم بها من منازل
وفيها التى فى حبها كل عاشق * تعنى ولم يرتد منها بطائل

فأقمت عندها شهرا ثم جئت الى الشيخ وقلت له أريد صاحبة الاربعين دينارا فقال زن لى الذهب فوزنت له عن شهر ألفا ومائتى دينار ومكثت عندها شهرا كانه يوم واحد لما رأيت من حسن المنظر وحسن العشرة ثم جئت الى الشيخ وكنا قد امسينا فسمعت ضجة عظيمة وأصواتا عالية فقلت له ما الخبر فقال لى الشيخ ان هذه الليلة عندنا أشهر الليالى وجميع الخلائق يتفرجون على بعضهم فيها فهل لك أن تصعد على السطح وتتفرج على الناس فقلت نعم وطلعت على السطح فرأيت ستارة حسنة ووراء الستارة محل عظيم وفيه سدلة وعليها فرش مليح وهناك صبية تدهش الناظرين حسنا وجمالا وقدا واعتدالا وبجانبها غلام يده على عنقها وهو يقبلها وتقبله فلما رأيتهما يا أمير المؤمنين لم املك نفسى ولم اعرف اين أنا لما بهرنى من حسن صورتها فلما نزلت سألت الجارية التى أنا عندها واخبرتها بصفتها فقالت ما لك ومالها فقلت والله انها أخذت عقلى فتبسمت وقالت يا أبا الحسن ألك فيها غرض فقلت اى والله فانها تملكت قلبى ولبى فقالت هذه ابنة طاهر بن العلاء وهى سيدتنا وكلنا جواريها اتعرف يا أبا الحسن بكم ليلتها ويومها قلت لا قالت بخمسمائة دينار وهى حسرة فى قلوب الملوك فقلت والله لاذهبن مالى كله على هذه الجارية وبت اكابد الغرام طول ليلى فلما أصبحت دخلت الحمام ولبست افخر ملبوس من ملابس الملوك وجئت الى أبيها وقلت يا سيدى اريد التى ليلتها بخمسمائة دينار فقال زن الذهب فوزنت له عن كل شهر خمسة عشر ألف دينار فأخذها ثم قال للغلام اعمد به الى سيدتك فلانة فأخذنى وأتى بى الى دار لم ترعينى اظرف منها على وجه الارض فدخلتها فرأيت الصبية جالسة فلما رأيتها ادهشت عقلى بحسنها يا أمير المؤمنين وهى كالبدر فى ليلة أربعة عشر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب لما حدث أمير المؤمنين بصفات الجارية قال له وهى كالبدر فى ليلة أربعة عشر ذات حسن وجمال وقد واعتدال والفاظ تفضح رنات المزاهر كأنها المقصودة بقول الشاعر

قالت وقد لعب الغرام بعطفها * فى جنح ليل سابل الاحلاك
ياليل هل لى فى دجاك مسامر * او هل لهذا الكس من نياك
ضربت عليه بكفها وتنهدت * كتنهد الاسف الحزين الباكى
والثغر بالمسواك يظهر حسنه * والاير للاكساس كالمسواك
يا مسلمون اماتقوم أيوركم * مافيكم أحد يغيث الشاكى
فانقض من تحت الغلائل قائما * ايرى وقال لها اتاك اتاك
وحللت عقد ازارها فتفزعت * من أنت قلت فتى أجاب نداك
وغدوت ارهزها بمثل ذراعها * رهزا لطيف يضر بالاوراك
حتى اذا ماقمت بعد ثلاثة * قالت هناك النيك قلت هناكى

وما أحسن قول الآخر

ولو أنها للمشركين تعرضت * لباتوا بها من دون اصنامهم ربا
ولو تفلت فى البحر والبحر مالح * لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا
ولو أنها فى الشرق لاحت لراهب * لخلى سبيل الشرق واتبع الغربا

وما أحسن قول الآخر

نظرت اليها نظرة فتحيرت * دقائق فكرى فى بديع صفاتها
فاوحى اليها الوهم انى أحبها * فأثر ذاك الوهم فى وجناتها

فسلمت عليها فقالت أهلا وسهلا ومرحبا واخذت بيدى يا أمير المؤمنين واجلستنى الى جانبها من فرط الاشتياق بكيت مخافة الفراق واسبلت دمع العين وانشدت هذين البيتين

أحب ليالى الهجر لا فرحا بها * عسى الدهر يأتى بعدها بوصال
واكره ايام الوصال لاننى * ارى كل شىء معقبا بزوال

ثم انها صارت تؤانسنى بلطف الكلام وانا غريق فى بحر الغرام خائف فى القرب الم الفراق من فرط الوجد والاشتياق وتذكرت لوعة النوى والبين فانشدت هذين البيتين

فكرت ساعة وصلها فى هجرها * فجرت مدامع مقلتى كالعندم
فطفقت امسح مقلتى فى جيدها * من عادة الكافور امساك الدم

ثم امرت باحضار الاطعمة فاقبلت أربع جوار نهد ابكار فوضعن بين ايدينا من الاطعمة والفاكهة والحلوى والمشموم والمدام ما يصلح للملوك فاكلنا يا أمير المؤمنين وجلسنا على المدام وحولنا الرياحين في مجلس لا يصلح الا للملك ثم جاءتها يا أمير المؤمنين جارية بخريطة من الابريسم فاخذتها واخرجت منها عودا فوضعته في حجرها وجست اوتاره فاستغاث كما يستغيث الصبي بامه وأنشدت هذين البيتين

لا تشرب الراح الا من يدي رشا * تحكيه في رقة المعنى ويحكيها

ان المدامة لا يلتذ شاربها * حتى يكون نقي الخد ساقيها

فاقمت يا أمير المؤمنين عندها على هذه الحالة مدة من الزمان حتى نفد جميع مالي فتذكرت وأنا جالس معها مفارقتها فنزلت دموعي على خدي كالانهار وصرت لا أعرف الليل من النهار فقالت لاي شيء تبكي فقلت لها يا سيدتي من حين جئت اليك وأبوك يأخذ مني في كل ليلة خمسمائة دينار وما بقي عندي شيء من المال وقد صدق الشاعر حيث قال

الفقر في اوطاننا غربة * والمال في الغربة أوطان

فقالت اعلم ان أبي من عادته انه اذا كان عنده تاجر وافتقر فانه يضيفه ثلاثة أيام ثم بعد ذلك يخرجه فلا يعود الينا ابدا ولكن اكتم سرك واخف امرك وأنا اعمل حيلة في اجتماعي بك الى ما شاء الله فان لك في قلبي محبة عظيمة واعلم ان جميع مال أبي تحت يدي وهو لا يعرف قدره فانا اعطيك في كل يوم كيسا فيه خمسمائة دينار وأنت تعطيه لابي وتقول له ما بقيت أعطي الدراهم الا يوما بيوم وكلما دفعته اليه فانه يدفعه الي وأنا أعطيه لك وتستمر هكذا الى ما شاء الله فشكرتها على ذلك وقبلت يدها ثم اقمت عندها يا أمير المؤمنين على هذه الحالة مدة سنة كاملة فاتفق في بعض الايام انها ضربت جاريتها ضربا وجيعا فقالت لها والله لاوجعن قلبك كما أوجعتني ثم مضت تلك الجارية الى أبيها واعلمته بامرنا من اوله الى آخره فلما سمع طاهر بن العلاء كلام الجارية قام من ساعته ودخل علي وأنا جالس مع ابنته وقال لي يا فلان قلت له لبيك قال عادتنا انه اذا كان عندنا تاجر وافتقر انا نضيفه ثلاثة أيام وأنت لك عندنا سنة تأكل وتشرب وتفعل ما تشاء ثم التفت الى غلمانه وقال اخلعوا ثيابه ففعلوا واعطوني ثيابا رديئة قيمتها خمسة دراهم ودفعوا الي عشرة دراهم ثم قال لي اخرج فانا لا اضربك ولا اشتمك واذهب الى حال سبيلك وان اقمت في هذه البلدة كان دمك هدرا فخرجت يا أمير المؤمنين برغم أنفي ولا اعلم اين اذهب وحل في قلبي

كل هم في الدنيا واشغلني الوسواس وقلت في نفسي كيف اجي في البحر بمائة ألف ألف من جملتها ثمن ثلاثين مركبا ويذهب هذا كله في دار هذا الشيخ النحس وبعد ذلك اخرج من عنده عريانا مكسور القلب فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم اقمت في بغداد ثلاثة أيام لم اذق طعاما ولا شرابا وفي اليوم الرابع رأيت سفينة متوجهة الى البصرة فنزلت فيها واستكريت مع صاحبها الى أن وصلت الى البصرة فدخلت السوق وأنا في شدة الجوع فرآني رجل بقال فقام الي وعانقني لانه كان صاحبا لي ولابي من قبلي وسألني عن حالي فاخبرته بجميع ما جرى لي فقال لي والله ماهذه فعال عاقل ومع هذا الذي جرى لك فاي شيء في ضميرك تريد أن تفعله فقلت له لا ادري ماذا افعل فقال اتجلس عندي وتكتب خرجي ودخلي ولك في كل يوم درهمان زيادة على اكلك وشربك فاجبته الى ذلك واقمت عنده يا أمير المؤمنين سنة كاملة ابيع واشتري الى أن صار معي مائة دينار فاستأجرت غرفة على شاطئ البحر لعل مركبا تاتي ببضاعة فاشتري بالدنانير بضاعة واتوجه بها الى بغداد فاتفق في بعض الايام ان المراكب جاءت وتوجه اليها جميع التجار يشترون فرحت معهم واذا برجلين قد خرجا من بطن المركب ونصبا لهما كرسيين وجلسا عليهما ثم اقبل التجار عليهما لاجل الشراء فقالا لبعض الغلمان أحضروا البساط فاحضروه وجاء واحد بخرج فاخرج منه جرابا وفتحه وكبه على البساط واذا به يخطف البصر لما فيه من الجواهر واللؤلؤ والمرجان والياقوت والعقيق من سائر الالوان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما أخبر الخليفة بقصة التجار وبالجراب وما فيه من سائر أنواع الجواهر قال يا امير المؤمنين ثم ان واحدا من الرجلين الجالسين على الكراسي التفت الى التجار وقال لهم يا معاشر التجار أنا ما أبيع في يومي هذا لاني تعبان فتزايدت التجار في الثمن حتى بلغ مقداره أربعمائة دينار فقال لي صاحب الجراب وكان بيني وبينه معرفة قديمة لماذا لم تتكلم ولم تزود مثل التجار فقلت له والله يا سيدي مابقي عندي شيء من الدنيا سوى مائة دينار واستحييت منه ودمعت عيني فنظر الي وقد عسر عليه حالي ثم قال للتجار اشهدوا علي اني بعت جميع ما في الجراب من أنواع الجواهر والمعادن لهذا الرجل بمائة دينار وأنا أعرف انه يساوي كذا وكذا ألف دينار وهو هدية مني اليه فاعطاني الخرج

والجراب والبساط وجميع ما عليه من الجواهر فشكرته على ذلك وجميع من حضر
من التجار اثنوا عليه ثم اخذت ذلك ومضيت به الى سوق الجواهر وقعدت أبيع
واشترى وكان من جملة هذه المعادن قرص تعويذ صنعة المعلمين زنته نصف رطل
وكان أحمر شديد الحمرة وعليه اسطر مثل دبيب النمل من الجانبين ولم اعرف منفعته
فبعت واشتريت مدة سنة كاملة ثم اخذت قرص التعويذ وقلت هذا له عندى مدة
لا اعرفه ولا اعرف منفعته فدفعته الى الدلال فاخذه وداربه ثم عاد وقال ما دفع فيه
أحد من التجار سوى عشرة دراهم فقلت ما ابيعه بهذا القدر فرماه في وجهى
وانصرف ثم عرضته للبيع يوما آخر فبلغ ثمنه خمسة عشر درهما فاخذته من الدلال
مغضبا ورميته عندى فبينما أنا جالس يوما اذ أقبل علىّ رجل فسلم علىّ وقال لي عن
اذنك هل اقلب ما عندك من البضائع قلت نعم وأنا يا أمير المؤمنين مغتاظ من كساد
قرص التعويذ فقلب الرجل البضاعة ولم يأخذ منها سوى قرص التعويذ فلما رآه
يا أمير المؤمنين قبل يده وقال الحمد لله ثم قال يا سيدى أتبيع هذا فازداد غيظى وقلت
له نعم فقال لى كم ثمنه فقلت له كم تدفع أنت فيه قال عشرين دينارا فتوهمت انه
يستهزئ بى فقلت اذهب الى حال سبيلك فقال لى هو بخمسين دينارا فلم اخاطبه فقال
ألف دينار هذا كله يا أمير المؤمنين وانا ساكت ولم أجبه وهو يضحك من سكوتى
ويقول لاى شئ لم تردّ علىّ فقلت له اذهب الى حال سبيلك واردت أن اخاصمه وهو
يزيد ألفا بعد ألف ولم اردّ عليه حتى قال اتبيعه بعشرين ألف دينار وأنا أظن انه
يستهزئ بى فاجتمع علينا الناس وكل منهم يقول لى بعه وان لم يشتر فنحن الكل عليه
ونضربه ونخرجه من البلد فقلت له هل أنت تشترى أو تستهزئ فقال هل أنت تبيع
أو تستهزئ قلت له أبيع قال هو بثلاثين ألف دينار خذها وأمض البيع فقلت
للحاضرين اشهدوا عليه ولكن بشرط أن تخبرنى ما فائدته وما نفعه قال أمض البيع
وأنا اخبرك بفائدته ونفعه فقلت بعتك فقال الله على ما نقول وكيل ثم اخرج الذهب
وقبضنى اياه واخذ قرص التعويذ ووضعه فى جيبه ثم قال لى هل رضيت قلت نعم
فقال اشهدوا عليه انه امضى البيع وقبض الثمن ثلاثين ألف دينار ثم انه التفت الىّ
وقال لى يا مسكين والله لو اخرت البيع لزدناك الى مائة ألف دينار بل الى ألف ألف
دينار فلما سمعت يا أمير المؤمنين هذا الكلام نفر الدم من وجهى وعلاه هذا
الاصفرار الذى أنت تنظره من ذلك اليوم ثم قلت له اخبرنى ما سبب ذلك وما نفع هذا
القرص فقال اعلم أن ملك الهند له بنت لم ير أحسن منها وبها داء الصداع فاحضر
الملك ارباب الاقلام وأهل العلوم والكهان فلم يرفعوا عنها ذلك فقلت له وكنت حاضرا

يا الجلس أيها الملك أنا اعرف رجلا يسمى سعد الله البابلى ما على وجه الارض اعرف
منه بهذه الامور فان رأيت أن ترسلنى اليه فافعل فقال اذهب اليه فقلت له احضر
الى قطعة من العقيق فاحضر لى قطعة كبيرة من العقيق ومائة ألف دينار وهدية
فاخذت ذلك وتوجهت الى بلاد بابل فسألت عن الشيخ فدلونى عليه ودفعت له
المائة ألف دينار والهدية فاخذ ذلك منى ثم أخذ القطعة العقيق وأحضر حكاكا
فعملها هذا التعويذ ومكث الشيخ سبعة اشهر يرصد النجم حتى اختار وقتا لكتابته
وكتب عليه هذه الطلاسم التى تنظرها ثم جئت به الى الملك وأدرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الشاب قال لامير المؤمنين ان الرجل قال لى
فاخذت هذا التعويذ وجئت به الى الملك فلما وضعه على ابنته برئت من ساعتها وكانت
مربوطة فى أربع سلاسل وكل ليلة تبيت عندها جارية فتصبح مذبوحة فمن حين
وضع عليها هذا التعويذ برئت لوقتها وفرح الملك بذلك فرحا شديدا وخلع على وتصدق
بمال كثير ثم وضعه فى عقدها فاتفق انها نزلت يوما فى مركب هى وجواريها تتنزه
فى البحر فمدت جارية يدها اليها لتلاعبها فانقطع العقد وسقط فى البحر فعاد من ذلك
الوقت العارض لابنة الملك فحصل للملك ما حصل من الحزن فاعطانى مالا كثيرا
وقال لى اذهب الى الشيخ ليعمل لها تعويذا عوضا عنه فسافرت اليه فوجدته قد
مات فرجعت الى الملك وأخبرته فبعثنى أنا وعشرة أنفس نطوف فى البلاد لعلنا نجد
لها دواء فاوقعنى الله به عندك فاخذه منى يا أمير المؤمنين وانصرف فكان ذلك الامر
سببا للاصفرار الذى فى وجهى ثم انى توجهت الى بغداد ومعى جميع مالى وسكنت
فى الدار التى كنت فيها فلما أصبح الصباح لبست ثيابى وجئت الى بيت طاهر بن
العلاء لعلى ارى من أحبها فان حبها لم يزل يتزايد فى قلبى فلما وصلت الى داره رأيت
الشباك قد انهدم فسألت غلاما وقلت له مافعل الله بالشيخ فقال يا أخى انه قدم عليه
فى سنة من السنين رجل تاجر يقال له أبو الحسن العمانى فاقام مع ابنته مدة من
الزمان ثم بعد أن ذهب ماله اخرجه الشيخ من عنده مكسور الخاطر وكانت الصبية
تحبه حبا شديدا فلما فارقها مرضت مرضا شديدا حتى بلغت الموت وعرفت أباها
بذلك فارسل خلفه فى البلاد وقد ضمن لمن يأتى به مائة ألف دينار فلم يره أحد ولم يقع له
على اثر وهى الى الآن مشرفة على الموت قلت وكيف حال أبيها قال باع الجوارى

من عظم ما أصابه فقلت له هل ادلك على أبي الحسن العماني فقال بالله عليك يا أخي
أن تدلني عليه فقلت له اذهب الى أبيها وقل له البشارة عندك فان أبا الحسن العماني
واقف على الباب فذهب الرجل يهرول كأنه بغل انطلق من طاحون ثم غاب ساعة
وجاء وصحبته الشيخ فلما رآني رجع الى داره وأعطى الرجل مائة ألف دينار فأخذها
وانصرف وهو يدعو لي ثم أقبل الشيخ وعانقني وبكى وقال يا سيدي اين كنت في هذه
الغيبة قد هلكت ابنتي من أجل فراقك فادخل معي الى المنزل فلما دخلت سجد شكرا
لله تعالى وقال الحمد لله الذي جمعنا بك ثم دخل لابنته وقال لها شفاك الله من هذا
المرض فقالت يا أبت ما ابرأ من مرضي الا اذا نظرت وجه أبي الحسن فقال اذا
اكلت اكلة ودخلت الحمام جمعت بينكما فلما سمعت كلامه قالت اصحيح ماتقول قال
لها والله العظيم ان الذي قلته صحيح فقالت والله ان نظرت وجهه ما احتاج الى
اكل فقال لغلامه أحضر سيدك فدخلت فلما نظرتني يا أمير المؤمنين وقعت
مغشيا عليها فلما افاقت أنشدت هذا البيت

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ثم استوت جالسة وقالت والله يا سيدي ما كنت اظن انى أرى وجهك الا ان كان
مناما ثم انها عانقتني وبكت وقالت يا أبا الحسن الآن آكل واشرب فاحضروا الطعام
والشراب ثم صرت عندهم يا أمير المؤمنين مدة من الزمان وعادت لما كانت عليه
من الجمال ثم ان اباها استدعى بالقاضي والشهود وكتب كتابها علي وعمل وليمة
عظيمة وهي زوجتي الى الآن ثم ان ذلك الفتى قام من عند الخليفة ورجع اليه بغلام
بديع الجمال بقد ذي رشاقة واعتدال وقال له قبل الارض بين ايادي أمير المؤمنين
فقبل الارض بين يدي الخليفة فتعجب الخليفة من حسنه وسبح خالقه ثم ان الرشيد
انصرف هو وجماعته وقال يا جعفر ما هذا الا شيء عجيب ما رأيت ولا سمعت بأغرب
منه فلما جلس الرشيد في دار الخلافة قال يا مسرور قال لبيك يا سيدي قال اجمع
في هذا الايوان خراج البصرة وخراج بغداد وخراج خراسان فجمعه فصار مالا
عظيما لا يحصي عدده الا الله ثم قال الخليفة يا جعفر قال لبيك قال أحضر لي أبا
الحسن قال سمعا وطاعة ثم احضره فلما حضر قبل الارض بين يدي الخليفة وهو
خائف أن يكون طلبه له بسبب خطأ وقع منه وهو عنده بمنزله فقال الرشيد يا عماني
قال له لبيك يا أمير المؤمنين خلد الله نعمه عليك فقال اكشف هذه الستارة وكان
الخليفة أمرهم أن يضعوا مال الثلاثة أقاليم ويسبلوا عليه الستارة فلما كشف
العماني الستارة عن الايوان اندهش عقله من كثرة المال فقال الخليفة يا أبا الحسن

أهذا

أهـذا المال أكثر أم الذى فاتك من قرص التعويذ فقال بل هـذا يا أمير المؤمنين
أكثر باضعاف كثيرة قال الرشيد اشهدوا يا من حضر انى وهبت هذا المال لهـذا
الشاب فقبل الارض واستحى وبكى من شدة الفرح بين يدى الرشـيد فلما بكى جرى
الدمع من عينه على خده فرجع الدم الى محـله فصار وجهه كالبدر ليلة تمامه فقال
الخليفة لا اله الا الله سبحان من يغير حالا بعد حال وهو باق لا يتغير ثم أتى بمرآة وأراه
وجهه فيها فلما رآه سجد شكرا لله تعالى ثم أمر الخليفة أن يحمل اليـه المال وسأله
انه لا ينقطع عنه لاجل المنادمة فصار يتردد اليه الى ان توفى الخليفة الى رحمة الله
تعالى فسبحان الذى لا يموت ذى الملك والملكوت

حكاية ابراهيم بن الخصيب مع جميلة بنت ابى الليث عامل البصرة

ومما يحكى أيضا أيها الملك السـعيد أن الخصيب صاحب مصر كان له ولد ولم يكن
أحسن منه وكان من خوفه عليه لا يمكنه من الخروج الا لصلاة الجمعة فمر وهو خارج
من صلاة الجمعة على رجل كبير وعنده كتب كثيرة فنزل عن فرسه وجلس عنده وقلب
الكتب وتأملها فرأى فيها صورة امرأة تكاد أن تنطق لم ير أحسـن منها على وجه
الارض فسلبت عقله وأدهشت لبه فقال له يا شيخ بعنى هذه الصورة فقبل الارض
بين يديه ثم قال يا سـيدى بغير ثمن فدفع له مائة دينار وأخذ الكتاب الذى فيه هذه
الصورة فصار ينظر اليها ويبكى ليـله ونهـاره وامتنع من الطـعام والشراب والمنام
وقال فى نفسه لو سألت الكتبى عن صانع هـذه الصورة من هو لربما أخبرنى
فان كانت صاحبتها فى الحياة توصلت اليها وان كانت صورة مطلقـة تركت التولع
بها ولا أعـذب نفسى بشئ لا حقيقة له وأدرك شهرزاد الصـباح فسكتت عن
الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن الشاب لما قال فى نفسه لو سألت الكتبى عن هذه
الصورة لربما أخبرنى فان كانت صورة مطلقـة تركت التولع بها ولا أعـذب نفسى
بشئ لا حقيقة له فلما كان يوم الجمعة مر على الكتبى فنهض اليـه قائما فقال له يا عم
أخبرنى من صنع هذه الصورة قال يا سـيدى صنعها رجل من أهـل بغداد يقال له
أبو القاسم الصندلانى فى حارة تسمى حارة الكرخ وما أعلم صورة من هى فقام
الغلام من عنده ولم يعلم بحاله أحد من أهل مملكته ثم صلى الجمعة وعاد الى البيت

فاخذ جرابا وملأه من الجواهر والذهب وقيمة الجواهر ثلاثون ألف دينار ثم صبر
الى الصباح وخرج ولم يعلم أحدا ولحق قافلة فرأى بدويا فقال له ياعم كم بيني وبين
بغداد فقال له ياولدي أين أنت وأين بغداد ان بينك وبينها مسيرة شهرين فقال له
ياعم ان وصلتني الى بغداد أعطيتك مائة دينار وهذه الفرس التي تحتي وقيمتها ألف
دينار فقال له البدوي الله على مانقول وكيل ولكن لاتنزل في هذه الليلة الا عندي
فاجابه الى قوله وبات عنده فلما لاح الفجر أخذه البدوي وسار به سريعا في طريق
قريب طمعا في تلك الفرس التي وعده بها ومازالا سائرين حتى وصلا الى حيطان
بغداد فقال له البدوي الحمد لله على السلامة ياسيدي هذه بغداد ففرح الغلام فرحا
شديدا ونزل عن الفرس وأعطاها للبدوي هي والمائة دينار ثم أخذ الجراب وسار
يسأل عن حارة الكرخ وعن محل التجار فساقه القدر الى درب فيه عشر حجر
خمسة تقابل خمسة وفي صدر الدرب باب بمصراعين له حلقة من فضة وفي الباب
مصطبتان من الرخام مفروشتان باحسن الفرش وفي احداهما رجل جالس وهو
مهاب حسن الصورة وعليه ثياب فاخرة وبين يديه خمسة مماليك كأنهم أقمار
فلما رأى الغلام ذلك عرف العلامة التي ذكرها له الكتبي فسلم على الرجل فرد عليه
السلام ورحب به وأجلسه وسأله عن حاله فقال له الغلام أنا رجل غريب وأريد
من احسانك أن تنظر لي في هذا الدرب دارا اسكن فيها فصاح الرجل وقال ياغزالة
فخرجت اليه جارية وقالت لبيك ياسيدي فقال خذي معك بعض خدم واذهبوا الى
حجرة ونظفوها وافرشوها وحطوا فيها جميع مايحتاج اليه من آنية وغيرها لاجل
هذا الشاب الحسن الصورة فخرجت الجارية وفعلت ما أمرها به ثم أخذه الشيخ
وأراه الدار فقال له الغلام ياسيدي كم أجرة هذه الدار فقال له ياصبيح الوجه
أنا ما آخذ منك أجرة مادمت فيها فشكره على ذلك ثم ان الشيخ نادى جارية أخرى
فخرجت جارية كأنها الشمس فقال لها هاتي الشطرنج فاتت به ففرش المملوك
الرقعة وقال الشيخ للغلام أتلعب معي قال نعم فلعب معه مرات والغلام يغلبه فقال
أحسنت ياغلام ولقد كملت صفاتك والله ما في بغداد من يغلبني وقد غلبتني أنت
ثم بعد ان هيؤا الدار بالفرش وسائر مايحتاج اليه سلم اليه المفاتيح وقال له ياسيدي
ألا تدخل منزلي وتأكل عيشي فنتشرف بك فاجابه الغلام الى ذلك ومشى معه فلما
وصلا الى الدار رأى دارا حسنة جميلة مزركشة بالذهب وفيها من جميع التصاوير
وفيها من أنواع الفرش والامتعة مايعجز عن وصفه اللسان ثم صار يحييه وأمر
باحضار الطعام فاتوا بمائدة من شغل صنعاء اليمن فوضعت واتوا بالطعام ألوانا غريبة

لم يوجد أنخر منها ولا ألذ فأكل الغلام حتى اكتفى ثم غسل يديه وصار الغلام ينظر الى الدار والفرش ثم التفت الى الجراب الذى كان معه فلم يره فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم أكلت لقمة تساوى درهما أو درهمين فذهب منى جراب فيه ثلاثون ألف دينار ولكن استعنت بالله ثم سكت ولم يقدر أن يتكلم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الغلام لما رأى الجراب مفقودا حصل له غم كبير فسكت ولم يقدر أن يتكلم فقدم له الشيخ الشطرنج وقال للغلام هل تلعب معى قال نعم فلعب فغلبه الشيخ فقال الغلام أحسنت ثم ترك اللعب وقام فقال له مالك يا غلام فقال أريد الجراب فقام وأخرجه له وقال ها هو يا سيدى هل ترجع الى اللعب معى قال نعم فلعب معه فغلبه الغلام فقال الرجل لما اشتغل فكرك بالجراب غلبتك فلما جئت به اليك غلبتنى ثم قال له يا ولدى اخبرنى من أى البلاد أنت فقال من مصر فقال له وما سبب مجيئك الى بغداد فاخرج له الصورة وقال اعلم يا عم انى ولد الخصيب صاحب مصر وقد رأيت هذه الصورة عند رجل كتبى فسلبت عقلى فسألت عن صانعها فقيل لى ان صانعها رجل بحارة الكرخ يقال له أبو القاسم الصندلانى بدرب يعرف بدرب الزعفران فاخذت معى شيأ من المال وجئت وحدى ولم يعلم بحالى أحد وأريد من تمام احسانك أن تدلنى عليه حتى أسأله عن سبب تصويره لهذه الصورة وصورة من هى ومهما أراده منى فانى أعطيه اياه فقال والله يا ابنى انى أنا أبو القاسم الصندلانى وهذا أمر عجيب كيف ساقتك المقادير الى فلما سمع الغلام كلامه قام اليه وعانقه وقبل رأسه ويديه وقال له بالله عليك أن تخبرنى صورة من هى فقال سمعا وطاعة ثم قام وفتح خزانة وأخرج منها عدة كتب كان صور فيها هذه الصورة وقال له اعلم يا ولدى ان صاحبة هذه الصورة ابنة عمى وهى فى البصرة وأبوها حاكم البصرة يقال له أبو الليث وهى يقال لها جميلة وما على وجه الارض أجمل منها ولكنها زاهدة فى الرجال ولم تقدر أن تسمع ذكر رجل فى مجلسها وقد ذهبت الى عمى بقصد انه يزوجنى بها وبذلت له الاموال فلم يجبنى الى ذلك فلما علمت ابنته بذلك اغتاظت وأرسلت الى كلاما من جملته انها قالت ان كان لك عقل فلا تقم بهذه البلدة والا تهلك ويكون ذنبك فى عنقك وهى جبارة من الجبابرة فخرجت من البصرة وأنا منكسر الخاطر وعملت هذه الصورة فى الكتب

وفرقتها فى البلاد لعلها تقع فى يد غلام حسن الصورة مثلك فيتحيل فى الوصول اليها
لعلها تعشقه واكون قد أخذت عليه العهد انه اذا تمكن منها يريني اياها ولو نظرة
من بعيد فلما سمع ابراهيم بن الخصيب كلامه أطرق رأسه ساعة وهو يتفكر فقال له
الصندلانى ياولدى انى مارأيت ببغداد أحسن منك وأظن انها اذا نظرتك تحبك
فهل يمكنك اذا اجتمعت بها وظفرت بها أن تريني اياها ولو نظرة من بعيد فقال نعم
فقال اذا كان الامر كذلك فاقم عندى الى ان تسافر فقال لا أقدر على المقام فان
فى قلبى من عشقها نارا زائدة فقال له اصبر حتى أجهز لك مركبا فى ثلاثة أيام لتذهب
فيها الى البصرة فصبر حتى جهز له مركبا ووضع فيها كل مايحتاج اليه من مأكول
ومشروب وغير ذلك وبعد الثلاثة أيام قال للغلام تجهز للسفر فقد جهزت لك مركبا
فيها سائر ماتحتاج اليه والمركب ملكى والملاحون من أتباعى وفى المركب مايكفيك
الى ان تعود وقد وصيت الملاحين أن يخدموك الى ان ترجع بالسلامة فنهض الغلام
ونزل فى المركب وودعه وسار حتى وصل الى البصرة فاخرج الغلام مائة دينار
للملاحين فقالوا له نحن أخذنا الاجرة من سيدنا فقال لهم خذوها انعاما وأنا لا
أخبره بذلك فأخذوها منه ودعوا له ثم دخل الغلام البصرة وسأل أين مسكن التجار
فقالوا له فى خان يسمى خان حمدان فمشى حتى وصل الى السوق الذى فيه الخان
فامتدت اليه الاعين بالنظر من فرط حسنه وجماله ثم دخل الخان مع رجل ملاح
وسأل عن البواب فدلوه عليه فرآه شيخا كبيرا مهابا فسلم عليه فرد عليه السلام فقال
ياعم هل عندك حجرة ظريفة قال نعم ثم أخذه هو والملاح وفتح لهما حجرة ظريفة
مزركشة بالذهب وقال ياغلام ان هذه الحجرة تصلح لك فاخرج الغلام دينارين
وقال له خذ هذين حلوان المفتاح فاخذهما ودعا له وأمر الغلام الملاح بالذهاب
الى المركب ثم دخل الحجرة فاستمر عنده بواب الخان وخدمه وقال له ياسيدى حصل
لنا بك السرور فاعطاه الغلام دينارا وقال له هات لنا به خبزا ولحما وحلوى وشرابا
فاخذه وذهب الى السوق ورجع اليه وقد اشترى ذلك بعشرة دراهم وأعطاه الباقى
فقال له الغلام اصرفه على نفسك ففرح بواب الخان بذلك فرحا عظيما ثم ان الغلام
أكل مما طلبه قرصا واحدا بقليل من الادم وقال لبواب الخان خذ هذا الى أهل منزلك
فاخذه وذهب به الى أهل منزله وقال لهم ما أظن ان أحدا على وجه الارض أكرم
من الغلام الذى سكن عندنا فى هذا اليوم ولا أحلى منه فان دام عندنا حصل لنا
الغنى ثم ان بواب الخان دخل على ابراهيم فرآه يبكى فقعد وصار يكبس رجليه ثم
قبلهما وقال ياسيدى لاى شئ تبكى لا أبكاك الله فقال ياعم أريد أن أشرب أنا وأنت

فى

فى هذه الليلة فقال له سمعا وطاعة فاخرج له خمسة دنانير وقال له اشترلنا بها فاكهة وشرابا ثم دفع له خمسة دنانير أخرى وقال له اشترلنا بهذه نقلا ومشموما وخمس دجاجات سمان واحضر لى عودا فخرج واشترى له ما به أمره وقال لزوجته اصنعى هذا الطعام وصفى لنا هذا الشراب وليكن ما تصنعينه جيدا فان هذا الغلام قد عمنا باحسانه فصنعت زوجته ما أمرها به على غاية المراد ثم أخذه ودخل به على ابراهيم ابن السلطان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد التسعمائه

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان بواب الخان لما صنعت زوجته الطعام والشراب أخذه ودخل به على ابن السلطان فاكلا وشربا وطربا فبكى الغلام وأنشد هذين البيتين

ياصاحبى لو بذلت الروح مجتهدا * وجملة المال والدنيا ومافيها
وجنة الخلد والفردوس أجمعها * بساعة الوصل كان القلب شاريها

ثم شهق شهقة عظيمة وخر مغشيا عليه فتنهد بواب الخان فلما أفاق قال له بواب الخان ياسيدى ما يبكيك ومن هى التى تريدها بهذا الشعر فانها لاتكون الاترابا لاقدامك فقام الغلام وأخرج بقجة من أحسن ملابس النساء وقال له خذ هذه الى حريمك فاخذها منه ودفعها الى زوجته فاتت معه ودخلت على الغلام فاذا هو يبكى فقالت له فتت أكبادنا فعرفنا باى مليحة تريدها وهى لاتكون الاجارية عندك فقال ياعم اعلم انى أنا ابن الخصيب صاحب مصر وانى متعلق بجميلة بنت أبى الليث العميد فقالت زوجة بواب الخان الله الله ياأخى اترك هذا الكلام لئلا يسمع بنا أحد فنهلك فانه ماعلى وجه الارض أجبر منها ولا يقدر أحد أن يذكر لها اسم رجل لانها زاهدة فى الرجال فياولدى اعدل عنها لغيرها فلما سمع كلامها بكى بكاء شديدا فقال له بواب الخان مالى سوى روحى فانا أخاطر بها فى هواك وأدبر لك أمرا فيه بلوغ مرادك ثم خرجا من عنده فلما أصبح الصباح دخل الحمام ولبس حلة من ملبوس الملوك واذا ببواب الخان هو وزوجته قدما عليه وقالا له ياسيدى اعلم ان هنا رجلا خياطا أحدب وهو خياط السيدة جميلة فاذهب اليه واخبره بحالك فعساه يدلك على ما فيه وصولك الى أغراضك فقام الغلام وقصد دكان الخياط الاحدب فدخل عليه فوجد عنده عشرة مماليك كأنهم الاقمار فسلم عليهم فردوا عليه السلام وفرحوا به وأجلسوه وتحيروا فى محاسنه وجماله فلما رآه الاحدب

اندهش عقله من حسن صورته فقال له الغلام أريد أن تخيط لى جيبى فتقدم
الخياط وأخذ قطعة من الحرير وخاطه وكان الغلام قد فتق جيبه عمدا فلما خاطه
أخرج له خمسة دنانير وأعطاها له وانصرف الى حجرته فقال الخياط أى شئ عملته
لهذا الغلام حتى أعطانى الخمسة دنانير ثم بات ليلته يفكر فى حسنه وكرمه فلما أصبح
الصباح ذهب الى دكان الخياط الاحدب ثم دخل وسلم عليه فرد عليه السلام واكرمه
ورحب به فلما جلس قال للاحدب ياعم خيط لى جيبى فانه فتق ثانيا فقال له ياولدى
على الرأس والعين ثم تقدم وخاطه فدفع له عشرة دنانير فاخذها وصار مبهوتا من
حسنه وكرمه ثم قال والله ياغلام ان فعلك هذا لابد له من سبب وما هذا خبر خياطة
جيب ولكن اخبرنى عن حقيقة أمرك فان كنت عشقت واحدا من هؤلاء
الاولاد فوالله مافيهم احسن منك وكلهم تراب أقدامك وهاهم عبيدك بين يديك
وان كان غير هذا فاخبرنى فقال ياعم ماهذا محل الكلام فان حديثى عجيب وأمرى
غريب قال فاذا كان الامر كذلك فقم بنا فى خلوة ثم نهض الخياط وأخذ بيده
ودخل معه حجرة فى داخل الدكان وقال له ياغلام حدثنى فحدثه بأمره من أوله الى
آخره فبهت من كلامه وقال ياغلام اتق الله فى نفسك فان التى ذكرتها جبارة
زاهدة فى الرجال فاحفظ ياأخى لسانك والا فانك تهلك نفسك فلما سمع الغلام كلامه
بكى بكاء شديدا ولزم ذيل الخياط وقال أجرنى ياعم فانى هالك وقد تركت ملكى وملك
أبى وجدى وصرت فى البلاد غريبا وحيدا ولاصبر لى عنها فلما رأى الخياط ماحل
به رحمه وقال ياولدى ماعندى الا نفسى فانا أخاطر بها فى هواك فانك قد جرحت
قلبى ولكن فى غد أدبر لك أمرا يطيب به قلبك فدعا له وانصرف الى الخان فحدث
بواب الخان بما قاله الاحدب فقال له قد فعل معك جميلا فلما أصبح الصباح لبس
الغلام أفخر ثيابه وأخذ معه كيسا فيه دنانير وأتى الى الاحدب فسلم عليه وجلس
ثم قال له ياعم انجز وعدى فقال له قم فى هذه الساعة وخذ ثلاث دجاجات سمان
وثلاث أواق من السكر النبات وكوزين لطيفين واملأهما شرابا وخذ قدحا
وضع ذلك فى كارة وانزل بعد صلاة الصبح فى زورق مع ملاح وقل له أريد أن تذهب بى
تحت البصرة فان قال لك ما أقدر أن أعدى أكثر من فرسخ فقل له الرأى لك فاذا
عدى فرغبه بالمال حتى يوصلك فاذا وصلت فاول بستان تراه فانه بستان السيدة
جميلة فاذا رأيته فاذهب الى بابه ترى درجتين عاليتين عليهما فرش من الديباج
وجالس عليهما رجل أحدب مثلى فاشكو اليه حالك وتوسل به نعساه أن يرثى لحالك
ويوصلك الى ان تنظرها ولو نظرة من بعيد ومابيدى حيلة غير هذا واما اذا لم يرث

لحالك

حالك فقد هلكت أنا وأنت وهذا ما عندي من الرأي والامر الى الله تعالى فقال الغلام استعنت بالله تعالى ماشاء الله كان ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قام من عند الخياط الاحدب وذهب الى حجرته وأخذ ما أمره به في كارة لطيفة ثم انه لما أصبح جاء الى شاطئ الدجلة واذا هو برجل ملاح نائم فايقظه وأعطاه عشرة دنانير وقال له عدني الى تحت البصرة فقال له ياسيدي بشرط اني لا أعدي أكثر من فرسخ وان تجاوزته شبرا هلكت أنا وأنت فقال له الرأي لك فاخذه وانحدر به فلما قرب من البستان قال يا ولدي من هنا ما أقدر أن أعدي فان تعديت هذا الحد هلكت أنا وأنت فاخرج له عشرة دنانير أخرى وقال له خذ هذه النفقة لتستعين بها على حالك فاستحى منه وقال سلمت الامر لله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الغلام لما أعطى للملاح العشرة دنانير الاخرى أخذها وقال سلمت الامر لله تعالى وانحدر به فلما وصل الى البستان نهض الغلام من فرحته ووثب من الزورق وثبة مقدار رمية رمح ورمى نفسه فرجع الملاح هاربا ثم تقدم الغلام فرأى جميع ما وصفه له الاحدب من البستان ورأى بابه مفتوحا وفي الدهليز سرير من العاج جالس عليه رجل أحدب لطيف المنظر عليه ثياب مذهبة وفي يده دبوس من فضة مطلي بالذهب فنهض الغلام مسرعا وانكب على يده وقبلها فقال له من أنت ومن أين أتيت ومن أوصلك الى ههنا يا ولدي وكان ذلك الرجل لما رأى ابراهيم بن الخصيب انبهر من جماله فقال له ابراهيم يا عم أنا صبي جاهل غريب ثم بكى فرق له وأصعده على السرير ومسح له دموعه وقال له لا بأس عليك ان كنت مديونا قضى الله دينك وان كنت خائفا آمن الله خوفك فقال يا عم ما بي خوف ولا علي دين ومعي مال جزيل بحمد الله وعونه فقال له يا ولدي ما حاجتك حتى خاطرت بنفسك وجمالك الى محل فيه الهلاك فحكى له حكايته وشرح له أمره فلما سمع كلامه أطرق رأسه ساعة الى الارض وقال هل الذي دلك علي الخياط الاحدب قال له نعم قال هذا أخي وهو رجل مبارك ثم قال يا ولدي لولا ان محبتك نزلت في قلبي ورحمتك لهلكت أنت وأخي وبواب الخان وزوجته ثم قال اعلم ان هذا البستان ما على وجه الارض مثله وانه يقال له بستان اللؤلؤة وما دخله أحد مدة عمري الا السلطان وأنا وصاحبته جميلة وأقمت فيه عشرين سنة فما رأيت

أحد اجاء الى هذا المكان وكل أربعين يوما تأتى فى المركب الى ههنا وتصعد بين
جواريها فى حله أطلس تحمل أطرافها عشر جوار بكلاليب من الذهب الى ان
تدخل فلم أر منها شيأ ولكن أنا مالى الا نفسى فاخاطر بها من أجلك فعند ذلك قبل
الغلام يده فقال له اجلس عندى حتى أدبر لك أمرا ثم أخذ بيد الغلام وأدخله
البستان فلما رأى ابراهيم ذلك البستان ظن انه الجنة ورأى الاشجار ملتفة
والنخيل باسقة والمياه متدفقة والاطيار تناغى باصوات مختلفة ثم ذهب به الى قبة
وقال له هذه التى تقعد فيها السيدة جميلة فتأمل تلك القبة فوجدها من أعجب
المنتزهات وفيها سائر التصاوير بالذهب واللازورد وفيها اربعة أبواب يصعد اليها
بخمس درج وفى وسطها بركة ينزل اليها بدرج من الذهب وتلك الدرج مرصعة
بالمعدن وفى وسط البركة سلسبيل من الذهب فيه صور كبار وصغار والماء يخرج من
أفواهها فاذا صفقت الصور عند خروج الماء باصوات مختلفة تخيل اسامعها انه
فى الجنة وحول القبة ساقية قواديسها من الفضة وهى مكسوة بالديباج وعلى يسار
الساقية شباك من الفضة مطل على برج أخضر فيه من سائر الوحوش والغزلان
والارانب وعلى يمينها شباك مطل على ميدان فيه من سائر الطيور وكلها تغرد
باصوات مختلفة تدهش السامع فلما رأى الغلام ذلك أخذه الطرب وقعد فى باب
البستان وقعد البستانى بجانبه فقال له كيف ترى بستانى فقال له الغلام هو جنة
الدنيا فضحك البستانى ثم قام وغاب عنه ساعة وعاد ومعه طبق فيه دجاج وسمان
ومأكول مليح وحلوى من السكر فوضعه بين يدى الغلام وقال له كل حتى
تشبع قال ابراهيم فاكلت حتى اكتفيت فلما رآنى أكلت فرح وقال والله هكذا شأن
الملوك أولاد الملوك ثم قال يا ابراهيم أى شئ معك فى هذه الكارة فحلتها بين يديه
فقال احملها معك فانها تنفعك اذا حضرت السيدة جميلة فانها اذا جاءت لا أقدر
أن أدخل لك بما تأكل ثم قام وأخذ بيدى وأتى بى الى مكان قبال قبة جميلة فعمل
عريشة بين الاشجار وقال له اصعد هنا فاذا جاءت فانك تنظرها وهى لا تنظرك
وهذا أكثر ما عندى من الحيلة وعلى الله الاعتماد فاذا غنت فاشرب على غنائها
فاذا ذهبت فارجع من حيث جئت ان شاء الله مع السلامة فشكره الغلام وأراد
أن يقبل يده فمنعه ثم ان الغلام وضع الكارة فى العريشة التى عملها له ثم قال
له البستانى يا ابراهيم تفرج فى البستان وكل من أثماره فان ميعاد حضور صاحبتك
فى غد فصار ابراهيم يتنزه فى البستان ويأكل من أثماره وبات ليلته عنده فلما أصبح
الصباح وأضاء بنوره ولاح صلى ابراهيم الصبح واذا بالبستانى جاءه وهو مصفر

اللون

الاون وقال له قم ياولدى واصعد الى العريشة فان الجوارى قد اتين ليفرشن المكان وهى تأتى بعدهن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الخولى لما دخل على ابراهيم بن الخصيب فى البستان قال له قم ياولدى اصعد الى العريشة فان الجوارى قد أتين ليفرشن المكان وهى تأتى بعدهن واحذر من أن تبصق أو تمخط أو تعطس فنهلك أنا وأنت فقام الغلام وصعد الى العريشة وذهب الخولى وهو يقول رزقك الله السلامة ياولدى فبينما الغلام قاعد واذا بخمس جوار أقبلن لم ير مثلهن أحد فدخلن القبة وقلعن ثيابهن وغسلن القبة ورششنها بماء الورد وأطلقن العود والعنبر وفرشن الديباج وأقبل بعدهن خمسون جارية ومعهن آلات الطرب وجميلة بينهن من داخل خيمة حمراء من الديباج والجوارى رافعات اذيال الخيمة بكلاليب من الذهب حتى دخلت القبة فلم ير الغلام منها ولا من اثوابها شيأ فقال فى نفسه والله انه ضاع جميع تعبى ولكن لا بدلى من ان أصبر حتى أنظر كيف يكون الامر فقدمت الجوارى الاكل والشرب ثم أكلن وغسلن أيديهن ونصبن لها كرسيا فجلست عليه ثم ضربن بآلات الملاهى جميعهن وغنين باصوات مطربة لا مثل لهن ثم خرجت عجوز قهرمانة فصفقت ورقصت فجذبها الجوارى واذا بالستر قد رفع وخرجت جميلة وهى تضحك فرآها ابراهيم وعليها الحلى والحلل وعلى رأسها تاج مرصع بالدر والجوهر وفى جيدها عقد من اللؤلؤ وفى وسطها منطقة من قضبان الزبرجد وحبالها من الياقوت واللؤلؤ فقام الجوارى وقبلن الارض بين يديها وهى تضحك قال ابراهيم ابن الخصيب فلما رأيتها غبت عن وجودى واندهش عقلى وتحير فكرى بما بهر فى من جمال لم يكن على وجه الارض مثله ووقعت مغشيا على ثم أفقت باكى العينين وأنشدت هذين البيتين

أراك فلا أرد الطرف كى لا * يكون حجاب رؤيتك الجفون
ولو أنى نظرت بكل لحظ * لما استوفت محاسنك العيون

فقالت العجوز للجوارى ليقم منكن عشرة يرقصن ويغنين فلما رآهن ابراهيم قال فى نفسه اشتهى أن ترقص السيدة جميلة فلما انتهى رقص العشر جوارى اقبلن حولها وقلن ياسيدتنا نشتهى ان ترقصى فى هذا المجلس ليتم سرورنا بذلك لاننا ما رأينا أطيب من هذا اليوم فقال ابراهيم بن الخصيب فى نفسه لاشك ان أبواب السماء قد

فتحت واستجاب الله دعائى ثم قبل الجوارى قدامها وقلن لها والله ماراينا صدرك مشروحا مثل هذا اليوم فمازلن يرغبنها حتى قلعت أثوابها وصارت بقميص من نسيج الذهب مطرز بانواع الجواهر وابرزت نهودا كأنها الرمان واسفرت عن وجه كالبدر ليلة تمامه فرأى ابراهيم من الحركات مالم ير فى عمره مثله وأتت فى رقصها باسلوب غريب وابتداع عجيب حتى انست رقص الحبيب فى الكؤس واذكرت ميل العمائم عن الرؤس وهى كما قال فيها الشاعر

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت * فى قالب الحسن لا طول ولا قصر
كأنها خلقت من ماء لؤلؤة * فى كل جارحة من حسنها قمر

وكما قال الآخر

وراقص مثل غصن البان قامته * تكاد تذهب روحى من تنقله
لا يستقر له فى رقصه قدم * كأنما نار قلبى تحت أرجله

قال ابراهيم فبينما أنا أنظر اليها اذ لاحت منها التفاتة الى فرأتنى فلما نظرتنى تغير وجهها فقالت لجواريها غنوا أنتم حتى اجيء اليكن ثم عمدت الى سكين قدر نصف ذراع وأخذتها وأتت نحوى ثم قالت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فلما قربت منى غبت عن الوجود فلما رأتنى ووقع وجهها فى وجهى وقعت السكين من يدها وقالت سبحان مقلب القلوب ثم قالت لى يا غلام طب نفسا ولك الامان مما تخاف فصرت أبكى وهى تمسح دموعى بيدها وقالت يا غلام أخبرنى من أنت وما جاء بك الى هذا المكان فقبلت الارض بين يديها ولزمت ذيلها فقالت لا بأس عليك فوالله ماملأت عينى من ذكر غيرك فقل لى من أنت قال ابراهيم فحدثتها بحديثى من أوله الى آخره فتعجبت من ذلك وقالت لى يا سيدى أنا شدتك الله هل أنت ابراهيم بن الخصيب قلت نعم فانكبت على وقالت يا سيدى أنت الذى زهدتنى فى الرجال لانى لما سمعت انه وجد فى مصر صبى لم يكن على وجه الارض أجمل منه هويتك بالوصف وتعلق قلبى بحبك لما بلغنى عنك من الجمال الباهر وصرت فيك كما قال الشاعر

اذنى لقد سبقت فى عشقه بصرى * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

فالحمد لله الذى أرانى وجهك والله لو كان أحد غيرك لكنت صلبت البستانى وبواب الخان والخياط ومن يلوذ بهم ثم قالت لى كيف احتال على شئ تأكله من غير اطلاع جوارى فقلت لها ان معى ما نأكل وما نشرب ثم حللت الكارة بين يديها فاخذت دجاجة وصارت تلقمنى وألقمها فلما رأيت ذلك منها توهمت انه منام ثم قدمت الشراب فشربنا كل ذلك وهى عندى والجوارى تغنى ومازلنا كذلك من

الصبح

الصبح الى الظهر ثم قامت وقالت قم الآن هيئ لك مركبا وانتظرني في المحل الفلاني
حتى أجيء اليك فما بقي لي صبر على فراقك فقلت ياسيدتي ان معي مركبا وهي ملكي
والملاحون في اجارتي وهم في انتظاري فقالت هذا هو المراد ثم مضت الى الجواري
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة جميلة لما مضت الى الجواري قالت لهن
قمن بنا الروح الى قصرنا فقلن لها كيف نقوم في هذه الساعة وعادتنا ننا نقعد ثلاثة
أيام فقالت اني أجد في نفسي ثقلا عظيما كاني مريضة وأخاف أن يثقل علي ذلك
فقلن لها سمعا وطاعة فلبسن ثيابهن ثم توجهن الى الشاطئ ونزلن في الزورق واذا
بالبستاني قد أقبل على ابراهيم وما عنده علم بالذي جرى له فقال يا ابراهيم مالك حظ
في التلذذ برؤيتها فان من عادتها أن تقيم هنا ثلاثة أيام وأنا أخاف أن تكون رأتك
فقال ابراهيم ما رأتني ولا رأيتها ولا خرجت من القبة قال صدقت يا ولدي فانها لو
رأتك لكنا هلكنا ولكن اقعد عندي حتى تأتي في الاسبوع الثاني وتراها وتشبع
من النظر اليها فقال ابراهيم يا سيدي ان معي مالا وأخاف عليه وورائي رجال فأخاف
أن يستغيبوني فقال يا ولدي انه يعز علي فراقك ثم عانقه وودعه ثم ان ابراهيم توجه
الى الخان الذي كان نازلا فيه وقابل بواب الخان واخذ ماله فقال له بواب الخان خير
خبر ان شاء الله فقال له ابراهيم اني ما وجدت الى حاجتي سبيلا وأريد أن أرجع الى
أهلي فبكى بواب الخان وودعه وحمل أمتعته ووصله الى المركب وبعد ذلك توجه الى
المحل الذي قالت له عليه وانتظرها فيه فلما جن الليل واذا بها قد أقبلت عليه وهي في
زي رجل شجاع بلحية مستديرة ووسط مشدود بمنطقة وفي احدى يديها قوس ونشاب
وفي الاخرى سيف مجرد وقالت له هل أنت ابن الخصيب صاحب مصر فقال لها
ابراهيم هو أنا فقالت له واي علق أنت حتى جئت تفسد بنات الملوك قم كلم السلطان
قال ابراهيم فوقعت مغشيا علي واما الملاحون فانهم ماتوا في جلدهم من الخوف
فلما رأت ما حل بي خلعت تلك اللحية ورمت السيف وحلت المنطقة فرأيتها هي
السيدة جميلة فقلت لها والله انك قطعت قلبي ثم قلت للملاحين أسرعوا في سير المركب
فحلوا الشراع واسرعوا في السير فما كان الا ايام قلائل حتى وصلنا الى بغداد واذا
بمركب واقفة على جانب الشط فلما رآنا الملاحون الذين فيها صاحوا على الملاحين
الذين معنا وصاروا يقولون يا فلان ويا فلان نهنيكم بالسلامة ثم دفعوا مركبهم على

مركبنا فنظرنا فاذا فيها أبو القاسم الصندلاني فلما رآنا قال ان هذا هو مطلوبي امضوا في وداعة الله وأنا أريد التوجه الى غرض وكان بين يديه شمعة ثم قال لي الحمد لله على السلامة هل قضيت حاجتك قلت نعم فقرب الشمعة منا فلما رأته جميلة تغير حالها واصفر لونها ولما رآها الصندلاني قال اذهبوا في أمان الله أنا رايح الى البصرة في مصلحة للسلطان ولكن الهدية لمن حضر ثم أحضر علبة من الحلويات ورماها في مركبنا وكان فيها البنج فقال ابراهيم يا قرة عيني كلي من هذا فبكت وقالت يا ابراهيم أتدري من هذا قلت نعم هذا فلان قالت انه ابن عمي وكان سابقا خطبني من والدي فما رضيت به وهو متوجه الى البصرة فربما يعرف أبي بنا فقلت يا سيدتي هو لا يصل الى البصرة حتى نصل نحن الى مصر ولم يعلما بما هو مخبوء لهما في الغيب فأكلت شيئا من الحلاوة فما نزلت جوفي حتى ضربت الارض برأسي فلما كان وقت السحر عطشت فخرج البنج من منخري وفتحت عيني فرأيت نفسي عريانا مرميا في الخراب فلطمت على وجهي وقلت في نفسي ان هذه حيلة عملها على الصندلاني فصرت لا أدري اين أذهب وما علي سوى سروال فقمت وتمشيت قليلا واذا بالوالي أقبل علي ومعه جماعة بسيوف ومطارق فخفت فرأيت حماما خربا فتواريت فيه فعثرت رجلي في شيء فوضعت يدي عليه فتلوثت بالدم فمسحتها في سروالي ولم أعلم ما هو ثم مددت يدي اليه ثانيا فجاءت على قتيل وطلعت رأسه في يدي فرميتها وقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم دخلت زاوية من زوايا الحمام واذا بالوالي وقف على باب الحمام وقال ادخلوا هذا المكان وفتشوا فدخل منهم عشرة بالمشاعل فمن خوفي دخلت وراء حائط فتأملت تلك المقتول فرأيته صبية ووجهها كالبدر ورأسها في ناحية وجثتها في ناحية وعليها ثياب ثمينة فلما رأيتها وقعت الرجفة في قلبي ودخل الوالي وقال فتشوا جهات الحمام فدخلوا الموضع الذي أنا فيه فنظرني رجل منهم فجاءني وبيده سكين طولها نصف ذراع فلما قرب مني قال سبحان الله خالق هذا الوجه الحسن يا غلام من أين أنت ثم أخذ بيدي وقال يا غلام لاي شيء قتلت هذه المقتولة فقلت والله ما قتلتها ولا أعرف من قتلها وما دخلت هذا المكان الا فزعا منكم وأخبرته بقصتي وقلت له بالله عليك لا تظلمني فاني مشغول بنفسي فاخذني وقدمني الى الوالي فلما رأى على يدي أثر الدم قال هذا لا يحتاج الى بينة فاضربوا عنقه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد التسعمائة

قالت

وقالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن الخصيب قال فلما قدموني الى الوالي ورأى على يدي أثر الدم قال هذا لا يحتاج الى بينة فاضربوا عنقه فلما سمعت هذا الكلام بكيت بكاء شديدا وجرت مني دموع العين وأنشدت هذين البيتين

مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بارض * فليس يموت في ارض سواها

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشيا علي فرق لي قلب الجلاد وقال والله ما هذا وجه من قتل فقال الوالي اضربوا عنقه فاجلسوني في نطع الدم وشدوا على عيني غطاء واخذ السياف سيفه واستأذن الوالي وأراد أن يضرب عنقي فصحت واغربتاه واذا بخيل قد أقبلت وقائل يقول دعوه امنع يدك يا سياف وكان لذلك سبب عجيب وأمر غريب وهو ان الخصيب صاحب مصر كان قد أرسل حاجبه الى الخليفة هرون الرشيد ومعه هدايا وتحف وصحبته كتاب يذكر له فيه ان ولدي قد فقد من منذ سنة وقد سمعت انه ببغداد والمقصود من انعام خليفة الله ان يفحص عن خبره ويجتهد في طلبه ويرسله الي مع الحاجب فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر الوالي أن يبحث عن حقيقة خبره فلم يزل الوالي والخليفة يسألان عنه حتى قيل له انه بالبصرة فاخبر الخليفة بذلك فكتب الخليفة كتابا وأعطاه للحاجب المصري وأمره أن يسافر الى البصرة وأن يأخذ معه جماعة من اتباع الوزير فمن حرص الحاجب على ولد سيده خرج من ساعته فوجد الغلام في نطع الدم مع الوالي فلما رأى الوالي الحاجب وعرفه ترجل اليه فقال له الحاجب ما هذا الغلام وما شأنه فأخبره بالخبر فقال الحاجب والحال انه لم يعرف انه ولد السلطان ان وجه هذا الغلام وجه من لا يقتل وأمره بحل وثاقه فحله فقال قدمه الي فقدمه اليه وكان قد ذهب جماله من شدة ما قاساه من الاهوال فقال له الحاجب أخبرني بقضيتك يا غلام وما شأن هذه المقتولة معك فلما نظر ابراهيم الى الحاجب عرفه فقال له ويلك أما تعرفني أما انا ابراهيم ابن سيدك فلعلك جئت في طلبي فامعن الحاجب فيه النظر فعرفه غاية المعرفة فلما عرفه انكب على اقدامه فلما رأى الوالي ما حصل من الحاجب اصفر لونه فقال له الحاجب ويلك يا جبار هل كان مرادك ان تقتل ابن سيدي الخصيب صاحب مصر فقبل الوالي ذيل الحاجب وقال له يا مولاي من اين اعرفه وانما رأيناه على هذه الصفة ورأينا الصبية مقتولة بجانبه فقال له ويلك انك لا تصلح للولاية هذا غلام له من العمر خمسة عشر عاما وما قتل عصفورا فكيف يقتل قتيلا هلا امهلته وسألته عن حاله ثم قال الحاجب والوالي فتشوا على قاتل الصبية فدخلوا الحمام

ثانيا فرأوا قاتلها فأخذوه واتوا به الى الوالى دار الخلافة واعلم الخليفة بما جرى
فأمر الرشيد بقتل قاتل الصبية ثم أمر باحضار ابن الخصيب فلما تمثل بين يديه تبسم
الرشيد فى وجهه وقال له أخبرنى بقضيتك وما جرى لك فحدثه بحديثه من اوله الى
آخره فعظم ذلك عنده فنادى مسرور السياف وقال اذهب فى هذه الساعة واهجم
على دار أبى القاسم الصندلانى واتنى به وبالصبية فمضى من ساعته وهجم على داره
فرأى الصبية فى وثاق من شعرها وهى فى حالة التلف فحلها مسرور واتى بها
وبالصندلانى فلما رآها الرشيد تعجب من جمالها ثم التفت الى الصندلانى وقال خذوه
واقطعوا يديه اللتين ضرب بهما هذه الصبية واصلبوه وسلموا أمواله واملاكه الى
ابراهيم ففعلوا ذلك فبينما هم كذلك واذا بابى الليث عامل البصرة والد السيدة جميلة
قد اقبل عليهم يستغيث بالخليفة من ابراهيم بن الخصيب صاحب مصر ويشكو اليه انه
اخذ ابنته فقال له الرشيد انه كان سببا فى خلاصها من العذاب والقتل وأمر باحضار
ابن الخصيب فلما حضر قال لابى الليث الا ترضى أن يكون هذا الغلام ابن سلطان
مصر بعلا لابنتك فقال سمعا وطاعة لله ولك يا امير المؤمنين فدعا الخليفة بالقاضى
والشهود وزوج الصبية بابراهيم بن الخصيب ووهب له جميع أموال الصندلانى
وجهزه الى بلاده وعاش معها فى اتم سرور واوفى حبور الى ان أتاهم هادم اللذات
ومفرق الجماعات فسبحان الحى الذى لا يموت

حكاية ابى الحسن الخراسانى الصيرفى مع شجرة الدر

ومما يحكى أيضا أيها الملك السعيد ان المعتضد بالله كان عالى الهمة شريف
النفس وكان له ببغداد ستمائة وزير وما كان يخفى عليه من أمور الناس شىء فخرج
يوما هو وابن حمدون يتفرجان على الرعايا ويسمعان ما يتجدد من أخبار الناس فحمى
عليهم الحر والهجير وقد انتهيا الى زقاق لطيف فى شارع فدخلا ذلك الزقاق فرأيا
فى صدر الزقاق دارا حسنة شامخة البناء تفصح عن صاحبها بلسان الثناء فقعدا
على الباب يستريحان فخرج من تلك الدار خادمان كأنهما قمرين فى ليلة اربعة عشر
فقال أحدهما لصاحبه لو استأذن اليوم ضيف لان سيدى لم يأكل الا مع الضيفان
وقد صرنا الى هذا الوقت ولم أر أحدا فتعجب الخليفة من كلامهما وقال ان هذا دليل
على كرم صاحب الدار ولا بد ان ندخل داره وننظر مروءته ويكون ذلك سببا فى نعمة
تصل اليه منا ثم قال للخادم استأذن سيدك فى قدوم جماعة اغراب وكان الخليفة
فى ذلك الزمان اذا أراد الفرجة على الرعية تنكر فى زى التجار فدخل الخادم على

سيده وأخبره ففرح وقام وخرج اليهما بنفسه واذا به جميل الوجه حسن الصورة
وعليه قميص نيسابوري ورداء مذهب وهو مضمخ بالطيب وفي يده خاتم من الياقوت
فلما رآهما قال اهلا وسهلا بالسادة المنعمين علينا غاية الانعام بقدومهم فلما دخلا
تلك الدار رأياها تنسي الاهل والاوطان كأنها قطعة من الجنان وادرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الخليفة لما دخل الدار هو ومن معه رأياها تنسي
الاهل والاوطان كأنها قطعة من الجنان ومن داخلها بستان فيه من سائر الاشجار
وهي تدهش الابصار وأماكنها مفروشة بنفائس الفرش فجلسوا وجلس المعتضد
يتأمل الدار والفرش فقال ابن حمدون فنظرت الى الخليفة فرأيت وجهه قد تغير
وكنت أعرف من وجهه حال الرضا والغضب فلما رأيته قلت في نفسي يا ترى ما باله
حتى غضب ثم جاؤوا بطشت من الذهب فغسلنا أيدينا ثم جاؤوا بسفرة من الحرير وعليها
مائدة من الخيزران فلما انكشفت الاغطية عن الاواني رأينا طعاما كزهر الربيع
في عز الاوان صنوانا وغير صنوان ثم قال صاحب الدار بسم الله يا سادتنا والله ان
الجوع قد أمضني فانعموا علي بالاكل من هذا الطعام كما هو اخلاق الكرام وصار
صاحب الدار يفسخ الدجاج ويضعه بين أيديهما ويضحك وينشد الاشعار ويورد
الاخبار ويتكلم بلطائف ما يليق بالمجلس قال ابن حمدون فأكلنا وشربنا ثم نقلنا
الى مجلس آخر يدهش الناظرين تفوح منه الروائح الزكية ثم قدم لنا سفرة فاكهة
جنية وحلويات شهية فزادت أفراحنا وزالت اتراحنا قال ابن حمدون ومع ذلك
لم يزل الخليفة في عبوس ولم يتبسم لما فيه فرح النفوس مع ان عادته انه يحب
اللهو والطرب ودفع الهموم وأنا أعرف انه غير حسود ولا ظلوم فقلت في نفسي
يا ترى ما سبب عبوسه وعدم زوال بؤسه ثم جاؤوا بطبق الشراب ويجمع شمل الاحباب
واحضروا الشراب المروق في بواطي الذهب والبلور والفضة وضرب صاحب الدار
على باب مقصورة بقضيب من الخيزران واذا بباب المقصورة قد فتح وخرج منه ثلاث
جوار نهد ابكار وجوههن كالشمس في رابعة النهار وتلك الجواري ما بين عوادة
وجنكية ورقاصة ثم قدم لنا النقل والفواكه قال ابن حمدون فضرب بيننا وبين
الثلاث جوار ستارة من الديباج وشراريبها من الابريسم وحلقاتها من الذهب فلم
يلتفت الخليفة الى هذا جميعه وصاحب الدار لم يعلم من هو الذي عنده فقال الخليفة

لصاحب الدار أشريف أنت قال لا ياسيدى انما أنا رجل من اولاد التجار أعرف
بين الناس بابى الحسن على بن أحمد الخراسانى فقال له الخليفة أتعرفنى يارجل
قال والله ياسيدى لم يكن لى معرفة باحد من جنابكم الكريم فقال له ابن حمدون
يارجل هذا أمير المؤمنين المعتضد بالله حفيد المتوكل على الله فقام الرجل
وقبل الارض بين يدى الخليفة وهو يرتعد من خوفه وقال يا أمير المؤمنين بحق
آبائك الطاهرين ان كنت رأيت منى تقصيرا أو قلة أدب بحضرتك ان تعفو عنى
فقال الخليفة أما ما صنعته معنا من الاكرام فلا مزيد عليه وأما ما انكرته عليك
هنا فان أصدقتنى حديثه واستقر ذلك بعقلى نجوت منى وان لم تعرفنى حقيقته
أخذتك بحجة واضحة وعذبتك عذابا لم أعذب أحدا مثله قال معاذ الله أن أحدث
بالمحال وما الذى أنكرته على يا أمير المؤمنين فقال الخليفة أنا من حين دخلت
الدار وأنا انظر الى حسنها واوانيها وفراشها وزينتها حتى ثيابك فاذا عليها اسم
جدى المتوكل على الله قال نعم اعلم يا أمير المؤمنين أيدك الله الحق شعارك والصدق
رداؤك ولا قدرة لاحد على أن يتكلم بغير الصدق فى حضرتك فامره بالجلوس
فجلس فقال له حدثنى فقال اعلم يا أمير المؤمنين أيدك الله بنصره وحفك بلطائف امره
انه لم يكن ببغداد احد أيسر منى ولا من أبى ولكن أخل لى ذهنك وسمعك وبصرك
حتى أحدثك بسبب ما أنكرته على فقال له الخليفة قل حديثك فقال اعلم يا أمير
المؤمنين انه كان أبى بسوق الصيارف والعطارين والبزازين وكان له فى كل سوق
حانوت ووكيل وبضائع من سائر الاصناف وكان له حجرة من داخل الدكان
التى بسوق الصيارف لاجل الخلوة فيها وجعل الدكان لاجل البيع والشراء وكان
ماله يكثر عن العد ويزيد عن الحد ولم يكن له ولد غيرى وكان محبا لى وشفيقا على
فلما حضرته الوفاة دعانى وأوصانى بوالدتى وبتقوى الله تعالى ثم مات رحمه الله
تعالى وابقى أمير المؤمنين فاشتغلت باللذات وأكلت وشربت ثم اتخذت الاصحاب
والاصدقاء وكانت أمى تنهانى عن ذلك وتلومنى عليه فلم أسمع منها كلاما حتى ذهب
المال جميعه وبعت العقارات ولم يبق لى شئ غير الدار التى أنا فيها وكانت دارا حسنة
يا أمير المؤمنين فقلت لامى اريد أن أبيع الدار فقالت ياولدى ان بعتها تفتضح
ولا تعرف لك مكانا تأوى اليه فقلت هى تساوى خمسة آلاف دينار فاشترى من جملة
ثمنها دارا بألف دينار ثم اتجر بالباقى فقالت اتبيعنى هذه الدار بهذا المقدار فقلت
نعم فجاءت الى طابق وفتحته واخرجت منه اناء من الصينى فيه خمسة آلاف دينار

فتخيل

فحصل لى ان الدار كلها اذهب فقالت لى ياولدى لا تظن ان هذا المال مال أبيك والله
ياولدى انه من مال أبى وكنت اذخرته لوقت الحاجة اليه فانى كنت فى زمن
أبيك غنية عن الاحتياج الى هذا المال فاخذت المال منها يا أمير المؤمنين وعدت
لما كنت عليه من الأكل والمشرب والصحبة حتى نفدت الخمسة آلاف دينار ولم أقبل
من أمى كلاما ولا نصيحة ثم قلت لها مرادى أن ابيع الدار فقالت ياولدى قد نهيتك
عن بيعها لعلمى انك محتاج اليها فكيف تريد بيعها ثانيا فقلت لها لا تطيلى على الكلام
فلا بد من بيعها فقالت بعنى اياها بخمسة عشر ألف دينار بشرط ان أتولى أمورك
بنفسى فبعتها لها بذلك المبلغ على أن تتولى امورى بنفسها فطلبت وكلاء أبى واعطت
كل واحد منهم ألف دينار وجعلت المال تحت يدها والاخذ والعطاء معها واعطتنى
بعضا من المال لاتجر فيه وقالت لى اقعد انت فى دكان أبيك ففعلت ما قالت أمى
يا أمير المؤمنين وجئت الى الحجرة التى فى سوق الصيارف وجاء أصحابى وصاروا
يشترون منى وأبيع لهم وطاب لى الربح وكثر مالى فلما رأتنى أمى على تلك الحالة الحسنة
اظهرت لى ما كان مدخرا عندها من جوهر ومعدن ولؤلؤ وذهب ثم عادت لى
املاكى التى كان وقع فيها التفريط وكثر مالى كما كان ومكثت على هذا الحال مدة وجاء
وكلاء أبى فاعطيتهم البضائع ثم بنيت حجرة ثانية من داخل الدكان فبينما أنا قاعد فيها
على عادتى يا أمير المؤمنين واذا بجارية قد اقبلت على لم تر العيون اجمل منها منظرا
فقالت هذه حجرة أبى الحسن على بن أحمد الخراسانى قلت لها نعم قالت أين هو قلت
هو أنا ولكن اندهش عقلى من فرط جمالها يا أمير المؤمنين ثم انها جلست وقالت لى
قل لغلامك يزن لى ثلثمائة دينار فامرته أن يزن لها ذلك المقدار فوزنه لها فاخذته
وانصرفت وانا ذاهل العقل فقال لى غلامى اتعرفها قلت لا والله قال فلم قلت لى زن
لها فقلت والله انى لم ادر ما أقول مما بهرنى من حسنها وجمالها فقام الغلام وتبعها
من غير علمى ثم رجع وهو يبكى وبوجهه اثر ضربة فقلت له ما بالك فقال انى تبعت
الجارية لانظر اين تذهب فلما احست بى رجعت وضربتنى هذه الضربة فكادت
أن تتلف عينى ثم مكثت شهرا لم ارها ولم تأت وأنا ذاهل العقل فى هواها يا أمير
المؤمنين فلما كان آخر الشهر واذا بها جاءت وسلمت على فكدت أن أطير فرحا
فسألتنى عن خبرى وقالت لعلك قلت فى نفسك ما شأن هذه المحتالة كيف أخذت
مالى وانصرفت فقلت والله ياسيدتى ان مالى وروحى ملك لك فاسفرت عن وجهها
وجلست لتستريح والحلى والحلل تلعب على وجهها وصدرها ثم قالت لى زن لى
ثلثمائة دينار فقلت سمعا وطاعة ثم وزنت لها الدنانير فاخذتها وانصرفت فقلت

الغلام اتبعها فتبعها ثم عاد لي وهو مبهوت ومضت مدة وهي لم تأت فبينما أنا جالس في بعض الايام واذا بها قد أقبلت علي وتحدثت ساعة ثم قالت لي زن لي خمسمائة دينار فاني قد احتجت اليها فاردت ان أقول لها على أي شيء اعطيك مالي فمنعني فرط الغرام من الكلام وأنا يا أمير المؤمنين كلما رأيتها ترتعد مفاصلي ويصفر لوني وأنسى ما أريد أن اقول واصير كما قال الشاعر

فما هو الا أن أراها فجاءة • فابهت حتى لا اكاد أجيب

ثم وزنت لها الخمسمائة دينار فاخذتها وانصرفت فقمت وتبعتها بنفسي الى أن وصلت الى سوق الجواهر فوقفت على انسان فاخذت منه عقدا والتفتت فرأتني فقالت زن لي خمسمائة دينار فلما نظرني صاحب العقد قام الي وعظمني فقلت له اعطها العقد وثمنه علي فقال سمعا وطاعة فاخذت العقد وانصرفت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن الخراساني قال فقلت له اعطها العقد وثمنه علي فاخذت العقد وانصرفت فتبعتها حتى جاءت الى الدجلة ونزلت في مركب فاومأت الى الارض لاقبلها بين يديها فذهبت وضحكت ومكثت واقفا أنظرها الى أن دخلت قصرا فتأملته فاذا هو قصر الخليفة المتوكل فرجعت يا أمير المؤمنين وقد حل بقلبي كل هم في الدنيا وكانت قد اخذت مني ثلاثة آلاف دينار فقلت في نفسي قد اخذت مالي وسلبت عقلي وربما تلفت نفسي في هواها ثم رجعت الى داري وقد حدثت امي بجميع ما جرى لي فقالت لي يا ولدي اياك أن تتعرض لها بعد ذلك فتهلك فلما رحت الى دكاني جاءني وكيلي الذي بسوق العطارين وكان شيخا كبيرا فقال لي يا سيدي مالي اراك متغير الحال يظهر عليك اثر الكآبة فحدثني بخبرك فحدثته بجميع ما جرى لي معها فقال لي يا ولدي ان هذه من جواري قصر أمير المؤمنين وهي محظية الخليفة فاحتسب المال لله تعالى ولا تشغل نفسك بها واذا جاءتك فاحذر أن تتعرض لك واعلمني بذلك حتى ادبر لك أمرا لئلا يحصل لك تلف ثم تركني وذهب وفي قلبي لهيب النار فلما كان آخر الشهر واذا بها قد أقبلت علي ففرحت بها غاية الفرح فقالت لي ما حملك على انك تتبعني فقلت لها حملني على ذلك فرط الوجد الذي بقلبي وبكيت بين يديها فبكت رحمة لي وقالت والله ما في قلبك شيء من الغرام الا وفي قلبي أكثر منه ولكن كيف اعمل والله مالي من سبيل غير اني اراك

في

فى كل شهر مرة ثم دفعت الى ورقة وقالت خذ هذه الى فلان الفلانى فانه وكيلى واقبض منه مافيها فقلت ليس لى حاجة بمال ومالى وروحى فداك فقالت سوف ادبر لك أمرا يكون فيه وصولك الى وان كان فيه تعب لى ثم ودعتنى وانصرفت فجئت الى الشيخ العطار وأخبرته بما جرى لى فجاء معى الى دار المتوكل فرأيتها هى المكان الذى دخلت فيه الجارية فصار الشيخ العطار متحيرا فى حيلة يفعلها ثم التفت فرأى خياطا قبال الشباك المطل على الشاطئ وعنده صناع فقال بهذا تنال مرادك ولكن افتق جيبك وتقدم اليه وقل له أن يخيطه لك فاذا خاطه فادفع له عشرة دنانير فقلت له سمعا وطاعة ثم توجهت الى ذلك الخياط وأخذت معى شقتين من الديباج الرومى وقلت له فصل هاتين أربعة ملابس اثنين فرجية واثنين غير فرجية فلما فرغ من تفصيل الملابس وخياطتها أعطيته اجرتها زيادة عن العادة بكثير ثم مد يده الى بتلك الملابس فقلت خذها لك ولمن حضر عندك وصرت اقعد عنده وأطيل القعود معه ثم فصلت عنده غيرها وقلت له علقه على وجه الدكان لن ينظره فيشتريه ففعل وصار كل من خرج من قصر الخليفة وأعجبه شئ من الملابس وهبته له حتى البواب فقال الخياط يوما من الايام اريد ياولدى أن تصدقنى حديثك لانك فصلت عندى مائة حلة ثمينة وكل حلة تساوى جملة من المال ووهبت غالبها للناس وهذا ماهو فعل تاجر لان التاجر يحاسب على الدرهم ومامقدار رأس مالك حتى تعطى هذه العطايا وما يكون مكسبك فى كل يوم فاخبرنى خبرا صحيحا حتى اعاونك على مرادك ثم قال أناشدك الله أما أنت عاشق قلت نعم فقال لمن قلت لجارية من جوارى قصر الخليفة فقال قبحهن الله كم يفتن الناس ثم قال لى هل تعرف اسمها قلت لا فقال صفها لى فوصفتها له فقال ويلاه هذه عوادة الخليفة المتوكل المحظية عنده لكن لها مملوك فاجعل بينك وبينه صداقة لعله يكون سببا فى اتصالك بها فبينما نحن فى الحديث واذا بالمملوك مقبل من باب الخليفة وهو كأنه القمر فى ليلة أربعة عشر وبين يدى الثياب التى خاطها الى الخياط وكانت من الديباج من سائر الالوان فصار ينظر اليها ويتأمل ثم أقبل على فقمت اليه وسلمت عليه فقال من أنت فقلت رجل من التجار قال اتبيع هذه الثياب قلت نعم فاخذ منها خمسة وقال بكم هذه الخمسة فقلت هى هدية منى اليك عقد محبة بينى وبينك ففرح بها ثم جئت الى بيتى واخذت له ملبوسا مرصعا بالجواهر واليواقيت قيمته ثلاثة آلاف دينار وتوجهت به اليه فقبله منى ثم اخذنى ودخل بى حجرة فى داخل القصر وقال فما اسمك بين التجار فقلت له رجل منهم فقال قد رابنى أمرك فقلت لماذا قال لانك اهديت لى شيأ كثيرا

ملكت به قلبي وقد صح عندي انك أبو الحسن الخراساني الصيرفي فبكيت يا أمير المؤمنين فقال لي لم تبك فوالله ان التي تبكي من أجلها عندها من الغرام بك أكثر مما عندك من الغرام بها او أعظم وقد شاع عند جميع جواري القصر خبرها معك ثم قال لي وأي شي تريد فقلت أريد انك تساعدني على بليتي فوعدني الى غد فمضيت الى داري فلما أصبحت توجهت اليه ودخلت حجرته فلما جاء قال اعلم أنها لما فرغت من خدمتها عند الخليفة بالامس ودخلت حجرتها حدثتها بحديثك جميعه وقد عزمت على الاجتماع بك فاقعد عندي الى آخر النهار فقعدت عنده فلما جن الليل واذا بالمملوك أتى ومعه قميص منسوج من الذهب وحلة من حلل الخليفة فألبسني اياها وبخرني فصرت اشبه الخليفة ثم أخذني الى محل فيه الحجر صفين من الجانبين وقال لي هذه حجر الجواري الخاص فاذا مررت عليها فضع على كل باب من الابواب حبة من الفول لان من عادة الخليفة أن يفعل هكذا في كل ليلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد الثلثمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان المملوك لما قال لابي الحسن فاذا مررت عليها فضع على كل باب من الابواب حبة من الفول لان من عادة الخليفة أن يفعل هكذا الى أن تأتي الى الدرب الثاني الذي على يدك اليمنى فترى حجرة عتبة بابها من المرمر فاذا وصلت اليها فمسها بيدك وان شئت فعد الابواب فهي كذا وكذا بابا فادخل الباب الذي علامته كذا وكذا فترى صاحبتك وتأخذك عندها وأما خروجك فان الله يهون علي فيه ولو اخرجك في صندوق ثم تركني ورجع وصرت أمشي واعد الابواب واضع على كل باب حبة فول فلما صرت في وسط الحجر سمعت ضجة عظيمة ورأيت ضوء شموع وأقبل ذلك الضوء نحوي حتى قرب مني فتأملته فاذا هو الخليفة وحوله الجواري ومعهن الشمع فسمعت واحدة منهن تقول لصاحبتها يا أختي هل نحن لنا خليفتان ان الخليفة قد جاز على حجرتي وشممت رائحة العطر والطيب ووضع حبة الفول على حجرتي كعادته وفي هذه الساعة ارى ضوء شموع الخليفة وها هو مقبل فقالت ان هذا أمر عجيب لان التزيي بزي الخليفة لا يجسر عليه أحد ثم قرب الضوء مني فارتعدت اعضائي واذا بخادم يصيح على الجواري ويقول ههنا فانعطفوا الى حجرة من الحجر ودخلوا ثم خرجوا ومشوا حتى وصلوا الى بيت صاحبتي فسمعت الخليفة يقول حجرة من هذه فقالوا هذه حجرة شجرة الدر فقال نادوها

فنادوها

فنادوها فخرجت وقبلت اقدام الخليفة فقال لها اتشربين الليلة فقالت ان لم يكن
لحضرتك والنظر الى طاعتك فلا أشرب فانني لا أميل الى الشراب فى هذه الليلة فقال
للخازن ادفع لها العقد الفلانى ثم أمر بالدخول الى حجرتها فدخلت بين يديه
الشموع واذا بجارية امامهم وضوء وجهها غالب على ضوء الشمعة التى بيدها
فقربت منى وقالت من هذا ثم قبضت على واخذتنى الى حجرة من الحجر وقالت لى من
أنت فقبلت الارض بين يديها وقلت لها انا شدتك الله يا مولاتى أن تحقنى دمى
وترحمينى وتتقربى الى الله بانقاذ مهجتى وبكيت فزعا من الموت فقالت لاشك انك
لص فقلت لا والله ما انا لص فهل ترين على اثر اللصوص فقالت أصدقنى خبرك وأنا
اجعلك فى أمان فقلت أنا عاشق جاهل أحمق قد حملنى الصبابة وجهلى على ماترين
منى حتى وقعت فى هذه الورطة فقالت قف هنا حتى أجىء اليك ثم خرجت وجاءتنى
بثياب جارية من جواريها وألبستنى تلك الثياب فى تلك الزاوية وقالت اخرج خلفى
فخرجت خلفها حتى وصلت الى حجرتها وقالت ادخل هنا فدخلت حجرتها فجاءت بى
الى سرير وعليه فرش عظيم وقالت اجلس لا بأس عليك أما أنت أبو الحسن
الخراسانى الصيرفى قلت بلى قالت قد حقن الله دمك ان كنت صادقا ولم تكن
لصا فانك تهلك لاسيما وأنت فى زى الخليفة ولباسه وبخوره واما ان كنت أبا الحسن
الخراسانى الصيرفى فانك قد أمنت ولا بأس عليك لانك صاحب شجرة الدر التى هى
أختى فانها لا تقطع ذكرك ابدا وتخبرنا كيف اخذت منك المال ولم تتغير وكيف
جئت خلفها الى الشاطئ واومیت لها الى الارض تعظيما وفى قلبها منك النار اكثر
مما فى قلبك منها ولكن كيف وصلت الى ههنا أبامرها أم بغير أمرها بل خاطرت
بنفسك وما مرادك من الاجتماع بها فقلت والله ياسيدتى انى انا الذى خاطرت
بنفسى وما غرضى من الاجتماع بها الا النظر والاستماع لحديثها فقالت أحسنت
فقلت ياسيدتى الله شهيد على ما أقول ان نفسى لم تحدثنى فى شأنها بمعصية فقالت
بهذه النية نجاك الله ووقعت رحمتك فى قلبى ثم قالت لجاريتها يا فلانة امضى الى
شجرة الدر وقولى لها ان اختك تسلم عليك وتدعوك فتفضلى عندها فى هذه الليلة
على مجرى عادتك فان صدرها ضيق فتوجهت اليها ثم عادت وأخبرتها أنها تقول
متعنى الله بطول حياتك وجعلنى فداك والله لو دعوتنى الى غير هذا ما توقفت لكن
يضرنى صداع الخليفة وأنت تعلمين منزلتى عنده فقالت للجارية ارجعى اليها وقولى
لها انه لا بد من حضورك لسر بينك وبينها فتوجهت اليها الجارية وبعد ساعة جاءت
مع الجارية ووجهها يضيء كانه البدر فقابلتها واعتنقتها وقالت يا أبا الحسن اخرج

اليها وقبلت يديها وكنت في مخدع في داخل الحجرة فخرجت اليها يا أمير المؤمنين فلما رأتني ألقت نفسها علي وضمتني الى صدرها وقالت لي كيف صرت بلباس الخليفة وزينته وبخوره ثم قالت حدثني بما جرى لك فحدثتها بما جرى لي وبما قاسيته من خوف وغيره فقالت يعز علي ما قاسيته من أجلي والحمد لله الذي جعل العاقبة الى السلامة وتمام السلامة دخولك في منزلي ومنزل أختي ثم أخذتني الى حجرتها وقالت لاختها اني قد عاهدته ان لا اجتمع معه في الحرام ولكن كما خاطر بنفسه وارتكب هذا الهول لاكونن أرضا لوطء قدميه وترابا لنعليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لاختها اني قد عاهدته اني لا اجتمع معه في الحرام ولكن كما خاطر بنفسه وارتكب هذه الاهوال لاكونن ارضا لوطء قدميه وترابا لنعليه فقالت لها أختها بهذه النية نجاه الله تعالى فقالت سوف ترين ما اصنع حتى اجتمع معه في الحلال فلابد أن ابذل مهجتي في التحيل على ذلك فبينما نحن في الحديث واذا بضجة عظيمة فالتفتنا فرأينا الخليفة قد جاء يريد حجرتها من كثرة ما هو كائن بها فاخذتني يا أمير المؤمنين وحطتني في سرداب وطبقته علي وخرجت تقابل الخليفة فلاقته ثم جلس فوقفت بين يديه وخدمته ثم أمرت باحضار الشراب وكان الخليفة يحب جارية اسمها البنجة وهي أم المعتز بالله وكانت تلك الجارية قد هجرته وهجرها فلعز الحسن والجمال لا تصالحه والمتوكل لعزة الخلافة والملك لا يصالحها ولا يكسر نفسه لها مع أن في قلبه منها لهيب النار ولكنه تشاغل عنها بنظرائها من الجواري والدخول اليهن في حجراتهن وكان يحب غناء شجرة الدر فامرها بالغناء فاخذت العود وشدت الاوتار وغنت بهذه الاشعار

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى * وزرتك حتى قيل ليس له صبر

فيا حبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الايام موعدك الحشر

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

فلما سمعها الخليفة طرب طربا شديدا وطربت انا يا أمير المؤمنين في السرداب ولولا لطف الله تعالى لصحت وافتضحنا ثم أنشدت أيضا هذه الابيات

أعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تدان
والثم فاه كى تزول حرارتى * فيشتد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يبرى غليله * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

فطرب الخليفة وقال تمنى على ياشجرة الدر فقالت اتمنى عليك عتقى يا أمير المؤمنين لما فيه من الثواب فقال أنت حرة لوجه الله تعالى فقبلت الارض بين يديه فقال خذى العود وقولى لنا شيأ فى شأن جاريتى التى أنا متعلق بهواها والناس تطلب رضاى وأنا اطلب رضاها فاخذت العود وأنشدت هذين البيتين

أيا ربة الحسن التى أذهبت نسكى * على كل أحوالى فلا بد لى منك
فاما بذل وهو اليق بالهوى * واما بعز وهو أليق بالملك

فطرب الخليفة وقال خذى العود وغنى شعرا يتضمن شرح حالى مع ثلاث جوار ملكن قيادى ومنعن رقادى وهن أنت وتلك الجارية الهاجرة وأخرى لا اسميها ليس لها مناظرة فاخذت العود واطربت بالنغمات وأنشدت هذه الابيات

ملك الثلاث الغانيات عنانى * وحللن من قلبى أعز مكان
مالى مطاع فى البرية كلها * وأطيعهن وهن فى عصيانى
ماذاك الا أن سلطان الهوى * وبه غلبن أعز من سلطانى

فتعجب الخليفة من موافقة هذا الشعر لحاله غاية العجب ومال به الى مصالحة الجارية الهاجرة الطرب ثم خرج وقصد حجرتها فسبقت جارية وأخبرتها بقدوم الخليفة فاستقبلته وقبلت الارض بين يديه ثم قبلت قدميه فصالحها وصالحته هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر شجرة الدر فانها جاءت الى وهى فرحانة وقالت انى صرت حرة بقدومك المبارك ولعل الله يعيننى على ما ادبره حتى اجتمع بك فى الحلال فقلت الحمد لله فبينما نحن فى الحديث واذا بالخادم قد دخل علينا فحدثناه بما جرى لنا فقال الحمد لله الذى جعل آخره خيرا ونسأل الله أن يتم ذلك بخروجك سالما فبينما نحن فى الحديث واذا بالجارية أختها قد جاءت وكان اسمها فاتر فقالت يا أختى كيف نعمل حتى نخرجه من القصر سالما فان الله تعالى من على بالعتق وصرت حرة ببركة قدومه فقالت لها ليس لى حيلة فى خروجه الا أنى ألبسه ثياب النساء ثم جاءت ببدلة من ثياب النساء فألبستنيها ثم خرجت يا أمير المؤمنين فى ذلك الوقت فلما جئت الى وسط القصر واذا بأمير المؤمنين جالس والخدم بين يديه فنظر الى وأنكرنى غاية الانكار وقال لحاشيته أسرعوا وأتونى بهذه الجارية الذاهبة فلما أتوا بى رفعوا انقابى فلما رآنى عرفنى وسألنى فاخبرته بالخبر ولم اخف عليه شيأ فلما

سمع حديثي تفكر في أمري ثم قام من وقته وساعته ودخل حجرة شجرة الدر فقال لها
كيف تختارين علي بعض اولاد التجار فقبلت الارض بين يديه وحدثته بحديثها
من أوله الى آخره على وجه الصدق فلما سمع كلامها رحمها ورق قلبه لها وعذرها
في العشق وأحواله ثم انصرف ودخل عليها خادمها وقال لها يا سيدتي نفسا ان
صاحبك لما حضر بين يدي الخليفة سأله فاخبره كما أخبرته حرفا بحرف ثم رجع
الخليفة وأحضرني بين يديه وقال لي ما حملك على التجاري على دار الخلافة فقلت
يا أمير المؤمنين حملني على ذلك جهلي والصبابة والاقبال على عفوك وكرمك ثم بكيت
وقبلت الارض بين يديه فقال عفوت عنكما ثم أمرني بالجلوس فجلست فدعا بالقاضي
أحمد بن أبي دواد وزوجني بها وأمر بحمل جميع ما عندها الي وزفوها علي
في حجرتها وبعد ثلاثة أيام خرجت ونقلت جميع ذلك الى بيتي فجميع ما تنظره يا أمير
المؤمنين في بيتي وتنكره كله من جهازها ثم انها قالت لي يوما من الايام اعلم أن
المتوكل رجل كريم وأخاف أن يتذكرنا أو يذكرنا عنده أحد من الحساد فاريد أن
أعمل شيأ يكون فيه الخلاص من ذلك قلت وما هو قالت اريد أن استأذنه في الحج
والتوبة من الغناء فقلت لها نعم الرأى الذى اشرت اليه فبينما نحن في الحديث واذا
برسول الخليفة قد جاء في طلبها لانه كان يحب غناءها فمضت وخدمته فقال لها
لا تنقطعي عنا فقالت سمعا وطاعة فاتفق انها ذهبت اليه في بعض الايام وكان قد
أرسل اليها على مجرى العادة فلم اشعر الا وقد جاءت من عنده ممزقة الثياب باكية
العين ففزعت من ذلك وقلت انا لله وانا اليه راجعون وتوهمت انه أمر بالقبض
علينا فقلت لها هل المتوكل غضب علينا فقالت واين المتوكل ان المتوكل قد انقضى
حكمه وامحى رسمه فقلت اخبريني بحقيقة الامر فقالت انه كان جالسا وراء
الستارة يشرب وعنده الفتح بن خاقان وصدقة بن صدقة فهجم عليه ولده المنتصر
هو وجماعة من الاتراك فقتله وانقلب السرور بالشرور والحظ الجميل بالبكاء
والعويل فهربت أنا والجارية وسلمنا الله ثم قمت في الحال يا أمير المؤمنين وانحدرت
الى البصرة وجاءني الخبر بعد ذلك بوقوع الحرب بين المنتصر والمستعين فخفت فنقلت
زوجتي وجميع مالي الى البصرة وهذه حكايتي يا أمير المؤمنين لازدتها حرفا
ولا نقصتها حرفا فجميع ما نظرته في بيتي يا أمير المؤمنين مما عليه اسم جدك المتوكل
هو من نعمته علينا لان أصل نعمتنا من اصولك الاكرمين وأنتم أهل النعم ومعدن
المكرم ففرح الخليفة بذلك فرحا شديدا وتعجب من حديثه ثم أخرجت للخليفة
الجارية واولادي منها فقبلوا الارض بين يديه فتعجب من جمالهم واستدعى بدواة

وكتب

وكتب لنا برفع الخراج عن املاكنا عشرين سنة ففرح الخليفة واتخذه نديما الى أن
فرق الدهر بينهم وسكنوا القبور بعد القصور فسبحان الملك الغفور

حكاية قمر الزمان مع معشوقته

ومما يحكى أيضا أيها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان رجل تاجر اسمه عبد
الرحمن قد رزقه الله بنتا وولدا فسمى البنت كوكب الصباح لشدة حسنها وجمالها
وسمى الولد قمر الزمان لشدة حسنه ولما نظر ما أعطاهما الله من الحسن والجمال
والبهاء والاعتدال خاف عليهما من أعين الناظرين وألسنة الحاسدين ومكر
الماكرين وتحيل الفاسقين فحجبهما عن الناس فى قصر مدة أربعة عشر سنة
ولم يرهما أحد غير والديهما وجارية تتعاطى خدمتهما وكان والدهما يقرأ القرآن
كما أنزله الله وكذلك أمهما تقرأ القرآن فصارت الام تقرئ بنتها والرجل يقرئ
ولده حتى حفظا القرآن وتعلما الخط والحساب والفنون والآداب من أبيهما
وأمهما ولم يحتاجا الى معلم فلما بلغ الولد مبلغ الرجال قالت للتاجر زوجته الى متى
وأنت حاجب ولدك قمر الزمان عن أعين الناس أهو بنت أو غلام فقال لها غلام
قالت حيث كان غلاما لم تأخذه معك الى السوق وتقعده فى الدكان حتى يعرف
الناس ويعرفوه لاجل أن يشتهر عندهم انه ابنك وتعلمه البيع والشراء وربما يحصل
لك أمر فيكون الناس قد عرفوا انه ولدك فيضع يده على مخلفاتك وأما اذا مت على
هذه الحالة وقال للناس أنا ابن التاجر عبد الرحمن فانهم لا يصدقونه بل يقولون له
ما رأيناك ولا نعرف أن له ولدا وتأخذ أموالك الحكام ويصير ولدك محروما وكذلك
البنت مرادى أن أشهرها عند الناس لعل أحدا كفؤا لها يخطبها فنزوجها له ونفرح
بها فقال لها مخافة عليهما من أعين الناس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن زوجة التاجر لما قالت له ذلك الكلام قال لها
مخافة عليهما من أعين الناس لانى محب لهما والحب شديد الغيرات وقد أحسن
من قال هذه الابيات

أغار عليك من نظرى ومنى * ومنك ومن مكانك والزمان
ولو انى وضعتك فى عيونى * دواما ما شبعت من التدانى

ولو واصلتني في كل يوم * الى يوم القيامة ما كفاني

فقالت له زوجته توكل على الله ولا بأس على من يحفظه الله وخذه في هذا اليوم معك الى الدكان ثم انها ألبسته بدلة من أفخر الملابس فصار فتنة للناظرين وحسرة في قلوب العاشقين وأخذه أبوه معه ومضى به الى السوق فصار كل من رآه يفتتن به ويتقدم اليه ويبوس يده ويسلم عليه وصار أبوه يشتم الناس حيث تبعوه لقصد الفرجة وصار البعض من الناس يقول ان الشمس قد طلعت في المحل الفلاني وأشرقت في السوق والبعض يقول مطلع البدر في الجهة الفلانية والبعض يقول ظهر هلال العيد على عباد الله وصاروا يلمحون الى الولد بالكلام ويدعون له وقد حصل لابيه خجل من كلام الناس ولا يقدر أن يمنع أحدا منهم عن الكلام وصار يشتم أمه ويدعو عليها لانها هي التي كانت سببا في خروجه والتفت أبوه فرأى الخلائق مزدحمين عليه خلفه وقدامه وهو ماش الى ان وصل الى الدكان ففتح الدكان وجلس وأجلس ولده قدامه والتفت الى الناس فرآهم قد سدوا الطريق وصار كل من مر به من رائح وغاد يقف قدام الدكان وينظر الى ذلك الوجه الجميل ولا يقدر أن يفارقه وانعقد عليه اجماع النساء والرجال متمثلين بقول من قال

خلقت الجمال لنا فتنة * وقلت لنا يا عبادي اتقون

وأنت جميل تحب الجمال * فكيف عبادك لا يعشقون

فلما رأى التاجر عبد الرحمن الناس مزدحمين عليه وواقفين صفوفا نساء ورجالا لديه شاخصين لولده خجل غاية الخجل وصار متحيرا في أمره ولم يدر ماذا يصنع فلم يشعر الا ورجل درويش من السياحين وعليه شعار عباد الله الصالحين قد أقبل عليه من طرف السوق ثم تقدم الى الغلام وصار ينشد الاشعار ويرخي الدموع الغزار فلما رأى قمر الزمان جالسا كأنه قضيب البان نابت على كثيب من الزعفران أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين

رأيت غصنا على كثيب * شبيه بدر اذا تلالا

فقلت ما الاسم قال لولو * فقلت لي لي فقال لالا

ثم ان الدرويش صار يمشي الهوينا ويمسح شيبته بيده اليمنى فانشق له بهيبته قلب الزحام فلما نظر الى الغلام اندهش منه العقل والناظر وانطبق عليه قول الشاعر

فبينما ذاك المليح في محل * من وجهه هلال عيد الفطر هل

اذا بشيخ ذي وقار قد أهل * معتمدا في مشيه على مهل

يرى عليه أثر الزهد

قد مارس الايام والليالى * وخاض فى الحرام والحلال
وهام بالنساء والرجال * ورق حتى صار كالخلال
وعاد عظما باليا فى جلد

وكان فى ذا الفن مغربيا * الشيخ عنده يرى صبيا
وفى محبة النسا عذريا * فى الحصلتين ماهرا غويا
فزينب لديه مثل زيد

يهيم بالحسنا ويهوى الحسنا * ويندب الربع ويبكى الدمنا
تخاله من فرط شوق غصنا * مع الصبا الى هناك او هنا
ان الجمود من طباع الصلد

وكان فى فن الهوى خبيرا * مستيقظا فى أمره بصيرا
وجاب منه السهل والعسيرا * وعانق الظبية والغريرا
وهام بالشيب معا والمرد

ثم تقدم الى الولد وأعطاه عرق ريحان فمد أبوه يده الى جيبه وأخرج له ما تيسر من الدراهم وقال خذ نصيبك يا درويش واذهب الى حال سبيلك فاخذ منه الدراهم وجلس على مسطبة الدكان قدام الولد وصار ينظر الى الولد ويبكى ويتحسر حسرات متتابعة ودموعه كالعيون النابعة فصارت الناس تنظر اليه وتعترض عليه وبعضهم يقول كل الدراويش فساق وبعضهم يقول ان الدرويش فى قلبه من عشق الولد احتراق وأما أبوه لما عاين هذا الحال قام وقال قم يا ولدى حتى نقفل الدكان ونروح الى بيتنا ولا ينبغى لنا فى هذا اليوم بيع ولا شراء الله تعالى يجازى أملك بما فعلت معنا فانها هى التى تسببت فى هذا كله ثم قال يا درويش قم حتى أقفل الدكان فقام الدرويش وقفل التاجر دكانه وأخذ ولده ومشى فتبعهما الدرويش والناس الى ان وصلا الى منزلهما فدخل الولد المنزل والتفت التاجر الى الدرويش وقال له ما تريد يا درويش ومالى أراك تبكى فقال يا سيدى أريد أن أكون ضيفك فى هذه الليلة والضيف ضيف الله تعالى فقال مرحبا بضيف الله ادخل يا درويش وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الدرويش لما قال للتاجر والد قمر الزمان أنا ضيف

الله فقال له التاجر مرحبا بضيف الله ادخل يادرويش وقال التاجر في نفسه ان كان هذا الدرويش عاشقا للولد وطلب منه فاحشة فلا بد أن أقتله في هذه الليلة وأخفي قبره وان كان ما عنده فساد فان الضيف يأكل نصيبه ثم انه أدخل الدرويش هو وقمر الزمان في قاعة وقال سرا لقمر الزمان ياولدي اجلس بجانب الدرويش وناغشه ولاعبه بعد ان أخرج من عندكما فان طلب منك فسادا فانا أكون ناظرا اليكما من الطاقة المطلة علي القاعة فانزل اليه وأقتله ثم ان الولد لما اختلى به الدرويش في تلك القاعة قعد بجانب الدرويش فصار الدرويش ينظر اليه ويتحسر ويبكي واذا كلمه الولد يرد عليه برفق وهو يرتعش ويلتفت الى الولد ويتنهد ويبكي الى أن اتى العشاء فصار ياكل وعينه من الولد ولا يفتر عن البكاء فلما مضى ربع الليل وفرغ الحديث وجاء وقت النوم قال أبو الولد ياولدي تقيد بخدمة عمك الدرويش ولا تخالفه وأراد أن يخرج فقال له الدرويش ياسيدي خذ ولدك معك أو نم عندنا فقال لا وها هو ولدي نائم عندك ربما تشتهي نفسك شيأ فولدي يقضي حاجتك ويقوم بخدمتك ثم خرج وخلاهما وقعد في قاعة ثانية فيها طاقة تطل علي القاعة التي هما فيها هذا ما كان من أمر التاجر وأما ما كان من أمر الولد فانه تقدم الى الدرويش وصار يناغشه ويعرض نفسه عليه فاغتاظ الدرويش وقال له ما هذا الكلام ياولدي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اللهم ان هذا منكر لا يرضيك ابعد عني ياولدي ثم قام الدرويش من مكانه وقعد بعيدا عن الولد فتبعه الولد ورمي روحه عليه وقال له لاي شيء يادرويش تحرم نفسك من لذة وصالي وأنا قلبي يحبك فازداد غيظ الدرويش وقال له ان لم تمتنع عني ناديت أباك وأخبره بخبرك فقال له ان أبي يعرف اني بهذه الصفة ولا يمكن أن يمنعني فاجبر بخاطري لاي شيء تمتنع عني أما اعجبتك فقال له والله ياولدي ما أفعل ذلك ولو قطعت بالسيوف البواتر وأنشد قول الشاعر

ان قلبي يهوى الملاح ذكورا * وانا ثاو ليست بالمتواني
بل أراهم أصائلا وبكورا * لم أكن لائطا ولا أنا زاني

ثم بكى وقال قم افتح لي الباب حتى أروح الى حال سبيلي أنا ما بقيت أنام في هذا المكان ثم قام علي قدميه فتعلق به الولد وصار يقول له انظر لاشراق وجهي وحمرة خدي ولين معاطفي ورقة شفايفي ثم كشف له عن ساق يخجل الخمر والساقي ورنا اليه بلحظ يعجز السحر والراقي وكان بديع الجمال رخيم الدلال كما قال فيه بعض من قال

لم أنسه مذ قام يكشف عامدا * عن ساقه كاللؤلؤ البراق

لا تعجبوا من أن تقوم قيامتي * ان القيامة يوم كشف الساق

ثم بين له الغلام صدره وصار يقول له انظر الى نهودى فانها أحسن من نهود البنات وريقى أحلى من السكر النبات فدع الورع والزهادة وخلنا من النسك والعبادة واغتنم وصالى وتمل بجمالى ولا تخف من شئ أبدا وعليك الامان من الردى واترك هذه البلادة فانها بئست العادة وصار يريه ما خفى من محاسنه ويديه ويثنى عنان عقله بتثنيه والدرويش يلفت وجهه ويقول أعوذ بالله استحى يا ولدى ان هذا شئ حرام لا أفعله ولا فى المنام فشدد عليه الغلام فانفلت منه الدرويش واستقبل القبلة وصار يصلى فلما رآه يصلى تركه حتى صلى ركعتين وسلم وأراد أن يتقدم اليه فنوى الصلاة ثانى مرة وصلى ركعتين ولم يزل يفعل هكذا ثالثا ورابعا وخامسا فقال له الولد وما هذه الصلاة هل مرادك أن تطير على السحاب أضعت حظنا وأنت طول الليل فى المحراب ثم ان الغلام ارتمى عليه وصار يبوسه بين عينيه فقال له يا ولدى اخز عنك الشيطان وعليك بطاعة الرحمن فقال له ان لم تفعل بى ما أريد أنادى أبى وأقول له ان الدرويش يريد أن يفعل بى الفاحشة فيدخل عليك ويضربك حتى يكسر عظمك على لحمك كل هذا وأبوه ينظر بعينه ويسمع باذنه فثبت عند أبى الولد ان الدرويش ما عنده فساد وقال فى نفسه لو كان هذا الدرويش مفسودا ما كان يتحمل هذه المشقة كلها ثم ان الولد صار يحاول الدرويش وكلما نوى الصلاة قطعها عليه حتى اغتاظ الدرويش غاية الغيظ وأغلظ على الولد وضربه فبكى الولد فدخل عليه أبوه ومسح دموعه وأخذ بخاطره وقال للدرويش يا أخى حيث كنت على هذه الحالة لأى شئ تبكى وتتحسر حين رأيت ولدى هل لهذا من سبب قال له نعم فقال له أنا لما رأيتك تبكى عند رؤيته ظننت فيك السوء فامرت الولد بهذا الامر حتى أجربك وأضمرت انى اذا رأيتك تطلب منه فاحشة أدخل عليك وأقتلك فلما رأيت ما وقع منك عرفت انك من الصلاح على غاية ولكن بالله عليك أن تخبرنى بسبب بكائك فتنهد الدرويش وقال له يا سيدى لا تحرك على ساكن الجراح فقال لابد أن تخبرنى فقال اعلم انى درويش سياح فى البلاد والاقطار لاعتبر بآثار خالق الليل والنهار فاتفق انى دخلت مدينة البصرة فى يوم جمعة ضحوة النهار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الدرويش لما قال للتاجر اعلم انى درويش سياح فاتفق انى دخلت مدينة البصرة فى يوم جمعة ضحوة النهار فرأيت الدكاكين مفتوحة وفيها من سائر الاصناف والبضائع والمأكل والمشرب وهى خالية ليس فيها رجل ولا امرأة ولا بنت ولا ولد وليس فى الشوارع والاسواق كلاب ولا قطط ولا حس حسيس ولا انس أنيس فتعجبت من ذلك وقلت ياترى أين راح أهل هذه المدينة بقططهم وكلابهم وما فعل الله بهم وكنت جائعا فاخذت عيشا سخنا من فرن خباز ودخلت دكان زيات وبسست العيش بالسمن والعسل وأكلت وطلعت دكان شرابات فشربت ما أردت ورأيت القهوة مفتوحة فدخلتها ورأيت فيها البكارج على النار ممتلئة بالقهوة وليس فيها أحد وشربت كفايتى وقلت ان هذا الشئ عجيب كان أهل هذه المدينة أتاهم الموت فماتوا كلهم فى هذه الساعة أو خافوا من شئ نزل بهم فهربوا وما قدروا أن يقفلوا دكاكينهم فبينما أنا أفكر فى هذا الامر واذا بصوت نوبة تدق نخفت واختفيت حصة من الزمان وصرت أنظر من خلال الخروق فرأيت جوارى كأنهن الاقمار قد مشين فى السوق زوجا زوجا من غير غطاء بل مكشوفات الوجوه وهن أربعون زوجا بثمانين جارية ورأيت وليدة راكبة على جواد لا يقدر أن ينقل أقدامه مما عليه وعليها من الذهب والفضة والجواهر وتلك الوليدة مكشوفة الوجه من غير غطاء وهى مزينة بافخر الزينة ولابسة أفخر الملبوس وفى عنقها عقد من الجواهر وفى صدرها قلائد من الذهب وفى يديها أساور تضئ كالنجوم وفى رجليها خلاخل من الذهب مرصعة بالمعادن والجوارى قدامها وخلفها وعن يمينها وعن شمالها وبين يديها جارية مقلدة بسيف عظيم قبضته من زمرد وعلائقه من ذهب مرصع بالجواهر فلما وصلت تلك الصبية الى الجهة التى قدامى حبست عنان الجواد وقالت يابنات قد سمعت حس شئ فى داخل هذا الدكان ففتشنه لئلا يكون فيه أحد مستخف ومراده أن يتفرج علينا ونحن مكشوفات الوجوه ففتشن الدكان الذى قدام القهوة التى أنا مستخف فيها وبقيت أنا خائف فرأيتهن قد خرجن برجل وقلن لها يا سيدتنا قد رأينا هنا رجلا وها هو بين يديك فقالت للجارية التى معها السيف اضربى عنقه فتقدمت اليه الجارية وضربت عنقه ثم تركته مطروحا على الارض ومضين ففزعت أنا لما رأيت هذه الحالة ولكن تعلق قلبى بعشق الصبية وبعد ساعة ظهر الناس وصار كل من كان له دكان يدخلها ودرجت الناس فى الاسواق والتموا على المقتول يتفرجون عليه فخرجت أنا من المكان الذى كنت فيه سرا ولم ينتبه لى أحد ولكن تملك قلبى عشق

تلك الصبية فسرت أتجسس عليها مرارا فلم يخبرني أحد عليها بخبر ثم اني خرجت من البصرة وفي قلبي من عشقها حسرة فلما رأيت ابنك هذا رأيته أشبه الناس بتلك الصبية فاذكرني بها وهيج علي نار الغرام وأضرم بقلبي لهيب الهيام وهذا سبب بكائي ثم انه بكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وقال يا سيدي بالله عليك أن تفتح لي الباب حتى أروح الى حال سبيلي ففتح له الباب وخرج هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر قمر الزمان فانه لما سمع كلام الدرويش اشتغل باله بعشق تلك الصبية وتمكن منه الغرام وهاج به الوجد والهيام فلما أصبح الصباح قال لأبيه كل أولاد التجار يسافرون البلاد لتحصيل المراد وليس منهم واحد الا وأبوه يجهزله بضاعة فيسافر بها ويربح فيها وانا ولاي شيء يا أبي لم تجهزلي بتجارة حتى أسافر بها وأنظر سعدي فقال له يا ولدي ان التجار مقلون من المال فيسفرون أولادهم من أجل الفوائد والمكاسب وجلب الدنيا وأما أنا فعندي أموال كثيرة وليس عندي طمع فكيف أغربك وأنا لا أقدر على فراقك ساعة خصوصا وأنت فريد في الجمال والحسن والكمال وأخاف عليك فقال له يا أبي لا يمكن الا أن تجهزلي متجرا لأسافر به والا أغافلك وأهرب ولو من غير مال ولا تجارة وان أردت تطييب خاطري فجهزلي بضاعة حتى أسافر وأتفرج على بلاد الناس فلما رآه أبوه متعلقا بالسفر أخبر زوجته بهذا الخبر وقال لها ان ولدك يريد أن أجهزله متجرا ليسافر به الى بلاد الغربة مع ان الغربة كربة فقالت له زوجته ماذا يضرك من ذلك ان هذه عادة أولاد التجار فكلهم يتفاخرون بالاسفار والمكاسب فقال لها ان غالب التجار فقراء يطلبون كثرة المال وأما أنا فمالي كثير فقالت له زيادة الخير لا تضر وان كنت أنت لا تسمح له بذلك فانا أجهزله متجرا من مالي فقال التاجر اني أخاف عليه من الغربة لانها بئست الكربة قالت لا بأس بالاغتراب الذي فيه الاكتساب والا يذهب ولدنا ونطلبه فلا نراه ونفتضح بين الناس فقبل التاجر كلام زوجته وجهز متجرا لولده بتسعين ألف دينار وأعطته أمه كيسا فيه أربعون فصا من ثمين الجواهر أقل قيمة الواحد خمسمائة دينار وقالت يا ولدي احتفظ على هذه الجواهر فانها تنفعك فاخذ قمر الزمان جميع ذلك وسافر الى البصرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان قمر الزمان أخذ جميع ذلك وسافر الى البصرة

وكان قد وضع الجواهر فى كمر وشده على وسطه ولم يزل مسافرا حتى لم يبق بينه وبين
البصرة الا مرحلة واحدة فخرج عليه العرب وعروه وقتلوا رجاله وخدمه فرقد بين
قتيلين ولطخ روحه بالدم فظن العرب انه مقتول فتركوه ولم يتقرب منه أحد
ثم أخذوا أمواله وراحوا فلما راح العرب الى حال سبيلهم قام قمر الزمان من بين
القتلى ومشى وهو لا يملك شيأ غير الفصوص التى على حزامه ولم يزل سائرا حتى دخل
البصرة فاتفق ان دخوله كان فى يوم جمعة وكانت المدينة خالية من الناس كما أخبر
الدرويش فرأى الاسواق خالية والدكاكين مفتوحة وهى ممتلئة بالبضائع فاكل
وشرب وصار يتفرج فبينما هو كذلك اذ سمع النوبة تدق فاختفى فى دكان الى ان
جاءت البنات فتفرج عليها ولما رأى الصبية راكبة أخذه العشق والغرام وملكه
الوجد والهيام حتى صار لا يستطيع القيام وبعد حصة من الزمان ظهرت الناس
وملأت الاسواق فذهب الى السوق وتوجه الى رجل جوهرى وأخرج له حجرا
من الاربعين يساوى ألف دينار فباعه له ورجع الى محله ثم بات تلك الليلة فلما أصبح
الصباح غير وايجه ودخل الحمام وطلع كأنه البدر التمام ثم باع أربعة فصوص
بأربعة آلاف دينار وصار يتفرج فى شوارع البصرة وهو لابس أفخر الملابس حتى
وصل الى سوق فرأى فيه رجلا مزينا فدخل عنده وحلق رأسه وعمل معه صحبة ثم
قال له يا والدى أنا غريب البلاد وبالامس دخلت هذه المدينة فرأيتها خالية من
السكان وما فيها أحد من انس ولا جان ثم انى رأيت بنات وبينهن صبية راكبة
فى موكب وأخبره بما رأى فقال له يا ولدى هل أخبرت غيرى بهذا الخبر قال لا
فقال له يا ولدى اياك أن تذكر هذا الكلام قدام أحد غيرى فان كل الناس لا يكتمون
الكلام والاسرار وأنت ولد صغير فاخاف عليك أن ينتقل الكلام من ناس الى ناس
حتى يصل الى اصحابه فيقتلوك واعلم يا ولدى ان هذا الذى رأيته ما أحد رآه ولا يعرفه
فى غير هذه المدينة وأما أهل البصرة فانهم يموتون بهذه الحسرة وفى كل يوم جمعة
عند ضحوة النهار يحبسون الكلاب والقطط ويمنعونها عن المشى فى الاسواق
وجميع أهل المدينة يدخلون الجوامع ويغلقون عليهم الابواب ولا يقدر أحد منهم أن
يمر فى السوق ولا ان يطل من طاقة ولا يعرف أحد ما سبب هذه البلية ولكن يا ولدى
فى هذه الليلة أسأل زوجتى عن سببها فانها داية تدخل بيوت الاكابر وتعرف أخبار
هذه المدينة فان شاء الله تعالى تأتى عندى فى غد وأنا أخبرك بما تخبرنى به فكبش
كبشة من الذهب وقال يا والدى خذ هذا الذهب واعطه لزوجتك فانها صارت أمى
وكبش كبشة ثانية وقال خذ هذا لك فقال المزين يا ولدى اجلس مكانك حتى أروح

الى زوجتي وأسألها وأجيء اليك بالخبر الصحيح ثم تركه في الدكان وراح الى زوجته
وأخبرها بشأن الغلام وقال لها مرادي أن تخبريني بحقيقة أمر هذه المدينة حتى
أخبر به هذا الشاب التاجر فانه مولع بالاطلاع على حقيقة أمرها من امتناع
الناس والحيوانات عن الاسواق في ضحوة يوم الجمعة وأظن انه عاشق وهو كريم
سخي فاذا أخبرناه يحصل لنا منه خير كثير فقالت له رح هاته وقل له تعال كلم أمك
زوجتي فانها تقرئك السلام وتقول لك ان الحاجة مقضية فذهب الى الدكان
فرأى قمر الزمان قاعدا ينتظره فاخبره بالخبر وقال له يا ولدي اذهب بنا الى أمك
زوجتي فانها تقول لك ان الحاجة مقضية ثم أخذه وسار به حتى دخل على
زوجته فرحبت به وأجلسته ثم انه أخرج مائة دينار وأعطاها لها وقال لها يا أمي
اخبريني عن هذه الصبية من تكون فقالت يا ولدي اعلم ان سلطان البصرة قد جاءته
جوهرة من عند ملك الهند فاراد أن يثقبها فاحضر جميع الجوهرية وقال لهم أريد
منكم أن تثقبوا لي هذه الجوهرة والذي يثقبها له عليّ تمنية فمهما اتمناه أعطيته له وان
كسرها فاني أرمي رأسه فخافوا وقالوا يا ملك الزمان ان الجوهر سريع العطب
وقلّ أن يثقبه أحد ويسلم لان الغالب عليه الكسر فلا تحملنا ما لا نطيق فنحن
لا يخرج من أيدينا أن نثقب هذه الجوهرة وانما شيخنا أخبر منا فقال الملك ومن
شيخكم قالوا له المعلم عبيد وهو أخبر منا بهذه الصناعة وعنده أموال كثيرة وله
معرفة جيدة فارسل اليه واحضره بين يديك وأمره أن يثقب لك هذه الجوهرة
فارسل اليه وأمره بثقبها وشرط عليه الشرط المذكور فاخذها وثقبها على مزاج
الملك فقال له تمنّ عليّ يا معلم فقال يا ملك الزمان امهلني الى غد والسبب في ذلك انه
أراد أن يشاور زوجته وكانت زوجته تلك الصبية التي رأيتها في الموكب وكان
يحبها محبة شديدة ومن عظم محبته لها انه كان لا يفعل شيأ الا اذا شاورها فيه ولاجل
ذلك أمهل التمنية حتى يشاورها فلما أتى اليها قال لها أنا ثقبت للملك جوهرة وأعطاني
تمنية وقد أمهلته حتى أشاورك فاي شيء تريدين حتى أتمناه قالت نحن عندنا أموال
لا تأكلها النيران ولكن ان كنت تحبني فتمنّ على الملك انه ينادي في شوارع البصرة
ان أهلها يدخلون الجوامع يوم الجمعة قبل الصلاة بساعتين ولا يبقى في البلد كبير
ولا صغير حتى يكون في المسجد أو في البيت وتقفل عليهم أبواب المساجد والبيوت
ويتركون دكاكين البلد مفتوحة وأنا أركب بجواريّ وأشق في المدينة
ولا ينظرني أحد من طاقة ولا من شباك وكل من عثرت به قتلته فراح الى الملك وتمنى
عليه هذه الامنية فاعطاه ما تمناه ونادى بين أهل البصرة وأدرك شهرزاد الصباح

فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما أعطى الجوهري ما تمناه ونادى بين أهل البصرة بما تمناه قالوا انها تخاف على البضائع من القطط والكلاب فأمر الملك بحبسها فى ذلك اليوم حتى تخرج الناس من صلاة الجمعة وصارت تلك الجارية تخرج فى كل يوم جمعة قبل الصلاة بساعتين وتركب بجواريها فى شوارع البصرة ولا يقدر احد أن يمر فى السوق ولا أن يطل من طاقة ولا من شباك فهذا هو السبب وقد عرفتك بالجارية ولكن يا ولدى هل مرادك معرفة خبرها أو مرادك الاجتماع بها فقال يا أمى مرادى الاجتماع بها فقالت اخبرنى بما عندك من الذخائر الفاخرة فقال يا أمى عندى من ثمين المعادن أربعة أصناف صنف ثمن كل واحد منه خمسمائة دينار وصنف ثمن كل واحد منه سبعمائة دينار وصنف ثمن كل واحد منه ثمانمائة دينار وصنف ثمن كل واحد منه ألف دينار قالت له وهل تسمح نفسك باربعة منها قال نفسى تسمح بالجميع قالت قم يا ولدى من غير مطرود وأخرج منها فصا يكون ثمنه خمسمائة دينار واسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية واذهب اليه تراه جالسا فى دكانه وعليه ثياب فاخرة وتحت يده الصناع فسلم عليه واجلس على الدكان واخرج الفص وقل له يا معلم خذ هذا الحجر وصغه لى خاتما بالذهب ولا تجعله كبيرا بل اجعله قدر مثقال من غير زيادة واصنعه صنعا جيدا ثم اعطه عشرين دينارا واعطى الصناع كل واحد دينارا واقعد عنده حصة وتحدث معه واذا أتاك سائل فاعطه دينارا واظهر الكرم حتى يتولع بمحبتك ثم قم من عنده ورح الى منزلك وبت هناك فاذا أصبحت فهات معك مائة دينار واعطها الى يك فانه فقير قال وهو كذلك ثم خرج من عندها وذهب الى الوكالة وأخذ فصا ثمنه خمسمائة دينار وعمد به الى سوق الجواهر وسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية فدلوه على دكانه فلما وصل الى الدكان رأى شيخ الجوهرية رجلا مهابا وعليه ثياب فاخرة وتحت يده أربعة صناع فقال لهم السلام عليكم فرد عليه السلام ورحب به وأجلسه فلما جلس أخرج له الفص وقال له يا معلم أريد منك أن تصوغ لى هذا الحجر خاتما بالذهب ولكن اجعله قدر مثقال من غير زيادة وصغه صياغة طيبة ثم أخرج له عشرين دينارا وقال له خذ هذه فى نظير نقشه والاجرة باقية ثم أعطى كل صانع دينارا فاحبه الصناع وأحبه المعلم عبيد وقعد يتحدث معه وصار كل من أتاه من السائلين يعطيه دينارا فتعجبوا من كرمه ثم ان المعلم

عبيدا

عبيدا كان عنده عدة فى بيته مثل العدة التى فى الدكان وكان من عادته أنه اذا أراد
أن يصنع شيأ غريبا يشتغل فى بيته حتى ان الصناع لا يتعلمون منه الصنعة الغريبة
وكانت الصبية زوجته تجلس قدامه فاذا كانت قدامه ونظر اليها فانه يصنع كل شئ
غريب فى صناعته بحيث لا يليق الا بالملوك فقعد يصنع هذا الخاتم صنعة عجيبة
فى البيت فلما رأته زوجته قالت له ما مرادك أن تصنع بهذا الفص قال أريد
أن أصوغه خاتما بالذهب فان ثمنه خمسمائة دينار فقالت له لمن قال لغلام تاجر جميل
الصورة له عيون تجرح وخدود تقدح وله فم كخاتم سليمان ووجنات كشقائق
النعمان وشفائف حمر كالمرجان وله عنق مثل أعناق الغزلان وهو أبيض
مشرب بحمرة ظريف لطيف كريم فعل كذا وكذا وصار تارة يصف لها حسنه وجماله
وتارة يصف لها كرمه وكماله ولا زال يذكر لها محاسنه وكرم أخلاقه حتى عشقها فيه
ولم يكن أحد أعرص من الذى يصف لزوجته انسانا بالحسن والجمال وفرط سخائه
بالمال فلما فاض بها الغرام قالت له هل يوجد فيه شئ من محاسنى فقال لها جميع
محاسنك كلها فيه وهو شبيهك فى الصفة وربما كان عمره قدر عمرك ولولا انى أخاف
على خاطرك لقلت انه أحسن منك بالف مرة فسكتت ولكن التهبت نار محبته
فى قلبها ثم ان الصائغ لم يزل يتحدث معها فى تعداد محاسنه حتى فرغ من صياغة
هذا الخاتم ثم ناوله لها فلبسته فجاء على قدر اصبعها فقالت له ياسيدى ان قلبى حب
هذا الخاتم وأشتهى انه يكون لى ولا أنزعه من اصبعى فقال لها اصبرى فان
صاحبه كريم وأنا أطلب أن أشتريه منه فان باعنى اياه جئت به اليك وان كان
عنده حجر آخر أشتريه لك وأصوغه مثله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام
المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى قال لزوجته اصبرى فان صاحبه
كريم وأنا أطلب أن أشتريه منه فان باعنى اياه جئت به اليك وان كان عنده حجر آخر
أشتريه وأصوغه لك مثله هذا ما كان من أمر الجوهرى وزوجته وأما ما كان من
أمر قمر الزمان فانه بات فى منزله فلما أصبح أخذ مائة دينار وأتى الى العجوز زوجة
المزين وقال لها خذى هذه المائة دينار فقالت له اعطها لابيك فاعطاها له ثم انها
قالت له هل فعلت كما قلت لك قال نعم قالت له قم توجه الآن الى شيخ الجوهرية فاذا
أعطاك الخاتم فضعه فى رأس اصبعك وانزعه بسرعة وقل له يامعلم أخطأت ان

الخاتم جاء ضيقا فيقول لك يا تاجر هل اكسره وأصوغه واسعا فقل له ما أحتاج الى
كسره وصياغته ثانيا ولكن خذه واعطه لجارية من جواريك واخرج له حجرا آخر
يكون ثمنه سبعمائة دينار وقل له خذ هذا الحجر صغه لى فانه أحسن من ذلك واعطه
ثلاثين دينارا واعطى لكل صانع دينارين وقل له هذه الدنانير فى نظير نقشه والاجرة
باقية ثم ارجع الى منزلك وبت هناك وتعال فى الصباح ومعك مائتا دينار وأنا أكمل
لك بقية الحيلة ثم انه ذهب الى الجوهرى فرحب به وأجلسه على الدكان فلما جلس
قال له هل قضيت الحاجة قال نعم وأخرج له الخاتم فاخذه وحطه فى رأس اصبعه
ثم نزعه سريعا وقال له أخطأت يا معلم ورماه له وقال له انه ضيق على اصبعى فقال له
الجوهرى يا تاجر هل أوسعه قال لا ولكن خذه احسانا وألبسه لبعض جواريك فان
ثمنه تافه لانه خمسمائة دينار فلا يحتاج الى صياغته ثانيا ثم أخرج له فصا آخر ثمنه
سبعمائة دينار وقال له اصنع هذا ثم أعطاه ثلاثين دينارا وأعطى كل صانع دينارين
فقال له يا سيدى لما نصوغ الخاتم نأخذ أجرته قال هذه فى نظير نقشه والاجرة باقية
ثم تركه ومضى فاندهش الجوهرى من شدة كرم قمر الزمان وكذلك الصناع ثم ان
الجوهرى ذهب الى زوجته وقال لها يا فلانة ما رأت عينى أكرم من هذا الشاب
وأنت بختك طيب لانه أعطانى الخاتم بلا ثمن وقال لى اعطه لبعض جواريك
وحكى لها القصة ثم قال لها أظن ان هذا الولد ما هو من أولاد التجار وانما هو من
أولاد الملوك والسلاطين وصار كلما مدحه تزداد فيه غراما ووجدا وهياما ثم لبست
الخاتم والجوهرى صاغ له الثانى أوسع من الاول بقليل فلما فرغ من صياغته لبسته
فى اصبعها من داخل الخاتم الاول ثم قالت يا سيدى انظر ما أحسن الخاتمين فى
اصبعى فاشتهى أن يكون الخاتمان لى فقال لها اصبرى لعلى أشترى الثانى لك ثم
بات فلما أصبح أخذ الخاتم وتوجه الى الدكان هذا ما كان من أمره وأما
ما كان من أمر قمر الزمان فانه أصبح متوجها الى العجوز زوجة المزين وأعطاها
مائتى دينار فقالت له توجه الى الجوهرى فاذا أعطاك الخاتم فضعه فى اصبعك
وانزعه سريعا وقل أخطأت يا معلم ان الخاتم جاء واسعا والمعلم الذى يكون مثلك
اذا أتاه مثلى بشغل ينبغى له أن يأخذ القياس فلو كنت أخذت قياس اصبعى
ما أخطأت واخرج له حجرا آخر يكون ثمنه ثمانمائة دينار وقل له خذ هذا اصنعه واعط
هذا الخاتم الى جارية من جواريك ثم اعطه أربعين دينارا واعط كل صانع ثلاثة
دنانير وقل له هذا فى نظير نقشه وأما الاجرة فانها باقية وانظر ماذا يقول لك ثم تعال
ومعك ثلثمائة دينار واعطها لابيك يستعين بها على وقته فانه رجل فقير الحال

فقال

فقال سمعا وطاعة ثم انه توجه الى الجوهرى فرحب به وأجلسه ثم أعطاه الخاتم
فوضعه فى اصبعه ونزعه بسرعة وقال له ينبغى للمعلم الذى مثلك اذا أتاه مثلى بشغل
أن يأخذ قياسه فلو كنت أخذت قياس اصبعى ما أخطأت ولكن خذه واعطه
لبعض جواريك ثم أخرج له جوهرة ثمنها ثمانمائة دينار وقال له خذ هذا واصنعه لى
خاتما على قدر اصبعى فقال صدقت والحق معك فاخذ القياس وأخرج له أربعين
دينارا وقال له خذ هذه فى نظير نقشه والاجرة باقية فقال له ياسيدى كم أجرة
أخذناها منك فاحسانك علينا كثير فقال له لا باس ثم انه تحدث معه حصة وصار
كلما مر به سائل يعطيه دينارا وبعد ذلك تركه وانصرف هذا ما كان من أمره وأما
ما كان من أمر الجوهرى فانه توجه الى بيته وقال لزوجته ما اكرم هذا الشاب
التاجر فما رأيت اكرم منه ولا اجمل منه ولا احلى من لسانه وصار يذكر لها محاسنه
وكرمه ويبالغ فى مدحه فقالت له ياعديم الذوق حيث كنت تعرف فيه هذه
الصفات وقد أعطاك خاتمين ثمينين ينبغى لك أن تعزمه وتعمل له ضيافة وتتودد اليه
فاذا رأى منك المودة وجاء منزلنا فربما تنال منه خيرا كثيرا وان كنت لا تسمح له
بضيافة فاعزمه وأنا اعمل له الضيافة من عندى فقال لها هل أنت تعرفين اننى بخيل
حتى تقولى هذا الكلام قالت له ما أنت بخيل ولكنك عديم الذوق فاعزمه فى هذه
الليلة ولا تجئ بدونه وان امتنع فاحلف عليه بالطلاق واكد عليه فقال لها على
الرأس والعين ثم انه صاغ الخاتم ونام وأصبح فى ثالث يوم متوجها الى الدكان وجلس
فيها هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر قمر الزمان فانه أخذ ثلثمائة دينار وتوجه
الى العجوز واعطاها لزوجها فقالت له ربما يعزم عليك فى هذا اليوم فاذا عزم عليك
وبت عنده فهما جرى لك فاخبرنى به فى الصباح وهات معك أربعمائة دينار واعطها
لابيك فقال سمعا وطاعة وصار كلما فرغت منه الدراهم يبيع من الاحجار ثم انه توجه
الى الجوهرى فقام له واخذه بالاحضان وسلم عليه وعقد معه صحبة ثم انه اخرج له
الخاتم فرآه على قدر اصبعه فقال له بارك الله فيك ياسيد المعلمين ان الصياغة موافقة
ولكن الفص ليس على مرادى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام
المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما قال للجوهرى ان الصياغة موافقة
ولكن الفص ليس على مرادى لان عندى أحسن منه فخذه واعطه لبعض

جواريك وما خرج له غيره وأخرج له مائة دينار وقال له خذ أجرتك ولا تؤاخذنا فاننا أتعبناك فقال له يا تاجر ان الذي تعبنا فيه قد أعطيتنا اياه وتفضلت علينا بشيء كثير وأنا قلبي تعلق بحبك ولا اقدر على فراقك فبالله عليك أن تكون ضيفي في هذه الليلة وتجبر بخاطري فقال لا بأس ولكن لا بد أن اتوجه الى الخان لاجل أن أوصي اتباعي وأخبرهم بانني غيربائت في الخان حتى لا ينتظروني فقال له أنت نازل في أي خان قال في الخان الفلاني فقال أجيء اليك هناك فقال لا بأس ثم ان الجوهري توجه الى ذلك الخان قبل المغرب خوفا من غضب زوجته عليه ان دخل البيت بدونه ثم انه اخذه ودخل به في بيته وجلسا في قاعة ليس لها نظير وكانت الصبية رأته حين دخوله فافتتنت به ثم صارا يتحدثان الى أن جاء العشاء فاكلا وشربا وبعد ذلك جاءت القهوة والشربات ولم يزل يسامره الى وقت العشاء فصليا الفريضة ثم دخلت عليهما جارية ومعها فنجانان من المشروب فلما شربا غلب عليهما النوم فناما ثم جاءت الصبية فرأتهما نائمين فنظرت في وجه قمر الزمان فاندهش عقلها من جماله وقالت كيف ينام من عشق الملاح ثم قلبته على قفاه وركبت على صدره ومن شدة غيظها من غرامه نزلت على خدوده بملاقة بوس حتى اثر ذلك في خده فاشتدت حمرته وزهت وجنته ونزلت على شفته بالمص ولم تزل تمص شفته حتى خرج الدم في فمها ومع ذلك لم تنطفئ نارها ولم يرو أوارها ولم تزل معه بين بوس وعناق والتفاف ساق على ساق حتى اشرق جبين الصباح وتبلج الفجر ولاح ثم وضعت في جيبه أربعة عواشق وتركته وراحت وبعد ذلك ارسلت جاريتها بشيء مثل النشوق فوضعته في مناخيرهما فعطسا وافاقا فقالت لهما الجارية اعلموا يا أسيادي أن الصلاة وجبت فقوموا لصلاة الصبح وأتت لهما بالطشت والابريق ثم قال قمر الزمان يا معلم ان الوقت جاء وقد تجاوزنا الحد في النوم فقال الجوهري للتاجر يا صاحبي ان نوم هذه القاعة ثقيل كلما أنام فيها يجري لي هذا الامر فقال صدقت ثم ان قمر الزمان أخذ يتوضأ فلما وضع الماء على وجهه احرقته خدوده وشفته فقال عجائب اذا كان هواء القاعة ثقيلا واستغرقنا في النوم فما بال خدودي وشفتي تحرقني ثم قال يا معلم ان خدودي وشفتي تحرقني فقال أظن ان هذا من اكل الناموس فقال عجائب وهل يجري لك فيها مثلي قال لا ولكن اذا كان عندي ضيف مثلك يصبح يشكو من قرص الناموس ولا يكون ذلك الا اذا كان الضيف مثلك أمرد وأما اذا كان ملتحيا فلا يعف عليه الناموس وما منع الناموس عني الا لحيتي كأن الناموس لا يهوى أصحاب اللحى فقال له صدقت ثم ان الجارية جاءت لهما بالفطور

فافطرا

فافطروا وخرجا وراح قمر الزمان الى العجوز فلما رأته قالت له انى ارى آثار الحظ على وجهك فاخبرنى بما رأيت قال ما رأيت شيأ وانما تعشيت أنا وصاحب المحل فى قاعة وصلينا العشاء ثم نمنا فما أفقنا الا فى الصبح فضحكت وقالت ما هذا الاثر الذى فى خدك وعلى شفتك قال لها ان ناموس القاعة فعل معى هذه الفعال فقالت صدقت وهل جرى لصاحب البيت مثل ما جرى لك قال لا ولكنه أخبرنى أن ناموس تلك القاعة لا يضر أصحاب اللحى ولا يعف الا على المرد وكلما يكون عنده ضيف فان كان أمرد يصبح يشكو من قرص الناموس وان كان ملتحيا فلا يجرى له شئ من ذلك فقالت صدقت فهل رأيت شيأ غير هذا قال رأيت فى جيبى أربعة عواشق قالت ارنى اياها فاعطاها لها فاخذتها وضحكت وقالت ان معشوقتك قد وضعت هذه العواشق فى جيبك قال وكيف ذلك قالت انها تقول لك بالاشارة لو كنت عاشقا ما نمت فان الذى يعشق لا ينام ولكن أنت لم تزل صغيرا ولا يليق بك الا اللعب بهذه العواشق فما حملك على عشق الملاح وقد جاءتك فى الليل فرأتك نائما فقطعت خدودك بالبوس وحطت لك هذه الامارة ولكنها لا يكفيها منك ذلك بل لا بد أن ترسل اليك زوجها فيعزم عليك فى هذه الليلة فاذا رحت معه فلا تنم عاجلا وهات معك خمسمائة دينار وتعال أخبرنى بما يحصل وانا اكمل لك الحيلة فقال لها سمعا وطاعة ثم توجه الى الخان هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر زوجة الجوهرى فانها قالت لزوجها هل راح الضيف قال نعم ولكن يا فلانة ان الناموس شوش عليه فى هذه الليلة وقطع خدوده وشفته وأنا استحيت منه فقالت هذه عادة ناموس قاعتنا فانه لا يهوى الا المرد ولكن اعزمه فى الليلة الآتية فتوجه اليه فى الخان الذى هو فيه وعزمه وأتى به الى القاعة فأكلا وشربا وصليا العشاء فدخلت عليهما الجارية واعطت كل واحد فنجانا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية دخلت عليهما واعطت كل واحد فنجانا فشربا وناما فاتت الصبية وقالت له يا عاق كيف تنام وتدعى انك عاشق والعاشق لا ينام ثم ركبت على صدره ولا زالت نازلة عليه ببوس وعض ومص وهراش الى الصباح ثم حطت له فى جيبه سكينا وارسلت جاريتها عند الصباح فنبهتهما وخدوده كأنها ملتهبة بالنار من شدة الاحمرار وشفاهه كالمرجان بسبب المص والتقبيل

فقال له الجوهرى لعل الناموس شوش عليك قال لا لانه لما عرف النكتة ترك
الشكاية ثم انه رأى السكين فى جيبه فسكت ولما أفطر وشرب القهوة خرج من عند
الجوهرى وتوجه الى الخان واخذ خمسمائة دينار وذهب الى العجوز وأخبرها بما
رأى وقال لها انى نمت غصبا عنى ولما أصبحت ما رأيت شيأ غير سكين فى جيبى
فقالت له الله يحميك منها فى الليلة القابلة انها تقول لك ان نمت مرة أخرى ذبحتك
وأنت معزوم عندهم فى الليلة القابلة فان نمت ذبحتك فقال وكيف يكون العمل
فقالت أخبرنى بما تأكله وما تشربه قبل النوم قال نتعشى على عادة الناس ثم تدخل
علينا جارية بعد العشاء وتعطى كل واحد منا فنجانا فمتى شربت فنجانى نمت ولا افيق
الا فى الصباح فقالت له ان الداهية فى الفنجان فخذه منها ولا تشربه حتى يشرب
سيدها ويرقد وحين تعطيه لك الجارية قل لها اسقينى ماء فتذهب لتجىء اليك
بالقلة فكب الفنجان خلف المخدة واجعل روحك نائما فلما ترجع اليك بالقلة تظن
انك نمت بعد شرب الفنجان فتروح عنك وبعد حصة يظهر لك الحال واياك أن تخالف
أمرى فقال سمعا وطاعة ثم توجه الى الخان هذا ما كان من أمره وأما ما كان من
أمر زوجة الجوهرى فانها قالت لزوجها اكرام الضيف ثلاث ليال فاعزمه مرة
ثالثة فتوجه اليه وعزمه واخذه ودخل به القاعة فلما تعشيا وصليا العشاء واذا
بالجارية دخلت واعطت كل واحد فنجانا فشرب سيدها ورقد وأما قمر الزمان فانه
لم يشرب فقالت له الجارية أما تشرب يا سيدى فقال لها أنا عطشان هاتى القلة
فذهبت لتجىء اليه بالقلة فكب الفنجان خلف المخدة ورقد فلما رجعت الجارية
رأته راقدا فاخبرت سيدتها بذلك وقالت انه لما شرب الفنجان رقد فقالت الصبية
فى نفسها ان موته أحسن من حياته ثم اخذت سكينا ماضية ودخلت عليه وهى
تقول ثلاث مرات وأنت لم تلحظ الاشارة يا أحمق الآن أشق بطنك فلما رآها مقبلة
عليه وفى يدها السكين فتح عينيه وقام ضاحكا فقالت له ما فهمت هذه الاشارة
بفطنتك بل بدلالة ماكر فاخبرنى من أين لك هذه المعرفة قال من عجوز وجرى لى معها
كذا وكذا وأخبرها بالخبر فقالت له فى غد اخرج من عندنا ورح الى العجوز وقل لها هل
بقى معك من الحيل زيادة عن هذا المقدار فان قالت لك معى فقل لها اجتهدى
فى الوصول اليها جهارا وان قالت مالى مقدرة وهذا آخر ما معى فاتركها عن بالك
وفى ليلة غد يأتى اليك زوجى ويعزمك فتعال معه وأخبرنى وأنا اعرف بقية التدبير
فقال لا بأس ثم بات معها بقية الليلة على ضم وعناق واعمال حرف الجر باتفاق
واتصال الصلة بالموصول وزوجها كتنوين الاضافة معزول ولم يزالا على هذه
الحالة

الحالة الى الصباح ثم قالت له انا ما يكفيني منك ليلة ولا يوم ولا شهر ولا سنة وانما قصدى ان أقيم معك بقية العمر ولكن اصبر حتى اعمل لك مع زوجى حيلا تحير ذوى الالباب ونبلغ بها الآراب وادخل عليه الشك حتى يطلقنى واتزوج بك واروح معك الى بلادك وانقل جميع ماله وذخائره عندك واتحيل لك على خراب دياره ومحو آثاره ولكن اسمع كلامى وطاوعنى فيما اقوله لك ولا تخالفنى فقال لها سمعا وطاعة وما عندى خلاف فقالت رح الى الخان وان جاء زوجى وعزمك فقل له يا أخى ان ابن آدم ثقيل ومتى اكثر التردد اشمأز منه الكريم والبخيل وكيف اروح عندك كل ليلة وارقد أنا وأنت فى القاعة فان كنت أنت لا تغتاظ منى فربما اغتاظ حريمك منى بسبب منعك عنه فان كان مرادك عشرتى فخذ لى بيتا بجانب بيتك وتبقى أنت تارة تسهر عندى الى وقت النوم وأنا تارة أسهر عندك الى وقت النوم ثم اروح الى منزلى وأنت تدخل حريمك وهذا الرأى أحسن من حجبك عن حريمك كل ليلة فانه بعد ذلك يأتى الى ويشاورنى فاشير عليه أن يخرج جارنا فان البيت الذى هو ساكن فيه بيتنا والجار ساكن بالكراء ومتى اتيت البيت يهون الله علينا بقية تدبيرنا ثم انها قالت له رح الآن وافعل كما أمرتك فقال لها سمعا وطاعة ثم تركته وراحت وهو جعل روحه نائما وبعد مدة أتت الجارية فنبهتهما فلما افاق الجوهرى قال يا تاجر لعل الناموس شوش عليك قال لا فقال الجوهرى لعلك اعتدت عليه ثم انهما افطرا وشربا القهوة وخرجا الى اشغالهما وتوجه قمر الزمان الى العجوز واخبرها بما جرى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما توجه الى العجوز اخبرها بما جرى وقال لها انها قالت لى كذا وكذا وقلت لها كذا وكذا فهل عندك اكثر من هذا التدبير حتى توصلنى الى الاجتماع بها جهارا فقالت يا ولدى الى هنا انتهى تدبيرى وفرغت حيلى فعند ذلك تركها وتوجه الى الخان ولما اصبح الصباح توجه اليه الجوهرى عند المساء وعزمه فقال له لا يمكن انى اروح معك فقال له لماذا وانا احببتك وما بقيت اقدر على فراقك فبالله عليك أن تمضى معى فقال له ان كان مرادك طول العشرة معى ودوام الصحبة بينى وبينك فخذ لى بيتا بجانب بيتك وان شئت تسهر عندى وأنا اسهر عندك وعند النوم يروح كل منا الى بيته وينام فيه فقال له ان عندى بيتا بجانب بيتى وهو ملكى فامض معى فى هذه الليلة وفى غد اخليه لك فمضى معه وتعشيا

وصلبا العشاء وشرب زوجها الفنجان الذي فيه العمل فرقد وفنجان قمر الزمان
لا غش فيه فشربه ولم يرقد فجاءته وقعدت تسامره الى الصباح وزوجها مرمى مثل
الميت ثم انه صحا من النوم على العادة وارسل احضر الساكن وقال له يا رجل اخل
لي بيتي فاني قد احتجت اليه فقال له على الرأس والعين فاخلاه له وسكن فيه قمر
الزمان ونقل جميع مصالحه فيه وفي تلك الليلة سهر الجوهري عند قمر الزمان ثم راح
الى بيته وفي ثاني يوم ارسلت الصبية الى معمار ماهر فاحضرته وارغبته بالمال حتى
عمل لها سردابا من قصرها يوصل الى قمر الزمان وجعل له طابقا تحت الارض فما
يشعر قمر الزمان الا وهي داخلة عليه ومعها كيسان من المال فقال لها من اين
جئت فارته السرداب وقالت له خذ هذين الكيسين من ماله وقعدت تمارشه
وتلاعبه الى الصباح ثم قالت له انتظرني حتى اروح له وانبهه ليذهب الى دكانه وآتي
لك فقعد ينتظرها وانصرفت لزوجها وايقظته فقام وتوضأ وصلى وذهب الى
الدكان وبعد ذهابه اخذت أربعة اكياس وراحت الى قمر الزمان من السرداب
وقالت له خذ هذا المال وجلست عنده ثم انصرف كل منهما الى حال سبيله فتوجهت
الى بيتها وتوجه قمر الزمان الى السوق ولما رجع في وقت المغرب رأى عنده عشرة
اكياس وجواهر وغير ذلك ثم ان الجوهري جاءه في بيته واخذه الى القاعة وبهم
فيها هو واياه فدخلت الجارية على العادة واسقتهما فرقد سيدها وقمر الزمان
ما اصابه شيء لان فنجانه سالم لا غش فيه ثم اقبلت عليه الصبية فجلست تلاعبه
وصارت الجارية تنقل المصالح الى بيته من السرداب ولم يزالوا على هذه الحالة الى
الصباح ثم ان الجارية نبهت سيدها واسقتهما القهوة وكل منهما راح الى حال سبيله
وفي ثالث يوم اخرجت له سكينا كانت لزوجها وهي صياغته بيده وكلفها خمسمائة
دينار لم يوجد لها مثيل في حسن الصياغة ومن كثرة ما طلبها منه الناس وضعها
في صندوق ولم تسمح نفسه ببيعها لاحد من المخلوقين ثم قالت له خذ هذه السكين
وحطها في حزامك ورح الى زوجي واجلس عنده واخرجها من حزامك وقل له يا معلم
انظر هذه السكين فاني اشتريتها في هذا اليوم وأخبرني هل أنا مغلوب فيها أو غالب
فانه يعرفها ويستحي أن يقول لك هذه سكيني فان قال لك من اين اشتريتها وبكم
اخذتها فقل له رأيت اثنين من اللاوندية يتقاتلان مع بعضهما فقال واحد منهما
للآخر اين كنت قال كنت عند صاحبتي وكلما أجتمع معها تعطيني دراهم وفي هذا
اليوم قالت لي ان يدي لا تطول دراهم في هذا الوقت ولكن خذ هذه السكين فانها
سكين زوجي فاخذتها منها ومرادي بيعها فاعجبتني السكين ولما سمعته يقول ذلك

قالت

قلت له اتبيعها الى فقال اشترها فاخذ تها منه بثلثمائة دينار فياترى هل هى رخيصة أوغالية وانظر مايقول لك ثم تحدث معه مدة وقم من عنده وتعال الى بسرعة فتراني قاعدة فى فم السرداب انتظرك فاعطنى السكين فقال لها سمعا وطاعة ثم اخذ تلك السكين وحطها فى حزامه وراح الى دكان الجوهرى فسلم عليه فرحب به واجلسه فرأى السكين فى حزامه فتعجب وقال فى نفسه ان هذه سكينى ومن أوصلها الى هذا التاجر وصار يفكر فى نفسه ويقول ياترى هل هى سكينى أوسكين تشابهها واذا بقمر الزمان أخرجها وقال يامعلم خذ هذه السكين تفرج عليها فلما أخذها من يده عرفها حق المعرفة واستحى أن يقول هذه سكينى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى لما اخذ السكين من قمر الزمان عرفها واستحى أن يقول هذه سكينى ثم قال له من اين اشتريتها فاخبره بما أوصته به الصبية فقال له هذه بهذا الثمن رخيصة لانها تساوى خمسمائة دينار وانقادت النار فى قلبه وارتبطت اياديه عن الشغل فى صنعته وصار يتحدث معه وهو غريق فى بحر الافكار وكلما كلمه الغلام خمسين كلمة يرد عليه بكلمة واحدة وصار قلبه فى عذاب وجسمه فى اضطراب وتكدر منه الخاطر وصار كما قال الشاعر

لم ادر قولا اذا احيوا مكالمتى * اوكلمونى يرونى غائب الفكر
غرقان فى بحر فكر لا قرار له * لا افرق الناس انثاها من الذكر

فلما رآه تغيرت حالته قال له لعلك مشغول فى هذه الساعة ثم قام من عنده وتوجه الى البيت بسرعة فرآها واقفة فى باب السرداب تنتظره فلما رأته قالت له هل فعلت كما أمرتك قال نعم قالت له ما قال لك قال لى انها رخيصة بهذا الثمن لانها تساوى خمسمائة دينار ولكن تغيرت أحواله فقمت من عنده ولم ادر ما جرى له بعد ذلك فقالت هات السكين وما عليك منه ثم اخذت السكين وحطتها فى موضعها وقعدت هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر الجوهرى فانه بعد ذهاب قمر الزمان من عنده التهبت بقلبه النار وكثر عنده الوسواس وقال فى نفسه لا بد أن اقوم واتفقد السكين واقطع الشك باليقين فقام وأتى البيت ودخل على زوجته وهو ينفخ مثل الثعبان فقالت له مالك ياسيدى فقال لها اين سكينى قالت فى الصندوق ثم دقت صدرها بيدها وقالت ياهمى لعلك تخاصمت مع أحد فاتيت

تطلب السكين لتضرب بها قال لها هاتي السكين اريني اياها قالت حتى تحلف انك
لا تضرب بها أحدا فحلف لها ففتحت الصندوق واخرجتها له فصار يقلبها و يقول ان
هذا شيء عجيب ثم انه قال لها خذيها وحطيها في مكانها قالت له اخبرني ما سبب ذلك
قال لها اني رأيت مع صاحبنا سكينا مثلها واخبرها بالخبر كله ثم قال لها ولما رأيتها
في الصندوق قطعت الشك باليقين فقالت له لعلك ظننت بي سوأ وجعلتني صاحبة
اللاوندي واعطيته السكين فقال لها نعم اني شككت في هذا الامر ولكن لما رأيت
السكين ارتفع الشك من قلبي فقالت له يا رجل أنت ما بقي فيك خير فصار يعتذر اليها
حتى ارضاها ثم خرج وتوجه الى دكانه وفي ثاني يوم اعطت قمر الزمان ساعة زوجها
وكان صنعها بيده ولم يكن عند أحد مثلها ثم انها قالت له رح الى دكانه واجلس
عنده وقل له ان الذي رأيته بالامس رأيته في هذا اليوم وفي يده ساعة وقال لي
أتشتري هذه الساعة فقلت له من اين لك هذه الساعة قال كنت عند صاحبتي
فاعطتني اياها فاشتريتها منه بثمانية وخمسين دينارا فانظر هل هي رخيصة بهذا الثمن
أو غالية وانظر ما يقول لك واذا قمت من عنده فأتني بسرعة واعطني اياها فراح اليه
قمر الزمان وفعل معه ما أمرته به فلما رآها الجوهري قال هذه تساوي سبعمائة دينار
وداخله الوهم ثم ان الغلام تركه وراح الى الصبية واعطاها تلك الساعة واذا بزوجها
دخل ينفخ وقال لها اين ساعتي قالت له ها هي حاضرة قال لها هاتيها فاتت له بها
فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت له يا رجل ما أنت بلا خبر فاخبرني
بخبرك فقال لها ماذا اقول اني تحيرت في هذه الحالات ثم أنشد هذه الابيات

تحيرت والرحمن لا شك في امري * وحلت بي الاحزان من حيث لا ادري
ساصبر حتى يعلم الصبر انني * صبرت على شيء امر من الصبر
وما مثل مر الصبر صبري وانما * صبرت على شيء أحر من الجمر
وما الامر امري في المراد وانما * امرت بحسن الصبر من صاحب الامر

ثم قال يا امرأة اني رأيت مع التاجر صاحبنا اولا سكيني وقد عرفتها لان صياغتها
اختراع من عقلي وليس يوجد مثلها واخبرني باخبار تغم القلب وأتيت فرأيتها
ورأيت معه الساعة ثانيا وصياغتها أيضا اختراع من عقلي وليس يوجد مثلها
في البصرة واخبرني أيضا باخبار تغم القلب فتحيرت في عقلي وما بقيت اعرف
ما جرى لي فقالت له مقتضى كلامك انك تظنني انا خليلة ذلك التاجر وصاحبته واعطيته
مصالحك وجوزت خيانتي فجئت تسألني ولو كنت ما رأيت السكين والساعة عندي
كنت أثبت خيانتي لكن يا رجل حيث انك ظننت بي هذا الظن ما بقيت اواكلك

في

فی زاد ولا أشاربك فی ما بعد هذا فانی كرهتك كراهة التحريم فصار يأخذ بخاطرها
حتى أرضاها ثم خرج وتندم على مقابلتها بهذا الكلام وتوجه الى دكانه وجلس
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغنی أيها الملك السعيد أن الجوهری لما خرج من عند زوجته صار يتندم
على هذا الكلام ثم ذهب الى الدكان وجلس وصار فی قلق شديد وفكر ما عليه من
مزيد وهو ما بين مصدق ومكذب وعند المساء أتى الى البيت وحده ولم يأت بقمر
الزمان معه فقالت له الصبية اين التاجر قال فی منزله قالت هل بردت الصحبة التی
بينك وبينه قال والله انی كرهته مما جرى منه فقالت له قم هاته من شأن خاطری
فقام ودخل عليه بيته فرأى حوايجه منشورة فيه فعرفها فقادت النار فی قلبه
وصار يتنهد فقال قمر الزمان مالی أراك فی فكر فاستحى أن يقول له ان حوايجی
عندك من أوصلها اليك وانما قال له حصل عندی تشويش ولكن قم بنا الى البيت
لنتسلى هناك فقال دعنی فی محلی فلا أروح معك فحلف عليه وأخذه ثم تعشى معه
وسهرا تلك الليلة وصار يتحدث معه وهو غريق فی بحر الافكار واذا تكلم الغلام
التاجر مائة كلمة يرد عليه الجوهری بكلمة واحدة ثم دخلت عليهما الجارية بفنجانين
على العادة فلما شربا رقد التاجر ولم يرقد الغلام لان فنجانه غير مغشوش ثم دخلت
الصبية على قمر الزمان وقالت له كيف رأيت هذا القرنان الذی هو فی غفلته
سكران ولا يعرف مكايد النسوان فلا بد أن أخدعه حتى يطلقنی ولكن فی غد أتهيأ
بهيئة جارية وأروح خلفك الى الدكان وقل له يا معلم انی دخلت اليوم خان
اليسرجية فرأيت هذه الجارية فاشتريتها بالف دينار فانظرها الى هل هی رخيصة
بهذا الثمن أو غالية ثم اكشف له عن وجهی ونهودی وفرجه علی ثم خذنی وارجع
بی الى منزلك وانا أدخل بيتی من السرداب حتى أنظر آخر أمرنا معه ثم انهما أمضيا
ليلتهما على أنس وصفاء ومنادمة وهراش وبسط وانشراح الى الصباح وبعد ذلك
ذهبت الى مكانها وارسلت الجارية فايقظت سيدها وقمر الزمان فقاما وصليا الصبح
وافطرا وشربا القهوة وخرج الجوهری الى دكانه وقمر الزمان دخل بيته واذا
بالصبية خرجت له من السرداب وهی بصفة جارية وكان أصلها جارية ثم توجه الى
دكان الجوهری ومشت خلفه ولم يزل ماشيا وهی خلفه حتى وصل بها الى دكان
الجوهری فسلم عليه وجلس وقال يا معلم انی دخلت اليوم خان اليسرجية بقصد

الفرجة فرأيت هذه الجارية في يد الدلال فأعجبتني فاشتريتها بألف دينار وقصدي أن تتفرج عليها وتنظر هل هي رخيصة بهذا الثمن أم لا وكشف له عن وجهها فرآها زوجته وهي لابسة أفخر ملبوسها ومتزينة بأحسن الزينة ومكحلة ومخضبة كما كانت تتزين قدامه في بيته فعرفها حق المعرفة بوجهها وملبوسها وصيغتها لانه صاغها بيده ورأى الخواتم التي صاغها جديد القمر الزمان في اصبعها وتحقق عنده انها زوجته من سائر الجهات فقال لها ما اسمك يا جارية قالت حليمه وزوجته اسمها حليمة فذكرت له الاسم بعينه فتعجب من ذلك وقال له بكم اشتريتها قال بألف دينار قال انك أخذتها بلا ثمن لان الالف دينار أقل من ثمن الخواتم وملابسها ومصاغها بلا شئ فقال له بشرك الله بالخير وحيث أعجبتك فأنا أذهب بها الى بيتي فقال افعل مرادك فأخذها وراح الى بيته ونزلت من السرداب وقعدت في قصرها هذا ما كان من أمرها واما ما كان من أمر الجوهري فان النار اشتعلت في قلبه وقال في نفسه أنا أروح أنظر زوجتي فان كانت في البيت تكون هذه الجارية شبيهتها وجل من ليس له شبيه وان لم تكن زوجتي في البيت تكون هي من غير شك ثم انه قام يجري الى أن دخل البيت فرآها قاعدة بملبسها وزينتها التي رآها بها في الدكان فضرب يدا على يد وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت له يا رجل هل حصل لك جنون أو ما خبرك فما هذه عادتك لا بد أن يكون لك أمر من الامور فقال لها اذا كان مرادك أن أخبرك فلا تغتمي فقالت له قل قال ان التاجر صاحبنا اشترى جارية قدها مثل قدك وطولها مثل طولك واسمها مثل اسمك وملبسها مثل ملبسك وهي تشبهك في جميع صفاتك وفي اصبعها خواتم مثل خواتمك ومصاغها مثل مصاغك فلما فرجني عليها ظننت أنها أنت وقد تحيرت في أمري ليتنا ما رأينا هذا التاجر ولا صاحبناه ولا جاء من بلاده ولا عرفناه فانه كدر عيشتي بعد الصفاء وكان سببا في الجفاء بعد الوفاء وادخل الشك في قلبي فقالت له طل في وجهي لعلي أكون أنا التي كنت معه والتاجر صاحبي وقد تلبست بصفة جارية واتفقت معه على أن يفرجك علي حتى يكيدك فقال أي شئ هذا الكلام أنا ما أظن بك أن تفعلي مثل هذه الفعال وكان ذلك الجوهري مغفلا عن مكايدة النساء وما يفعلن مع الرجال ولم يسمع بقول من قال

طحا بك قلب في الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب
يكلفني ليلى وقد شط وليها * وعادت عواد بيننا وخطوب
وان تسألوني بالنساء فانني * خبير بادواء النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له من ودهن نصيب

وقول الآخر

اعص النساء فتلك الطاعة الحسنه * فلن يفوز فتى يعطى النساء رسنه

يعقنه عن كمال فى فضائله * ولو سعى طالبا للعلم ألف سنه

وقول الآخر

ان النساء شياطين خلقن لنا * أعوذ بالله من كيد الشياطين

ومن بهن رماه العشق مبتليا * قد ضيع الحزم من دنيا ومن دين

ثم قالت له ها أنا قاعدة فى قصرى ورح أنت اليه فى هذه الساعة واطرق الباب واحتل على الدخول عليه بسرعة فاذا دخلت ورأيت الجارية عنده تكون جارية تشبهنى وجل من ليس له شبيه وان لم تر الجارية عنده أكون أنا الجارية التى رأيتها معه ويكون ظنك بى السوء محققا فقال صدقت ثم تركها وخرج فقامت هى ونزلت من السرداب وقعدت عند قمر الزمان واخبرته بذلك وقالت له افتح الباب بسرعة وفرجه على فبينما هما فى الكلام واذا بالباب يطرق فقال من بالباب قال أنا صاحبك فانك فرجتنى على الجارية فى السوق وفرحت لك بها ولكن ما كملت فرحتى بها فافتح الباب وفرجنى عليها قال لا بأس بذلك ثم فتح له الباب فرأى زوجته قاعدة عنده فقامت وقبلت يده ويد قمر الزمان وتفرج عليها وتحدث معه مدة فرآها لا تتميز عن زوجته بشىء فقال يخلق الله ما يشاء ثم انه خرج وكثر فى قلبه الوسواس ورجع الى بيته فرأى زوجته جالسة لانها سبقته من السرداب حين خرج من الباب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية سبقت زوجها من السرداب حين خرج من الباب ثم قعدت فى قصرها فلما دخل عليها زوجها قالت له أى شىء رأيت قال رأيتها عند سيدها وهى تشبهك فقالت توجه الى دكانك وحسبك سوء الظن فما بقيت تظن بى سوأ فقال لها الامر كذلك فلا تؤاخذينى بما صدر منى قالت سامحك الله ثم قبلها ذات اليمين وذات الشمال وراح الى دكانه فنزلت من السرداب الى قمر الزمان ومعها أربعة اكياس وقالت له جهز حالك لسرعة السفر واستعد لتحميل المال بلا امهال حتى افعل لك ما عندى من الحيل فطلع واشترى بغالا وحمل احمالا وجهز تختروانا واشترى مماليك وخدما واخرج الجميع من البلد وما بقى له عاقة وأتى

لها وقال انى تممت أمورى فقالت له وأنا الاخرى قد نقلت بقية ماله وجميع ذخائره
عندك وما خليت له قليلا ولا كثيرا ينتفع به وكل هذا محبة فيك يا حبيب قلبى
فانا أفديك ألف مرة بزوجى ولكن ينبغى أن تذهب اليه وتودعه وتقول له أنا أريد
السفر بعد ثلاثة أيام وجئت لاودعك فاحسب ما اجتمل لك عندى من أجرة البيت
حتى أورده لك وتبرأ ذمتى وانظر مايكون من جوابه وارجع الىّ واخبرنى فانى
عجزت وأنا احتال عليه وأغيظه لاجل أن يطلقنى فأراه الا متعلقا بى ومابقى لنا
أحسن من السفر الى بلادك فقال لها ياحبذا ان صحت الاحلام ثم راح الى دكانه
وجلس عنده وقال له يامعلم أنا مسافر بعد ثلاثة أيام وما جئت الا لاودعك والمراد
انك تحسب ما اجتمل لك عندى من أجرة البيت حتى أعطيه لك وتبرأ ذمتى فقال له
ماهذا الكلام ان فضلك علىّ والله ما آخذ منك شيأ من أجرة البيت وحلت علينا
البركات ولكنك توحشنا بسفرك ولولا أنه يحرم علىّ لتعرضت لك ومنعتك عن
عيالك وبلادك ثم ودعه وتباكيا بكاء شديدا ماعليه من مزيد وقفل الدكان من
ساعته وقال فى نفسه ينبغى أن أشيع صاحبى وصار كلما راح يقضى حاجة يروح
معه واذا دخل بيت قمر الزمان يجدها فيه وتقف بين أيديهما وتخدمهما واذا رجع
الى بيته يراها قاعدة هناك ولم يزل يراها فى بيته اذا دخله ويراها فى بيت قمر الزمان
اذا دخله مدة الثلاثة أيام ثم انها قالت له انى نقلت جميع ماعنده من الذخائر
والاموال والفروش ولم يبق عنده الا الجارية التى تدخل عليكما بالشراب ولكنى
لا أقدر على فراقها لانها قريبتى وعزيزة عندى وكاتمة اسرى ومرادى أن أضربها
واغضب عليها واذا أتى زوجى أقول له أنا مابقيت أقبل هذه الجارية ولا أقعد
أنا واياها فى بيت فخذها وبعها فيأخذها ليبيعها فاشترها أنت حتى نأخذها معنا
فقال لا بأس ثم انها ضربتها فلما دخل زوجها رأى الجارية تبكى فسألها عن سبب
بكائها فقالت ان سيدتى ضربتنى فدخل وقال مافعلت هذه الجارية الملعونة حتى
ضربتها فقالت له يارجل انى أقول لك كلمة واحدة أنا مابقيت أقدر أنظر هذه
الجارية فخذها وبعها والا طلقنى فقال أبيعها ولا أخالف لك أمرا ثم انه اخذها
معه وهو خارج الى الدكان ومر بها على قمر الزمان وكانت زوجته بعد خروجه
بالجارية مرقت من السرداب بسرعة الى قمر الزمان فادخلها فى التختروان قبل
أن يصل اليه الشيخ الجوهرى فلما وصل اليه ورأى قمر الزمان الجارية معه قال له
ماهذه قال جاريتى التى كانت تسقينا الشراب ولكنها خالفت سيدتها فغضبت عليها
وأمرتنى أن أبيعها فقال انها حيث أبغضتها سيدتها مابقى لها قعود عندها ولكن

بعها الى

بها الى حتى أشم رائحتك فيها واجعلها خادمة لجاريتى حليمة فقال لا باس خذها فقال له بكم فقال أنا لا آخذ منك شيأ لانك تفضلت علينا فقبلها منه وقال للصبية قبلى يد سيدك فبرزت له من التختروان وقبلت يده ثم ركبت فى التختروان وهو ينظر اليها ثم قال له قمر الزمان استودعتك الله يا معلم عبيد ابرئ ذمتى فقال له أبرأ الله ذمتك وحملك بالسلامة الى عيالك وودعه وتوجه الى دكانه وهو يبكى وقد عز عليه فراق قمر الزمان لكونه كان رفيقا له والرفيق له حق ولكنه فرح بزوال الوهم الذى حصل له من أمر زوجته حيث سافر ولم يتحقق ما ظنه فى زوجته هذا ما كان من أمره واما ما كان من أمر قمر الزمان فان الصبية قالت له ان أردت السلامة فسافر بنا على غير طريق معهودة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما سافر قالت له الصبية ان أردت السلامة فسافر بنا على غير طريق معهودة فقال سمعا وطاعة ثم سلك طريقا غير الطريق التى تعهد الناس المشى فيها ولم يزل مسافرا من بلاد الى بلاد حتى وصل الى حدود قطر مصر ثم كتب كتابا وأرسله الى والده مع ساع وكان والده التاجر عبد الرحمن قاعدا فى السوق بين التجار وفى قلبه من فراق ولده لهيب النار لانه من يوم توجه ما أتاه من عنده خبر فبينما هو كذلك واذا بالساعى مقبل وقال يا سادتى من فيكم اسمه التاجر عبد الرحمن فقالوا له ماتريد منه قال لهم ان معى كتابا من عند ولده قمر الزمان وقد فارقته عند العريش ففرح وانشرح وفرح له التجار وهنؤه بالسلامة ثم أخذ الكتاب وقرأه فرآه من عند قمر الزمان الى التاجر عبد الرحمن وبعد السلام عليك وعلى جميع التجار فان سألتم عنا فلله الحمد والمنة فقد بعنا واشترينا وكسبنا ثم قدمنا بالصحة والسلامة والعافية فعند ذلك فتح باب الفرح وعمل الولائم وأكثر الضيافات والعزائم وأحضر آلات الطرب واتى فى الفرح بانواع العجب فلما وصل ولده الصالحية خرج الى مقابلته ابوه وجميع التجار فقابلوه واعتنقه والده وضمه الى صدره وبكى حتى أغمى عليه ولما أفاق قال له يوم مبارك يا ولدى حيث جمعنا بك المهيمن القادر ثم أنشد قول الشاعر

وقرب الحبيب تمام السرور * وكأس الهناء علينا يدور
فأهلا وسهلا بلى مرحبا * بنور الزمان وبدر البدور

ثم أفاض من شدة الفرح دمع العين وأنشد هذين البيتين

قمر الزمان يلوح فى أسفاره * اشراقه اذ جاء من أسفاره
فشعوره فى اللون ليل غيابه * لكن شروق الشمس من أزراره

ثم ان التجار تقدموا اليه وسلموا عليه فرأوا معه أجمالا كثيرة وخدما وتختروانا
وهو فى دائرة واسعة فأخذوه ودخلوا به البيت فلما خرجت الصبية من التختروان
رآها أبوه فتنة لمن يراها ففتحوا لها قصرا عاليا كأنه كنز فحلت عنه الطلاسم ولما
رأتها أمه افتتنت بها وظنت انها ملكة من زوجات الملوك وفرحت بها وسألتها
فقالت لها أنا زوجة ولدك قالت حيث تزوج بك ينبغى لنا أن نقيم لك فرحا عظيما حتى
نفرح بك وبولدى هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فانه
بعد انفضاض الناس ورواح كل واحد الى حال سبيله اجتمع بولده وقال له ياولدى
ما تكون هذه الجارية عندك وبكم اشتريتها فقال له ياوالدى ليست جارية وانما هى
التى كانت سبب غربتى قال والده وكيف ذلك قال انها التى كانت يصفها لنا الدرويش
ليلة ما بات عندنا فان آمالى تعلقت بها من ذلك الوقت ولا طلبت السفر الا من أجلها
حتى تعريت فى الطريق وأخذت العرب أموالى وما دخلت البصرة الا وحدى
وحصل لى كذا وكذا وصار يحكى لوالده من المبتدا الى المنتهى فلما فرغ من حديثه
قال له ياولدى وبعد ذلك كله هل تزوجتها قال لا ولكن وعدتها أن أتزوج بها قال له
هل مرادك الزواج بها قال ان كنت تأمرنى أفعل ذلك والا فلا أتزوجها قال له
ان تزوجت بها أكون بريأ منك فى الدنيا والآخرة واغضب عليك غضبا شديدا
كيف تتزوج بها وهى عملت هذه الفعال مع زوجها وكما عملتها مع زوجها على شأنك
تعمل معك مثلها على شأن غيرك فانها خائنة والخائن ليس له أمان فان كنت
تخالفنى أكون غضبان عليك وان سمعت كلامى أفتش لك على بنت أحسن منها
تكون طاهرة زاكية فازوجك بها ولو كنت أنفق عليها جميع مالى واعمل لك فرحا
ليس له نظير وافتخر بك وبها واذا قال الناس فلان تزوج بنت فلان أحسن من أن
يقولوا تزوج جارية معدومة النسب والحسب وصار يرغب ولده فى عدم زواجها
ويذكر له فى شأن ذلك عبارات ونكتا واشعارا وامثالا ومواعظ فقال قمر الزمان
ياوالدى حيث كان الامر كذلك فلا علاقة لى بزواجها فلما قال قمر الزمان ذلك الكلام
قبله أبوه بين عينيه وقال له أنت ولدى حقا وحياتك ياولدى لابد لى من ان أزوجك بنتا
ليس لها نظير ثم ان التاجر عبد الرحمن حط زوجة عبيد الجوهرى وجاريتها فى قصر
عال وقفل عليهما وقيد بهما جارية سوداء توصل لهما أكلهما وشربهما وقال لها أنت
وجاريتك تستمران محبوستين فى هذا القصر حتى أنظر لكما من يشتريكما وابيعكما له

وان

وان خالفت قتلتك انت وجاريتك فانك خائنة ولا خير فيك فقالت له افعل مرادك فانى استحق جميع ماتفعله معى ثم قفل عليهما الباب ووصى عليهما حريمه وقال لا يطلع عندهما أحد ولا يكلمهما غير الجارية السوداء التى تعطيهما أكلهما وشربهما من طاقة القصر فقعدت هى وجاريتها تبكى وتتندم على مافعلت بزوجها هذا ما كان من أمرها واما ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فانه أرسل الخطاب يخطبون بنتا ذات حسب ونسب لولده فلا زلن يفتشن وكلما رأين واحدة يسمعن باحسن منها حتى دخلن بيت شيخ الاسلام فرأين بنته لم يكن لها نظير فى مصر وهى ذات حسن وجمال وقد واعتدال لانها أحسن من زوجة عبيد الجوهرى بالف طبقة فاخبرنه بها فذهب هو والاكابر الى والدها وخطبوها منه وكتبوا الكتاب وعملوا لها فرحا عظيما ثم عمل الولائم وعزم فى اول يوم الفقهاء فعملوا مولدا شريفا وثانى يوم عزم التجار عماما ثم دقت الطبول وزمرت الزمور وزين الحارة والخط بالقناديل وفى كل ليلة تأتى سائر ارباب الملاعب ويلعبون انواع اللعب وكل يوم يعمل ضيافة لصنف من أصناف الناس حتى عزم العلماء والامراء والصناجق والحكام ولم يزل الفرح قائما مدة أربعين يوما وكل يوم يقعد التاجر ويستقبل الناس وولده يقعد بجانبه ليتفرج على الناس وهم يأكلون من السماط وكان فرحا ليس له نظير وفى آخر يوم عزم الفقراء والمساكين غريبا وقريبا فصاروا يأتون زمرا ويأكلون والتاجر جالس وابنه بجنبه فبينما هم كذلك واذا بالشيخ عبيد زوج الصبية داخل فى جملة الفقراء وهو عريان تعبان وعلى وجهه أثر السفر فلما رآه قمر الزمان عرفه فقال لابيه انظر يا أبى الى هذا الرجل الفقير الذى دخل من الباب فنظر اليه فرآه رث الثياب وعليه خلق جلباب يساوى درهمين وفى وجهه اصفرار يعلوه غبار وهو مثل مقاطيع الحجاج ويئن أنين المريض المحتاج ويمشى يتهافت ويميل فى مشيه ذات اليمين وذات الشمال وتحقق فيه قول من قال

الفقر يزرى بالفتى دائما * كما اصفرار الشمس عند المغيب
يمر بين الناس مستخفيا * وان خلا يبكى بدمع صبيب
وان يغب فليس يعنى به * وماله عند حضور نصيب
والله ما الانسان فى أهله * اذا ابتلى بالفقر الا غريب

وقول الآخر

يمشى الفقير وكل شئ ضده * والارض تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقوتا وليس بمذنب * ويرى العداوة لايرى أسبابها

حتى الكلاب اذا رأت ذا نعمة * أومت اليه وحركت اذنابها
واذا ترى يوما فقيرا بائسا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

وما أحسن قول الشاعر

اذا صحب الفتى عزا وسعدا * تحامته المكاره والخطوب
وواصله الحبيب بغير وعد * طفيليا وقاد له الرقيب
وعد الناس ضرطته غناء * وقالوا ان فسا قد فاح طيب

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان التاجر عبد الرحمن لما قال له ولده انظر الى هذا الرجل الفقير قال ياولدي من هذا قال له هذا المعلم عبيد الجوهري زوج المرأة المحبوسة عندنا فقال له اهذا الذي كنت تحدثني عنه قال نعم وقد عرفته معرفة جيدة وكان السبب في مجيئه انه لما ودع قمر الزمان توجه الى دكانه فجاءته دقة شغل فأخذها واشتغلها في بقية النهار وعند المساء قفل الدكان وذهب الى البيت ووضع يده على الباب فانفتح فدخل فلم ير زوجته ولا الجارية ورأى البيت في أسوا الاحوال منطبق عليه قول من قال

كانت خليات نحل وهي عامرة * لما خلى نحلها عادت خليات
كأنها اليوم بالسكان ما عمرت * أو غال سكانها فصل المنيات

فلما رأى الدار خالية التفت يمينا وشمالا ثم دار فيها مثل المجنون فلم يجد أحدا وفتح باب خزينته فلم يجد فيها شيأ من ماله ولا من ذخائره فعند ذلك أفاق من سكرته وتنبه من غشيته وعرف ان زوجته هي التي كانت تتقلب عليه بالحيل حتى غدرته فبكى على ما حصل له ولكنه كتم أمره حتى لا يشمت به أحد من أعدائه ولا يتكدر أحد من أحبابه وعلم انه اذا باح بالسر لا يناله الا الهتيكة والتعنيف من الناس وقال في نفسه يافلان اكتم ما حصل لك من الخبال والوبال وعليك بالعمل بقول من قال

اذا كان صدر المرء بالسر ضيقا * فصدر الذي يستودع السر اضيق

ثم انه قفل بيته وقصد الدكان ووكل بها صانعا من صناعه وقال له ان الغلام التاجر صاحبي عزم على ان أروح معه الى مصر بقصد الفرجة وحلف انه ما يرحل حتى يأخذني معه بحريمي وأنت ياولدي وكيلي في الدكان وان سألكم عني الملك

فقولوا له

فقولوا له انه توجه بحريمه الى بيت الله الحرام ثم باع بعض مصالحه واشترى له جمالا
وبغالا ومماليك واشترى له جارية وحطها فى تختروان وخرج من البصرة بعد عشرة
أيام فودعه أحبابه وسافر والناس لا يظنون الا انه اخذ زوجته وتوجه الى الحج
وفرحت الناس وقد انقذهم الله من حبسهم فى المساجد والبيوت فى كل يوم
جمعة وصار بعض الناس يقول لاردّه الله الى البصرة مرة أخرى حتى لا نحبس فى
المساجد والبيوت فى كل يوم جمعة لان هذه الخصلة اورثت اهل البصرة حسرة
عظيمة وبعضهم يقول اظنه لا يرجع من سفره بسبب دعاء اهل البصرة عليه وبعضهم
يقول ان رجع لا يرجع الا منكس الحال وفرح أهل البصرة بسفره فرحا عظيما بعد
ان كانوا فى حسرة عظيمة حتى ارتاحت قططهم وكلابهم فلما أتى يوم الجمعة نادى
المنادى فى البلد على العادة بانهم يدخلون المساجد قبل صلاة الجمعة بساعتين
او يستخفون فى البيوت وكذلك القطط والكلاب فضاقت صدورهم فاجتمعوا جميعا
وتوجهوا الى الديوان ووقفوا بين يدى الملك وقالوا له يا ملك الزمان ان الجوهرى
أخذ حريمه وسافر الى حج بيت الله الحرام وزال السبب الذى كنا نحبس من أجله
فبأى سبب نحبس الآن فقال الملك كيف سافر هذا الخائن ولم يعلمنى لكن اذا جاء من
سفره لا يكون الا خيرا روحوا الى دكاكينكم وبيعوا واشتروا فقد ارتفعت عنكم
هذه الحالة هذا ما كان من أمر الملك وأهل البصرة وأما ما كان من أمر المعلم عبيد
الجوهرى فانه سافر عشرة مراحل فحل به ما حل بقمر الزمان قبل دخوله البصرة
وطلعت عليه عرب بغداد فعروه واخذوا ما كان معه وجعل روحه ميتا حتى خلص
وبعد ذهاب العرب قام ومشى وهو عريان الى ان دخل بلدا فحنن الله عليه أهل الخير
فستروا عورته بقطع من الثياب الخلقة وصار يسأل ويتقوت من بلد الى بلد حتى
وصل الى مصر المحروسة فاحرقه الجوع فدار يسأل فى الاسواق فقال له رجل من
أهل مصر يا فقير عليك ببيت الفرح كل واشرب فان هناك فى هذا اليوم سماط
الفقراء والغرباء فقال لا أعرف طريق بيت الفرح فقال له اتبعنى وأنا أريه لك فتبعه
الى ان وصل الى البيت قال له هذا هو بيت الفرح فادخل ولا تخف فما على باب
الفرح من حجاب فلما دخل رآه قمر الزمان فعرفه وأخبر به أباه ثم ان التاجر عبد الرحمن
قال لولده يا ولدى اتركه فى هذه الساعة ربما يكون جائعا فدعه يأكل حتى يشبع
ويسكن روعه وبعد ذلك نطلبه فصبرا عليه حتى أكل واكتفى وغسل يديه وشرب
القهوة والشربات السكر الممزوجة بالمسك والعنبر واراد أن يخرج فارسل خلفه
والد قمر الزمان فقال له الرسول تعال يا غريب كلم التاجر عبد الرحمن فقال ما يكون

هذا التاجر فقال له صاحب الفرح فرجع وظن انه يعطيه احسانا فلما أقبل على
التاجر رأى صاحبه قمر الزمان فغاب عن الوجود من الحياء منه وقام له قمر الزمان
على الاقدام وأخذه بالاحضان وسلم عليه وتباكيا بكاء شديدا ثم انه اجلسه بجانبه
فقال له أبوه يا عديم الذوق ماهذا شأن ملاقاة الاصحاب أرسله اولا الى الحمام
وأرسل اليه بدلة تليق به وبعد ذلك اقعد معه وتحدث أنت واياه فصاح على بعض
الخدام وأمرهم ان يدخلوه الحمام وارسل اليه بدلة من خاص الملبوس تساوى
ألف دينار أو اكثر من ذلك المبلغ وغسلوا جسده والبسوه البدلة فصار كأنه شاه
بندر التجار وكان الحاضرون سألوا قمر الزمان عنه حين غيابه فى الحمام وقالوا من هذا
ومن اين تعرفه فقال هذا صاحبى وقد انزلنى فى بيته وله على احسان لا يحصى
فانه اكرمنى اكراما زائدا وهو من أهل السعادة والسيادة وصنعته جوهرى ليس
له نظير وملك البصرة يحبه حبا كثيرا وله عنده مقام عظيم وكلام نافذ وصار
يبالغ لهم فى مدحه ويقول انه فعل معى كذا وكذا وانا صرت فى حياء منه ولا أدرى
ما أجازيه به فى مقابلة ما صنعه معى من الاكرام ولم يزل يثنى عليه حتى عظم قدره
عند الحاضرين وصار مهابا فى اعينهم فقالوا ونحن كلنا نقوم بواجبه واكرامه من
شأنك ولكن مرادنا ان نعرف ما سبب مجيئه الى مصر وما سبب خروجه من
بلاده وما فعل الله به حتى صار فى هذه الحالة فقال لهم يا ناس لا تتعجبوا ان ابن آدم
تحت القضاء والقدر ومادام فى هذه الدنيا لا يسلم من الآفات وقد صدق من قال
هذه الابيات

الدهر يفترس الرجال فلا تكن * ممن تطيشه المناصب والرتب
واحذر من الزلات واجتنب الاسى * واعلم بان الدهر شيمته العطب
كم نعمة زالت بأصغر نقمة * ولكل شئ فى تقلبه سبب

اعلموا انى أنا دخلت البصرة فى اسوأ من هذه الحال واشد من هذا النكال لان هذا
الرجل دخل مصر مستور العورة بالخلقان وأما أنا فانى دخلت بلاده مكشوف
العورة يد من خلف ويد من قدام ولا نفعنى الا الله وهذا الرجل العزيز والسبب
فى ذلك ان العرب عرونى وأخذوا جمالى وبغالى واحمالى وقتلوا غلمانى ورجالى
ورقدت بين القتلى فظنوا انى ميت فذهبوا وفاتونى وبعد ذلك قمت ومشيت عريانا
الى ان دخلت البصرة فقابلنى هذا الرجل وكسانى وانزلنى فى بيته وقوانى بالمال
وجميع ما أتيت به معى ليس الا من خير الله وخيره فعند ما سافرت أعطانى شيأ كثيرا
ورجعت الى بلدى مجبور الخاطر وفارقته وهو فى سيادة وسعادة فلعله حدث له بعد
ذلك

ذلك نكبة من نكبات الزمان اوجبت له فراق الاهل والاوطان وجرى له فى الطريق مثل ما جرى لى ولا عجب فى ذلك ولكن ينبغى لى الآن ان أجازيه على ما صنع معى من كريم الفعال واعمل بقول من قال

يا محسنا بالزمان ظنا * هل تدر ما يفعل الزمان
ما شئت فاصنع جميع فعل * كما يدين الفتى يدان

فبينما هم فى هذا الكلام وامثاله واذا بالمعلم عبيد مقبل عليهم كانه شاه بندر التجار فقام اليه الجميع وسلموا عليه واجلسوه فى الصدر وقال له قمر الزمان يا صاحبى نهارك مبارك سعيد لا تحلّ لى على شئ جرى على قبلك فان كان العرب هرولة وأخذوا منك مالا فان المال فداء الابدان فلا تغم نفسك فانى دخلت بلادك عريانا وقد كسوتنى وأكرمتنى ولك على الاحسان الكثير فانا أجاريك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان قمر الزمان لما قال للمعلم عبيد الجوهرى انى دخلت بلادك عريانا وقد كسوتنى ولك على الاحسان الكثير فانا أجازيك وافعل معك كما فعلت معى بل أكثر من ذلك فطب نفسا وقر عينا وصار يأخذ بخاطره ويمنعه من الكلام لئلا يذكر زوجته وما فعلت معه ولم يزل يعظه بمواعظ وامثال واشعار ونكت وحكايات وأخبار ويسليه حتى لحظ الجوهرى ما أشار اليه قمر الزمان من الكتمان فكتم ما عنده وتسلى بما سمعه من الاخبار والنوادر وانشد قول الشاعر

فى جبهة الدهر سطر لو نظرت له * ابكاك مضمونه من مقلتيك دما
ما سلم الدهر باليمنى على أحد * الا وبسراه تسقيه الردى كظما

ثم ان قمر الزمان ووالده التاجر عبد الرحمن أخذا الجوهرى ودخلا به فى قاعة الحريم واختليا به فقال له التاجر عبد الرحمن نحن ما منعناك من الكلام الا خوفا من الفضيحة فى حقك وحقنا ولكن نحن الآن فى خلوة فأخبرنى بما جرى بينك وبين زوجتك وولدى فأخبره بالقضية من المبتدا الى المنتهى فلما فرغ من قصته قال له هل الذنب من زوجتك أو من ولدى قال له والله ان ولدك ما عنده ذنب لان الرجال لها الطمع فى النساء والنساء عليهن ان يمتنعن من الرجال فالعيب عند زوجتى التى خانتنى وفعلت معى هذه الفعال فقام التاجر واختلى بولده وقال له يا ولدى اننا اختبرنا زوجته وعرفنا انها خائنة ومرادى الآن ان اختبره واعرف هل هو صاحب

عرض ومروءة او هو ديوث فقال له وكيف ذلك فقال مرادى ان أحمله على الصلح
مع زوجته فان رضى بالصلح وسامحها فانى أضربه بسيف فأقتله وبعد ذلك اقتلها هى
وجاريتها لانه لا خير فى حياة الديوث والزانية وان نفر منها فانى أزوجه اختك
واعطيه أكثر من ماله الذى أخذته منه ثم انه رجع اليه وقال له يا معلم ان معاشرة
النساء تحتاج الى طول البال ومن كان يهواهن فانه يحتاج الى سعة الصدر لانهن
يعربدن فى الرجال ويؤذينهم لعزتهن عليهم بالحسن والجمال فيستعظمن انفسهن
ويستحقرن الرجال ولا سيما اذا بانت لهن المحبة من بعولتهن فيقابلنهم بالتيه والدلال
وكريه الفعال من جميع الجهات فان كان الرجل يغضب كلما رأى من زوجته ما يكره
فلا يحصل بينه وبينها عشرة ولا يوافقهن الا من كان واسع البال كثير الاحتمال
وان لم يحتمل الرجل زوجته ويقابل اساءتها بالسماح فانه لا يحصل له فى عشرتها
نجاح وقد قيل فى حقهن لو كن فى السماء لمالت اليهن اعناق الرجال ومن قدر
وعفا كان أجره على الله وهذه المرأة زوجتك ورفيقتك وطالت عشرتها معك فينبغى
أن يكون عندك لها السماح وهذا فى العشرة من علامات النجاح والنساء ناقصات
عقل ودين وهى ان اساءت فانها قد تابت وان شاء الله لا ترجع الى فعل ما كانت تفعله
اولا فالرأى عندى انك تصطلح أنت واياها وأنا أرد لك أكثر من مالك وان اقمت
عندى فمرحبا بك وبها وليس لكما الا ما يسركما وان كنت تطلب التوجه الى بلادك
فانا أعطيك ما يرضيك وها هو التختروان حاضر فركب زوجتك وجاريتها فيه وسافر
الى بلادك والذى يجرى بين الرجل وزوجته كثير فعليك بالتيسير ولا تسلك سبيل
التعسير فقال الجوهرى يا سيدى وأين زوجتى فقال له ها هى فى هذا القصر فاطلع
اليها واستوص بها من شأنى ولا تشوش عليها فان ولدى لما جاء بها وطلب زواجها
منعته عنها وحطيتها فى هذا القصر وقفلت عليها الباب وقلت فى نفسى ربما يجىء
زوجها فاسلمها اليه لانها جميلة الصورة والتى مثل هذه لا يمكن زوجها ان يفوتها
والذى حسبته حصل والحمد لله تعالى على اجتماعك بزوجتك وأما من جهة ابنى
فانى خطبت له وزوجته غيرها وهذه الولائم والضيافات من أجل فرحه وفى هذه
الليلة أدخلته على زوجته وها هو مفتاح القصر الذى فيه زوجتك فخذه وافتح الباب
وادخل على زوجتك وجاريتك وانبسط معها ويأتيكم الاكل والشرب ولا تنزل
من عندها حتى تشبع منها فقال له جزاك الله عنى كل خير يا سيدى ثم أخذ المفتاح
وطلع فرحا فظن التاجر ان هذا الكلام أعجبه وانه رضى به فأخذ السيف وتبعه
من خلفه بحيث لم يره ثم وقف ينظر ما يحصل بينه وبين زوجته هذا ما كان من أمر
التاجر

التاجر عبد الرحمن وأما ما كان من أمر الجوهرى فانه دخل على زوجته فرآها
تبكى بكا شديدا بسبب ان قمر الزمان تزوج بغيرها ورأى الجارية تقول لها كم نصحتك
ياسيدتى وقلت لك ان هذا الغلام لا ينالك منه خير فاتركى عشرته فما سمعت
كلامى حتى نهبت جميع مال زوجك وأعطيته له وبعد ذلك فارقت مكانك
وتعلقت فى هواه وجئت معه فى هذه البلاد وبعد ذلك رماك من باله وتزوج
بغيرك ثم جعل آخر تعلقك به الحبس فقالت لها اسكتى يا ملعونة فانه وان تزوج
بغيرى لابد أن أخطر يوما على باله فانا لا اسلو مسامرته وأنا على كل حال أتسلى
بقول من قال

يا سادتى هل يخطرنى ببالكم * من ليس يخطر غيركم فى باله
حاشا كم أن تغفلوا عن حال من * هو غافل فى حبكم عن حاله

فلابد انه يتذكر عشرتى وصحبتى ويسأل عنى وانا لا أرجع عن محبته ولا أحول
عن هواه ولو مت فى السجن فانه حبيبى وطبيبى وعشمى فيه أنه يرجع الى ويعمل
معى انبساطا فلما سمعها زوجها تقول هذا الكلام دخل عليها وقال لها يا خائنة
ان عشمك فيه مثل عشم ابليس فى الجنة كل هذه العيوب فيك وانا ما عندى خبر
ولو علمت أن فيك عيبا من هذه العيوب ما كنت قنيتك عندى ساعة واحدة ولكن
حيث تيقنت فيك ذلك ينبغى أن أقتلك ولو قتلونى فيك يا خائنة ثم قبض عليها بيديه
الاثنتين وانشد هذين البيتين

يا ملاحا أذهبتم صدق ودى * بالتجنى ولم تراعوا حقوقا
كم بكم صبوة علقت ولكن * بعد هذا الاسى كرهت العلوقا

ثم اتكأ على زمارة حلقها وكسرها فصاحت الجارية واسيدتاه فقال لها يا عاهرة
العيب كله منك حيث كنت تعرفين أن فيها هذه الخصلة ولم تخبرينى ثم قبض
على الجارية وخنقها كل ذلك حصل والتاجر ممسك السيف بيده وهو واقف خلف
الباب يسمع باذنه ويرى بعينه ثم ان عبيدا الجوهرى لما خنقهما فى قصر التاجر
كثرت عليه الاوهام وخاف عاقبة الامر وقال فى نفسه ان التاجر اذا علم أنى قتلتهما
فى قصره لابد انه يقتلنى ولكن اسأل الله أن يجعل قبض روحى على الايمان وصار
متحيرا فى أمره ولم يدر ماذا يفعل وبينما هو كذلك واذا بالتاجر عبد الرحمن دخل عليه
وقال له لا بأس عليك انك تستاهل السلامة وانظر هذا السيف الذى فى يدى فانى
كنت مضمرا على أن أقتلك ان صالحتها ورضيت عليها وأقتل الجارية وحيث فعلت
هذه الفعال فمرحبا بك ثم مرحبا ولا جزاؤك الا أن أزوجك ابنتى أخت قمر الزمان

ثم انه أخذه ونزل به وأمر باحضار الغاسلة وشاع الخبر أن قمر الزمان ابن التاجر عبد الرحمن جاء بجاريتين معه من البصرة فماتا فصار الناس يعزونه ويقولون له تعيش رأسك وعوض الله عليك ثم غسلوهما وكفنوهما ودفنوهما ولم يعرف أحد حقيقة الامر هذا ما كان من أمر عبيد الجوهري وزوجته وجاريته وأما ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فانه أحضر شيخ الاسلام وجميع الاكابر وقال ياشيخ الاسلام اكتب كتاب بنتي كوكب الصباح على المعلم عبيد الجوهري ومهرها قد وصلني بالتمام والكمال فكتب الكتاب وسقاهم الشربات وجعلوا الفرح واحدا وزفوا بنت شيخ الاسلام زوجة قمر الزمان واخته كوكب الصباح زوجة المعلم عبيد الجوهري في تختروان واحد في ليلة واحدة وفي المساء زفوا قمر الزمان والمعلم عبيدا سواء وأدخلوا قمر الزمان على بنت شيخ الاسلام وأدخلوا المعلم عبيدا على بنت التاجر عبد الرحمن فلما دخل عليها رآها أحسن من زوجته وأجمل منها بألف طبقة ثم انه أزال بكارتها ولما أصبح دخل الحمام مع قمر الزمان ثم أقام عندهم مدة في فرح وسرور وبعد ذلك اشتاق الى بلاده فدخل على التاجر عبد الرحمن وقال ياعم انى اشتقت الى بلادي ولي فيها أملاك وأرزاق وكنت أقمت فيها صانعا من صناعي وكيلا عني وفي خاطري أن اسافر الى بلادي لابيع أملاكي وأرجع اليك فهل تأذن لي في التوجه الى بلادي من أجل ذلك فقال له ياولدي قد اذنت لك ولا لوم عليك في هذا الكلام فان حب الوطن من الايمان والذي ماله خير في بلاده ماله خير في بلاد الناس وربما انك اذا سافرت بغير زوجتك ودخلت بلادك يطيب لك فيها القعود وتصير متحيرا بين رجوعك الى زوجتك وقعودك في بلادك فالرأي الصواب أن تأخذ زوجتك معك وبعد ذلك ان شئت الرجوع الينا فارجع أنت وزوجتك ومرحبا بك وبها لاننا ناس لانعرف طلاقا ولا تتزوج منا امرأة مرتين ولا نهجر انسانا بطرا فقال ياعم أخاف ان ابنتك لاترضى بالسفر معي الى بلادي فقال له ياولدي نحن ما عندنا نساء تخالف بعولتهن ولا تعرف امرأة تغضب على بعلها فقال له بارك الله فيكم وفي نسائكم ثم انه دخل على زوجته وقال لها انا مرادي السفر الى بلادي فما تقولين قالت ان أبي لازال يحكم علي مادمت بكرا وحيث تزوجت فقد صار الحكم كله في يد بعلي وانا لا أخالفه فقال لها بارك الله فيك وفي أبيك ورحم الله بطنا حملتك وظهرا ألقاك ثم بعد ذلك قطع علائقه وأخذ في اسباب السفر فأعطاه عمه شيأ كثيرا وودعا بعضهما ثم أخذ زوجته وسافر ولم يزل مسافرا حتى دخل البصرة فخرجت لملاقاته الاقارب والاصحاب وهم يظنون انه كان في الحجاز وصار بعض الناس فرحانا بقدومه وبعضهم مغموما

مغموما رجوعه الى البصرة وقال الناس لبعضهم انه يضيق علينا فى كل جمعة بحسب العادة ويحبسنا فى الجوامع والبيوت حتى يحبس قططنا وكلابنا هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر ملك البصرة فانه لما علم بقدومه غضب عليه وأرسل اليه وأحضره بين يديه وعنفه وقال له كيف تسافر ولم تعلمنى بسفرك فهل كنت عاجزا عن شئ أعطيه لك لتستعين به على الحج الى بيت الله الحرام فقال له العفو يا سيدى والله ما حججت ولكن جرى لى كذا وكذا وأخبره بما جرى له مع زوجته ومع التاجر عبد الرحمن المصرى وكيف زوجه ابنته الى أن قال له وقد جئت بها الى البصرة فقال له والله لولا انى أخاف من الله تعالى لقتلتك وتزوجت بهذه البنت الاصيلة من بعدك ولو كنت انفق عليها خزائن الاموال لانها لا تصلح الا للملوك ولكن جعلها الله من نصيبك وبارك لك فيها فاستوص بها خيرا ثم انه أنعم على الجوهرى ونزل من عنده وقعد معها خمس سنوات وبعد ذلك توفى الى رحمة الله تعالى فخطبها الملك فما رضيت وقالت أيها الملك انا ما وجدت فى طائفتى امرأة تزوجت بعد بعلها فانا لا أتزوج أحدا بعد بعلى فلا أتزوجك ولو كنت تقتلنى فأرسل يقول لها هل تطلبين التوجه الى بلادك فقالت اذا فعلت خيرا تجازى به فجمع لها جميع أموال الجوهرى وزادها من عنده على قدر مقامه ثم أرسل معها وزيرا من وزرائه مشهورا بالخير والصلاح وأرسل معه خمسمائة فارس فسار بها ذلك الوزير حتى اوصلها الى أبيها واقامت من غير زواج حتى ماتت ومات الجميع واذا كانت هذه المرأة ما رضيت أن تبدل زوجها بعد موته بسلطان كيف تستوى بمن تبدله فى حال حياته بغلام مجهول الأصل والنسب وخصوصا اذا كان ذلك فى السفاح وعلى غير طريق سنة النكاح ومن ظن ان النساء كلهن سواء فان داء جنونه ليس له دواء فسبحان من له الملك والملكوت وهو الحى الذى لا يموت

حكاية عبد الله بن فاضل عامل البصرة مع اخويه

ومما يحكى أيضا أيها الملك السعيد أن الخليفة هرون الرشيد تفقد خراج البلاد يوما من الايام فرأى خراج جميع البلاد والاقطار جاء الى بيت المال الا خراج البصرة فانه لم يأت فى ذلك العام فنصب ديوانا لهذا السبب وقال على بالوزير جعفر فحضر بين يديه فقال له ان خراج جميع الاقطار جاء الى بيت المال الا خراج البصرة فانه لم يأت منه شئ فقال يا أمير المؤمنين لعل نائب البصرة حصل له أمر الهاه عن ارسال الخراج فقال له ان مدة حضور الخراج عشرون يوما فما عذره فى هذه المدة حتى

لم يرسل الخراج او يرسل باقامة العذر فقال له يا أمير المؤمنين ان شئت ارسلنا اليه
رسولا فقال ارسل له أبا اسحق الموصلى النديم فقال سمعا وطاعة لله ولك يا أمير
المؤمنين ثم ان الوزير جعفرا نزل الى داره واحضر ابا اسحق الموصلى النديم وكتب له
خطا شريفا وقال له امض الى عبد الله بن فاضل نائب مدينة البصرة وانظر ما الذى
الهاه عن ارسال الخراج ثم تسلم منه خراج البصرة بالتمام والكمال وأتني به سريعا
فان الخليفة تفقد خراج الاقطار فوجده قد وصل الا خراج البصرة وان رأيت
الخراج غير حاضر واعتذر اليك بعذر فهاته معك ليخبر الخليفة بالعذر من لسانه
فأجاب بالسمع والطاعة وأخذ خمسة آلاف فارس من عسكر الوزير وسافر حتى
وصل الى مدينة البصرة فعلم بقدومه عبد الله بن فاضل فخرج بعسكره اليه ولاقاه
ودخل به البصرة وطلع به قصره وبقية العسكر نزلوا فى الخيام خارج البصرة وقد عين
لهم ابن فاضل جميع ما يحتاجون اليه ولما دخل أبو اسحق الديوان وجلس على
الكرسى اجلس عبد الله بن فاضل بجانبه وجلس الاكابر حوله على قدر مراتبهم
ثم بعد السلام قال له ابن فاضل يا سيدى هل لقدومك علينا من سبب قال نعم انما
جئت لطلب الخراج فان الخليفة سأل عنه ومدة وروده قد مضت فقال يا سيدي
ياليتك ما تعبت ولا تحملت مشقة السفر فان الخراج حاضر بالتمام والكمال وقد كنت
عازما على ان أرسله فى غد ولكن حيث أتيت فانا اسلمه اليك بعد ضيافتك
ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع احضر الخراج بين يديك ولكن وجب علينا الآن انما
نقدم اليك هدية من بعض خيرك وخير أمير المؤمنين فقال له لا بأس بذلك ثم انه فض
الديوان ودخل به قصرا فى داره ليس له نظير ثم قدم له ولاصحابه سفرة الطعام
فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ثم رفعت المائدة وغسلت الايادى وجاءت القهوة
والشربات وقعدوا فى المنادمة الى ثلث الليل ثم فرشوا له سريرا من العاج مرصعا
بالذهب الوهاج فنام عليه ونام نائب البصرة على سرير آخر بجانبه فغلب السهر
على أبى اسحق رسول أمير المؤمنين وصار يفكر فى بحور الشعر والنظام لانه من
خواص ندماء الخليفة وكان له باع عظيم فى الاشعار ولطائف الاخبار ولم يزل سهرانا
فى انشاء الشعر الى نصف الليل فبينما هو كذلك واذا بعبد الله بن فاضل قام وشد
حزامه وفتح دولابا وأخذ منه سوطا وأخذ شمعة مضيئة وخرج من باب القصر
وهو يظن ان أبا اسحق نائم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد التسعمائة

قالت

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله بن فاضل لما خرج من باب القصر وهو يظن ان أبا اسحق النديم نائم فلما خرج تعجب أبو اسحق وقال في نفسه الى أين يذهب عبد الله بن فاضل بهذا السوط فلعل مراده أن يعذب أحدا ولكن لا بد لي من أن أتبعه وأنظر مايصنع في هذه الليلة ثم ان أبا اسحق قام وخرج وراءه قليلا قليلا بحيث انه لم يره فرأى عبد الله فتح خزانة وأخرج منها مائدة فيها أربعة أصحن من الطعام وخبزا وقلة فيها ماء ثم انه حمل المائدة والقلة ومشى فتبعه أبو اسحق مستخفيا الى ان دخل قاعة فوقف أبو اسحق خلف باب القاعة من داخل وصار ينظر من خلال ذلك الباب فرأى هذه القاعة واسعة ومفروشة فرشا فاخرا وفي وسط تلك القاعة سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج وذلك السرير مربوط فيه كلبان في سلسلتين من الذهب ثم انه رأى عبد الله حط المائدة على جانب في مكان وشمر عن أياديه وفك الكلب الاول فصار يتلوى في يده ويضع وجهه في الارض كأنه يقبل الارض بين يديه ويعوى عواء خفيفا بصوت ضعيف ثم انه كتفه ورماه على الارض وسحب السوط ونزل به عليه وضربه ضربا وجيعا من غير شفقة وهو يتلوى بين يديه ولا يجد له خلاصا ولم يزل يضربه بذلك السوط حتى قطع الانين وغاب عن الوجود ثم انه أخذه وربطه في مكانه وبعد ذلك أخذ الكلب الثاني وفعل به كما فعل بالاول ثم انه أخرج محرمة وصار يمسح لهما دموعهما ويأخذ بخاطرهما ويقول لاتؤاخذاني والله ماهذا بخاطري ولم يسهل علي ولعل الله يجعل لكما من هذا الضيق فرجا ومخرجا ويدعو لهما وحصل كل هذا وأبو اسحق النديم واقف يسمع باذنه ويرى بعينه وقد تعجب من هذه الحالة ثم انه قدم لهما سفرة الطعام وصار يلقمهما بيده حتى شبعا ومسح لهما أفواههما وحمل القلة وسقاهما وبعد ذلك حمل المائدة والقلة والشمعة وأراد أن يخرج فسبقه أبو اسحق وجاء الى سريره ونام ولم يره ولم يعرف انه تبعه واطلع عليه ثم ان عبد الله وضع السفرة والقلة في الخزانة ودخل القاعة وفتح الدولاب ووضع السوط في محله وقلع حوايجه ونام هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر أبي اسحق فانه بات بقية تلك الليلة يفكر في شأن هذا الامر ولم يأته نوم من كثرة التعجب وصار يقول في نفسه ياترى ماسبب هذه القضية ولم يزل يتعجب الى الصباح ثم قاموا وصلوا الصبح وانحط لهم الفطور فأكلوا وشربوا القهوة وطلعوا الى الديوان واشتغل أبو اسحق بهذه النكتة طول النهار ولكنه كتمها ولم يسأل عبد الله عنها وثاني ليلة فعل بالكلبين كذلك فضربهما ثم صالحهما وأطعمهما وسقاهما وتبعه أبو اسحق فرآه فعل بهما كأول ليلة وكذلك

ثالث ليلة ثم انه أحضر الخراج الى أبى اسحق النديم فى رابع يوم فاخذه وسافر ولم يبدله شيأ ولم يزل مسافرا حتى وصل الى بغداد وسلم الخراج الى الخليفة ثم ان الخليفة سأله عن سبب تأخير الخراج فقال له يا أمير المؤمنين رأيت عامل البصرة قد جهز الخراج وأراد ارساله ولو تاخرت يوما لقابلنى فى الطريق لكن رأيت من عبد الله ابن فاضل عجبا عمرى ما رأيت مثله يا أمير المؤمنين فقال الخليفة وما هو يا أبا اسحق قال رأيت ما هو كذا وكذا وأخبره بما فعله مع الكلبين وقال رأيته ثلاث ليال متواليات وهو يعمل هذا العمل فيضرب الكلبين و بعد ذلك يصالحهما ويأخذ بخاطرهما و يطعمهما ويسقيهما وأنا أتفرج عليه بحيث لا يرانى فقال له الخليفة فهل سألته عن السبب فقال لا وحياة رأسك يا أمير المؤمنين فقال الخليفة يا أبا اسحق أمرتك أن ترجع الى البصرة وتاتينى بعبد الله بن فاضل وبالكلبين فقال يا أمير المؤمنين دعنى من هذا فان عبد الله بن فاضل أكرمنى اكراما زائدا وقد اطلعت على هذه الحالة اتفاقا من غير قصد فاخبرتك بها فكيف أرجع اليه وأجىء به فان رجعت اليه لا ألقى لى وجها حياء منه فالاولى ارسال غيرى اليه بخط يدك فيأتيك به وبالكلبين فقال له ان أرسلت له غيرك ربما ينكر هذا الامر ويقول ما عندى كلاب وأما اذا أرسلتك أنت وقلت له انى رأيتك بعينى فانه لا يقدر على انكار ذلك فلابد من ذهابك اليه واتيانك به وبالكلبين والا فلابد من قتلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الخليفة هرون الرشيد قال لابى اسحق لابد من ذهابك اليه واتيانك به وبالكلبين والا فلابد من قتلك فقال له أبو اسحق سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين وحسبنا الله ونعم الوكيل وصدق من قال آفة الانسان من اللسان فانا الجانى على نفسى حيث أخبرتك ولكن اكتب لى خطا شريفا وأنا أذهب اليه وآتيك به فكتب له خطا شريفا وتوجه به الى البصرة فلما دخل على عامل البصرة قال له كفانا الله شر رجوعك يا أبا اسحق فمالى أراك رجعت سريعا لعل الخراج ناقص فلم يقبله الخليفة فقال يا أمير عبد الله ليس رجوعى من أجل نقص الخراج فانه كامل وقبله الخليفة ولكن أرجو منك عدم المواخذة فانى أخطأت فى حقك وهذا الذى وقع منى مقدر من الله تعالى فقال له وما وقع منك يا أبا اسحق أخبرنى فانك حبيبى وأنا لا أواخذك فقال له اعلم انى لما كنت عندك اتبعتك ثلاث ليال

متواليات

مثوى الباب وأنت تقوم كل ليلة فى نصف الليل وتعذب الكلاب وترجع فتعجبت من ذلك واستحيت أن أسألك عنه ثم انى أخبرت الخليفة بخبرك اتفاقا من غير قصد فأمرنى بالرجوع اليك وهذا خط يده ولو كنت أعلم ان الامر يحوج الى ذلك ما كنت أخبرته ولكن جرى القدر بذلك وصار يعتذر اليه فقال له حيث أخبرته فانا أصدق خبرك عنده لئلا يظن بك الكذب فانك حبيبى ولو أخبر غيرك كنت أنكرت ذلك وكذبته فها أنا أروح معك وآخذ الكلبين معى ولو كان فى ذلك تلف نفسى وانقضاء أجلى فقال له الله يسترك كما سترت وجهى عند الخليفة ثم انه أخذ هدية تليق بالخليفة وأخذ الكلبين فى جنازير من الذهب وحمل كل كلب على جمل وسافروا الى ان وصلوا الى بغداد ودخل على الخليفة فقبل الارض بين يديه فاذن له بالجلوس فجلس وأحضر الكلبين بين يديه فقال الخليفة ما هذان الكلبان يا أمير عبد الله فصار الكلبان يقبلان الارض بين يديه ويحركان أذنابهما ويبكيان كأنهما يشكوان اليه فتعجب الخليفة من ذلك وقال له أخبرنى بخبر هذين الكلبين وما سبب ضربك لهما واكرامهما بعد الضرب فقال له يا خليفة الله ما هذان كلبان وانما هما رجلان شابان ذوا حسن وجمال وقد واعتدال وهما أخواى وولدا أمى وأبى فقال الخليفة وكيف كانا آدميين وصارا كلبين قال ان أذنت لى يا أمير المؤمنين أخبرك بحقيقة الخبر فقال أخبرنى واياك والكذب فانه صفة أهل النفاق وعليك بالصدق فانه سفينة النجاة وسمة الصالحين فقال له اعلم يا خليفة الله انى اذا أخبرتك بخبرهما يكونان هما الشاهدان على ان كذبت يكذبانى وان صدقت يصدقانى فقال له هذان من الكلاب لا يقدران على نطق ولا جواب فكيف يشهدان لك أو عليك فقال لهما يا أخوى اذا أنا تكلمت كلاما كذبا فارفعا رؤسكما وحملقا أعينكما واذا تكلمت صدقا فنكسا رؤسكما وغضا أعينكما ثم انه قال اعلم يا خليفة الله انا نحن ثلاثة اخوة أمنا واحدة وأبونا واحد وكان اسم أبينا فاضل وما سمى بهذا الاسم الا لكون أم أبيه وضعت ولدين توأمين فى بطن واحد فمات أحدهما لوقته وساعته وفضل الثانى فسماه أبوه فاضلا ثم رباه وأحسن تربيته الى ان كبر فزوجه أمنا ومات فوضعت أمى هذا أولا فسماه منصورا وحملت ثانى مرة ووضعت أخى هذا فسماه ناصرا وحملت ثالث مرة ووضعتنى فسمانى عبد الله وربانا حتى كبرنا وبلغنا مبلغ الرجال فمات وخلف لنا بيتا ودكانا ملآن قماشا ملونا من سائر أنواع القماش الهندى والرومى والخراسانى وغير ذلك وخلف لنا ستين ألف دينار فلما مات أبونا غسلناه وعملنا له مشهدا عظيما ودفناه لرحمة مولاه وعملنا له عتاقة وختمات وتصدقنا عليه الى تمام الاربعين يوما

ثم انى بعد ذلك جمعت التجار واشراف الناس وعملت لهم يوما عظيما وبعد ما أكلوا
قلت لهم يا تجار ان الدنيا فانية والآخرة باقية وسبحان الدائم بعد فناء خلقه هل
تعلمون لاى شئ جمعتكم فى هذا اليوم المبارك عندى قالوا سبحان الله علام
الغيوب فقلت لهم ان أبى مات عن جملة من المال وأنا خائف أن يكون عليه تبعة
لاحد من دين أو رهن أو غير ذلك ومرادى خلاص ذمة أبى من حقوق الناس فمن
كان له عليه شئ فليقل ان لى عليه كذا وكذا وأنا أورده له لاجل براءة ذمة أبى
فقال لى التجار يا عبد الله ان الدنيا لا تغنى عن الآخرة ولسنا أصحاب باطل وكل
منا يعرف الحلال من الحرام ونخاف من الله تعالى ونجتنب أكل مال اليتيم ونعلم
ان أباك رحمة الله عليه كان دائما يبقى ماله عند الناس ولا يخلى فى ذمته شيأ الى أحد
ونحن دائما نسمعه وهو يقول أنا خائف من متاع الناس ودائما كان يقول فى دعائه
الهى أنت ثقتى ورجائى فلا تمتنى وعلىّ دين وكان من جملة طباعه انه اذا كان لاحد
عليه شئ فانه يدفعه له من غير مطالبة واذا كان له على أحد شئ فانه لا يطالبه ويقول
له على مهلك وان كان فقيرا يسامحه ويبرئ ذمته وان لم يكن فقيرا ومات يقول سامحه
الله بمالى عنده ونحن كلنا نشهد أنه ليس لاحد عنده شئ فقلت بارك الله فيكم ثم انى
التفت الى أخوىّ هذين وقلت لهما يا أخوىّ ان أبانا ليس عليه لاحد شئ وقد خلف
لنا هذا المال والقماش والبيت والدكان ونحن ثلاثة اخوة كل واحد منا يستحق
ثلث هذا الشئ فهل نتفق على عدم القسمة ويستمر مالنا مشتركا بيننا ونأكل سواء
ونشرب سواء أو نقسم القماش والاموال ويأخذ كل واحد منا حصته ثم التفت
الى الكلبين وقال لهما هل جرى ذلك يا أخوىّ فنكسا رؤسهما وغضا عيونهما كأنهما
قالا نعم ثم انه قال فاحضرت قساما من طرف القاضى يا أمير المؤمنين فقسم بيننا
المال والقماش وجميع ما خلفه لنا أبونا وجعلوا البيت والدكان من قسمى فى نظير
بعض ما أستحقه من الاموال ورضينا بذلك وصار البيت والدكان فى قسمى وهما
أخذا قسمهما مالا وقماشا ثم انى فتحت الدكان وحطيت فيه القماش واشتريت بجانب
من المال الذى خصنى زيادة على البيت والدكان قماشا حتى ملأت الدكان وقعدت
أبيع وأشترى وأما أخواى فانهما اشتريا قماشا واكتريا مركبا وسافرا فى البحر الى
بلاد الناس فقلت الله يساعدهما وأنا رزقى يأتينى وليس للراحة قيمة ودمت على
ذلك مدة سنة كاملة ففتح الله علىّ وصرت أكتسب مكاسب كثيرة حتى صار
عندى مثل الذى خلفه لنا أبونا فاتفق لى يوما من الايام انى كنت جالسا فى الدكان
وعلىّ فروتان احداهما سمور والاخرى سنجاب لان ذلك الوقت كان فى فصل الشتاء

فى

فى أوان اشتداد البرد فبينما أنا كذلك واذا باخوى قد أقبلا على وعلى بدن
كل واحد منهما قميص خلق من غير زيادة وشفاههما بيض من البرد وهما ينتفضان
فلما رأيتهما عسر على ذلك وحزنت عليهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن عبد الله بن فاضل لما قال للخليفة فلما رأيتهما
ينتفضان عسر على ذلك وحزنت عليهما وطار عقلى من رأسى فقمت اليهما
واعتنقتهما وبكيت على حالهما وخلعت على واحد منهما الفروة السمور وعلى
الآخر الفروة السنجاب وادخلتهما الحمام وارسلت الى كل واحد منهما فى الحمام
بدلة تاجر ألفى وبعدما اغتسلا لبس كل واحد منهما بدلته ثم اخذتهما الى البيت
فرأيتهما فى غاية الجوع فوضعت لهما سفرة الاطعمة فاكلا واكلت معهما
ولاطفتهما واخذت بخاطرهما ثم التفت الى الكلبين وقال لهما هل جرى ذلك
يا أخوى فنكسا رؤسهما وغضا عيونهما ثم انه قال يا خليفة الله ثم انى سألتهما وقلت
لهما كيف جرى لكما واين أموالكما فقالا سافرنا فى البحر ودخلنا مدينة تسمى
مدينة الكوفة وصرنا نبيع القطعة القماش التى ثمنها علينا نصف دينار بعشرة دنانير
والتى بدينار بعشرين دينارا واكتسبنا مكاسب عظيمة واشترينا من قماش العجم الشقة
الحرير بعشرة دنانير وهى تساوى فى البصرة أربعين دينارا ودخلنا مدينة تسمى
الكرخ فبعنا واشترينا وكسبنا مكاسب كثيرة وصار عندنا اموال كثيرة وجعلوا
يذكرون لى البلاد والمكاسب فقلت لهما حيث رأيتما هذا الفرح والخير فما لى
اراكما جئتما عريانين فتنهدا وقالا يا اخانا ما حل بنا الا عين صائبة والسفر ماله أمان
فلما جمعنا تلك الاموال والخيرات وسقنا متاعنا فى مركب وسافرنا فى البحر قصد
التوجه الى مدينة البصرة وقد سافرنا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع رأينا البحر قام
وقعد وارغى وازبد وتحرك وهاج وتلاطم بالامواج وصار الموج يقدح الشرار
كلهيب النار واختلفت علينا الارياح والتطمت بنا المركب فى سن جبل فانكسرت
وغرقنا وراح جميع ما كان معنا فى البحر وصرنا نخبط على وجه الماء يوما وليلة
فارسل الله لنا مركبا اخرى فاخذتنا ركابها وصرنا من بلاد الى بلاد ونحن
نسأل ونتقوت مما نحصله بالسؤال وقاسينا الكرب العظيم وصرنا نقلع من حوايجنا
ونبيع ونتقوت حتى قربنا من البصرة وما وصلنا الى البصرة حتى شربنا ألف حسرة

ولو كنا سلمنا بما كان معنا كنا أتينا بأموال تضاهى اموال الملك ولكن هذا قدر من
الله علينا فقلت لهما يا اخوى لا تحملا هما فان المال فداء الابدان والسلامة غنيمة
وحيث كتبكم الله من السالمين فهذا غاية المنى وما الفقر والغنى الا كطيف خيال
ولله در من قال

اذا سلمت هام الرجال من الردى * فما المال الا مثل قص الاظافر

ثم قلت لهما يا اخوى نحن نقدر ان أبانا قد مات فى هذا اليوم وخلف لنا جميع هذا
المال الذى عندى وقد طابت نفسى على اننا نقسمه بيننا بالسوية ثم احضرت قساما
من طرف القاضى واحضرت له جميع مالى فقسمه بيننا واخذ كل منا ثلث المال
فقلت لهما يا اخوى بارك الله للانسان فى رزقه اذا كان فى بلده فكل واحد منكما
يفتح له دكانا ويقعد فيه ليتعاطى الاسباب والذى له شئ فى الغيب لا بد أن يحصله
ثم سعيت لكل واحد منهما فى فتح دكان وملأته له بالبضائع وقلت لهما بيعا واشتريا
واحفظا أموالكما ولا تصرفا منها شيأ وجميع ما يلزم لكما من أكل وشرب وغيرهما
يكون من عندى ثم قمت باكرامهما وصارا يبيعان ويشتريان فى النهار وعند المساء
يبيتان فى بيتى ولم ادعهما يصرفان شيأ من أموالهما وكلما جلست معهما للحديث
يمدحان الغربة ويذكران محاسنها ويصفان ما حصل لهما فيها من المكاسب ويغريانى
على ان اوافقهما على التغرب فى بلاد الناس ثم قال للكلبين هل جرى ذلك يا اخوى
فنكسا رؤسهما وغضا أعينهما تصديقا له ثم قال يا خليفة الله فما زالا يرغبانى ويذكران
لى كثرة الربح والمكاسب فى الغربة ويأمرانى بالسفر معهما حتى قلت لهما لا بد أن
اسافر معكما من اجل خاطركما ثم انى عقدت الشركة بينى وبينهما وحملنا قماشا من سائر
الاصناف النفيسة واكترينا مركبا وشحناها بالبضائع من أنواع المتاجر ونزلنا
فى تلك المركب بجميع ما نحتاج اليه ثم سافرنا من مدينة البصرة فى البحر العجاج
المتلاطم بالامواج الذى الداخل فيه مفقود والخارج منه مولود ولا زلنا مسافرين
حتى طلعنا الى مدينة من المدائن فبعنا واشترينا وظهر لنا كثرة المكسب ثم رحلنا منها
الى غيرها ولم نزل نرحل من بلد الى بلد ومن مدينة الى مدينة ونحن نبيع ونشترى
ونربح حتى صار عندنا مال جسيم وربح عظيم ثم اننا وصلنا الى جبل فالقى الريس
المرساة وقال لنا يا ركاب اطلعوا الى البر تنجوا من هذا اليوم وفتشوا فيه لعلكم
تجدوا ماء فخرج جميع من فى المركب وخرجت انا بجملتهم وصرنا نفتش على الماء
وتوجه كل منا فى جهة وصعدت انا على اعلى الجبل فبينما انا سائر اذ رأيت حية
بيضاء تسعى هاربة ووراءها ثعبان اسود يسعى خلفها وهو مشوه الخلقة هائل

المنظر ثم ان الثعبان لحقها وضايقها ومسكها من رأسها واف ذيله على ذيلها فصاحت فعرفت انه مفترعليها فاخذتنى الشفقة عليها وتناولت حجرا من الصوان قدر خمسة ارطال أو اكثر وضربت به الثعبان فجاء فى رأسه فدقها فما اشعر الا وتلك الحية انقلبت وصارت بنتا شابة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال كأنها البدر المنير فاقبلت علىّ وقبلت يدى ثم قالت لى سترك الله بسترين ستر من العار فى الدنيا وستر من النار فى الآخرة يوم الموقف العظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ثم قالت يا انسى أنت قد سترت عرضى وصار لك علىّ الجميل ووجب علىّ جزاؤك ثم اشارت بيدها الى الارض فانشقت ونزلت فيها ثم انطبقت عليها الارض فعرفت انها من الجن وأما الثعبان فان النار قادت فيه واحرقته وصار رمادا فتعجبت من ذلك ثم انى رجعت الى أصحابى واخبرتهم بما رأيت وبتنا تلك الليلة وعند الصباح قلع الريس الخطاف ونشر القلوع وطوى الاطراف ثم سافرنا حتى غاب البر عنا ولم نزل مسافرين مدة عشرين يوما ولم نر برا ولا طيرا وفرغ ماؤنا فقال الريس يا ناس ان الماء الحلو قد فرغ منا فقلنا نطلع البر لعلنا نجد ماء فقال والله انى تهت عن الطريق ولا اعرف طريقا يوديني الى جهة البر فحصل لنا غم شديد وبكينا ودعونا الله تعالى أن يهدينا الى الطريق ثم بتنا تلك الليلة فى اسوا حال ولله در من قال

وكم ليلة بت فى كربة * يكاد الرضيع لها أن يشيب
فما أصبح الصبح الا اتى * نصر من الله وفتح قريب

فلما اصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح رأينا جبلا عاليا فلما رأينا ذلك الجبل فرحنا واستبشرنا به ثم اننا وصلنا الى ذلك الجبل فقال الريس يا ناس اطلعوا البر حتى نفتش على ماء فطلعنا كلنا نفتش على ماء فلم نر فيه ماء فحصل لنا مشقة بسبب قلة وجود الماء ثم انى صعدت على اعلى ذلك الجبل فرأيت خلفه دائرة واسعة مسافة سير ساعة أو اكثر فناديت أصحابى فأقبلوا علىّ فلما اتوا قلت لهم انظروا الى هذه الدائرة التى خلف هذا الجبل فانى ارى فيها مدينة عالية البنيان مشيدة الاركان ذات اسوار وبروج وروابى ومروج وهى من غير شك لا تخلو من الماء والخيرات فسيروا بنا نمضى الى هذه المدينة ونجىء منها بالماء ونشترى ما نحتاج اليه من الزاد واللحم والفاكهة ونرجع فقالوا نخاف أن يكون أهل هذه المدينة كفارا مشركين اعداء الدين فيقبضوا علينا ونكون اسرى تحت ايديهم أو يقتلونا ونكون قد تسببنا فى قتل أنفسنا حيث أوقعنا أنفسنا فى الهلاك وسوء الارتباك والمغرور غير مشكور لانه

على خطر من الاسواء كما قال فيه بعض الشعراء

مادامت الارض ارضا والسما سما * ليس المغرر بمحمود وان سلما

فنحن لا نغرر بانفسنا فقلت لهم يا ناس لا حكم لى عليكم ولكن آخذا خوتى واتوجه الى هذه المدينة فقال لى اخواى نحن نخاف من هذا الامر ولا نروح معك فقلت أما انا فقد عزمت على الذهاب الى هذه المدينة وتوكلت على الله ورضيت بما قدر الله على فانتظرانى حتى اذهب اليها وارجع اليكما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن عبد الله قال فانتظرانى حتى اذهب اليها وارجع اليكما ثم تركتهما ومشيت حتى وصلت الى باب تلك المدينة فرأيتها مدينة عجيبة البناء غريبة الهندسة اسوارها عالية وابراجها محصنة وقصورها شاهقة وأبوابها من الحديد الصينى وهى مزخرفة منقوشة تدهش العقول فلما دخلت من الباب رأيت دكة من الحجر وهناك رجل قاعد عليها وفى ذراعه سلسلة من النحاس الاصفر وفى تلك السلسلة أربعة عشر مفتاحا فعرفت ان ذلك الرجل بواب المدينة والمدينة لها أربعة عشر بابا ثم انى دنوت منه وقلت له السلام عليكم فلم يرد على السلام فسلمت عليه ثانيا وثالثا فلم يرد على الجواب فوضعت يدى على كتفه وقلت له يا هذا لاى شئ لم ترد السلام هل أنت نائم أو اصم أو غير مسلم حتى تمتنع رد السلام فلم يجبنى ولم يتحرك فتأملت فيه فرأيته حجرا فقلت ان هذا شئ عجيب هذا الحجر مصور بصورة ابن آدم ولم ينقص عنه غير النطق ثم تركته ودخلت المدينة فرأيت رجلا واقفا فى الطريق فدنوت منه وتأملته فرأيته حجرا ثم انى لم ازل ماشيا فى شوارع تلك المدينة وكلما رأيت انسانا ادنو منه واتأمله فاجده حجرا وقابلت امرأة عجوزا على رأسها عقدة ثياب مهيأة للغسيل فدنوت منها وتأملتها فرأيتها من الحجر والعقدة الثياب التى على رأسها من الحجر ثم انى دخلت السوق فرأيت زياتا ميزانه منصوبة وقدامه اصناف البضائع من الجبن وغيره وكل ذلك من الحجر ثم انى رأيت سائر المتسببين جالسين فى الدكاكين وبعض الناس واقف وبعض الناس جالس ورأيت رجالا ونساء وصبيانا وكل ذلك من الحجر ثم دخلت سوق التجار فرأيت كل تاجر جالسا فى دكانه والدكان ممتلئة بانواع البضائع وكل ذلك من الحجر ولكن الاقمشة كنسيج العنكبوت فصرت اتفرج عليها وكلما مسكت ثوبا من القماش يصير بين يدى هباء منثورا ورأيت

صناديق

صناديق ففتحت واحدا فوجدت فيه ذهبا في اكياس فأمسكت الاكياس فذابت
في يدي والذهب لم يزل على حاله فحملت منه على قدر ما اطيقه وصرت اقول في نفسي
لو حضر اخواي معي لاخذا من هذا الذهب كفايتهما وتمتعا من هذه الذخائر التي
لا أصحاب لها وبعد ذلك دخلت دكانا آخر فرأيت فيه اكثر من ذلك ولكن ما بقيت
أقدر ان أحمل غير ما حملت ثم اني خرجت من ذلك السوق الى سوق آخر ثم منه الى
سوق آخر وهكذا ولا زلت اتفرج على مخلوقات مختلفة الاشكال وكلها من الحجارة
حتى الكلاب والقطط من الحجارة ثم اني دخلت سوق الصاغة فرأيت فيه رجالا
جالسين في الدكاكين والبضائع عندهم بعضها في أيديهم وبعضها في اقفاص فلما
رأيت ذلك يا أمير المؤمنين رميت ما كان معي من الذهب وحملت من المصاغ ما اطيق
حمله وخرجت من سوق الصاغة الى سوق الجواهر فرأيت الجوهرية جالسين
في دكاكينهم وقدام كل واحد منهم قفص ملآن بأنواع المعادن كالياقوت والالماس
والزمرد والبلخش وغير ذلك من سائر الاصناف واصحاب الدكاكين احجار فرميت
ما كان معي من المصاغ وحملت من الجواهر ما اطيق حمله وبقيت اتندم حيث لم يكن
اخواي معي حتى يأخذا من تلك الجواهر ما اراداه ثم اني خرجت من سوق الجواهر
فمررت على باب كبير مزخرف مزين بأحسن زينة ومن داخل الباب دكك وجالس
على تلك الدكك خدام وجند واعوان وعساكر وحكام وهم لابسون افخر الملابس
وكلهم احجار فلمست واحدا منهم فتناثرت ملابسه من على بدنه مثل نسيج العنكبوت
ثم اني مشيت في ذلك الباب فرأيت سراية ليس لها نظير في بنائها واحكام صناعتها
ورأيت في تلك السراية ديوانا مشحونا بالاكابر والوزراء والاعيان والامراء وهم
جالسون على كراسي وكلهم احجار ثم اني رأيت كرسيا من الذهب الاحمر
مرصعا بالدر والجوهر وجالس فوقه آدمي عليه افخر الملابس وعلى رأسه تاج
كسروي مكلل بنفيس الجواهر التي لها شعاع مثل شعاع النهار فلما وصلت اليه
رأيته من الحجر ثم اني توجهت من ذلك الديوان الى باب الحريم ودخلت فيه فرأيت
ديوانا من النساء ورأيت في ذلك الديوان كرسيا من الذهب الاحمر مرصعا بالدر
والجوهر وجالسا فوقه امرأة ملكة وعلى رأسها تاج مكلل بنفيس الجواهر وحولها
نساء مثل الاقمار جالسات على كراسي ولابسات افخر الملابس الملونة بسائر الالوان
وواقف هناك طواشية ايديهم على صدورهم كأنهم واقفون من اجل الخدمة وذلك
الديوان يدهش عقول الناظرين بما فيه من الزخرفة وغريب النقش وعظيم الفرش
ومعلق فيه ابهج التعاليق من البلور الصافي وفي كل قدرة من البلور جوهرة يتيمة

لا يفي بثمنها مال فرميت ما معي يا أمير المؤمنين وصرت آخذ من هذه الجواهر وحملت منها على قدر ما اطيق وبقيت متحيرا فيما احمله وفيما اتركه لاني رأيت ذلك المكان كانه كنز من كنوز المدن ثم اني رأيت بابا صغيرا مفتوحا وفي داخله سلالم فدخلت ذلك الباب وطلعت أربعين سلما فسمعت انسانا يتلو القرآن بصوت رخيم فمشيت جهة ذلك الصوت حتى وصلت الى باب القصر فرأيت ستارة من الحرير مصفحة بشرائط من الذهب ومنظوم فيها اللؤلؤ والمرجان والياقوت وقطع الزمرد والجواهر فيه تضيء كضوء النجوم والصوت خارج من تلك الستارة فدنوت من الستارة ورفعتها فظهر لي باب قصر مزخرف يحير الافكار فدخلت من ذلك الباب فرأيت قصرا كأنه كنز على وجه الدنيا ومن داخله بنت كانها الشمس الضاحية في وسط السماء الصاحية وهي لابسة افخر الملابس ومتحلية بانفس ما يكون من الجواهر مع انها بديعة الحسن والجمال بقد واعتدال وظرف وكمال وخصر نحيل وردف ثقيل وريق يشفي العليل واجفان ذات اعتلال كانها المرادة بقول من قال

سلام على ما في الثياب من القد * وما في بساتين الخدود من الورد
كأن الثريا علقت في جبينها * وباقي نجوم الليل في الصدر كالعقد
فلو لبست ثوبا من الورد خالصا * لادمى مجاني جسمها ورق الورد
ولو تفلت في البحر والبحر مالح * لاصبح طعم البحر احلى من الشهد
ولو واصلت شيخا كبيرا على عصا * لاصبح ذاك الشيخ مفترس الاسد

ثم انه قال يا أمير المؤمنين لما رأيت تلك البنت شغفت بها حبا وتقدمت اليها فرأيتها جالسة على مرتبة عالية وهي تتلو كتاب الله عز وجل حفظا على ظهر قلبها وصوتها كانه صرير أبواب الجنان اذا فتحها رضوان والكلام خارج من بين شفتيها يتناثر كالجواهر ووجهها بديع المحاسن زاه وزاهر كما قال في مثلها الشاعر

يا مطربا بلغاته وصفاته * قد زاد فيك تشوقي وتشوفي
شيئان فيك تذيب ارباب الهوى * نغمات داود وصورة يوسف

فلما سمعت نغماتها في تلاوة القرآن العظيم وقد قرأ قلبي من فاتك لحظاتها سلام قولا من رب رحيم تلجلجت في الكلام ولم أحسن السلام واندهش مني العقل والناظر وصرت كما قال الشاعر

ما هزني الشوق حتى تهت عن كلمي * ولا دخلت الحمى الا سفكت دمي
ولا سمعت كلاما من عواذلنا * الا لاشهد من اهواه في الكلم

ثم تجلدت على هول الغرام وقلت لها السلام عليك ايتها السيدة المصونة والجوهرة المكنونة

المملكة نوة ادام الله قوائم سعدك ورفع دعائم مجدك فقالت وعليك منى السلام والتحية والاكرام يا عبد الله يا ابن فاضل أهلا وسهلا ومرحبا بك يا حبيبي وقرة عيني فقات لها يا سيدتى من اين علمت اسمى ومن تكونى أنت وما شأن أهل هذه المدينة حتى صاروا احجارا فرادى أن تخبرينى بحقيقة الامر فانى تعجبت من هذه المدينة ومن أهلها ومن كونهم لم يوجد فيها أحد الا أنت فبالله عليك أن تخبرينى بحقيقة ذلك على وجه الصدق فقالت لى اجلس يا عبد الله وانا ان شاء الله تعالى احدثك وأخبرك بحقيقة أمرى وبحقيقة أمر هذه المدينة وأهلها على التفصيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فجلست الى جانبها فقالت لى اعلم يا عبد الله يرحمك الله انى بنت ملك هذه المدينة ووالدى هو الذى رأيته جالسا فى الديوان على الكرسى العالى والذى حوله اكابر دولته واعيان مملكته وكان أبى ذا بطش شديد ويحكم على ألف ألف ومائة ألف وعشرين ألف جندى وعدة امراء دولته أربعة وعشرون ألفا كلهم حكام وأصحاب مناصب وتحت طاعته من المدن ألف مدينة غير البلدان والضياع والحصون والقلاع والقرى وامراء العربان الذين تحت يده ألف أمير كل أمير يحكم على عشرين ألف فارس وعنده من الاموال والذخائر والمعادن والجواهر ما لا عين رأت ولا اذن سمعت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن بنت مدينة ملك الاحجار قالت يا عبد الله ان أبى كان عنده من الاموال والذخائر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وكان يقهر الملوك ويبيد الابطال والشجعان فى الحرب وحومة الميدان وتخشاه الجبابرة وتخضع له الاكاسرة ومع ذلك كان كافرا مشركا بالله يعبد الصنم دون مولاه وجميع عساكره كفار يعبدن الاصنام دون الملك العلام فاتفق انه كان يوما من الايام جالسا على كرسى مملكته وحوله اكابر دولته فلم يشعروا الا وقد دخل عليه شخص فاضاء الديوان من نور وجهه فنظر اليه أبى فرآه لابسا حلة خضراء وهو طويل القامة واياديه نازلة الى تحت ركبتيه وعليه هيبة ووقار والنور يلوح من وجهه فقال لابى يا باغى يا مفترى الى متى وأنت مغرور بعبادة الاصنام وتترك عبادة الملك العلام قل أشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله واسلم أنت وقومك ودع عنك عبادة الاصنام فانها لا تنفع ولا تشفع ولا يعبد بحق الا الله رافع السموات بغير عماد وباسط الارضين

رحمة للعباد فقال له من أنت أيها الرجل الجاحد لعبادة الاصنام حتى تتكلم بهذه
الكلام أما تخشى أن تغضب عليك الاصنام فقال له ان الاصنام احجار لا يضرني
غضبها ولا ينفعني رضاها فاحضر لى صنمك الذى أنت تعبده وأمر كل واحد من
قومك أن يحضر صنمه فاذا احضر جميع اصنامكم فادعوهم ليغضبوا على وانا ادعو
ربى أن يغضب عليهم وتنظرون غضب الخالق من غضب المخلوق فان اصنامكم قد
صنعتموها أنتم وتلبست بها الشياطين وهم الذين يكلمونكم من داخل بطون
الاصنام فاصنامكم مصنوعة والهى صانع ولا يعجزه شئ فان ظهر لكم الحق فاتبعوه
وان ظهر لكم الباطل فاتركوه فقالوا له ائتنا ببرهان ربك حتى نراه فقال ائتونى
ببراهين اربابكم فأمر الملك كل من كان يعبد ربا من الاصنام أن يأتى به فاحضر جميع
العساكر أصنامهم فى الديوان هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمرى فانى
كنت جالسة فى داخل ستارة تشرف على ديوان أبى وكان لى صنم من زمردة
خضراء جسمه قدر جسم ابن آدم فطلبه أبى فارسلته اليه فى الديوان فوضعوه
فى جانب صنم أبى وكان صنم أبى من الياقوت وصنم الوزير من جوهر الالماس وأما
اكابر العساكر والرعية فبعض أصنامهم من البلخش وبعضها من العقيق وبعضها
من المرجان وبعضها من العود القمارى وبعضها من الابنوس وبعضها من الفضة
وبعضها من الذهب وكل واحد منهم له صنم على قدر ما تسمح به نفسه وأما رعاع
العساكر والرعية فبعض أصنامهم من الصوان وبعضها من الخشب وبعضها من
الفخار وبعضها من الطين وكل الاصنام مختلفة الالوان ما بين أصفر وأحمر وأخضر
وأسود وأبيض ثم قال ذلك الشخص لابى ادع صنمك وهؤلاء الاصنام تغضب على
فصفوا تلك الاصنام ديوانا وجعلوا صنم أبى على كرسى من الذهب وصنمى الى جانبه
فى الصدر ثم رتبوا الاصنام كل منها فى مرتبة صاحبه الذى يعبده وقام أبى وسجد
لصنمه وقال له يا الهى أنت الرب الكريم وليس فى الاصنام أكبر منك وأنت تعلم أن
هذا الشخص اتانى طاعنا فى ربوبيتك مستهزئا بك ويزعم أن له الها أقوى منك
ويأمرنا أن نترك عبادتك ونعبد الهه فاغضب عليه يا الهى وصار يطلب من الصنم
والصنم لا يرد عليه جوابا ولا يخاطبه بخطاب فقال له يا الهى ما هذه عادتك لانك
كنت تكلمنى اذا كلمتك فمالى اراك ساكتا لا تتكلم هل أنت غافل أو نائم فانتبه
وانصرنى وكلمنى ثم هزه بيده فلم يتكلم ولم يتحرك من مكانه فقال ذلك الشخص لابى
مالى ارى صنمك لا يتكلم قال له اظن انه غافل أو نائم فقال له يا عدو الله كيف
تعبد الها لا ينطق وليس له قدرة على شئ ولا تعبد الهى الذى هو قريب مجيب وحاضر
لا يغيب

لا يغيب ولا يغفل ولا ينام ولا تدركه الاوهام يرى ولا يرى وهو على كل شىء قدير
والهك عاجز لا يقدر على دفع الضرر عن نفسه وقد كان متلبسا به شيطان رجيم يضلك
ويغويك وقد ذهب الآن شيطانه فاعبد الله واشهد انه لا اله الا هو ولا معبود سواه
وانه لا يستحق العبادة غيره ولا خير الا خيره وأما الهك هذا فانه لا يقدر على دفع
الشر عن نفسه فكيف يقدر على دفعه عنك فانظر بعينك عجزه ثم تقدم وصار يصكه
على رقبته حتى وقع على الارض فغضب الملك وقال للحاضرين ان هذا الجاحد قد
صك الهى فاقتلوه فارادوا القيام ليضربوه فلم يقدر أحد منهم أن يقوم من مكانه
فعرض عليهم الاسلام فلم يسلموا فقال أريكم غضب ربى فقالوا أرنا فبسط يديه وقال
الهى وسيدى أنت ثقتى ورجائى فاستجب دعائى على هؤلاء القوم الفجار الذين
يأكلون خيرك ويعبدون غيرك يا حق يا جبار يا خالق الليل والنهار اسألك أن تقلب
هؤلاء القوم احجارا فانك قادر ولا يعجزك شىء وأنت على كل شىء قدير فمسخ الله أهل
هذه المدينة أحجارا وأما أنا فانى حين رأيت برهانه أسلمت وجهى لله فسلمت مما
أصابهم ثم ان ذلك الشخص دنا منى وقال سبقت لك من الله السعادة ولله فى ذلك
ارادة وصار يعلمنى وأخذت عليه العهد والميثاق وكان عمرى سبع سنين فى ذلك الوقت
وفى هذا الوقت صار عمرى ثلاثين عاما ثم انى قلت له يا سيدى جميع ما فى المدينة
وجميع أهلها صاروا أحجارا بدعوتك الصالحة وقد نجوت أنا حين أسلمت على يديك
فانت شيخى فاخبرنى باسمك ومدنى بمددك وتصرف لى فى شىء أقتات منه فقال لى
اسمى أبو العباس الخضر ثم غرس لى شجرة من الرمان بيده فكبرت وأورقت وأزهرت
وأثمرت رمانة واحدة فى الحال فقال كلى مما رزقك الله تعالى واعبديه حق عبادته ثم
علمنى شروط الاسلام وشروط الصلاة وطريق العبادة وعلمنى تلاوة القرآن وصار لى
ثلاثة وعشرون عاما وأنا اعبد الله فى هذا المكان وفى كل يوم تطرح لى هذه الشجرة
رمانة فآكلها وأقتات بها من الوقت الى الوقت والخضر عليه السلام يأتينى كل
جمعة وهو الذى عرفنى باسمك وبشرنى بانك سوف تأتينى فى هذا المكان وقد قال لى
اذا أتاك فاكرميه وأطيعى أمره ولا تخالفيه وكونى له أهلا ويكون لك بعلا واذهبى
معه حيث شاء فلما رأيتك عرفتك وهذا هو خبر هذه المدينة وأهلها والسلام ثم انها
أرتنى شجرة الرمان وفيها رمانة فاكلت نصفها وأطعمتنى نصفها فما رأيت أحلى
ولا أزكى ولا أطعم من تلك الرمانة ثم قلت لها هل رضيت بما أمرك به شيخك الخضر عليه
السلام بان تكونى لى أهلا وأكون لك بعلا وتذهبى معى الى بلادى وأمكث بك
فى مدينة البصرة فقالت نعم ان شاء الله تعالى فانى سميعة لقولك مطيعة لامرك

من غير خلاف ثم انى أخذت عليهما العهد الوثيق وأدخلتهما الى خزانة أبيهما وأخذنا منها على قدر ما استطعنا حمله وخرجنا من تلك المدينة ومشينا حتى وصلنا الى أخوى فرأيتهما يفتشان على فقالا لى اين كنت فانك أبطأت علينا وقلبنا مشغول بك وأما رئيس المركب فانه قال لى يا تاجر عبد الله ان الريح طاب لنا من مدة وأنت عوقتنا عن السفر فقلت له لا ضرر فى ذلك ولعل التأخير خير لان غيابى لم يكن فيه غير الاصلاح وقد حصل لى فيه بلوغ الآمال ولله در من قال

وما أدرى اذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يلينى
أألخير الذى أنا أبتغيه * أم الشر الذى هو يبتغينى

ثم قلت لهم انظروا ما حصل لى فى هذه الغيبة وفرجتهم على ما معى من الذخائر وأخبرتهم بما رأيت فى مدينة الحجر وقلت لهم لو كنتم أطعتمونى ورحتم معى كان يحصل لكم من هذا شئ كثير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن عبد الله بن فاضل قال لهم ولاخويه لو رحتم معى لحصل لكم من هذا خير كثير فقالوا له والله لو رحنا ما كنا نستجرى أن ندخل على ملك المدينة فقلت لاخوى لا بأس عليكما فالذى معى يكفينا جميعا وهذا نصيبنا ثم انى قسمت ما معى أقساما على قدر الجميع وأعطيت لاخوى والريس وأخذت مثل واحد منهم وأعطيت ما تيسر للخدامين والنواتية ففرحوا ودعوا الى ورضوا بما أعطيتهم الا أخوى فانهما تغيرت أحوالهما ولاجت عيونهما فلحظت ان الطمع تمكن منهما فقلت لهما يا أخوى أظن ان الذى أعطيته لكما لم يقنعكما ولكن أنا أخوكما وأنتما أخواى ولا فرق بينى وبينكما ومالى ومالكما شئ واحد واذا مت لا يرثنى غيركما وصرت آخذ بخاطرهما ثم انى أنزلت البنت فى الغليون وأدخلتها فى الخزنة وأرسلت لها شيأ تأكله وقعدت أتحدث أنا وأخواى فقالا لى يا أخانا ما مرادك أن تفعل بهذه البنت البديعة الجمال فقلت لهما مرادى أن أكتب كتابى عليها اذا دخلت البصرة وأعمل فرحا عظيما وأدخل بها هناك فقال بعضهما يا أخى اعلم ان هذه الصبية بديعة الحسن والجمال وقد وقعت محبتها فى قلبى فمرادى أن تعطيها لى فاتزوج بها أنا وقال الثانى وأنا الآخر كذلك فاعطها لى لاتزوج بها فقلت لهما يا أخوى انها قد أخذت على عهدا وميثاقا انى أتزوج بها فاذا أعطيتها

لواحد منكما أكون ناقضا للعهد الذى بينى وبينها وربما يحصل لها كسر خاطر لانها
ما أتت معى الا على شرط انى أتزوج بها فكيف أزوجها الغير وأما من جهة انكما
تحبانها فانا أحبها أكثر منكما على انها بالقطع وكونى أعطيها لواحد منكما هذا شئ لا
يكون أبدا ولكن اذا دخلنا مدينة البصرة بالسلامة أنظر لكما بنتين من خيار بنات
البصرة وأخطبهما لكما وأدفع المهر من مالى وأجعل الفرح واحدا وندخل نحن
الثلاثة فى ليلة واحدة واعرضا عن هذه البنت فانها من نصيبى فسكتا وقد ظننت
أنهما رضيا بما قلت لهما ثم اننا سافرنا متوجهين الى أرض البصرة وصرت أرسل
اليهما ما تأكل وما تشرب وهى لا تخرج من خزنة المركب وأنا أنام بين أخوىّ على
ظهر الغليون ولم نزل مسافرين على هذه الحالة مدة أربعين يوما حتى بانت لنا مدينة
البصرة ففرحنا باقبالنا عليها وأنا راكن الى أخوىّ ومطمئن بهما ولا يعلم الغيب
الا الله تعالى فنمت تلك الليلة فبينما أنا مستغرق فى النوم لم أشعر الا وأنا محمول بين
أيادى أخوىّ هذين واحد قابض علىّ من سيقانى والآخر من يدىّ لكونهما
اتفقا على تغريقى فى البحر من شأن تلك البنت فلما رأيت روحى محمولا بين أيديهما
قلت يا أخوىّ لاى شئ تفعلان معى هذه الفعال فقالا يا قليل الادب كيف
تبيع خاطرنا ببنت فنحن نرميك فى البحر من أجل ذلك ثم رمونى فيه ثم انه التفت الى
الكلبين وقال أحق ما قلته يا أخوىّ أم لا فنكسا رؤسهما وصارا يعويان كأنهما
يصدقان قوله فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال يا أمير المؤمنين فلما رمونى فى البحر
وصلت الى القرار ثم نفضنى الماء على وجه البحر فما أشعر الا وطائر كبير قدر الآدمى
نزل علىّ وخطفنى وطار بى فى الجو الاعلى ففتحت عينى فرأيت روحى فى قصر
مشيد الاركان عالى البنيان منقوش بالنقوشات الفاخرة وفيه تعاليق الجواهر
من سائر الاشكال والالوان وفيه جوار واقفة واضعة الايادى على الصدور واذا
بامرأة جالسة بينهن على كرسى من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وعليها
ملابس لا يقدر الانسان أن يفتح عينه فيها من شدة ضياء الجواهر وفى وسطها حزام
من الجواهر لا يفى بثمنه مال وعلى رأسها تاج ثلاث دورات يحير العقول والافكار
ويخطف القلوب والابصار ثم ان الطير الذى كان خطفنى انتفض فصار صبية
كأنها الشمس المضيئة فامعنت النظر فيها فاذا هى التى كانت فى الجبل بصفة حية وكان
الثعبان يقاتلها والف ذيله على ذيلها وأنا حين رأيت الثعبان قهرها وغلب عليها
قتلته بالحجر فقالت لها المرأة التى هى جالسة على الكرسى لاى شئ جئت هنا بهذا
الانسى فقالت لها يا أمى ان هذا هو الذى كان سببا فى ستر عرضى بين بنات الجان

ثم قالت لي هل تعرف من أنا قلت لا قالت أنا التي كنت في الجبل الفلاني وكان
الثعبان الاسود يقاتلني ويريد هتك عرضي وأنت قتلته فقلت انما رأيت مع الثعبان
حية بيضاء فقالت أنا التي كنت حية بيضاء ولكني بنت الملك الاحمر ملك الجان
واسمي سعيدة وهذه الجالسة هي أمي واسمها مباركة زوجة الملك الاحمر والثعبان
الذي كان يقاتلني ويريد هتك عرضي هو وزير الملك الاسود واسمه درفيل وهو قبيح
الخلقة واتفق انه لما رآني عشقني ثم انه خطبني من أبي فارسل اليه أبي يقول له وما
مقدارك يا قطاعة الوزراء حتى تتزوج بنات الملوك فاغتاظ من ذلك وحلف يمينا
انه لابد أن يفضح عرضي كيدا في أبي وصار يقفو أثري ويتبعني أينما رحت
ومراده أن يفضح عرضي وقد وقع بينه وبين أبي حروب عظيمة ومشقات جسيمة
ولم يقدر عليه أبي لكونه جبارا مكارا ثم ان أبي كلما ضايقه وأراد أن يظفر به يهرب
منه وقد عجز أبي وصرت أنا في كل يوم أنقلب أشكالا وألوانا وكلما انقلبت في صفة
ينقلب هو في صفة ضدها وكلما هربت الى أرض يشم رائحتي ويلحقني في تلك الارض
حتى قاسيت منه مشقة عظيمة ثم انقلبت في صفة حية وذهبت الى ذلك الجبل فانقلب
في صفة ثعبان وتبعني فيه فوقعت في يده وعالجني وعالجته حتى أتعبني وركب علي
وكان مراده أن يفعل بي مايشتهيه فأتيت أنت وضربته بالحجر فقتلته وأنا انقلبت
بنتا وأريتك روحي وقلت لك انه صار لك علي جميل لا يضيع الامع أولاد الزنا فلما
رأيت أخويك فعلا بك هذه المكيدة ورمياك في البحر بادرت اليك وخلصتك من
الهلاك ووجب لك الاكرام من أمي وأبي ثم انها قالت يا أمي اكرميه في نظير ماستر
عرضي فقالت مرحبا بك يا انسي فانك فعلت معنا جميلا تستحق عليه الاكرام
وأمرت لي ببدلة كنوزية تساوي جملة من المال وأعطتني جملة من الجواهر
والمعادن ثم انها قالت خذوه وادخلوه على الملك فاخذوني وأدخلوني على الملك
في الديوان فرأيته جالسا على كرسي وبين يديه المردة والاعوان فلما رأيته زاغ بصري
مما رأيته عليه من الجواهر فلما رآني قام على الاقدام وقامت العساكر اجلالا له ثم
حياني ورحب بي وأكرمني غاية الاكرام وأعطاني مما عنده من الخيرات وبعد ذلك
قال لبعض أتباعه خذوه الى بنتي توصله الى المكان الذي جاءت به منه فاخذوني
وذهبوا بي الى سعيدة بنته فحملتني ثم طارت بي وبما معي من الخيرات هذا ما كان من
أمري وأمر سعيدة وأما ما كان من أمر ريس الغليون فانه أفاق على الخبطة حين
رموني في البحر فقال ما الذي وقع في البحر فبكى أخواي وصارا يخبطان على
صدورهما ويقولان يا ضيعة أخينا فانه أراد أن يزيل ضرورة في جانب الغليون

فوقع

ثم وقع فى البحر ثم انهما وضعا أيديهما على مالى ووقع بينهما الاختلاف من جهة البنت وصار كل واحد منهما يقول ما يأخذها غيرى واستمرا على الخصام مع بعضهما ولم يتذكرا أخاهما ولا غرقه وزال حزنهما عليه فبينما هما فى هذه الحالة واذا بسعيدة نزلت بى فى وسط الغليون وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن عبد الله بن فاضل قال فبينما هما فى هذه الحالة واذا بسعيدة نزلت بى فى وسط الغليون فرآنى أخواى فعانقانى وفرحا بى وصارا يقولان يا أخانا كيف حالك فيما جرى لك ان قلبنا مشغول عليك فقالت سعيدة لو كان قلبكما عليه أو كنتما تحبانه ما كنتما رميتماه فى البحر وهو نائم ولكن اختارا لكما موتة ثم تأتماها وقبضت عليهما وأرادت قتلهما فصاحا وقالا فى عرضك يا أخانا فصرت أتداخل عليها وأقول لها أنا واقع فى عرضك لا تقتلى أخوى وهى تقول لا بد من قتلهما انهما خائنان فمازلت ألاطفها وأستعطفها حتى قالت من شأن خاطرك لا أقتلهما ولكن أسحرهما ثم أخرجت طاسة وحطت فيها ماء من ماء البحر وتكلمت عليها بكلام لا يفهم وقالت اخرجا من الصورة البشرية الى الصورة الكلبية ثم رشتهما بالماء فانقلبا كلبين كما تراهما يا خليفة الله ثم التفت اليهما وقال أحق ما قلته يا أخوى فنكسا رؤسهما كأنهما يقولان له صدقت ثم قال يا أمير المؤمنين وبعد أن سحرتهما كلبين قالت لمن كان فى الغليون اعلموا ان عبد الله بن فاضل هذا صار أخى وأنا أشق عليه كل يوم مرة أو مرتين وكل من خالفه منكم أو عصى أمره أو آذاه باليد أو اللسان فانى أفعل به ما فعلت بهذين الخائنين وأسحره كلبا حتى ينقضى عمره وهو فى صورة الكلب ولم يجد له خلاصا فقال لها الجميع يا سيدتى نحن كلنا عبيده وخدمه ولا نخالفه ثم انها قالت لى اذا دخلت البصرة تفقد جميع مالك فان كان نقص منه شئ فاعلمنى وأنا أجيئك به من أى شخص كان ومن أى مكان كان ومن كان آخذه أسحره كلبا ثم بعد ان تخزن أموالك حط فى رقبة كل واحد من هذين الخائنين غلا واربطهما فى ساق السرير واجعلهما فى سجن وحدهما وكل ليلة فى نصف الليل انزل اليهما واضرب كل واحد منهما علقة حتى يغيب عن الوجود وان مضت ليلة ولم تضربهما فانى أجئ اليك وأضربك علقة وبعد ذلك أضربهما فقلت لها سمعا وطاعة ثم انها قالت لى اربطهما فى الحبال حين تدخل البصرة

فخطيت فى رقبة كل واحد منهما حبلا ثم ربطتهما فى الصارى وتوجهت هى الى حال سبيلها وفى ثانى يوم دخلنا البصرة وطلع التجار لمقابلتى وسلموا علىّ ولم يسأل أحد عن أخوىّ وانما صاروا ينظرون الى الكلاب ويقولون لى يا فلان ماذا تصنع بهذين الكلبين اللذين جئت بهما معك فاقول لهم انى ربيتهما فى هذه السفرة وجئت بهما معى فيضحكون عليهما ولم يعرفوا انهما أخواى ثم انى حطيتهما فى خزنة والتهيت تلك الليلة فى توزيع الاحمال التى فيها القماش والمعادن وكان عندى التجار لاجل السلام فاشتغلت ولم أضربهما ولم أربطهما بالسلاسل ولم أعمل معهما ضررا ثم نمت فما أشعر الا وقد أتتنى سعيدة بنت الملك الاحمر وقالت لى أما قلت لك حط فى رقابهما السلاسل واضرب كل واحد منهما علقة ثم انها قبضت علىّ وأخرجت السوط وضربتنى علقة حتى غبت عن الوجود وبعد ذلك ذهبت الى المكان الذى فيه أخواى وضربت كل واحد منهما علقة بالسوط حتى أشرف على الموت وقالت كل ليلة اضرب كل واحد منهما علقة مثل هذه العلقة وان مضت ليلة ولم تضربهما فانا أضربك فقلت يا سيدتى فى غد أحط السلاسل فى رقابهما والليلة الآتية أضربهما ولا أرفع الضرب عنهما ليلة واحدة فاكدت علىّ فى الوصية بضربهما فلما أصبح الصباح لم يهن علىّ أن أضع السلاسل فى رقابهما فذهبت الى صائغ وأمرته أن يعمل لهما أغلالا من الذهب فعملها وجئت بها ووضعتها فى رقابهما وربطتهما كما أمرتنى وفى ثانى ليلة ضربتهما قهرا عنى وكانت هذه الحركة فى مدة خلافة المهدى الثالث من بنى العباس وقد اصطحبت معه بارسال الهدايا فقلدنى ولاية وجعلنى نائبا فى البصرة ودمت على هذه الحالة مدة من الزمان ثم انى قلت فى نفسى لعل غيظها قد برد فتركتهما ليلة من غير ضرب فاتتنى وضربتنى علقة لم أنس حرارتها بقية عمرى فمن ذلك الوقت لم أقطع عنهما الضرب مدة خلافة المهدى ولما توفى المهدى وتوليت أنت بعده وأرسلت الى بتقرير الاستمرار على مدينة البصرة وقد مضى لى اثنا عشر عاما وأنا فى كل ليلة أضربهما قهرا عنى وبعد ما أضربهما آخذ بخاطرهما وأعتذر اليهما وأطعمهما وأسقيهما وهما محبوسان ولم يعلم بهما أحد من خلق الله تعالى حتى أرسلت الى أبا اسحق النديم من أجل الخراج فاطلع على سرّى ورجع اليك فاخبرك فارسلته ثانيا يطلبنى وتطلبهما فاجبت بالسمع والطاعة وأتيت بهما بين يديك ولما سألتنى عن حقيقة الامر أخبرتك بالقصة وهذه حكايتى فعند ذلك تعجب الخليفة هرون الرشيد من حال هذين الكلبين ثم قال وهل أنت فى هذه الحالة سامحت أخويك مما صدر منهما فى حقك وعفوت عنهما أم لا

فقال

فقال ياسيدى سامحهما الله وأبرأ ذمتهما فى الدنيا والآخرة وأنا محتاج ان يكونوا
يسامحانى لانه مضى لى اثنا عشر عاما وأنا أضربهما كل ليلة علقة فقال له الخليفة
يا عبد الله ان شاء الله تعالى أنا أسعى فى خلاصهما ورجوعهما آدميين كما كانا أولا
وأصلح بينكم وتعيشون بقية أعماركم اخوة متحابين وكما انك سامحتهما يسامحانك
فخذهما وانزل الى منزلك وفى هذه الليلة لا تضربهما وفى غد ما يكون الا الخير فقال له
ياسيدى وحياة رأسك ان تركتهما ليلة واحدة من غير ضرب تأتينى سعيدة وتضربنى
وأنا مالى جسد يتحمل ضربا فقال له لا تخف فانا أعطيك خط يدى فاذا أتتك سعيدة
فاعطها الورقة فاذا قرأتها وعفت عنك كان الفضل لها وان لم تطع أمرى كان أمرك
الى الله ودعها تضربك علقة وقدرانك نسيتهما من الضرب ليلة وضربتك بهذا
السبب واذا حصل ذلك وخالفتنى فان كنت أنا أمير المؤمنين فانى أعمل خلاصى
معها ثم ان الخليفة كتب لها قطعة ورقة مقدار اصبعين وبعد ما كتبها ختمها وقال
يا عبد الله اذا أتتك سعيدة فقل لها ان الخليفة ملك الانس أمرنى بعدم ضربهما
وكتب لى هذه الورقة وهو يقرئك السلام واعطها المرسوم ولا تخش بأس ثم أخذ
عليه العهد والميثاق انه لا يضربهما فاخذهما وراح بهما الى منزله وقال فى نفسه
يا ترى ما الذى يصنعه الخليفة فى حق بنت سلطان الجن اذا كانت تخالفه وتضربنى
فى هذه الليلة ولكن أنا أصبر على ضربى علقة وأريح أخوى فى هذه الليلة ولو كان
يحصل لى من أجلهما العذاب ثم انه تفكر فى نفسه وقال له عقله لولا ان الخليفة
مستند الى سند عظيم ما كان يمنعك عن ضربهما ثم انه دخل منزله ونزع الاغلال من
رقاب أخويه وقال توكلت على الله وصار يأخذ بخاطرهما ويقول لهما لا بأس
عليكما فان الخليفة الخامس من بنى العباس قد تكفل بخلاصكما وأنا قد عفوت
عنكما وان شاء الله تعالى يكون الاوان قد آن وتخلصان فى هذه الليلة المباركة
فابشرا بالهناء والسرور فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عواء الكلاب
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن عبد الله بن فاضل قال لاخويه ابشرا بالهناء
والسرور فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عواء الكلاب ويمرغان
خدودهما على أقدامه كأنهما يدعوان له ويتواضعان بين يديه فحزن عليهما وصار
يملس بيده على ظهورهما الى ان جاء وقت العشاء فلما وضعوا السفرة قال لهما

اجلسا فجلسا يأكلان معه على السفرة فصارت أعوانه باهتين يتعجبون من أكله
مع الكلاب ويقولون هل هو مجنون أو مختل العقل كيف يأكل نائب مدينة
البصرة مع الكلاب وهو أكبر من وزير أما يعلم ان الكلب نجس وصاروا ينظرون
الى الكلبين وهما يأكلان معه أكل الحشمة ولا يعلمون انهما أخواه وما زالوا
يتفرجون على عبد الله والكلبين حتى فرغوا من الاكل ثم ان عبد الله غسل يديه فمد
الكلبان أيديهما وصارا يغسلان وكل من كان واقفا صار يضحك عليهما ويتعجب
ويقولون لبعضهم عمرنا ما رأينا الكلاب تأكل وتغسل أيديها بعد أكل
الطعام ثم انهما جلسا على المراتب بجنب عبد الله بن فاضل ولم يقدر أحد أن يسأله
عن ذلك واستمر الامر هكذا الى نصف الليل ثم صرف الخدام وناموا ونام كل كلب
على سرير وصار الخدام يقولون لبعضهم انه نام ونام معه الكلبان وبعضهم يقول
حيث أكل مع الكلاب على السفرة فلا بأس اذا نام معه وما هذا الا حال المجانين
ثم انهم لم يأكلوا مما بقى فى السفرة من الطعام شيأ وقالوا كيف نأكل فضلة الكلاب
ثم أخذوا السفرة بما فيها ورموها وقالوا انها نجسة هذا ما كان من أمرهم وأما
ما كان من أمر عبد الله بن فاضل فانه لم يشعر الا والارض قد انشقت وطلعت
سعيدة وقالت يا عبد الله لاى شئ ما ضربتهما فى هذه الليلة ولاى شئ نزعت
الاغلال من أعناقهما هل فعلت ذلك عنادا لى أو استخفافا بامرى ولكن أنا الآن
أضربك وأسحرك كلبا مثلهما فقال لها يا سيدتى أقسمت عليك بالنقش الذى على خاتم
سليمان بن داود عليهما السلام أن تمهلى على حتى أخبرك بالسبب ومهما أردتيه بى
فافعليه فقالت له اخبرنى فقال لها أما سبب عدم ضربهما فان ملك الانس
الخليفة أمير المؤمنين هرون الرشيد أمرنى أن لا أضربهما فى هذه الليلة وقد أخذ
على مواثيق وعهودا على ذلك وهو يقرئك السلام وأعطانى مرسوما بخط يده
وأمرنى أن أعطيك اياه فامتثلت أمره وأطعته وطاعة أمير المؤمنين واجبة وها هو
المرسوم فخذيه واقريه وبعد ذلك افعلى مرادك فقالت هاته فناولها المرسوم
ففتحته وقرأته فرأت مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من ملك الانس هرون
الرشيد الى بنت الملك الاحمر سعيدة أما بعد فان هذا الرجل قد سامح أخويه وأسقط
حقه عنهما وقد حكمت عليهم بالصلح واذا وقع الصلح ارتفع العقاب فان اعترضتمونا
فى أحكامنا اعترضنا كم فى أحكامكم وخرقنا قانونكم وان امتثلتم أمرنا ونفذتم
أحكامنا فاننا ننفذ أحكامكم وقد حكمت عليك بعدم التعرض لهما فان كنت
تؤمنين بالله ورسوله فعليك بالطاعة ولى الامر وان عفوت عنهما فانا أجازيك بما

يقدرنى

يقدر في عليه ربي وعلامة الطاعة أن ترفعي سحرك عن هذين الرجلين حتى يقابلاني
في غد خالصين وان لم تخلصيهما فأنا اخلصهما قهراً عنك بعون الله تعالى فلما قرأت
ذلك الكتاب قالت يا عبد الله لا افعل شيأ حتى اذهب الى أبي واعرض عليه مرسوم
ملك الانس وأرجع اليك بالجواب بسرعة ثم أشارت بيدها الى الارض فانشقت
ونزلت فيها فلما ذهبت طار قلب عبد الله فرحاً وقال اعز الله أمير المؤمنين ثم ان
سعيدة دخلت على أبيها وأخبرته بالخبر وعرضت عليه مرسوم أمير المؤمنين فقبله
ووضعه على رأسه ثم قرأه وفهم ما فيه وقال يا بنتي ان أمر ملك الانس علينا ماض
وحكمه فينا نافذ ولا نقدر أن نخالفه فامضي الى الرجلين وخلصيهما في هذه
الساعة وقولي لهما أنتما في شفاعة ملك الانس فانه ان غضب علينا أهلكنا عن آخرنا
فلا تحملينا ما لا نطيق فقالت له يا ابت اذا غضب علينا ملك الانس ماذا يصنع بنا
فقال لها يا بنتي انه يقدر علينا من وجوه الاول انه من البشر فهو مفضل علينا
والثاني انه خليفة الله والثالث أنه مصر على ركعتي الفجر فلو اجتمعت عليه
طوائف الجن من السبع ارضين لا يقدرون أن يصنعوا به مكروهاً فانه ان غضب
علينا يصلي ركعتي الفجر ويصيح علينا صيحة واحدة فنجتمع بين يديه طائعين ونصير
كالغنم بين يدي الجزار ان شاء يأمرنا بالرحيل من أوطاننا الى ارض موحشة
لا نستطيع المكث فيها وان شاء هلاكنا أمرنا بهلاك أنفسنا فيهلك بعضنا بعضاً
فنحن لا نقدر على مخالفة أمره فان خالفنا أمره احرقنا جميعاً وليس لنا مفر من بين
يديه وكذلك كل عبد داوم على ركعتي الفجر فان حكمه نافذ فينا فلا تتسببي في هلاكنا
من أجل رجلين بل امضي وخلصيهما قبل أن يحيق بنا غضب أمير المؤمنين فرجعت
الى عبد الله بن فاضل وأخبرته بما قال أبوها وقالت له قبل لنا أيادي أمير المؤمنين
واطلب لنا رضاه ثم انها اخرجت الطاسة ووضعت فيها الماء وعزمت عليها وتكلمت
بكلمات لا تفهم ثم رشتهما بالماء وقالت اخرجا من الصورة الكلبية الى الصورة
البشرية فعادا بشرين كما كانا أولاً وانفك عنهما رصد السحر وقالا اشهد أن
لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم انهما وقعا على يد أخيهما وعلى رجليه
يقبلانهما ويطلبان منه السماح فقال لهما سامحاني انتما ثم انهما تابا توبة نصوحاً وقالا
قد غرّنا ابليس اللعين واغوانا الطمع وربنا جازانا بما نستحقه والعفو من شيم الكرام
وصارا يستعطفان اخاهما ويبكيان ويتندمان على ما وقع منهما ثم انه قال لهما
ماذا فعلتم بزوجتي التي جئت بها من مدينة الحجر فقالوا لما اغوانا الشيطان ورمينا
في البحر وقع الخلاف بيننا وصار كل منا يقول انا اتزوج بها فلما سمعت كلامنا ورأت

اخذلا فيناوعرفت اشارة منالك في البحر طلعت من الخزنة وقالت لا تختصما من أجلي فانى لست لواحد منكما ان زوجي راح البحروانا اتبعه ثم انها رمت روحها في البحر وماتت فقال انها ماتت شهيدة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم انه بكى عليها بكاء شديدا وقال لهما لا يصح منكما أن تفعلا هذه الفعال وتعدمانى زوجتي فقالا انما اخطأنا وربنا جازانا على فعلنا وهذا شئ قدره الله علينا قبل أن يخلقنا فقبل عذرهما ثم ان سعيدة قالت ايفعلان معك كل هذه الفعال وأنت تعفو عنهما فقال يا أختي من قدر وعفا كان أجره على الله فقالت خذ حذرك منهما فانهما خائنان ثم ودعته وانصرفت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله لما حذرته سعيدة من اخويه ودعته وانصرفت الى حال سبيلها فبات عبد الله بقية تلك الليلة هو واخواه على أكل وشرب وبسط وانشراح صدر فلما أصبح الصباح ادخلهما الحمام وعند خروجهما من الحمام ألبس كل واحد منهما بدلة تساوى جملة من المال ثم انه طلب سفرة طعام فقدموها بين يديه فأكل هو واخواه فلما نظرهما الخدام وعرفوا انهما اخواه سلموا عليهما وقالوا للامير عبد الله يا مولانا هناك الله باجتماعك على اخويك العزيزين واين كانا في هذه المدة فقال لهم هما اللذان رأيتموهما في صورة كلبين والحمد لله الذى خلصهما من السجن والعذاب الاليم ثم انه اخذهما وتوجه الى ديوان الخليفة هرون الرشيد ودخل بهما عليه وقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم فقال له الخليفة مرحبا بك يا أمير عبد الله أخبرني بما جرى لك فقال يا أمير المؤمنين اعز الله قدرك انى لما اخذت اخوى وذهبت بهما الى منزلي اطمانيت عليهما بسببك حيث تكفلت بخلاصهما وقلت في نفسي ان الملوك لا يعجزون عن أمر يجتهدون فيه فان العناية تساعدهم ثم نزعت الاغلال من رقابهما وتوكلت على الله واكلت انا واياهما على السفرة فلما رآني اتباعي آكل معهما وهما في صورة كلبين استخفوا عقلي وقالوا لبعضهم لعله مجنون كيف يأكل نائب البصرة مع الكلاب وهو اكبر من الوزير ورموا ما فضل من السفرة وقالوا لانأكل ما بقى من الكلاب وصاروا يسفهون رأيي وانا اسمع كلامهم ولا ارد عليهم جوابا لعدم معرفتهم انهما اخواى ثم صرفتهم عند ما جاء وقت النوم وطلبت النوم

فما اشعر الا والارض قد انشقت وخرجت سعيدة بنت الملك الاحمر وهي غضبانة على
وعيناها مثل النار ثم اخبر الخليفة بجميع ما وقع منها ومن أبيها وكيف اخرجتهما
من الصورة الكلبية الى الصورة البشرية ثم قال وها هما بين يديك يا أمير المؤمنين
فالتفت الخليفة فرآهما شابين كالقمرين فقال الخليفة جزاك الله عني خيرا يا عبد
الله حيث اعلمتني بفائدة ما كنت اعلمها ان شاء الله لا اترك صلاة هاتين الركعتين
قبل طلوع الفجر ما دمت حيا ثم انه عنف اخوي عبد الله بن فاضل على ما سلف
منهما في حقه فاعتذرا قدام الخليفة فقال لهم تصافحوا وسامحوا بعضكم وعفا الله
عما سلف ثم التفت الى عبد الله وقال يا عبد الله اجعل اخويك معينين لك وتوص
بهما واوصاهما بطاعة أخيهما ثم أنعم عليهم وأمرهم بالارتحال الى مدينة البصرة
بعد أن اعطاهم انعاما جزيلا فنزلوا من ديوان الخليفة مجبورين وفرح الخليفة بهذه
الفائدة التي استفادها من هذه الحركة وهي المداومة على صلاة ركعتين قبل الفجر
وقال صدق من قال مصائب قوم عند قوم فوائد هذا ما كان من أمرهم مع الخليفة
وأما ما كان من أمر عبد الله بن فاضل فانه سافر من مدينة بغداد ومعه اخواه
بالاعزاز والاكرام ورفع المقام الى أن دخلوا مدينة البصرة فخرج الاكابر والاعيان
لملاقاتهم وزينوا لهم المدينة وادخلوهم بموكب ليس له نظير وصار الناس يدعون له
وهو ينثر الذهب والفضة وصار جميع الناس ضاجين بالدعاء له ولم يلتفت أحد الى
اخويه فدخلت الغيرة والحسد في قلوبهما ومع ذلك كان عبد الله يداريهما مداراة
العين الرمداء وكلما داراهما لا يزدادان الا بغضا له وحسدا فيه وقد قيل في هذا
المعنى

وداريت كل الناس لكن حاسدي * مداراته شطت وعزّ نوالها
وكيف يداري المرء حاسد نعمة * اذا كان لا يرضيه الا زوالها

ثم انه أعطى كل واحد منهما سرية ليس لها نظير وجعل لهما خدم وحشم وجوار
وعبيد سود وبيض من كل نوع أربعين وأعطى كل واحد منهما خمسين جوادا من
الخيل الجياد وصار لهما جماعة واتباع ثم انه عين لهما الخراج ورتب لهما الرواتب
وجعلهما معينين له وقال لهما يا اخوي انا وانتما سواء ولا فرق بيني وبينكما وأدرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان عبد الله رتب لاخويه الرواتب وجعلهما معينين له

وقال لهما يا أخوى انا وانتما سواء ولا فرق بينى وبينكما فالحكم بعد الله والخليفة لى ولكما فاحكما فى البصرة فى غيابى وحضورى وحكمكما نافذ ولكن عليكما بتقوى الله فى الاحكام واياكما والظلم فانه ان دام دمر وعليكما بالعدل فانه ان دام عمر ولا تظلما العباد فيدعوا عليكما وخبركما يصل الى الخليفة فتحصل فضيحة فى حقى وحقكما فلا تتعرضا لظلم أحد والذى تطمعان فيه من أموال الناس خذاه من مالى زيادة على ما تحتاجان اليه ولا يخفى عليكما ما ورد فى الظلم من محكم الآيات ولله در من قال هذه الابيات

الظلم فى نفس الفتى كامن * وليس الا العجز يخفيه
ذو العقل لا ينهض فى حاجة * حتى يرى الوقت يوافيه
لسان من يعقل فى قلبه * وقلب من يجهل فى فيه
من لم يكن اكبر من عقله * يقتله اصغر ما فيه
اصل الفتى خاف ولكنه * من فعله يظهر خافيه
من لم يكن عنصره طيبا * لا يظهر الطيب من فيه
من قلد الاحمق فى فعله * كان لذى الجهل مساويه
من أطلع الناس على سره * تنبهت له اعاديه
يكفى الفتى ما كان من شانه * تركه ما ليس يعنيه

ثم انه صار يعظ أخويه ويأمرهما بالعدل وينهاهما عن الظلم حتى ظن انهما أحباه بسبب بذل النصيحة لهما ثم انه ركن اليهما وبالغ فى اكرامهما ومع اكرامه لهما ما ازدادا الا حسدا له وبغضا فيه ثم ان أخويه ناصرا ومنصورا اجتمعا مع بعضهما فقال ناصر لمنصور يا أخى الى متى ونحن تحت طاعة اخينا عبد الله وهو فى هذه السيادة والامارة وبعد ما كان تاجرا صار أميرا وبعد ما كان صغيرا صار كبيرا ونحن لم نكبر ولم يبق لنا قدر ولا قيمة وها هو ضحك علينا وعملنا معينين له ما معنى ذلك أليس أننا خدمه ومن تحت طاعته وما دام طيبا لا ترتفع درجتنا ولم يبق لنا شأن فلا يتم غرضنا الا ان قتلناه واخذنا أمواله ولا يمكن أخذ هذه الاموال الا بعد هلاكه فاذا قتلناه نسود ونأخذ جميع ما فى خزائنه من الجواهر والمعادن والذخائر وبعد ذلك نقسمها بيننا ثم نهيء هدية للخليفة ونطلب منه منصب الكوفة وأنت تكون نائب البصرة وأنا أكون نائب الكوفة أوانك تكون نائب الكوفة وأنا أكون نائب البصرة ويبقى لكل واحد منا صورة وشأن ولكن لا يتم لنا ذلك الا اذا أهلكناه فقال منصور انك صادق فيما قلت ولكن ماذا نصنع معه حتى نقتله فقال نعمل ضيافة عند أحدنا

ونعزمه

ونعزمه فيها ونخدمه غاية الخدمة ثم نسامره بالكلام ونحكى له حكايات ونكتا
ونوادر الى أن يذوب قلبه من السهر ثم نفرش له حتى يرقد فاذا رقد نبرك عليه وهو
نائم فنخنقه ونرميه فى البحر ونصبح نقول ان أخته الجنية أتته وهو قاعد يتحدث بيننا
وقالت له ياقطاعة الانس ما مقدارك حتى تشكونى الى أمير المؤمنين أتظن اننا نخاف
منه فكما أنه ملك نحن ملوك وان لم يلزم ادبه فى حقنا قتلناه أقبح قتلة ولكن
بقيت أنا اقتلك حتى ننظر مايخرج من يد أمير المؤمنين ثم خطفته وشقت الارض
ونزلت به فلما رأينا ذلك غشى علينا ثم استفقنا ولم ندر ما حصل له وبعد ذلك نرسل الى
الخليفة ونعلمه فانه يولينا مكانه وبعد مدة نرسل الى الخليفة هدية سنية ونطلب منه
حكم الكوفة وواحد منا يقيم فى البصرة والآخر يقيم بالكوفة وتطيب لنا
البلاد ونقهر العباد ونبلغ المراد فقال له نعم ما أشرت به يا أخى ثم اتفقا على قتل
أخيهما وصنع ناصر ضيافة وقال لاخيه عبد الله يا أخى اعلم انى أنا أخوك ومرادى
انك تجبر بخاطرى أنت وأخى منصور وتأكلا ضيافتى فى بيتى حتى افتخر بك ويقال
ان الامير عبد الله أكل ضيافة أخيه ناصر لاجل أن يحصل لى بذلك جبر خاطر فقال
له عبد الله لا بأس يا أخى ولا فرق بينى وبينك وبيتك بيتى ولكن حيث عزمتنى فما يأبى
الضيافة الا اللئيم ثم التفت الى أخيه منصور وقال له اتروح معى الى بيت أخيك
ناصر ونأكل ضيافته ونجبر بخاطره فقال له يا أخى وحياة رأسك ما اروح معك
حتى تحلف لى انك بعد ما تخرج من بيت أخى ناصر تدخل بيتى وتأكل ضيافتى فهل
ناصر أخوك وأنا لست أخاك فكما جبرت بخاطره تجبر بخاطرى فقال لا بأس بذلك
حبا وكرامة فمتى خرجت من دار أخيك ادخل دارك وكما هو أخى أنت أخى ثم ان
ناصر اقبل يد أخيه عبد الله ونزل من الديوان وعمل الضيافة وفى ثانى يوم ركب عبد
الله واخذ معه جملة من العسكر وأخاه منصورا وتوجه الى دار أخيه ناصر فدخل
وجلس هو وجماعته وأخوه فقدم لهم السماط ورحب بهم فاكلوا وشربوا وتلذذوا
وطربوا وارتفعت السفرة والزبادى وغسلت الايادى واقاموا ذلك اليوم على
اكل وشرب وبسط ولعب الى الليل فلما تعشوا اصلوا المغرب والعشاء ثم جلسوا على
منادمة وصار منصور يحكى حكاية وناصر يحكى حكاية وعبد الله يسمع وكانوا
فى قصر وحدهم وبقية العسكر فى مكان آخر ولم يزالوا فى نكت وحكايات ونوادر
واخبار حتى ذاب قلب أخيهم عبد الله من السهر وغلب عليه النوم وأدرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان عبد الله لما طال عليه السهر واراد النوم فرشوا
له الفرش ثم قلع ثيابه ونام وناما بجانبه على فرش آخر وصبرا عليه حتى استغرق
فى النوم فلما عرفا انه استغرق فى النوم قاما وبركا عليه فافاق فرآهما باركين على
صدره فقال لهما ما هذا يا أخوى فقالا له ما نحن أخواك ولا نعرفك يا قليل الادب
وقد صار موتك أحسن من حياتك وحطا أيديهما فى رقبته وخنقاه فغاب عن
الدنيا ولم يبق فيه حركة فظنا انه مات وكان القصر على البحر فرموه فى البحر فلما وقع
فى البحر سخر الله له درفيلا كان معتادا على مجيئه تحت ذلك القصر لان المطبخ كان
فيه طاقة تشرف على البحر وكانوا كلما ذبحوا الذبائح يرمون تعاليقها فى البحر
من تلك الطاقة فيأتى ذلك الدرفيل ويلتقطها من على وجه الماء فاعتاد على ذلك
المكان وكانوا فى ذلك اليوم قد رموا اسقاطا كثيرة بسبب الضيافة فاكل ذلك
الدرفيل زيادة عن كل يوم وحصلت له قوة فلما سمع الخبطة فى البحر أتى بسرعة فرآه
ابن آدم فهداه الهادى وحمله على ظهره وشق به فى وسط البحر ولم يزل ماشيا به حتى
وصل الى البر من الجهة الثانية وألقاه على البر وكان ذلك المكان الذى أطلعه فيه
على قارعة الطريق فمرت به قافلة فرأوه مرميا على جانب البحر فقالوا هنا غريق
ألقاه البحر على الشاطئ واجتمع عليه جماعة من تلك القافلة يتفرجون عليه وكان
شيخ القافلة رجلا من أهل الخير وعارفا بجميع العلوم وخبيرا بعلم الطب وصاحب
فراسة صادقة فقال لهم يا ناس ما الخبر فقالوا هذا غريق ميت فاقبل عليه وتأمله
وقال يا ناس هذا الشاب فيه الروح وهذا من خيار أولاد الناس الاكابر وتربية العز
والنعم وفيه الرجاء ان شاء الله تعالى ثم انه اخذه وألبسه بدلة وادفاه وصار يعالجه
ويلاطفه مدة ثلاث مراحل حتى افاق ولكن حصلت له خضة فغلب عليه الضعف
وصار شيخ القافلة يعالجه باعشاب يعرفها ولم يزالوا مسافرين مدة ثلاثين يوما
حتى بعدوا عن البصرة بهذه المسافة وهو يعالج فيه ثم دخلوا مدينة يقال لها مدينة
عوج وهى فى بلاد العجم فنزلوا فى خان وفرشوا له ورقد فبات تلك الليلة يئن وقد اقلق
الناس من انينه فلما أصبح الصباح أتى بواب الخان الى شيخ القافلة وقال ما شأن
هذا الضعيف الذى عندك فانه اقلقنا فقال هذا رأيته فى الطريق على جانب البحر
غريقا فعالجته وعجزت ولم يشف فقال له اعرضه على الشيخة راجحة فقال له
وما تكون الشيخة راجحة فقال عندنا بنت بكر شيخة وهى عذراء جميلة اسمها الشيخة

راجحة كل من كان به داء يأخذونه اليها فيبيت عندها ليلة واحدة فيصبح معافى كأنه لم
يكن فيه شيء يضره فقال له شيخ القافلة دلني عليها فقال له احمل مريضك فحمله ومشى
بواب الخان قدامه الى أن وصل الى زاوية فرأى خلائق داخلين بالنذور وخلائق
خارجين فرحانين فدخل بواب الخان حتى وصل الى الستارة وقال دستور يا شيخة
راجحة خذي هذا المريض فقالت ادخله من داخل هذه الستارة فقال له ادخل
فدخل ونظر اليها فرآها زوجته التي جاء بها من مدينة الحجر فعرفها وعرفته وسلمت
عليه وسلم عليها فقال لها من أتى بك الى هذا المكان فقالت له لما رأيت أخويك
رمياك في البحر وتخاصما على رميت روحي في البحر فتناولني شيخي الخضر أبو
العباس وأتى بي الى هذه الزاوية واعطاني الاذن بشفاء المرضى ونادى في هذه
المدينة كل من كان به داء فعليه بالشيخة راجحة وقال لي اقيمي في هذا المكان حتى
يؤن الاوان ويأتي اليك زوجك في هذه الزاوية فصار كل مريض يأتي الي اكبسه
فيصبح طيبا وشاع ذكري بين العالم واقبلت علي الناس بالنذور وعندي
الخير كثير وانا في عز واكرام وجميع أهل هذه البلاد يطلبون مني الدعاء ثم انها كبسته
فشفي بقدرة الله تعالى وكان الخضر عليه السلام يحضر عندها في كل ليلة جمعة
وكانت تلك الليلة التي اجتمع بها فيها ليلة الجمعة فلما جن الليل جلست هي واياه بعد
ما تعشيا من افخر المأكول ثم قعدا ينتظران حضور الخضر فبينما هما جالسان واذا
به قد أقبل عليهما فحملهما من الزاوية ووضعهما في قصر عبد الله بن فاضل بالبصرة
ثم تركهما وراح فلما اصبح الصباح تأمل عبد الله في القصر فرآه قصره وعرفه وسمع
الناس في ضجة فطل من الشباك فرأى أخويه مصلوبين كل واحد منهما على خشبة
والسبب في ذلك انهما لما رمياه في البحر اصبحا يبكيان ويقولان ان اخانا خطفته
الجنية ثم هيأ هدية وارسلاها الى الخليفة واخبراه بهذا الخبر وطلبا منه منصب
البصرة فارسل أحضرهما عنده وسألهما فاخبراه كما ذكرناه فاشتد غضب الخليفة
فلما جن الليل صلى ركعتين قبل الفجر على عادته وصاح على طوائف الجن فحضروا بين
يديه طائعين فسألهم عن عبد الله فحلفوا له انه لم يتعرض له أحد منهم وقالوا له ما عندنا
خبر به فأتت سعيدة بنت الملك الاحمر وأخبرت الخليفة بخبره فصرفهم وفي ثاني يوم
رمى ناصرا ومنصورا تحت الضرب فاقرا على بعضهما فغضب عليهما الخليفة وقال
خذوهما الى البصرة واصلبوهما قدام قصر عبد الله هذا ما كان من أمرهما وأما ما
كان من أمر عبد الله فانه أمر بدفن أخويه ثم ركب وتوجه الى بغداد وأخبر الخليفة
بحكايته وما فعل معه أخواه من الاول الى الآخر فتعجب الخليفة من ذلك وأحضر

القاضي والشهود وكتب كتابه على البنت التي جاء بها من مدينة الجرود ودخل بها وأقام معها في البصرة الى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحي الذي لا يموت

(حكاية معروف الاسكافي)

ومما يحكى أيها الملك السعيد انه كان في مدينة مصر المحروسة رجل اسكافي يرقع الزرابين القديمة وكان اسمه معروفا وكان له زوجة اسمها فاطمة ولقبها العرة وما لقبوها بذلك الا لانها كانت فاجرة شرانية قليلة الحياء كثيرة الفتن وكانت حاكمة على زوجها وفي كل يوم تسبه وتلعنه ألف مرة وكان يخشى شرها ويخاف من اذاها لانه كان رجلا عاقلا يستحي على عرضه لكنه كان فقير الحال فاذا اشتغل بكثير صرفه عليها واذا اشتغل بقليل انتقمت من بدنه في تلك الليلة واعدمته العافية وتجعل ليلته مثل صحيفتها وهي كما قال في حقها الشاعر

كم ليلة قد بت مع زوجتي * في اشأم الاحوال قضيتها
ياليتني عند دخولي بها * أحضرت سما ثم سميتها

ومن جملة ما اتفق لهذا الرجل من زوجته انها قالت له يا معروف اريد منك في هذه الليلة أن تجي لي معك بكنافة عليها عسل نحل فقال لها الله تعالى يسهل لي حقها وأنا اجي بها لك في هذه الليلة والله لم يكن معي دراهم في هذا اليوم ولكن ربنا يسهل فقالت له أنا ما اعرف هذا الكلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن معروفا الاسكافي قال لزوجته الله يسهل بكلفتها وانا اجي بها اليك في هذه الليلة والله لم يكن معي دراهم في هذا اليوم لكن ربنا يسهل فقالت له أنا ما اعرف هذا الكلام ان سهل أو لم يسهل لا تجئني الا بالكنافة التي بعسل نحل وان جئت من غير كنافة جعلت ليلتك مثل بختك حين تزوجتني ووقعت في يدي فقال لها الله كريم ثم خرج ذلك الرجل والغم يتناثر من بدنه فصلى الصبح وفتح الدكان وقال أسألك يارب أن ترزقني بحق هذه الكنافة وتكفيني شر هذه الفاجرة في هذه الليلة وقعد في الدكان الى نصف النهار فلم يأته شغل فاشتد خوفه من زوجته فقام وقفل الدكان وصار متحيرا في أمره من شأن الكنافة مع انه لم يكن معه من

حق الخبز شئ ثم انه دخل على دكان الكنفانى ووقف باهتا وغرغرت عيناه بالدموع فلحظ عليه الكنفانى وقال يا معلم معروف مالك تبكى فاخبرنى بما أصابك فاخبره بقصته وقال له ان زوجتى جبارة وطلبت منى كنافة وقد قعدت فى الدكان حتى مضى نصف النهار فلم يجئنى ولا حق الخبز وأنا خائف منها فضحك الكنفانى وقال لا بأس عليك كم رطل تريد قال خمسة أرطال فوزن له خمسة أرطال وقال له السمن عندى ولكن ما عندى عسل نحل وانما عندى عسل قطر أحسن من عسل النحل وماذا يضر اذا كانت بعسل قطر فاستحى منه لكونه يصبر عليه بثمنها فقال له هاتها بعسل قطر فقلى له الكنافة بالسمن وغرقها بعسل قطر فصارت تهدى للملوك ثم انه قال له أتحتاج عيشا وجبنا قال نعم فاخذ له باربعة أنصاف عيشا وبنصف جبنا والكنافة بعشرة أنصاف وقال له اعلم يا معروف انه قد صار عندك خمسة عشر نصفا رح الى زوجتك واعمل حظا وخذ هذا النصف حق الحمام وعليك مهل يوم أو يومان أو ثلاثة حتى يرزقك الله ولا تضيق على زوجتك فانا أصبر عليك حتى يبقى عندك دراهم فاضلة عن مصروفك فاخذ الكنافة والعيش والجبن وانصرف داعيا له وروح مجبور الخاطر وهو يقول سبحانك ربى ما أكرمك ثم انه دخل عليها فقالت له هل جئت بالكنافة قال نعم ثم وضعها قدامها فنظرت اليها فرأتها بعسل قصب فقالت له أما قلت لك هاتها بعسل نحل تعمل على خلاف مرادى وتعملها بعسل قصب فاعتذر اليها وقال لها أنا ما اشتريتها الا مؤجلا ثمنها فقالت هذا كلام باطل أنا ما آكل كنافة الا بعسل نحل وغضبت عليها وضربته بها فى وجهه وقالت له قم يا معرص هات لى غيرها ولكمته فى صدغه فقلعت سنة من أسنانه ونزل الدم على صدره ومن شدة الغيظ ضربها ضربة واحدة لطيفة على رأسها فقبضت على لحيته وصارت تصيح وتقول يا مسلمون فدخل الجيران وخلصوا لحيته من يدها وقاموا عليها باللوم وعيبوها وقالوا نحن كلنا فى قبل أكل الكنافة التى بعسل القصب ما هذا التجبر على هذا الرجل الفقير ان هذا عيب عليك ولا زالوا يلاطفونها حتى أصلحوا بينها وبينه ولكنها بعد ذهاب الناس حلفت ما تاكل من الكنافة شيئا فاحرقه الجوع فقال فى نفسه هى حلفت ما تاكل فانا آكل ثم أكل فلما رأته يأكل صارت تقول له ان شاء الله يكون أكلها سما يهرى بدن البعيد فقال لها ما هو بكلامك وصار يأكل ويضحك ويقول أنت حلفت ما تاكلين من هذه فالله كريم فان شاء الله فى ليلة غد أجىء لك بكنافة تكون بعسل نحل وتأكليها وحدك وصار يأخذ بخاطرها وهى تدعو عليه ولم تزل تسبه وتشتمه الى الصبح فلما أصبح الصباح شمرت

عن ساعدها لضربه فقال لها امهليني وأنا أجيء اليك بغيرها ثم خرج الى المسجد
وصلى وتوجه الى الدكان وفتحها وجلس فلم يستقر به الجلوس حتى جاءه اثنان من
طرف القاضي وقالا له قم كلم القاضي فان امرأتك شكتك اليه وصفتها كذا
وكذا فعرفها وقال الله تعالى ينكد عليها ثم قام ومشى معهما الى ان دخل على القاضي
فرأى زوجته رابطة ذراعها وبرقعها ملوث بالدم وهي واقفة تبكي وتمسح دموعها
فقال له القاضي يارجل ألم تخف من الله تعالى كيف تضرب هذه الحرمة وتكسر
ذراعها وتقلع سنها وتفعل بها هذه الفعال فقال له ان كنت ضربتها أو قلعت سنها
فاحكم فيّ بما تختار وانما القصة كذا وكذا والجيران أصلحوا بيني وبينها وأخبره
بالقصة من الاول الى الآخر وكان ذلك القاضي من أهل الخير فاخرج له ربع دينار
وقال له يارجل خذ هذا واعمل لها به كنافة بعسل نحل واصطلح أنت واياها فقال له
أعطه لها فاخذته وأصلح بينهما وقال ياحرمة أطيعي زوجك وأنت يارجل ترفق بها
وخرجا مصطلحين على يد القاضي وراحت المرأة من طريق وزوجها راح من طريق
آخر الى دكانه وجلس واذا بالرسل أتوا اليه وقالوا هات خدمتنا فقال لهم ان القاضي
لم يأخذ مني شيأ بل أعطاني ربع دينار فقالوا لا علاقة لنا بكون القاضي أعطاك أو
أخذ منك فان لم تعطنا خدمتنا أخذناها قهرا عنك وصاروا يجرونه في السوق فباع
عدته وأعطاهم نصف دينار ورجعوا عنه وحط يده على خده وقعد حزينا حيث لم
يكن عنده عدة يشتغل بها فبينما هو قاعد واذا برجلين قبيحي المنظر أقبلا عليه وقالا له
قم يارجل كلم القاضي فان زوجتك شكتك اليه فقال لهما قد أصلح بيني وبينها
فقالا له نحن من عند قاض آخر فان زوجتك اشتكتك الى قاضينا فقام معهما وهو
يحتسب عليها فلما رآها قال لها أما اصطلحنا يابنت الحلال قالت ما بقي بيني وبينك صلح
فتقدم وحكى للقاضي حكايته وقال له ان القاضي فلانا أصلح بيننا في هذه الساعة
فقال لها القاضي ياعاهرة حيث اصطلحتما لماذا جئت تشتكين اليّ قالت انه ضربني
بعد ذلك فقال لهما القاضي اصطلحا ولا تعد الى ضربها وهي لا تعود الى مخالفتك
فاصطلحا وقال له القاضي أعط الرسل خدمتهم فاعطى الرسل خدمتهم وتوجه الى
الدكان وفتحها وقعد فيها وهو مثل السكران من الهم الذي أصابه فبينما هو قاعد
واذا برجل أقبل عليه وقال له يامعروف قم استخف فان زوجتك اشتكتك الى الباب
العالي ونازل عليك أبو طبق فقام وقفل الدكان وهرب في جهة باب النصر وكان قد
بقي معه خمسة أنصاف فضة من حق القوالب والعدة فاشترى باربعة أنصاف عيشا
وبنصف جبنا وهو هارب منها وكان ذلك في فصل الشتاء وقت العصر فلما خرج بين

الكيمان نزل عليه المطر مثل أفواه القرب فابتلت ثيابه ودخل العادلية فرأى موضعا خربا فيه حاصل مهجور من غير باب فدخل يستكن فيه من المطر وحوايجه مبتلة بالماء فنزلت الدموع من أجفانه وصار يتضجر مما به ويقول اين أهرب من هذه العاهرة أسألك يارب أن تقيض لى من يوصلنى الى بلاد بعيدة لا تعرف طريقى فيها فبينما هو جالس يبكى واذا بالحائط قد انشقت وخرج له منها شخص طويل القامة ورؤيته تقشعر منها الابدان وقال له يارجل مالك أقلقتنى فى هذه الليلة أنا ساكن فى هذا المكان منذ مائتى عام فما رأيت أحدا دخل هذا المكان وعمل مثل ما عملت أنت فاخبرنى بمقصودك وأنا أقضى حاجتك فان قلبى أخذته الشفقة عليك فقال له من أنت وما تكون فقال له أنا عامر هذا المكان فاخبره بجميع ما جرى له مع زوجته فقال له أتريد أن أوصلك الى بلاد لا تعرف لك زوجتك فيها طريقا قال نعم قال له اركب فوق ظهرى فركب وحمله وطار به من بعد العشاء الى طلوع الفجر وأنزله على رأس جبل عال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن معروفا الاسكافى لما حمله المارد طار به وأنزله على جبل عال وقال يا انسى انحدر من فوق هذا الجبل ترى عتبة مدينة فادخلها فان زوجتك لا تعرف لك طريقا ولا يمكنها أن تصل اليك ثم تركه وراح فصار معروف باهتا متحيرا فى نفسه الى ان طلعت الشمس فقال فى نفسه أقوم وأنزل من على هذا الجبل الى المدينة فان قعودى هنا ليس فيه فائدة فنزل الى أسفل الجبل فرأى مدينة باسوار عالية وقصور مشيدة وأبنية مزخرفة وهى نزهة للناظرين فدخل من باب المدينة فرآها تشرح القلب الحزين فلما مشى فى السوق صار أهل المدينة ينظرون اليه ويتفرجون عليه واجتمعوا عليه وصاروا يتعجبون من ملبسه لان ملبسه لا يشبه ملابسهم فقال له رجل من أهل المدينة يارجل هل أنت غريب قال نعم قال له من أى البلاد قال من مدينة مصر السعيدة قال له ألك زمان مفارقها قال له البارحة العصر فضحك عليه وقال يا ناس تعالوا انظروا هذا الرجل واسمعوا ما يقول فقالوا ما يقول قال انه يزعم انه من مصر وخرج منها البارحة العصر فضحكوا كلهم واجتمع عليه الناس وقالوا يارجل أأنت مجنون حتى تقول هذا الكلام كيف تزعم أنك فارقت مصر بالامس فى وقت العصر وأصبحت هنا والحال

ان بين مدينتنا وبين مصر مسافة سنة كاملة فقال لهم ما مجنون الا انتم واما انا فانى
صادق فى قولى وهذا عيش مصر لم يزل معى طريا وأراهم العيش فصاروا يتفرّجون
عليه ويتعجبون منه لانه لا يشبه عيش بلادهم وكثر الخلائق عليه وصاروا يقولون
لبعضهم هذا عيش مصر تفرجوا عليه وصارت له شهرة فى تلك المدينة ومنهم ناس
يصدّقون وناس يكذبون ويهزؤن به فبينماهم فى تلك الحالة واذا بتاجر أقبل عليهم
وهو راكب بغلة وخلفه عبدان ففرق الناس وقال يا ناس أما تستحون وأنتم ملتمون
على هذا الرجل الغريب وتسخرون منه وتضحكون عليه ما علاقتكم به ولم يزل يسبهم
حتى طردهم عنه ولم يقدر أحد أن يردّ عليه جوابا وقال له تعال يا أخى ما عليك بأس
من هؤلاء انهم لا حياء عندهم ثم أخذه وسار به الى ان أدخله دارا واسعة مزخرفة
وأجلسه فى مقعد ملوكى وأمر العبيد ففتحوا له صندوقا وأخرجوا له بدلة تاجر ألفى
وألبسه اياها وكان معروف وجيها فصار كأنه شاه بندر التجار ثم ان ذلك التاجر
طلب السفرة فوضعوا قدامهما سفرة فيها جميع الاطعمة الفاخرة من سائر الالوان
فأكلا وشربا وبعد ذلك قال له يا أخى ما اسمك قال اسمى معروف وصنعتى اسكافى أرقع
الزرابين القديمة قال له من أىّ البلاد أنت قال من مصر قال من أىّ الحارات
قال له هل أنت تعرف مصر قال له أنا من أولادها فقال له أنا من الدرب الاحمر قال له
من تعرف من الدرب الاحمر قال له فلانا وفلانا وعدّ له ناسا كثيرة قال له هل تعرف
الشيخ أحمد العطار قال له هو جارى الحيط فى الحيط قال له هل هو طيب قال نعم قال له
كم له من الاولاد قال ثلاثة مصطفى ومحمد وعلىّ قال له ما فعل الله باولاده قال
أما مصطفى فانه طيب وهو عالم مدرس وأما محمد فانه عطار وقد فتح له دكانا بجنب دكان
أبيه بعد ان تزوّج وولدت له زوجته ولدا اسمه حسن قال بشّرك الله بالخير قال وأما
علىّ فانه كان رفيقى ونحن صغار وكنت دائما ألعب أنا واياه وبقينا نروح بصفة أولاد
النصارى وندخل الكنيسة ونسرق كتب النصارى ونبيعها ونشترى بثمنها نفقة
فاتفق فى بعض المرات أن النصارى رأونا وأمسكونا بكتاب فاشتكونا الى أهلنا
وقالوا لابيه اذا لم تمنع ولدك من أذانا شكيناك الى الملك فأخذ بخاطرهم وضربه علقة
فبهذا السبب هرب من ذلك الوقت ولم يعرف له طريقا وهو غائب له عشرون سنة ولم
يخبر عنه أحد بخبره فقال له هو أنا علىّ ابن الشيخ أحمد العطار وأنت رفيقى يا معروف
وسلما على بعضهما وبعد السلام قال له يا معروف أخبرنى بسبب مجيئك من مصر الى
هذه المدينة فاخبره بخبر زوجته فاطمة العرة وما فعلت معه وقال له انه لما اشتدّ
علىّ أذاها هربت منها فى جهة باب النصر ونزل علىّ المطر فدخلت فى حاصل خرب

فى

في العادلية وقعدت أبكي فخرج لي عامر المكان وهو عفريت من الجن وسألني فأخبرته بحالي فاركبني على ظهره وطار بي طول الليل بين السماء والارض ثم حطني على الجبل وأخبرني بالمدينة فنزلت من الجبل ودخلت المدينة والتم الناس علي وسألوني فقلت لهم اني طلعت البارحة من مصر فلم يصدقوني فجئت أنت ومنعت عني الناس وجئت بي الى هذه الدار وهذا سبب خروجي من مصر وأنت ما سبب مجيئك هنا قال له غلب علي الطيش وعمري سبع سنين فمن ذلك الوقت وأنا دائر من بلد الى بلد ومن مدينة الى مدينة حتى دخلت هذه المدينة واسمها اختيان الختن فرأيت أهلها ناسا كراما وعندهم الشفقة ورأيتهم يأتمنون الفقير ويداينونه وكل ما قاله يصدقونه فقلت لهم أنا تاجر وقد سبقت الحملة ومرادي مكان أنزل فيه حملتي فصدقوني وأخلوا الى مكانا ثم اني قلت لهم هل فيكم من يداينني ألف دينار حتى تجيء حملتي وأرد له ما آخذه منه فاني محتاج الى بعض مصالح قبل دخول الحملة فاعطوني ما أردت وتوجهت الى سوق التجار فرأيت شيأ من البضاعة فاشتريته وفي ثاني يوم بعته فربحت فيه خمسين دينارا واشتريت غيره وصرت أعاشر الناس وأكرمهم فأحبوني وصرت أبيع وأشتري فكثر مالي واعلم يا أخي ان صاحب المثل يقول الدنيا فشر وحيلة والبلاد التي لا يعرفك أحد فيها مهما شئت فافعل فيها وأنت اذا قلت لكل من سألك أنا صنعتي اسكافي وفقير وهربت من زوجتي والبارحة طلعت من مصر فلا يصدقونك وتصير عندهم مسخرة مدة اقامتك في هذه المدينة وان قلت حملني عفريت نفروا منك ولا يقرب منك أحد ويقولون هذا رجل معفرت وكل من تقرب منه يحصل له ضرر وتبقى هذه الاشاعة قبيحة في حقي وحقك لكونهم يعرفون اني من مصر قال وكيف أصنع قال أنا أعلمك كيف تصنع ان شاء الله تعالى أعطيك في غد ألف دينار وبغلة تركبها وعبدا يمشي قدامك حتى يوصلك الى باب سوق التجار فادخل عليهم وأكون أنا قاعدا بين التجار فتى رأيتك أقوم لك وأسلم عليك وأقبل يدك وأعظم قدرك وكلما سألتك عن صنف من القماش وقلت لك هل جئت معك بشيء من الصنف الفلاني فقل كثير وان سألوني عنك أشكرك وأعظمك في أعينهم ثم اني أقول لهم خذوا له حاصلا ودكانا وأصفك بكثرة المال والكرم واذا أتاك سائل فاعطه ما تيسر فيثقون بكلامي ويعتقدون عظمتك وكرمك ويحبونك وبعد ذلك أعزمك وأعزم جميع التجار من شأنك وأجمع بينك وبينهم حتى يعرفك جميعهم وتعرفهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر عليا قال لمعروف أعزمك وأعزم جميع
التجار من شأنك وأجمع بينك وبينهم حتى يعرفك جميعهم وتعرفهم لاجل أن تبيع
وتشتري وتأخذ وتعطي معهم فما تمضى عليك مدة حتى تصير صاحب مال فلما أصبح
الصباح أعطاه ألف دينار وألبسه بدلة وأركبه بغلة وأعطاه عبدا وقال أبرأ الله
ذمتك من الجميع لانك رفيقي فواجب على اكرامك ولا تحمل هما ودع عنك سيرة
زوجتك ولا تذكرها لاحد فقال له جزاك الله خيرا ثم انه ركب البغلة ومشى
قدامه العبد الى ان أوصله الى باب سوق التجار وكانوا جميعا قاعدين والتاجر على
قاعد بينهم فلما رآه قام ورمى روحه عليه وقال له نهارمبارك يا تاجر معروف
يا صاحب الخيرات والمعروف ثم قبل يده قدام التجار وقال يا اخواننا آنسكم
التاجر معروف فسلموا عليه وصار يشير لهم بتعظيمه فعظم فى أعينهم ثم أنزله من فوق
ظهر البغلة وسلموا عليه وصار يختلى بواحد بعد واحد منهم ويشكره عنده
فقالوا له هل هذا تاجر فقال لهم نعم بل هو أكبر التجار ولا يوجد واحد اكثر مالا
منه لان أمواله وأموال أبيه وأجداده مشهورة عند تجار مصر وله شركاء فى الهند
والسند واليمن وهو فى الكرم على قدم عظيم فاعرفوا قدره وارفعوا مقامه
واخدموه واعلموا ان مجيئه الى هذه المدينة ليس من أجل التجارة وما مقصده
الا الفرجة على بلاد الناس لانه غير محتاج الى التغرب من أجل الربح والمكاسب
لان عنده أموالا لا تأكلها النيران وأنا من بعض خدمه ولم يزل يشكره حتى جعلوه
فوق رؤسهم وصاروا يخبرون بعضهم بصفاته ثم اجتمعوا عنده وصاروا يهادونه
بالفطورات والشربات حتى شاه بندر التجار أتى له وسلم عليه وصار يقول له التاجر
على بحضرة التجار يا سيدى لعلك جئت معك بشئ من القماش الفلانى فيقول له
كثير وكان فى ذلك اليوم فرجه على أصناف القماش المثمنة وعرفه أسامى الاقمشة
الغالى والرخيص فقال له تاجر من التجار يا سيدى هل جئت معك بجوخ أصفر قال
كثير قال وأحمر دم الغزال قال كثير وصار كلما سأله عن شئ يقول له كثير فعند ذلك قال
يا تاجر على ان بلديك لو أراد أن يحمل ألف حمل من القماشات المثمنة يحملها فقال
له يحملها من حاصل من جملة حواصله ولا ينقص منه شئ فبينما هم قاعدون واذا
برجل سائل دار على التجار فمنهم من أعطاه نصف فضة ومنهم من أعطاه جديدا
وغالبهم لم يعطه شيأ حتى وصل الى معروف فكبش له كبشة ذهب وأعطاه اياها فدعا
له وراح فتعجب التجار من ذلك وقالوا ان هذه عطايا ملوك فانه أعطى السائل ذهبا

من غير عدد ولولا انه من أصحاب النعم الجزيلة وعنده شئ كثير ما كان أعطى السائل كبشة ذهب وبعد حصة أتته امرأة فقيرة فكبش وأعطاها وذهبت تدعوله وحكت للفقراء فاقبلوا عليه واحدا بعد واحد وصار كل من أتى له يكبش ويعطيه حتى أنفق الالف دينار وبعد ذلك ضرب كفا على كف وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فقال له شاه بندر التجار مالك يا تاجر معروف قال كأن غالب هذه المدينة فقراء ومساكين ولو كنت أعرف انهم كذلك كنت جئت معى فى الخرج بجانب من المال وأحسن به الى الفقراء وأنا خائف أن تطول غربتى ومن طبعى انى لا أرد السائل ولم يبق معى ذهب فاذا أتانى فقير ماذا أقول له قال له قل له الله يرزقك قال ما هى عادتى وقد ركبنى الهم بهذا السبب وكان مرادى ألف دينار وأتصدق بها حتى تجئ حملتى فقال لا باس وأرسل بعض أتباعه فجاءله بالف دينار فاعطاه اياها فصار يعطى كل من مر به من الفقراء حتى أذن الظهر فدخلوا الجامع وصلوا الظهر والذى بقى معه من الالف دينار نثره على رؤس المصلين فانتبه له الناس وصاروا يدعون له وصارت التجار تتعجب من كثرة كرمه وسخائه ثم انه مال على تاجر آخر وأخذ منه ألف دينار وفرقها وصار التاجر على ينظر فعله ولا يقدر أن يتكلم ولم يزل على هذه الحالة حتى أذن العصر فدخل المسجد وصلى وفرق الباقى فما قفلوا باب السوق حتى أخذ خمسة آلاف دينار وفرقها وكل من أخذ منه شيأ يقول له حتى تجئ الحملة ان أردت ذهبا أعطيك وان أردت قماشا أعطيك فان عندى شيأ كثيرا وعند المساء عزمه التاجر على وعزم معه التجار جميعا وأجلسه فى الصدر وصار لا يتكلم الا بالقماشات والجواهر وكلما ذكروا له شيأ يقول عندى منه كثير وثانى يوم توجه الى السوق وصار يميل على التجار ويأخذ منهم الاموال ويفرقها على الفقراء ولم يزل على هذه الحالة مدة عشرين يوما حتى أخذ من الناس ستين ألف دينار ولم تأته حملة ولا كبة حامية فضجت الناس على أموالهم وقالوا اما أتت حملة التاجر معروف والى متى وهو يأخذ أموال الناس ويعطيها للفقراء فقال واحد منهم الرأى أن نتكلم مع بلديه التاجر على فأتوه وقالوا له يا تاجر على ان حملة التاجر معروف لم تأت فقال لهم اصبروا فانها لا بد أن تأتى عن قريب ثم انه اختلى به وقال له يا معروف ما هذه الفعال هل أنا قلت لك قمر الخبز أو احرقه ان التجار ضجوا على أموالهم وأخبرونى انه صار لهم عليك ستون ألف دينار أخذتها وفرقتها على الفقراء ومن أين تسدد دين الناس وأنت لا تبيع ولا تشترى فقال له أى شئ يجرى وما مقدار الستين ألف دينار لما تجئ الحملة أعطيهم ان شاؤا قماشا وان شاؤا

ذهبا وفضة قال له التاجر على الله أكبر وهل أنت لك حملة قال كثير قال له الله
والرجال عليك وعلى سماجتك هل أنا علمتك هذا الكلام حتى تقوله لى فانا أخبرك
الناس قال له رح بلا كثرة كلام هل أنا فقير ان حملتى فيها شئ كثير فاذا جاءت
يأخذون متاعهم المثل مثلين أنا غير محتاج اليهم فعند ذلك اغتاظ التاجر على وقال له
ياقليل الادب لابد أن أريك كيف تكذب على ولا تستحى فقال له الذى يخرج من
يدك افعله ويصبرون حتى تجئ حملتى ويأخذون متاعهم بزيادة فتركه وراح وقال
فى نفسه أنا شكرته سابقا وان ذممته الآن صرت كاذبا وأدخل فى قول من قال من
شكر وذم كذب مرتين وصار متحيرا فى أمره ثم ان التجار أتوه وقالوا يا تاجر على هل
كلمته قال لهم يا ناس أنا أستحى منه ولى عنده ألف دينار ولم أقدر أن أكلمه عليها وأنتم
لما أعطيتموه ما شاورتمونى وليس لكم على كلام فطالبوه منكم له وان لم يعطكم
فاشكوه الى ملك المدينة وقولوا له انه نصاب نصب علينا فان الملك يخلصكم منه
فراحوا الى الملك وأخبروه بما وقع وقالوا يا ملك الزمان اننا تحيرنا فى أمرنا مع هذا
التاجر الذى كرمه زائد فانه يفعل كذا وكذا وكل شئ أخذه يفرقه على الفقراء
بالكبشة فلو كان مقلا ما كانت تسمح نفسه أنه يكبش الذهب ويعطيه للفقراء ولو كان
من أصحاب النعم كان صدقه ظهر لنا بمجئ حملته ونحن لا نرى له حملة مع انه يدعى
ان له حملة وقد سبقها وكلما ذكرنا له صنفا من أصناف القماش يقول عندى منه
كثير وقد مضت مدة ولم يبن عن حملته خبر وقد صار لنا عنده ستون ألف
دينار وكل ذلك فرقه على الفقراء وصاروا يشكرونه ويمدحون كرمه وكان ذلك
الملك طماعا أطمع من أشعب فلما سمع بكرمه وسخائه غلب عليه الطمع وقال لوزيره
لولم يكن هذا التاجر عنده أموال كثيرة ما كان يقع منه هذا الكرم كله ولابد
أن تأتى حملته ويجتمع هؤلاء التجار عنده ويبعثر عليهم أموالا كثيرة فانا أحق منهم
بهذا المال فمرادى أن أعاشره وأتودد اليه حتى تأتى حملته والذى يأخذه منه هؤلاء
التجار آخذه أنا وأزوجه ابنتى وأضم ماله الى مالى فقال له الوزير يا ملك الزمان
ما أظنه الا نصابا والنصاب قد أخرب بيت الطماع وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير لما قال للملك ما أظنه الا نصابا والنصاب قد
أخرب بيت الطماع قال له الملك يا وزيرى أنا أمتحنه وأعرف هل هو نصاب أو صادق
وهل

وهل هو تربية نعمة أولا قال الوزير بماذا تمتحنه قال الملك ان عندى جوهرة فانا أبعث اليه وأحضره عندى واذا جلس أكرمه وأعطيه الجوهرة فان عرفها وعرف ثمنها يكون صاحب خير ونعم وان لم يعرفها فهو نصاب محدث فاقتله أقبح قتلة ثم ان الملك أرسل اليه وأحضره فلما دخل عليه سلم عليه فرد عليه السلام وأجلسه الى جانبه وقال له هل أنت التاجر معروف قال نعم قال له ان التجار يزعمون ان لهم عندك ستين ألف دينار فهل ما يقولونه حق قال نعم قال له لم تعطهم أموالهم قال يصبرون حتى تجئ حملتى وأعطيهم المثل مثلين وان أرادوا ذهبا أعطيهم وان أرادوا فضة أعطيهم وان أرادوا بضاعة أعطيهم والذى له ألف أعطيه ألفين فى نظير ما ستر به وجهى مع الفقراء فان عندى شيأ كثيرا ثم ان الملك قال له يا تاجر خذ هذه وانظر ما جنسها وما قيمتها وأعطاه جوهرة قدر البندقة كان الملك اشتراها بألف دينار ولم يكن عنده غيرها وكان مستعزا بها فأخذها معروف بيده وفرط عليها بالابهام والشاهد فكسرها لان الجوهر رقيق لا يتحمل فقال له الملك لاى شئ كسرت الجوهرة فضحك وقال يا ملك الزمان ما هذه جوهرة هذه قطعة معدن تساوى ألف دينار كيف تقول عليها انها جوهرة ان الجوهرة يكون ثمنها سبعين ألف دينار وانما يقال على هذه قطعة معدن والجوهرة ما لم تكن قدر الجوزة لا قيمة لها عندى ولا اعتنى بها كيف تكون ملكا وتقول على هذه جوهرة وهى قطعة معدن قيمتها ألف دينار ولكن أنتم معذورون لكونكم فقراء وليس عندكم ذخائر لها قيمة فقال له الملك يا تاجر هل عندك جواهر من الذى تخبر به قال كثير فغلب الطمع على الملك فقال له هل تعطينى جواهر صحاحا قال له حتى تجئ الحملة أعطيك كثيرا ومهما طلبته فعندى منه كثير وأعطيك من غير ثمن ففرح الملك وقال للتجار روحوا الى حال سبيلكم واصبروا عليه حتى تجئ الحملة ثم تعالوا خذوا مالكم منى فراحوا هذا ما كان من أمر معروف والتجار وأما ما كان من أمر الملك فانه أقبل على الوزير وقال له لاطف التاجر معروف وخذ واعط معه فى الكلام واذكر له ابنتى حتى يتزوج بها ونغتنم هذه الخيرات التى عنده فقال الوزير يا ملك الزمان ان حال هذا الرجل لم يعجبنى وأظن انه نصاب وكذاب فاترك هذا الكلام لئلا تضيع بنتك بلا شئ وكان الوزير سابقا ساق على الملك أن يزوجه البنت وأراد زواجها له فلما بلغها ذلك لم ترض ثم ان الملك قال له يا خائن أنت لا تريد لى خيرا لكونك خطبت ابنتى سابقا ولم ترض أن تتزوج بك فصرت الآن تقطع طريق زواجها ومرادك أن بنتى تبور حتى تأخذها أنت فاسمع منى هذه الكلمة ليس لك علاقة بهذا الكلام كيف

يكون نصابا كذابا مع أنه عرف ثمن الجوهرة مثل ما اشتريتها به وكسرها لكونها
لم تعجبه وعنده جواهر كثيرة فتى دخل على ابنتى يراها جميلة فتأخذه لله ويعجبها
ويعطيها جواهر أو ذخائر وأنت مرادك أن تحرم ابنتى وتحرمنى من هذه الخيرات
فسكت الوزير وخاف من غضب الملك عليه وقال فى نفسه اغر الكلاب على البقر
ثم ميل على التاجر معروف وقال له ان حضرة الملك حبك وله بنت ذات حسن
وجمال يريد أن يزوجها لك فما تقول فقال له لا بأس ولكن يصبر حتى تأتى
حملتى فان مهر بنات الملوك واسع ومقامهن أن لا يمهرن الا بمهر يناسب حالهن
وفى هذه الساعة ما عندى مال فليصبر على حتى تجىء الحملة فالخير عندى كثير ولا بد
أن ادفع صداقها خمسة آلاف كيس واحتاج الى ألف كيس افرقها على الفقراء
والمساكين ليلة الدخلة وألف كيس أعطيها للذين يمشون فى الزفة وألف كيس أعمل
بها الاطعمة للعساكر وغيرهم واحتاج الى مائة جوهرة أعطيها للملكة صبيحة
العرس ومائة جوهرة افرقها على الجوارى والخدم فاعطى كل واحدة جوهرة
تعظيما لمقام العروسة واحتاج الى أن اكسى ألف عريان من الفقراء ولا بد من
صدقات وهذا شىء لا يمكن الا اذا جاءت الحملة فان عندى شيأ كثيرا واذا جاءت الحملة
لا ابالى بهذا المصروف كله فراح الوزير وأخبر الملك بما قاله فقال الملك حيث كان
مراده ذلك كيف تقول عنه انه نصاب كذاب قال الوزير ولم ازل أقول ذلك ففزع
فيه الملك ووبخه وقال له وحياة رأسى ان لم تترك هذا الكلام لاقتلنك فارجع اليه
وهاته عندى وأنا منى له أصطفل فراح اليه الوزير وقال له تعال كلم الملك فقال
سمعا وطاعة ثم جاء اليه فقال له الملك لا تعتذر بهذه الاعذار فان خزنتى ملآنة فخذ
المفاتيح عندك وأنفق جميع ما تحتاج اليه وأعط ما تشاء واكس الفقراء وافعل
ما تريد وما عليك من البنت والجوارى واذا جاءت حملتك فاعمل مع زوجتك ما تشاء
من الاكرام ونحن نصبر عليك بصداقها حتى تجىء الحملة وليس بينى وبينك
فرق أبدا ثم أمر شيخ الاسلام أن يكتب الكتاب فكتب كتاب بنت الملك على التاجر
معروف وشرع فى عمل الفرح وأمر بزينة المدينة ودقت الطبول ومدت الاطعمة
من سائر الالوان وأقبلت أرباب الملاعب وصار التاجر معروف يجلس على كرسى
فى مقعد وتأتى قدامه أرباب الملاعب والشطار والجنك وأرباب الحركات الغريبة
والملاهى العجيبة وصار يأمر الخازندار ويقول له هات الذهب والفضة فيأتيه
بالذهب والفضة وصار يدور على المتفرجين ويعطى كل من لعب بالكبشة ويحسن
للفقراء والمساكين ويكسو العريانين وصار فرحا عجاجا وما بقى الخازندار يلحق أن
يجىء

يجىء بالاموال من الخزنة وكاد قلب الوزير أن ينفقع من الغيظ ولم يقدر أن يتكلم
وصار التاجر على يتعجب من بذل هذه الاموال ويقول للتاجر معروف الله والرجال
على صدغك اما كفاك أن اضعت مال التجار حتى تضيع مال الملك فقال له التاجر
معروف لاعلاقة لك واذا جاءت الحملة اعوض ذلك على الملك باضعافه وصار يبدد
فى الاموال ويقول فى نفسه كبة حامية فالذى يجرى يجرى والمقدر مامنه
مفر ولم يزل الفرح مدة أربعين يوما وفى اليوم الحادى والاربعين عملوا الزفة
للعروسة ومشى قدامها جميع الامراء والعساكر ولما دخلوا بها صار ينثر
الذهب على رؤس الخلائق وعملوا لها زفة عظيمة وصرف أموالا لها مقدار عظيم
وادخلوه على الملكة فقعد على المرتبة العالية وارخوا الستائر وقفلوا الابواب
وخرجوا وتركوه عند العروسة فخبط يدا على يد وقعد حزينا مدة وهو يضرب كفا على
كف ويقول لاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم فقالت له الملكة ياسيدى سلامتك
مالك مغموما فقال كيف لا أكون مغموما وأبوك قد شوش علىّ وعمل معى
عملة مثل حرق الزرع الاخضر قالت وما عمل معك أبى قل لى قال ادخلنى عليك قبل
أن تأتى حملتى وكان مرادى أقل مايكون مائة جوهرة افرقها على جواريك لكل
واحدة جوهرة تفرح بها وتقول ان سيدى أعطانى جوهرة فى ليلة دخلته علىّ
سيدتى وهذه الخصلة كانت تعظيما لمقامك وزيادة فى شرفك فانى لا أقصر ببذل
الجواهر لان عندى منها كثيرا فقالت له لا تهتم بذلك ولا تغم نفسك بهذا السبب
أما أنا فما عليك منى لانى أصبر عليك حتى تجىء الحملة وأما الجوارى فما عليك منهن
قم اقلع ثيابك واعمل انبساطا ومتى جاءت الحملة فاننا لاحقون على تلك الجواهر
وغيرها فقام وقلع ما كان عليه من الثياب وجلس على الفراش وطلب النغاش
ووقع الهراش وحط يده على ركبتها فجلست هى فى حجره والقمته شفتها فى فمه
وصارت هذه الساعة تنسى الانسان أباه وأمه فحضنها وضمها اليه وعصرها
فى حضنه وضمها الى صدره ومص شفتها حتى سال العسل من فمها ووضع يده من
تحت ابطها الشمال فحنت اعضاؤه واعضاؤها للوصال ولكزها بين النهدين
فراحت بين الفخذين وتحزم بالساقين ومارس العملين ونادى ياابا اللثامين وحط
الذخيرة واشعل الفتيل وحرر على بيت الابرة وأعطى النار فخسف البرج من
الاربعة اركان وحصلت النكتة التى لايسأل عنها وزعقت الزعقة التى لابد منها
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الملك لما زعقت الزعقة التي لا بد منها
ازال التاجر معروف بكارتها وصارت تلك الليلة لا تعد من الاعمار لاشتمالها على
وصل الملاح من عناق وهراش ومص ورصع الى الصباح ثم دخل الحمام ولبس بدلة
من ملابس الملوك وطلع من الحمام ودخل ديوان الملك فقام له من فيه على الاقدام
وقابلوه باعزاز واكرام وهنوه وباركوا له وجلس بجانب الملك وقال اين الخازندار
فقالوا ها هو حاضر بين يديك قال هات الخلع وألبس جميع الوزراء والامراء وارباب
المناصب فجاء له بجميع ما طلب وجلس يعطي كل من أتى له ويهب لكل انسان
على قدر مقامه واستمر على هذه الحالة مدة عشرين يوما ولم يظهر له حملة ولا غيرها
ثم ان الخازندار تضايق منه غاية الضيق ودخل على الملك في غياب معروف وكان
الملك جالسا هو والوزير لا غير فقبل الارض بين يديه وقال يا ملك الزمان أنا أخبرك
بشيء لانك ربما تلومني على عدم الاخبار به اعلم أن الخزنة فرغت ولم يبق فيها شيء
من المال الا القليل وبعد عشرة أيام نقفلها على الفارغ فقال الملك يا وزير ان حملة
نسيبي تأخرت ولم يبن عنها خبر فضحك الوزير وقال له الله يلطف بك يا ملك الزمان
ما أنت الا مغفل عن فعل هذا النصاب الكذاب وحياة رأسك انه لا حملة له ولا كبة
تريحنا منه وانما هو لم يزل ينصب عليك حتى اتلف أموالك وتزوج بنتك بلا شيء
والى متى وأنت غافل عن هذا الكذاب فقال له يا وزير كيف العمل حتى نعرف
حقيقة حاله فقال يا ملك الزمان لا يطلع على سر الرجل الا زوجته فأرسل الى بنتك
لتأتي خلف الستارة حتى اسألها عن حقيقة حاله لاجل أن تختبره وتطلعنا على حاله
فقال لا باس بذلك وحياة رأسي ان ثبت انه نصاب كذاب لاقتلنه اشأم قتلة
ثم انه أخذ الوزير ودخل به الى قاعة الجلوس وأرسل الى بنته فاتت خلف الستارة
وكان ذلك في غياب زوجها فلما اتت قالت يا أبي ما تريد قال كلمي الوزير قالت أيها
الوزير ما بالك قال يا سيدتي اعلمي أن زوجك اتلف مال أبيك وقد تزوج بك بلا مهر
وهو لم يزل يعدنا ويخلف الميعاد ولم يبن لحملته خبر وبالجملة نريد أن تخبرينا عنه فقالت
ان كلامه كثير وهو في كل وقت يجيء ويعدني بالجواهر والذخائر والقماشات المثمنة
ولم أر شيأ فقال يا سيدتي هل تقدرين في هذه الليلة أن تاخذي وتعطي معه في الكلام
وتقولي له أخبرني بالصحيح ولا تخف من شيء فانك صرت زوجي ولا أفرط فيك فاخبرني
بحقيقة الامر وأنا ادبر لك تدبيرا ترتاح به ثم قربي وبعدي له في الكلام وأريه المحبة
وقرريه ثم بعد ذلك أخبرينا بحقيقة أمره فقالت يا أبت أنا اعرف كيف اختبره
ثم انها ذهبت وبعد العشاء دخل عليها زوجها معروف على جري عادته فقامت له

واخذته

وأخذته من تحت ابطه وخادعته خداعا زائدا وناهيك بمخادعة النساء اذا كان لهن عند الرجال حاجة يردن قضاءها وما زالت تخادعه وتلاطفه بكلام أحلى من العسل حتى سرقت عقله فلما رأته مال اليها بكليته قالت له يا حبيبي يا قرة عيني يا ثمرة فؤادي لا أوحش الله منك ولا فرق الزمان بيني وبينك فان محبتك سكنت فؤادي ونار غرامك أحرقت اكبادي وليس فيك تفريط أبدا ولكن مرادي أن تخبرني بالصحيح لان حيل الكذب غير نافعة ولا تنطلي في كل الاوقات والى متى وأنت تنصب وتكذب على أبي وانا خائفة أن يفتضح أمرك عنده قبل أن ندبر له حيلة فيبطش بك فاخبرني بالصحيح ومالك الا ما يسرك ومتى اخبرتني بحقيقة الامر لا تخشى من شيء يضرك فكم تدعى انك تاجر وصاحب أموال ولك حملة وقد مضت لك مدة طويلة وأنت تقول حملتي حملتي ولم يبن عن حملتك خبر ويلوح على وجهك الهم بهذا السبب فان كان كلامك ليس له صحة فاخبرني وأنا ادبر لك تدبيرا تخلص به ان شاء الله فقال لها يا سيدتي أنا اخبرك بالصحيح ومهما اردت فافعلي فقالت قل وعليك بالصدق فان الصدق سفينة النجاة واياك والكذب فانه يفضح صاحبه ولله در من قال

عليك بالصدق ولو أنه * احرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضى الله فأغبى الورى * من اسخط المولى وارضى العبيد

فقال يا سيدتي اعلمي اني لست تاجرا ولا لي حملة ولا كبة حامية وانما كنت في بلادي رجلا اسكافيا ولي زوجة اسمها فاطمة العرة وجرى لي معها كذا وكذا وأخبرها بالحكاية من أولها الى آخرها فضحكت وقالت انك ماهر في صناعة الكذب والنصب فقال يا سيدتي الله تعالى يبقيك لستر العيوب وفك الكروب فقالت اعلم انك نصبت على أبي وغررته بكثرة فشرك حتى زوجني بك من طمعه ثم اتلفت ماله والوزير منكر ذلك عليك وكم مرة يتكلم فيك عند أبي ويقول له انه نصاب كذاب ولكن أبي لم يطعه فيما يقول بسبب انه كان خطبني وأنا لم ارض به أن يكون لي بعلا وأكون له أهلا ثم ان المدة طالت وقد تضايق أبي وقال لي قرريه وقد قررتك وانكشف المغطى وأبي مصر لك على الضرر بهذا السبب ولكنك صرت زوجي وأنا لا افرط فيك فان اخبرت أبي بهذا الخبر ثبت عنده انك نصاب كذاب وقد نصبت على بنات الملوك واذهبت أموالهم فذنبك عنده لا يغفر ويقتلك بلا محالة ويشيع بين الناس اني تزوجت برجل نصاب كذاب وتكون فضيحة في حقي واذا قتلك أبي ربما يحتاج أبي أن يزوجني الى آخر وهذا شيء لا أقبله ولو مت ولكن قم الآن والبس بدلة

مملوك وخذ معك خمسين ألف دينار من مالى واركب على جواد وسافر الى بلاد
يكون حكم أبي لا ينفذ فيها واعمل تاجرا هناك واكتب لي كتابا وأرسله مع ساع
يأتيني به خفية لاعلم فى أي البلاد أنت حتى ارسل اليك كلما طالت يدى ويكثر مالك
فان مات أبي ارسلت اليك فتجيء باعزاز واكرام واذا مت أنت أو مت انا الى
رحمة الله تعالى فالقيامة تجمعنا وهذا هو الصواب وما دمت طيبا وأنا طيبة لا اقطع
عنك المراسلة والاموال قم قبل أن يطلع النهار عليك وتحتار ويحيط بك الدمار
فقال لها يا سيدتى أنا فى عرضك أن تودعيني بوصالك فقالت لا بأس ثم واصلها
واغتسل ولبس بدلة مملوك وأمر السياس أن يشدوا له جوادا من الخيل الجياد
فشدوا له جوادا ثم ودعها وخرج من المدينة فى آخر الليل وسار فصار كل من رآه
يظن انه مملوك من مماليك السلطان مسافر فى قضاء حاجة فلما أصبح الصباح جاء
أبوها هو والوزير الى قاعة الجلوس وأرسل اليها أبوها فاتت خلف الستارة فقال
لها أبوها يا بنتى ما تقولين قالت أقول سود الله وجه وزيرك فانه كان مراده أن يسود
وجهى مع زوجى قال وكيف ذلك قالت انه دخل علي أمس قبل أن اذكر له هذا
الكلام واذا بفرج الطواشى دخل علي وبيده كتاب وقال ان عشرة مماليك واقفون
تحت شباك القصر وأعطونى هذا الكتاب وقالوا قبل لنا أيادى سيدى معروف
التاجر واعطه هذا الكتاب فاننا من مماليكه الذين مع الحملة وقد بلغنا انه تزوج بنت
الملك فاتيناه لنخبره بما حصل بنا فى الطريق فاخذت الكتاب وقرأته فرأيت فيه من
المماليك الخمسمائة الى حضرة سيدنا التاجر معروف وبعد فالذى نعلمك به انك بعد
ما تركتنا خرج العرب علينا وحاربونا وهم قدر ألفين من الفرسان ونحن خمسمائة
مملوك ووقع بيننا وبين العرب حرب عظيم ومنعونا عن الطريق ومضى لنا ثلاثون
يوما ونحن نحاربهم وهذا سبب تأخيرنا عنك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن بنت الملك قالت لابيها ان زوجى جاءه مكتوب
من اتباعه مضمونه أن العرب منعونا عن الطريق وهذا سبب تاخيرنا عنك وقد
اخذوا منا مائتى حمل قماش من الحملة وقتلوا منا خمسين مملوكا فلما بلغه الخبر قال
خيبهم الله كيف يتحاربون مع العرب لاجل مائتى حمل بضاعة وما مقدار مائتى حمل
فما كان ينبغى لهم أن يتأخروا من أجل ذلك فان قيمة المائتى حمل سبعة آلاف

دينار

دينار ولكن ينبغى انى اروح اليهم واستعجلهم والذى اخذه العرب لا تنقص به الجملة ولا يؤثر عندى شيأ واقدر انى تصدقت به عليهم ثم نزل من عندى ضاحكا ولم يغتم على ماضاع من ماله ولا على قتل مماليكه ولما نزل نظرت من شباك القصر فرأيت العشرة مماليك الذين اتوا له بالكتاب كانهم الاقمار كل واحد منهم لابس بدلة تساوى ألفى دينار وليس عند أبى مملوك يشبه واحدا منهم ثم توجه مع المماليك الذين جاؤا له بالمكتوب ليجئ بجملته والحمد لله الذى منعنى ان اذكر له شيأ من الكلام الذى أمرتنى به فانه كان يستهزئ بى وبك وربما كان يرانى بعين النقص ويبغضنى ولكن العيب كله من وزيرك الذى يتكلم فى حق زوجى كلاما لا يليق به فقال الملك يا بنتى ان مال زوجك كثير ولا يفكر فى ذلك ومن يوم دخل بلادنا وهو يتصدق على الفقراء وان شاء الله عن قريب ياتى بالحملة ويحصل لنا منه خير كثير وصار ياخذ بخاطرها ويوبخ الوزير وانطلت عليه الحيلة هذا ما كان من أمر الملك وأما ما كان من أمر التاجر معروف فانه ركب الجواد وسار فى البر الاقفر وهو متحير لا يدرى الى أى البلاد يروح وصار من الم الفراق ينوح وقاسى الوجد واللوعات وأنشد هذه الابيات

غدر الزمان بشملنا فتفرقا * والقلب ذاب من الجفا وتحرقا
والعين تقطر من فراق أحبتى * هذا الفراق متى يكون الملتقى
يا طلعة البدر المنير أنا الذى * فى حبكم ترك الفؤاد ممزقا
ياليتنى لم اجتمع بك ساعة * من بعد طيب وصالكم ذقت الشقا
مازال معروف بدنياه مغرما * ان كان مات صبابة فلها البقا
يا بهجة الشمس المنيرة أدركى * قلبا لمعروف المحبة محرقا
يا هل ترى الايام تجمع شملنا * ونفوز منها بالمسرة واللقا
ويضمنا قصر الحبيبة بالهنا * وأضم فيه معانقا غصن النقا
يا طلعة البدر المنيرة شمسه * مازال وجهك بالمحاسن مشرقا
انى لراض بالغرام وهمه * حيث السعادة فى الهوى عين الشقا

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا وقد انسدت الطرقات فى وجهه واختار الممات على الحياة ثم انه مشى كالسكران من شدة حيرته ولم يزل سائرا الى وقت الظهر حتى أقبل على بلد صغيرة فرأى رجلا حراثا قريبا منها يحرث على ثورين وكان قد اشتد به الجوع فقصد الحراث وقال له السلام عليكم فرد عليه السلام وقال مرحبا بك ياسيدى هل أنت من مماليك السلطان قال نعم قال انزل عندى للضيافة فعرف انه

من الاجاويد فقال له يا أخى ما أنا ناظر عندك شيأ حتى تطعمنى اياه فكيف تعزم على
فقال الحراث ياسيدى الخير موجود انزل أنت وها هى البلد قريبة فاروح وأجىء
لك بغداء وعليق لحصانك قال حيث كانت البلد قريبة فانا أصل اليها فى مقدار ما
تصل أنت اليها واشترى مرادى من السوق وآكل فقال له ياسيدى ان البلد كفر
صغير وليس فيها سوق ولا بيع ولا شراء أسألك بالله أن تنزل عندى وتجبر بخاطرى
وأنا اذهب اليها وارجع اليك بسرعة فنزل ثم ان الفلاح تركه وراح البلد ليجىء له
بالغداء فقعد معروف ينتظره ثم قال فى نفسه انا شغلنا هذا الرجل المسكين عن شغله
ولكن أنا أقوم واحرث عوضا عنه حتى يأتى فى نظير ما عوقته عن شغله ثم أخذ
المحراث وساق الثيران فحرث قليلا وعثر المحراث فى شئ فوقفت البهائم فساقها
فلم تقدر على المشى فنظر الى المحراث فرآه مشبوكا فى حلقة من الذهب فكشف عنها
التراب فوجد تلك الحلقة فى وسط حجر من المرمر قدر قاعدة الطاحون فعالج فيه
حتى قلعه من مكانه فبان من تحته طابق بسلالم فنزل فى تلك السلالم فرأى مكانا مثل
الحمام باربعة لواوين الليوان الاول ملآن من الارض الى السقف بالذهب
والليوان الثانى ملآن زمردا ولؤلؤا ومرجانا من الارض الى السقف والليوان
الثالث ملآن ياقوتا وبلخشا وفيروزجا والليوان الرابع ملآن بالالماس ونفيس
المعادن من سائر اصناف الجواهر وفى صدر ذلك المكان صندوق من البلور
الصافى ملآن بالجواهر اليتيمة التى كل جوهرة منها قدر الجوزة وفوق ذلك
الصندوق علبة صغيرة قدر الليمونة وهى من الذهب فلما رأى ذلك تعجب وفرح فرحا
شديدا وقال يا هل ترى أى شئ فى هذه العلبة ثم انه فتحها فرأى فيها خاتما من الذهب
مكتوبا عليه اسماء وطلاسم مثل دبيب النمل فدعك الخاتم واذا بقائل يقول لبيك
لبيك ياسيدى فاطلب تعط هل تريد أن تعمر بلدا أو تخرب مدينة أو تقتل ملكا
أو تحفر نهرا أو نحو ذلك فهما طلبته فانه قد صار باذن الملك الجبار خالق الليل
والنهار فقال له يا مخلوق ربى من أنت وما تكون قال أنا خادم هذا الخاتم القائم
بخدمة مالكه فهما طلبه من الاغراض قضيته له ولا عذر لى فيما يأمرنى به فانى
سلطان على أعوان من الجان وعدة عسكرى اثنان وسبعون قبيلة كل قبيلة
عدتها اثنان وسبعون ألفا وكل واحد من الالف يحكم على ألف مارد وكل مارد
يحكم على ألف عون وكل عون يحكم على ألف شيطان وكل شيطان يحكم على ألف
جنى وكلهم من تحت طاعتى ولا يقدرون على مخالفتى وأنا مرصود لهذا الخاتم
لا أقدر على مخالفة من ملكه وها أنت قد ملكته وصرت أنا خادمك فاطلب

ما

كما شئت فانى سميع لقولك مطيع لامرك واذا احتجت الى فى أى وقت فى البر أو فى البحر فادعك الخاتم تجدنى عندك واياك أن تدعكه مرتين متواليتين فتحرقنى بنار الاسماء وتعدمنى وتندم على بعد ذلك وقد عرفتك بحالى والسلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن خادم هذا الخاتم لما أخبر معروفا باحواله قال له معروف ما اسمك قال اسمى أبو السعادات فقال له يا أبا السعادات ما هذا المكان ومن أرصدك فى هذه العلبة قال له يا سيدى هذا المكان كنز يقال له كنز شداد بن عاد الذى عمر ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وأنا كنت خادمه فى حياته وهذا خاتمه وقد وضعه فى كنزه ولكنه نصيبك فقال له معروف هل تقدر أن تخرج ما فى هذا الكنز على وجه الارض قال نعم أسهل ما يكون قال اخرج جميع ما فيه ولا تبق منه شيأ فاشار بيده الى الارض فانشقت ثم نزل وغاب مدة لطيفة واذا غلمان صغار ظراف بوجوه حسان قد خرجوا وهم حاملون مشنات من الذهب وتلك المشنات ممتلئة ذهبا وفرغوها ثم راحوا وجاؤا بغيرها ولا زالوا ينقلون من الذهب والجواهر فلم تمض ساعة حتى قالوا ما بقى فى الكنز شئ ثم طلع له أبو السعادات وقال له يا سيدى قد رأيت ان جميع ما فى الكنز قد نقلناه فقال له ما هذه الاولاد الحسان قال هؤلاء أولادى لان هذه الشغلة لا تستحق أن أجمع لها الاعوان وأولادى قضوا حاجتك وتشرفوا بخدمتك فاطلب ما تريد غير هذا قال له هل تقدر أن تجئ لى ببغال وصناديق وتحط هذه الاموال فى الصناديق وتحمل الصناديق على البغال قال هذا أسهل ما يكون ثم انه زعق زعقة عظيمة فحضرت أولاده بين يديه وكانوا ثمانمائة فقال لهم لينقلب بعضكم فى صورة البغال وبعضكم فى صورة المماليك الحسان الذين أقل من فيهم لا يوجد مثله عند ملك من الملوك وبعضكم فى صورة المكارية وبعضكم فى صورة الخدامين ففعلوا كما أمرهم ثم صاح على الاعوان فحضروا بين يديه فامرهم أن ينقلب بعضهم فى صورة الخيل المسرجة بسروج الذهب المرصع بالجواهر فلما رأى معروف ذلك قال اين الصناديق فاحضروهم بين يديه قال عبوا الذهب والمعادن كل صنف وحده فعبوها وحملوها على ثلثمائة بغل فقال معروف يا أبا السعادات هل تقدر أن تجئ لى باحمال من نفيس القماش قال أتريد قماشا مصريا أو شاميا أو عجميا أو هنديا أو روميا قال هات لى من قماش كل

بلده مائة حمل على مائة بغل قال ياسيدى اعطنى مهلة حتى أرتب أعوانى لذلك وآمر
كل طائفة أن تروح الى بلد لتجئ بمائة حمل من قماشها ويقلب الاعوان فى صورة
البغال ويأتون حاملين البضائع قال ماقدر زمن المهلة قال مدة سواد الليل فلا يطلع
النهار الا وعندك جميع ماتريد قال أمهلتك هذه المدة ثم أمرهم أن ينصبوا له
خيمة فنصبوها وجلس وجاؤا له بسماط وقال له أبو السعادات ياسيدى اجلس فى
الخيمة وهؤلاء أولادى بين يديك يحرسونك ولاتخش من شئ وأنا رائح أجمع اعوانى
وأبعثهم ليقضوا حاجتك ثم ذهب أبو السعادات الى حال سبيله وجلس معروف
فى الخيمة والسماط قدامه وأولاد أبى السعادات بين يديه فى صورة المماليك والخدم
والحشم فبينما هو جالس على تلك الحالة واذا بالرجل الفلاح قد أقبل وهو حامل قصعة
عدس كبيرة ومخلاة ممتلئة شعيرا فرأى الخيمة منصوبة والمماليك واقفة وأيديهم على
صدورهم فظن انه السلطان أتى ونزل فى ذلك المكان فوقف باهتا وقال فى نفسه
ياليتنى كنت ذبحت فرختين وحمرتهما بالسمن البقرى من شأن السلطان وأراد أن
يرجع ليذبح فرختين يضيف بهما السلطان فرآه معروف فزعق عليه وقال للمماليك
هاتوه فحملوه هو والقصعة العدس وأتوا بهما قدامه فقال له ماهذا قال هذا غداؤك
وعليق حصانك فلا تؤاخذنى فانى ماكنت أظن ان السلطان يأتى الى هذا المكان
ولو علمت ذلك كنت ذبحت له فرختين وضيفته ضيافة مليحة فقال معروف ان
السلطان لم يجئ وانما أنا نسيبه وكنت مغبونا منه وقد أرسل الى مماليكه فصالحونى
وأنا الآن أريد أن ارجع الى المدينة وأنت قد عملت لى هذه الضيافة على غير معرفة
وضيافتك مقبولة ولو كانت عدسا فانا ما آكل الا من ضيافتك ثم أمره بوضع
القصعة فى وسط السماط وأكل منها حتى اكتفى وأما الفلاح فانه ملأ بطنه من تلك
الالوان الفاخرة ثم ان معروفا غسل يديه وأذن للمماليك فى الاكل فنزلوا على بقية
السماط وأكلوا ولما فرغت القصعة ملأها له ذهبا وقال له أوصلها الى منزلك
وتعال عندى فى المدينة وأنا أكرمك فأخذ القصعة ملآنة ذهبا وساق الثيران
وراح الى بلده وهو يظن انه نسيب الملك وبات معروف تلك الليلة فى أنس وصفاء
وجاؤا له ببنات من عرائس الكنوز فدقوا الآلات ورقصوا قدامه وقضى ليلته
وكانت لاتعد من الاعمار فلما أصبح الصباح لم يشعر الا والغبار قد علا وطار
وانكشف عن بغال حاملة أحمالا وهى سبعمائة بغل حاملة أقمشة وحولها غلمان
مكارية وعكامة وضوية وأبو السعادات راكب على بغلة وهو فى صورة مقدم الحملة
وقدامه تختروان له أربع عساكر من الذهب الاحمر الوهاج مرصعة بالجواهر فلما

وصل

وصل الى الخيمة نزل من فوق ظهر البغلة وقبل الارض وقال ياسيدى ان الحاجة قضيت بالتمام والكمال وهذا التختروان فيه بدلة كنوزية لا مثل لها من ملابس الملوك فالبسها واركب في التختروان وأومر نابما تريد فقال له يا أبا السعادات مرادى أن أكتب لك كتابا تروح به الى مدينة خيتان الختن وتدخل على عمى الملك ولا تدخل عليه الا في صورة ساع أنيس فقال له سمعا وطاعة فكتب كتابا وختمه فاخذه أبو السعادات وذهب به حتى دخل على الملك فرآه يقول يا وزير ان قلبي على نسيبي وأخاف أن تقتله العرب يا ليتني كنت أعرف اين ذهب حتى كنت أتبعه بالعسكر و يا ليته كان أخبرني بذلك قبل الذهاب فقال له الوزير الله يلطف بك على هذه الغفلة التى أنت فيها وحياة رأسك ان الرجل عرف انّنا انتبهنا له فخاف من الفضيحة وهرب وما هو الا كذاب نصاب واذا بالساعي داخل فقبل الارض بين يدى الملك ودعا له بدوام العز والنعم والبقا فقال له الملك من أنت وما حاجتك فقال له أنا ساع أرسلني اليك نسيبك وهو مقبل بالحملة وقد أرسل اليك معي كتابا وها هو فاخذه وقرأه فرأى فيه بعد مزيد السلام على عمنا الملك العزيز فانى قد جئت بالحملة فاطلع وقابلني بالعسكر فقال الملك سوّد الله وجهك يا وزير كم تقدح في عرض نسيبي وتجعله كذابا نصابا وقد أتى بالحملة فما أنت الا خائن فاطرق الوزير رأسه الى الارض حياء وخجلا وقال يا ملك الزمان أنا ما قلت هذا الكلام الا لطول غياب الحملة وكنت خائفا على ضياع المال الذى صرفه فقال يا خائن أى شئ أموالى حيثما أتت حملته فانه يعطيني عوضا عنها شيأ كثيرا ثم أمر الملك بزينة المدينة ودخل على بنته وقال لها الك البشارة ان زوجك عن قريب يجىء بحملته وقد أرسل الى مكتوبا بذلك وها أنا طالع الملاقاته فتعجبت البنت من هذه الحالة وقالت في نفسها ان هذا شئ عجيب هل كان يهزأ بي ويتمسخر عليّ أو كان يختبرني حين أخبرني بانه فقير ولكن الحمد لله حيث لم يقع منى في حقه تقصير هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر علىّ التاجر المصرى فانه لما رأى الزينة سأل عن سبب ذلك فقالوا له ان التاجر معروف نسيب الملك قد أتت حملته فقال الله اكبر ما هذه الداهية انه قد أتانى هاربا من زوجته وكان فقيرا فمن أين جاءت له حملة ولكن لعل بنت الملك دبرت له حيلة خوفا من الفضيحة والملوك لا تعجز عن شئ فالله تعالى يستره ولا يفضحه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر عليا لما سأل عن الزينة أخبروه بحقيقة
الحال فدعا له وقال الله يستره ولا يفضحه وسائر التجار فرحوا وانسروا لاجل أخذ
أموالهم ثم ان الملك جمع العسكر وطلع وكان أبو السعادات قد رجع الى معروف
وأخبره بانه بلغ الرسالة فقال له معروف حملوا فحملوا ولبس البدلة الكنوزية
وركب في التختروان وصار أعظم وأهيب من الملك بالف مرة ومشى الى نصف
الطريق واذا بالملك قابله بالعسكر فلما وصل اليه رآه لابسا تلك البدلة وراكبا
في التختروان فرمى روحه عليه وسلم عليه وحياه بالسلام وجميع أكابر الدولة سلموا
عليه وبان ان معروفا صادق ولا كذب عنده ودخل المدينة بموكب يفقع مرارة
الاسد وسعت اليه التجار وقبلوا الارض بين يديه ثم ان التاجر عليا قال له قد عملت
هذه العملة وطلعت بيدك يا شيخ النصابين ولكن تستاهل فالله تعالى يزيدك من فضله
فضحك معروف ولما دخل السراية قعد على الكرسي وقال ادخلوا احمال الذهب
في خزانة عمي الملك وهاتوا أحمال الاقمشة فقدموها اليه وصاروا يفتحونها حملا بعد
حمل ويخرجون ما فيها حتى فتحوا السبعمائة حمل فنقى أطيبها وقال ادخلوه للملكة
لتفرقه على جواريها وخذوا هذا الصندوق الجواهر وادخلوه لها لتفرقه على
الجواري والخدم وصار يعطي التجار الذين لهم عليه دين من الاقمشة في نظير ديونهم
والذي له ألف يعطيه قماشا يساوي ألفين أو أكثر وبعد ذلك صار يفرق على الفقراء
والمساكين والملك ينظر بعينه ولا يقدر أن يعترض عليه ولم يزل يعطي ويهب حتى
فرق السبعمائة حمل ثم التفت الى العسكر وجعل يفرق عليهم معادن وزمردا
ويواقيت ولؤلؤا ومرجانا وغير ذلك وصار لا يعطي الجواهر الا بالكبش من غير عدد
فقال له الملك يا ولدي يكفي هذا العطاء لانه لم يبق من الحملة الا القليل فقال له عندي
كثير واشتهر صدقه وما بقي أحد يقدر أن يكذبه وصار لا يبالي بالعطاء لان الخادم
يحضر له مهما طلب ثم ان الخازندار أتى للملك وقال يا ملك الزمان ان الخزنة امتلأت
وصارت لا تسع بقية الاحمال وما بقي من الذهب والمعادن اين نضعه فاشار له الى
مكان آخر ولما رأت زوجته هذه الحالة ازداد فرحها وصارت متعجبة وتقول
في نفسها يا هل ترى من أين جاء له كل هذا الخير وكذلك التجار فرحوا بما أعطاهم
ودعوا له وأما التاجر علي فانه صار متعجبا ويقول في نفسه يا ترى كيف نصب وكذب
حتى ملك هذه الخزائن كلها فانها لو كانت من عند بنت الملك ما كان يفرقها على
الفقراء ولكن ما أحسن قول من قال

ملك الملوك اذا وهب * لا تسألن عن السبب

الله

هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر الملك فانه تعجب غاية العجب مما رأى من معروف ومن كرمه وسخائه ببذل المال ثم بعد ذلك دخل معروف على زوجته فقابلته وهى متبسمة ضاحكة فرحانة وقبلت يده وقالت هل كنت تتمسخر علىّ أو كنت تجربنى بقولك أنا فقير وهارب من زوجتى والحمد لله حيث لم يقع منى فى حقك تقصير وأنت حبيبى وما عندى أعز منك سواء كنت غنيا أو فقيرا وأريد أن تخبرنى ما قصدت بهذا الكلام قال أردت تجريبك حتى أنظر هل محبتك خالصة أو على شأن المال وطمع الدنيا فظهر لى ان محبتك خالصة وحيث كنت صادقة فى المحبة فمرحبا بك وقد عرفت قيمتك ثم انه اختلى فى مكان وحده ودعك الخاتم فحضر له أبو السعادات وقال له لبيك فاطلب ما تريد قال أريد منك بدلة كنوزية لزوجتى وحليا كنوزيا مشتملا على عقد فيه أربعون جوهرة يتيمة قال سمعا وطاعة ثم أحضر له ما أمره به فحمل البدلة والحلى بعد ان صرف الخادم ثم دخل على زوجته ووضعهما بين يديها وقال لها خذى والبسى فمرحبا بك فلما نظرت الى ذلك طار عقلها من فرحها ورأت من جملة الحلى خلخالين من الذهب مرصعين بالجواهر صنعة الكهنة وأساور وحلقا وحزاما لا يتقوم بثمنها أموال فلبست البدلة والحلى ثم قالت يا سيدى مرادى ان ادخرها للمواسم والاعياد قال البسيها دائما فان عندى غيرها كثير فلما لبستها ونظرها الجوارى فرحن وقبلن يديه فتركهن واختلى بنفسه ثم دعك الخاتم فحضر له الخادم فقال له هات لى مائة بدلة بمصاغها فقال له سمعا وطاعة ثم أحضر البدلات وكل بدلة مصاغها فى قلبها فاخذها وزعق على الجوارى فاتين اليه فاعطى كل واحدة بدلة فلبسن البدلات وصرن مثل الحور العين وصارت الملكة بينهن مثل القمر بين النجوم ثم ان بعض الجوارى أخبر الملك بذلك فدخل الملك على ابنته فرآها تدهش من رآها هى وجواريها فتعجب من ذلك غاية العجب ثم خرج وأحضر وزيره وقال له يا وزير انه حصل كذا وكذا فما تقول فى هذا الامر قال يا ملك الزمان ان هذه الحالة لا تقع من التجار لان التاجر تقعد عنده القطع الكتان سنين ولا يبيعها الا بمكسب فمن اين للتجار كرم مثل هذا الكرم ومن أين لهم أن يحوزوا مثل هذه الاموال والجواهر التى لا يوجد منها عند الملوك الا قليل فكيف يوجد عند التجار منها أحمال فهذا لا بد له من سبب ولكن ان طاوعتنى أبين لك حقيقة الامر فقال له أطاوعك يا وزير فقال له اجتمع عليه وواده وتحدث معه وقل له يا نسيبى فى خاطرى أن أروح أنا وانت والوزير من غير زيادة بستانا لاجل النزهة فاذا خرجنا

الى بستان نحط سفرة المدام واغصب عليه واسقيه ومتى شرب المدام ضاع عقله وغاب رشده فنسأله عن حقيقة أمره فانه يخبرنا بأسراره والمدام فضاح ولله در من قال

ولما شربناها ودب دبيبها * الى موضع الاسرار قلت لها قفى
مخافة أن يسطو على شعاعها * فتظهر ندمانى على سرى الخفى

ومتى أخبرنا بحقيقة الامر فاننا نطلع على حاله ونفعل به ما نحب ونختار فان هذه الحالة التى هو فيها أخشى عليك من عواقبها فربما تطمع نفسه فى الملك فيشمل العسكر بالكرم وبذل المال ويعزلك ويأخذ الملك منك فقال له الملك صدقت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير لما دبر للملك هذا التدبير قال له صدقت وباتا متفقين على هذا الامر فلما أصبح الصباح خرج الملك الى المقعد وجلس واذا بالخدام والسياس دخلوا عليه مكروبين فقال لهم ما الذى أصابكم قالوا ياملك الزمان ان السياس تمروا الخيل وعلقوا عليها وعلى البغال التى جاءت بالجملة فلما أصبحنا وجدنا المماليك سرقوا الخيل والبغال وفتشنا الاصطبلات فما رأينا خيلا ولا بغالا ودخلنا محل المماليك فلم نر فيه أحدا ولم نعرف كيف هربوا فتعجب الملك من ذلك لانه ظن ان الاعوان كانوا خيلا وبغالا ومماليك ولم يعلم انهم كانوا أعوان خادم الرصد فقال لهم ياملاعين ألف دابة وخمسمائة مملوك وغيرهم من الخدام كيف هربوا ولم تشعروا بهم فقالوا ماعرفنا كيف جرى لنا حتى هربوا فقال انصرفوا حتى يخرج سيدكم من الحريم واخبروه بالخبر فانصرفوا من قدام الملك وجلسوا متحيرين فى هذا الامر فبينماهم جالسون على تلك الحالة واذا بمعروف قد خرج من الحريم فرآهم مغتمين فقال لهم ما الخبر فاخبروه بما حصل فقال وما قيمتهم حتى تغتموا عليهم امضوا الى حال سبيلكم وقعد يضحك ولم يغتظ ولم يغتم من هذا الامر فطل الملك فى وجه الوزير وقال له أى شئ هذا الرجل الذى ليس للمال عنده قيمة فلا بد لذلك من سبب ثم انهم تحدثوا معه ساعة وقال الملك يانسيبى خاطرى أن أروح أنا وانت والوزير بستانا لاجل النزهة فما تقول قال لا بأس ثم انهم ذهبوا وتوجهوا الى بستان فيه من كل فاكهة زوجان أنهاره دافقة وأشجاره باسقة وأطياره ناطقة ودخلوا فيه قصرا يزيل عن القلوب الحزن وجلسوا يتحدثون والوزير يحكى غريب الحكايات

ويأتى

ويأتى بالنكت المضحكات والالفاظ المطربات ومعروف مصغ الى الحديث حتى طلع الغداء وحطوا سفرة الطعام وباطية المدام وبعد ان أكلوا وغسلوا أيديهم ملأ الوزير الكأس وأعطاه للملك فشربه وملأ الثانى وقال لمعروف هاك كأس الشراب الذى تخضع لهيبته أعناق الالباب فقال معروف ما هذا يا وزير قال الوزير هذه البكر الشمطاء والعانس العذراء ومهدية السرور الى السرائر التى قال فيها الشاعر

كانت لها أرجل الاعلاج دائرة * بالدوس فانتصفت من أروس العرب
يسقيكها من بنى الكفار بدر دجى * ألحاظه للمعاصى أوكد السبب

ولله در القائل

فكأنها وكأن حامل كأسها * اذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجى بكواكب الجوزاء
رقت فكادت من لطيف مزاجها * تجرى كمجرى الروح فى الاعضاء

وما أحسن قول الشاعر

وبات بدر تمام الحسن معتنقى * والشمس فى فلك الكاسات لم تحل
وبت أنظر للنار التى سجدت * لها المجوس من الابريق تسجد لى

وقول الآخر

ومشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

وقول الآخر

عجبت لعاصريها كيف ماتوا * وقد تركوا لنا ماء الحياة

وأحسن من ذلك قول أبى نواس

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء
صفراء لاتنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء
قامت بابريقها والليل معتكر * فلاح من ضوئها فى البيت لألاء
طافت على فتية ذل الزمان لهم * فلا تصيبهم الا بما شاؤا
من كف ذات حر فى زى ذى ذكر * لها محبان لوطى وزناء
وقل لمن يدعى فى العلم معرفة * حفظت شيأ وغابت عنك أشياء

وأحسن من الجميع قول ابن المعتز

سقى الجزيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر
فطالما نبهتنى للصبوح بها * فى غرة الفجر والعصفور لم يطر

اصوات رهبان دير في صلاتهم * سود المدارع نعابين في السحر
كم فيهم من مليح الشكل مكتحل * بالغنج يطبق جفنيه على حور
وزارني في قميص الليل مستترا * يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
وقمت افرش خدي في الطريق له * ذلا واسحب اذيالي على أثري
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر
وكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

ولله در القائل

أصبحت من أغنى الورى * مستبشرا بالفرح
عندي نضار ذائب * أكيله بالقدح

وما أحسن قول الشاعر

تالله ما الكيميا في غيرها وجدت * وكل ما قيل في أبوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن * يعود في الحين أفراحا وينقلب

وقول الآخر

ثقلت زجاجات أتينا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير مع الهوا * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وقول الآخر

وللكأس والصهباء حق معظم * ومن حقها أن لا تضيع حقوقها
اذا مت فادفني الى جنب كرمة * تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فانني * أخاف اذا ما مت أن لا أذوقها

ومازال يرغبه في الشراب ويذكر له من محاسنه ما استطاب وينشده ما ورد فيه من الاشعار ولطائف الاخبار حتى مال الى ارتشاف ثغر القدح ولم يبق له غيرها مقترح ومازال يملأ له وهو يشرب ويستلذ ويطرب حتى غاب عن صوابه ولم يميز خطأه من صوابه فلما علم ان السكر بلغ به الغاية وتجاوز النهاية قال له يا تاجر معروف والله انى متعجب من أين وصلت اليك هذه الجواهر التي لا يوجد مثلها عند الملوك الاكاسرة وعمرنا ما رأينا تاجرا حاز اموالا مثلك ولا أكرم منك فان أفعالك أفعال ملوك وليست أفعال تجار فبالله عليك أن تخبرني حتى أعرف قدرك ومقامك وصار يمارسه ويخادعه وهو غائب العقل فقال له معروف أنا لست تاجرا ولا من أولاد الملوك وأخبره بحكايته من أولها الى آخرها فقال له بالله عليك يا سيدي معروف انك تفرجنا على هذا الخاتم حتى ننظر كيف صنعته فقلع الخاتم وهو

فى حال سكره وقال خذوا تفرجوا عليه فاخذه الوزير وقلبه وقال هل اذا دعكته يحضر الخادم قال نعم ادعكه يحضر لك وتفرج عليه فدعكه واذا بقائل يقول لبيك ياسيدى اطلب تعط هل تخرب مدينة أو تعمر مدينة أو تقتل ملكا فمهما طلبته فانى أفعل لك من غير خلاف فاشار الوزير الى معروف وقال للخادم احمل هذا الخاسر ثم ارمه فى أوحش الاراضى الخراب حتى لا يجد فيها ما يأكل ولا ما يشرب فيهلك من الجوع ويموت كمدا ولم يدر به أحد فخطفه الخادم وطار به بين السماء والارض فلما رأى معروف ذلك أيقن بالهلاك وسوء الارتباك فبكى وقال يا أبا السعادات الى أين أنت رائح بى فقال له أنا رائح أرميك فى الربع الخراب يا قليل الادب من يملك رصدا مثل هذا ويعطيه للناس يتفرجون عليه لكن تستاهل ما حل بك ولولا انى أخاف الله لرميتك من مسافة ألف قامة فلا تصل الى الارض حتى تمزقك الرياح فسكت وصار لا يخاطبه حتى وصل به الى الربع الخراب ورماه هنالك ورجع وخلاه فى الارض الموحشة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخادم اخذ معروفا ورماه فى الربع الخراب ورجع وخلاه هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر الوزير فانه لما ملك الخاتم قال للملك كيف رأيت أما قلت لك ان هذا كذاب نصاب فما كنت تصدقنى فقال له الحق معك يا وزيرى الله يعطيك العافية هات هذا الخاتم حتى اتفرج عليه فالتفت اليه الوزير بالغضب وبصق فى وجهه وقال له يا قليل العقل كيف أعطيه لك وأبقى خدامك بعد أن صرت سيدك ولكن أنا ما بقيت ابقيك ثم دعك الخاتم فحضر الخادم فقال له احمل هذا القليل الادب وارمه فى المكان الذى رميت فيه نسيبه النصاب فحمله وطار به فقال له الملك يا مخلوق ربى أى شئ ذنبى قال له الخادم لا ادرى وانما أمرنى سيدى بذلك وأنا لا اقدر أن اخالف من ملك خاتم هذا الرصد ولم يزل طائرا به حتى رماه فى المكان الذى فيه معروف ثم رجع وتركه هنالك فسمع معروفا يبكى فاتى له وأخبره وقعدا يبكيان على ما اصابهما ولم يجدا اكلا ولا شربا هذا ما كان من أمرهما وأما ما كان من أمر الوزير فانه بعد ما شتت معروفا والملك قام وخرج من البستان وأرسل الى جميع العسكر وعمل ديوانا وأخبرهم بما فعل مع معروف والملك وأخبرهم بقصة الخاتم وقال لهم ان لم تجعلونى عليكم سلطانا أمرت خادم الخاتم أن يحملكم جميعا ويرميكم فى الربع الخراب فتموتوا جوعا وعطشا فقالوا

له لا تفعل معنا ضررا فاننا قد رضينا بك علينا سلطانا ولا نعصى لك أمرا ثم انهم اتفقوا
على سلطنته عليهم قهرا عنهم وخلع عليهم الخلع وصار يطلب من أبي السعادات كل ما
اراده فيحضره بين يديه فى الحال ثم انه جلس على الكرسي واطاعه العسكر
وأرسل الى بنت الملك يقول لها حضرى روحك فانى داخل عليك فى هذه الليلة لاني
مشتاق اليك فبكت وصعب عليها أبوها وزوجها ثم انها ارسلت تقول له امهلني
حتى تنقضى العدة ثم اكتب كتابي وادخل على فى الحلال فارسل يقول لها أنا
لا أعرف عدة ولا طول مدة ولا احتاج الى كتاب ولا أعرف حلالا من حرام ولا بد
من دخولى عليك فى هذه الليلة فارسلت تقول له مرحبا بك ولا بأس بذلك وكان
ذلك مكرا منها فلما رجع له الجواب فرح وانشرح صدره لانه كان مغرما بحبها ثم انه
أمر بوضع الاطعمة بين جميع الناس وقال كلوا هذا الطعام فانه وليمة الفرح فاني
أريد الدخول على الملكة فى هذه الليلة فقال شيخ الاسلام لا يحل لك الدخول عليها
حتى تنقضي عدتها وتكتب كتابك عليها فقال له أنا لا أعرف عدة ولا مدة فلا تكثر
على كلاما فسكت شيخ الاسلام وخاف من شره وقال للعسكر ان هذا كافر ولا دين له
ولا مذهب له فلما جاء المساء دخل عليها فرآها لابسة أفخر ما عندها من الثياب
ومزينة باحسن الزينة فلما رأته قابلته وهى ضاحكة وقالت له ليلة مباركة ولو كنت
قتلت أبي وزوجي لكان أحسن عندي فقال لها لا بد أن أقتلهما فاجلسته
وصارت تمازحه وتظهر له الوداد فلما لاطفته وتبسمت فى وجهه طار عقله وانما
خادعته بالملاطفة حتى تظفر بالخاتم وتبدل فرحه بالنكد على أم ناصيته وما فعلت
معه هذه الفعال الا على رأى من قال

ولقد بلغت بحيلتى * ما ليس يبلغ بالسيوف

ثم انثنيت بغنم * حلو الجاني والقطوف

فلما رأى الملاطفة والابتسام هاج عليه الغرام وطلب منها الوصال فلما دنا منها
تباعدت عنه وبكت وقالت يا سيدى اما ترى الرجل الناظر الينا بالله عليك أن
تسترني عن عينه فكيف تواصلني وهو ينظر الينا فاغتاظ وقال أين الرجل قالت
ها هو فى فص الخاتم يطلع رأسه وينظر الينا فظن أن خادم الخاتم ينظر اليهما
فضحك وقال لا تخافى ان هذا خادم الخاتم وهو تحت طاعتى قالت أنا أخاف من
العفاريت فاقلعه وارمه بعيدا عنى فقلعه وحطه على المخدة ودنا منها فرفصته
برجلها فى قلبه فانقلب على قفاه مغشيا عليه وزعقت على اتباعها فاتوها بسرعة
فقالت أمسكوه فقبض عليه أربعون جارية وعجلت باخذ الخاتم من فوق المخدة

ودعكته

ودعكه واذا بابى السعادات أقبل يقول لبيك ياسيدتى فقالت احمل هذا الكافر وضعه فى السجن وثقل قيوده فاخذه وسجنه فى سجن الغضب ورجع وقال لها قد سجنته فقالت له اين ذهبت بابى وزوجى قال رميتهما فى الربع الخراب قالت أمرتك أن تأتينى بهما فى هذه الساعة فقال سمعا وطاعة ثم طار من قدامها ولم يزل طائرا الى أن وصل الى الربع الخراب ونزل عليهما فرآهما قاعدين يبكيان ويشكوان لبعضهما فقال لهما لا تخافا فقد أتاكما الفرج وأخبرهما بما فعل الوزير وقال لهما انى قد سجنته بيدى طاعة لها ثم أمرتنى بارجاعكما ففرحا بخبره ثم حملهما وطار بهما فما كان غير ساعة حتى دخل بهما على بنت الملك فقامت وسلمت على أبيها وزوجها وأجلستهما وقدمت لهما الطعام والحلوى وباتا بقية الليلة وفى ثانى يوم ألبست اباها بدلة فاخرة وألبست زوجها بدلة فاخرة وقالت ياأبت اقعد أنت على كرسيك ملكا على ما كنت عليه اولا واجعل زوجى وزير ميمنة عندك وأخبر عسكرك بما جرى وهات الوزير من السجن واقتله ثم احرقه فانه كافر وأراد أن يدخل على سفاحا من غير نكاح وشهد على نفسه انه كافر وليس له دين يتدين به واستوص بنسيبك الذى جعلته وزير ميمنة عندك فقال لها سمعا وطاعة يابنتى ولكن اعطينى الخاتم أو اعطيه زوجك فقالت انه لا يصلح لك ولا له وانما الخاتم يكون عندى وربما أحميه اكثر منكما ومهما اردتماه فاطلباه منى وأنا اطلب لكما من خادم الخاتم ولا تخشيا بأسا مادمت انا طيبة وبعد موتى فشأنكما والخاتم فقال أبوها هذا هو الرأى الصواب يابنتى ثم أخذ نسيبه وطلع الى الديوان وكان العسكر قد باتوا فى كرب عظيم بسبب بنت الملك وما فعل معها الوزير من انه دخل عليها سفاحا من غير نكاح واساء الملك ونسيبه وخافوا أن تنتهك شريعة الاسلام لانه بان لهم انه كافر ثم اجتمعوا فى الديوان وصاروا يعنفون شيخ الاسلام ويقولون له لماذا ما منعته من الدخول على الملكة سفاحا فقال لهم ياناس ان الرجل كافر وصار مالكا للخاتم وأنا وأنتم لا يخرج من ايدينا فى حقه شئ فالله تعالى يجازيه بفعله واسكتوا أنتم لئلا يقتلكم فبينما العساكر مجتمعون فى الديوان يتحدثون فى هذا الكلام واذا بالملك داخل عليهم فى الديوان ومعه نسيبه معروف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للالف

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العساكر من شدة غيظهم جلسوا فى الديوان

يتحدثون فى شأن الوزير وما فعل بالملك ونسيبه وبنته واذا بالملك داخل عليهم فى الديوان ومعه نسيبه معروف فلما رأته العساكر فرحوا بقدومه وقاموا له على الاقدام وقبلوا الارض بين يديه ثم جلس على الكرسى وأخبرهم بالقصة فزالت عنهم تلك الغصة وأمر بزينة المدينة وأحضر الوزير من الحبس فلما مر بالعساكر صاروا يلعنونه ويشتمونه ويوبخونه حتى وصل الى الملك فلما تمثل بين يديه أمر بقتله اشنع قتلة فقتلوه ثم حرقوه وراح الى سقر فى اسوا الاحوال وأجاد فيه من قال

فلا رحم الرحمن تربة عظمه * ولا زال فيها منكر ونكير

ثم ان الملك جعل معروفا وزير ميمنة عنده وطابت لهم الاوقات وصفت لهم المسرات واستمروا على ذلك خمس سنوات وفى السنة السادسة مات الملك فجعلته بنت الملك سلطانا مكان أبيها ولم تعطه الخاتم وكانت فى هذه المدة حملت منه ووضعت غلاما بديع الجمال بارع الحسن والكمال ولم يزل فى حجر الدادات حتى بلغ من العمر خمس سنوات فمرضت أمه مرض الموت فاحضرت معروفا وقالت له أنا مريضة قال لها سلامتك يا حبيبة قلبى قالت له ربما أموت فلا تحتاج الى أن اوصيك على ولدك وانما أوصيك بحفظ الخاتم خوفا عليك وعلى هذا الغلام فقال ما على من يحفظه الله بأس فقلعت الخاتم واعطته له وفى ثانى يوم توفيت الى رحمة الله تعالى وأقام معروف ملكا وصار يتعاطى الاحكام فاتفق له فى بعض الايام انه نفض المنديل فانفضت العساكر من قدامه الى اماكنهم ودخل هو قاعة الجلوس وجلس فيها الى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فدخل عليه ارباب منادمته من الاكابر على عادتهم وسهروا عنده من أجل البسط والانشراح الى نصف الليل ثم طلبوا الاجازة بالانصراف فاذن لهم وخرجوا من عنده الى بيوتهم وبعد ذلك دخلت عليه جارية كانت مقيدة بخدمة فراشه ففرشت له المرتبة وقلعته البدلة وألبسته بدلة النوم واضطجع فصارت تكبس اقدامه حتى غلب عليه النوم فخرجت من عنده وراحت الى مرقدها ونامت هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر الملك معروف فانه كان نائما فلم يشعر الا وشئ بجانبه فى الفراش فانتبه مرعوبا وقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم فتح عينيه فرأى فى جانبه امرأة قبيحة المنظر فقال لها من أنت قالت لا تخف أنا زوجتك فاطمة العرة فنظر فى وجهها فعرفها بمسخة صورتها وطول انيابها وقال من أين دخلت على ومن جاء بك الى هذه البلاد فقالت له فى أى البلاد أنت فى هذه الساعة قال فى مدينة خيتان الختن وأنت متى فارقت مصر قالت فى هذه الساعة قال لها وكيف ذلك قالت اعلم

انى

انى لما تشاجرت معك وقد اغوانى الشيطان على ضررك واشتكيتك الى الحكام ففتشوا عليك فما وجدوك وسأل القضاة عنك فما رأوك وبعد أن مضى يومان لحقتنى الندامة وعلمت أن العيب عندى وصار الندم لا ينفعنى وقعدت مدة ايام وأنا ابكى على فراقك وقل ما فى يدى واحتجت الى السؤال لاجل القوت فصرت اسأل كل مغبوط وممقوت ومن حين فارقتنى وانا آكل من ذل السؤال وصرت فى اسوا الاحوال وكل ليلة اقعد أبكى على فراقك وعلى ما قاسيت بعد غيابك من الذل والهوان والتعسة والخسران وصارت تحدثه بما جرى لها وهو باهت فيها الى أن قالت وفى أمس درت طول النهار اسأل فلم يعطنى أحد شيأ وصرت كلما أقبل على أحد واسأله كسرة يشتمنى ولا يعطينى شيأ فلما أقبل الليل بت من غير عشاء فاحرقنى الجوع وصعب على ما قاسيت وقعدت أبكى واذا بشخص تصور قدامى وقال لى يا امرأة لاى شئ تبكين فقلت انه كان لى زوج يصرف على ويقضى اغراضى وقد فقد منى ولم اعرف اين راح وقد قاسيت الغلب من بعده فقال ما اسم زوجك قلت اسمه معروف قال أنا اعرفه اعلمى أن زوجك الآن سلطان فى مدينة وان شئت أن اوصلك اليه افعل ذلك فقلت له أنا فى عرضك أن توصلنى اليه فحملنى وطار بى بين السماء والارض حتى أوصلنى الى هذا القصر وقال ادخلى فى هذه الحجرة ترى زوجك نائما على السرير فدخلت فرأيتك فى هذه السيادة وأنا ما كان فى أملى انك تنوتنى وأنا رفيقتك والحمد لله الذى جمعنى عليك فقال لها هل أنا فتك أو أنت التى فتنى وأنت تشكينى من قاض الى قاض وختمت ذلك بشكايتى الى الباب العالى حتى نزلت على أبا طبق من القلعة فهربت قهرا عنى وصار يحكى لها على ما جرى له الى ان صار سلطانا وتزوج بنت الملك وأخبرها بانها ماتت وخلف منها ولدا صار عمره سبع سنين فقالت له الذى جرى مقدر من الله تعالى وقد تبت وأنا فى عرضك انك لا تفوتنى ودعنى آكل عندك العيش على سبيل الصدقة ولم تزل تتواضع له حتى رق قلبه لها وقال لها توبى عن الشر واقعدى عندى وليس لك الا ما يسرك فان عملت شيأ من الشر أقتلك ولا أخاف من أحد فلا يخطر ببالك انك تشكينى الى الباب العالى وينزل لى أبو طبق من القلعة فانى صرت سلطانا والناس تخاف منى وأنا لا أخاف الا من الله تعالى فانى معى خاتم استخدام متى دعكته يظهر لى خادم الخاتم واسمه أبو السعادات ومهما طلبته منه يجيئنى به فان كنت تريدين الذهاب الى بلدك اعطيك ما يكفيك طول عمرك وأرسلك الى بلادك بسرعة وان كنت تريدين القعود عندى فانى أخلى لك قصرا وأفرشه لك من خاص الحرير وأجعل لك عشرين جارية

تخدمك وأرتب لك المأكل الطيبة والملابس الفاخرة وتصيرين ملكة وتقيمين فى نعيم زائد حتى تموتى أو أموت أنا فما تقولين فى هذا الكلام قالت أنا أريد الاقامة عندك ثم قبلت يده وتابت عن الشر فافرد لها قصرا وحدها وأنعم عليها بجوار وطواشية وصارت ملكة ثم ان الولد صار يذهب عندها وعند أبيه فكرهت الولد لكونه ما هو ابنها فلما رأى الولد منها عين الغضب والكراهة نفر منها وكرهها ثم ان معروفا اشتغل بحب الجوارى الحسان ولم يفكر فى زوجته فاطمة العرة لانها صارت عجوزا شمطاء بصورة شوهاء وهيئة معطاء أقبح من الحية الرقطاء خصوصا وقد أساءته اساءة لامزيد عليها وصاحب المثل يقول الاساءة تقطع أصل المطلوب وتزرع البغضاء فى أرض القلوب ولله در القائل

احرص على حفظ القلوب من الاذى * فرجوعها بعد التنافر يعسر
ان القلوب اذا تنافر ودها * مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

ثم ان معروفا لم يأوها لخصلة حميدة فيها وانما عمل معها هذا الاكرام ابتغاء مرضات الله تعالى ثم ان دنيازاد قالت لاختها شهرزاد ما أطيب هذه الالفاظ التى هى أشد أخذا للقلوب من سواحر الالحاظ وما أحسن هذه الكتب الغريبة والنوادر العجيبة فقالت شهرزاد وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وأبقانى الملك فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أصبح الملك منشرح الصدر ومنتظرا لبقية الحكاية وقال فى نفسه والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها ثم خرج الى محل حكمه وطلع الوزير على عادته بالكفن تحت ابطه فمكث الملك فى الحكم بين الناس طول نهاره وبعد ذلك ذهب الى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير على جرى عادته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية بعد الالف وهى آخر الكتاب

ذهب الملك الى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير فقالت لها أختها دنيازاد تمى لنا حكاية معروف قالت حبا وكرامة ان أذن لى الملك بالحديث فقال لها الملك قد أذنت لك بالحديث لانى متشوق الى سماع بقيته قالت بلغنى أيها الملك ان الملك معروفا صار لا يعتنى بزوجته من أجل النكاح وانما كان يطعمها احتسابا لوجه الله تعالى فلما رأته ممتنعا عن وصالها ومشتغلا بغيرها بغضته وغلبت عليها الغيرة ووسوس لها ابليس انها تأخذ الخاتم منه وتقتله وتعمل ملكة مكانه ثم انها خرجت ذات ليلة من الليالى ومشت من قصرها متوجهة الى القصر الذى

فيه

وفيه زوجها الملك معروف واتفق بالامر المقدر والقضاء المسطران معروفا كان راقدا مع محظية من محاظيه ذات حسن وجمال وقد واعتدال ومن حسن تقواه كان يقلع الخاتم من اصبعه اذا أراد أن يجامع احتراما للاسماء الشريفة التي هي مكتوبة عليه فلا يلبسه الا على طهارة وكانت زوجته فاطمة العرة لم تخرج من موضعها الا بعد ان أحاطت علما بانه اذا جامع يقلع الخاتم ويجعله على المخدة حتى يتطهر وكان من عادته انه متى جامع يأمر المحظية أن تذهب من عنده خوفا على الخاتم واذا دخل الحمام يقفل باب القصر حتى يرجع من الحمام ويأخذ الخاتم ويلبسه وبعد ذلك كل من دخل القصر لا حرج عليه وكانت تعرف هذا الامر كله فخرجت بالليل لاجل أن تدخل عليه في القصر وهو مستغرق في النوم وتسرق هذا الخاتم بحيث لا يراها فلما خرجت كان ابن الملك في هذه الساعة قد دخل بيت الراحة ليقضي حاجة من غير نور فقعد في الظلام على ملا في بيت الراحة وترك الباب مفتوحا عليه فلما خرجت من قصرها رآها مجتهدة في المشي الى جهة قصر أبيه فقال في نفسه يا هل ترى لاي شيء خرجت هذه الكاهنة من قصرها في جنح الظلام وأراها متوجهة الى قصر أبي فهذا الامر لا بد له من سبب ثم انه خرج وراءها وتبع أثرها من حيث لا تراه وكان له سيف قصير من الجوهر وكان لا يخرج الى ديوان أبيه الا متقلدا بذلك السيف لكونه مستعزا به فاذا رآه أبوه يضحك عليه ويقول ما شاء الله ان سيفك عظيم يا ولدي ولكن ما نزلت به حربا ولا قطعت به رأسا فيقول له لا بد أن أقطع به عنقا يكون مستحقا للقطع فيضحك من كلامه ولما مشى وراء زوجة أبيه سحب السيف من غلافه وتبعها حتى دخلت قصر أبيه فوقف لها على باب القصر وصار ينظر اليها فرآها وهي تفتش وتقول أين وضع الخاتم ففهم انها دائرة على الخاتم فلم يزل صابرا عليها حتى لقيته فقالت ها هو والتقطته وأرادت أن تخرج فاختفى خلف الباب فلما خرجت من الباب نظرت الى الخاتم وقلبته في يدها وأرادت أن تدعكه فرفع يده بالسيف وضربها على عنقها فزعقت زعقة واحدة ثم وقعت مقتولة فانتبه معروف فرأى زوجته مرمية ودمها سائل وابنه شاهر السيف في يده فقال له ما هذا يا ولدي قال يا أبي كم مرة وأنت تقول لي ان سيفك عظيم ولكنك ما نزلت به حربا ولا قطعت به رأسا وأنا أقول لك لا بد أن أقطع به عنقا مستحقا للقطع فها أنا قد قطعت لك به عنقا مستحقا للقطع وأخبره بخبرها ثم انه فتش على الخاتم فلم يره ولم يزل يفتش في أعضائها حتى رأى يدها منطبقة عليه فاخذه من يدها ثم قال له أنت ولدي بلا شك ولا ريب أراحك الله في الدنيا والآخرة كما أرحتني من هذه الخبيثة ولم

يكن سعيها الا اهلاكها ولله در من قال

اذا كان عون الله للمرء مسعفا * تأتى له من كل أمر مراده
وان لم يكن عون من الله للفتى * فاول مايجنى عليه اجتهاده

ثم ان الملك معروفا زعق على بعض أتباعه فاتوه مسرعين فاخبرهم بما فعلت زوجته فاطمة العرة وأمرهم أن ياخذوها ويرموها فى مكان الى الصباح ففعلوا كما أمرهم ثم وكل بها جماعة من الخدام فغسلوها وكفنوها وعملوا لها مشهدا ودفنوها وما كان مجيئها من مصر الا لترابها ولله در من قال

مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بارض * فليس يموت فى أرض سواها

وما أحسن قول الشاعر

وما أدرى اذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يلينى
هل الخير الذى أنا أبتغيه * أم الشر الذى هو يبتغينى

ثم ان الملك معروفا أرسل يطلب الرجل الحراث الذى كان ضيفه وهو هارب فلما حضر جعله وزير ميمنته وصاحب مشورته ثم علم ان له بنتا بديعة الحسن والجمال كريمة الخصال شريفة النسب رفيعة الحسب فتزوج بها وبعد مدة من الزمان زوج ابنه وأقاموا مدة فى أرغد عيش وصفت لهم الاوقات وطابت لهم المسرات الى ان أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الديار العامرات وميتم البنين والبنات فسبحان الحى الذى لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت وكانت شهرزاد فى هذه المدة قد خلفت من الملك ثلاثة أولاد ذكور فلما فرغت من هذه الحكاية قامت على قدميها وقبلت الارض بين يدى الملك وقالت له يا ملك الزمان وفريد العصر والاوان انى جاريتك ولى ألف ليلة وليلة وأنا أحدثك بحديث السابقين ومواعظ المتقدمين فهل لى فى جنابك من طمع حتى أتمنى عليك أمنية فقال لها الملك تمنى تعطى يا شهرزاد فصاحت على الدادات والطواشية وقالت لهم هاتوا أولادى فجاؤا لها بهم مسرعين وهم ثلاثة أولاد ذكور واحد منهم يمشى وواحد يحبى وواحد يرضع فلما جاؤا بهم أخذتهم ووضعتهم قدام الملك وقبلت الارض وقالت يا ملك الزمان ان هؤلاء أولادك وقد تمنيت عليك أن تعتقنى من القتل اكراما لهؤلاء الاطفال فانك ان قتلتنى يصير هؤلاء الاطفال من غير أم ولا يجدون من يحسن تربيتهم من النساء فعند ذلك بكى الملك وضم أولاده الى صدره وقال يا شهرزاد والله انى قد عفوت عنك من قبل مجىء هؤلاء الاولاد لكونى

رأيتك

رأيتك عفيفة نقية وحرة تقية بارك الله فيك وفى أبيك وأمك وأصلك وفرعك
وأشهد الله على انى قد عفوت عنك من كل شىء يضرك فقبلت يديه وقدميه وفرحت
فرحا زائدا وقالت له أطال الله عمرك وزادك هيبة ووقارا وشاع السرور فى سراية
الملك حتى انتشر فى المدينة وكانت ليلة لا تعد من الاعمار ولونها أبيض من وجه
النهار وأصبح الملك مسرورا وبالخير مغمورا فارسل الى جميع العسكر فحضروا
وخلع على وزيره أبى شهرزاد خلعة سنية جليلة وقال له سترك الله حيث زوجتنى ابنتك
الكريمة التى كانت سببا لتوبتى عن قتل بنات الناس وقد رأيتها حرة نقية عفيفة
زكية ورزقنى الله منها بثلاثة أولاد ذكور والحمد لله على هذه النعمة الجزيلة ثم خلع
على كافة الوزراء والامراء وأرباب الدولة وأمر بزينة المدينة ثلاثين يوما ولم يكلف
أحدا من أهل المدينة شيأ من ماله بل جميع الكلفة والمصاريف من خزانة الملك
فزينوا المدينة زينة عظيمة لم يسبق مثلها ودقت الطبول وزمرت الزمور ولعب
سائر أرباب الملاعب وأجزل لهم الملك العطايا والمواهب وتصدق على الفقراء
والمساكين وعم باكرامه سائر رعيته وأهل مملكته وأقام هو ودولته فى نعمة
وسرور ولذة وحبور حتى أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات
فسبحان من لا يفنيه تداول الاوقات ولا يعتريه شىء من
التغيرات ولا يشغله حال عن حال وتفرد
بصفات الكمال والصلاة والسلام
على امام حضرته وخيرته
من خليقته سيدنا
محمد سيد الانام
ونضرع به اليه
فى حسن
الختام
تم

يقول المتوسل الى ربه بالجاه النبوى محمد ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن قطة
العدوى مصحح دار الطباعة الكبرى يسر الله امره وشرح صدره فى الدنيا
والاخرى هذا آخر كتاب ألف ليلة وليله الذى أجرى فى أودية الحكايات
والاخبار سيله وتضمن من فنون النوادر والآثار وأنواع الحكايات والاخبار
ما يتسلى به المحزون وتنصرف عنه الغموم والشجون من كل نادرة جدها له
فى النفوس وقع عظيم وهزلها أرق من النسيم على انه عند المتأمل الملاحظ
لا يخلو غالبا عن حكم وفوائد ونصائح ومواعظ كما يعرف ذلك من تصفح أخباره
وفهم سجعه وأشعاره غير انه لما كان الغرض من وضعه تسلية كل مطالع وناظر
وسامع سواء كان من الخواص الاعلام أو كان من زمرة العوام أبقيناه
فى هذه الطبعة الثانية على ما كان عليه فى الطبع الاول لما انه للعموم أقرب
وأيسر وأسهل فلم نغير منه ما كان مخالفا لقواعد العربيه أو مباينا للكلمات
اللغويه الا ما اقتضاه الحال من النزر اليسير لغرض تصحيح وزن شعرى أو غيره مما
لا يخفى على بصير قصدا الى تعميم الفائده بحيث تكون المنفعة بذلك على العامة
وغيرهم عائده فاياك والمبادرة الى الاعتراض والطعن فى الاعراض فان ذلك
من ذميم الاخلاق ووصف من ليس له فى الفضل خلاق هذا وكان تمام طبعه
وانتهاء تمثيله فى هذه المرة ووضعه بدار الطباعة الكبرى المصريه الكائنة ببولاق
مصر المعزيه فى أواخر صفر من عام ثمانين كما أن ابتداء
طبعه كان فى أثناء سنة تسع وسبعين بعد المائتين
والالف فى التاريخين من هجرة
سيد الكونين خاتم الرسل
الكرام عليه وعليهم
أفضل الصلاة والسلام
ما فاح مسك ختام
ولاح بدر
تمام

تم